الكامل في اللغة والأدب

لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد

حقق أصوله وعلق عليه
محمد أبو الفضل إبراهيم

المجلد الثاني

دار الفكر العربي

الكامل
في
اللغة والأدب

لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد

عارضه بأصوله وعلق عليه

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الثالث

الطبعة الثالثة

١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

بسم الله الرحمن الرحيم

باب[١]

قال أبو العباس: وهذا باب اشترطنـا أن نخْرُجَ فيه من حزْن إلى سَهْلٍ ومن جدٍّ إلى هَزْلٍ. ليستريحَ إليه القارئ. ويَـدْفَعَ عن مُسْتمِعِه الملالَ. ونحنُ ذاكرون ذلك إن شاءً الله.

[لبكر بن النطاح يمدح مالك بن على الخزاعىّ]

قال بكْرُ بن النَّطاح فى كَلِمة يمدحُ فيها[٢] مالك بن علىّ الخُزَاعِىّ:

عَرضتُ عليهَـا ما أرادت من المُنَىَ ... لتَرْضَى. فقالتْ قُمْ فجئْنَا بكوْكَبِ
فـقلتُ لهـا هذا التَّـعَنُّـتُ كلّهُ ... كمن يَتَشَهى لحـم عَنقاءَ مُغْرِبِ[٣]
فلو أننِى أَصْبَحتُ فى جُودِ مالكٍ ... وعِـزَّتِه مـا نَالَ ذلك مَطْلَبِى[٤]
فَتًى شَـقـيتْ أمـوالهُ بسمـاحِـهِ ... كمـا شَقِيَتْ قَيْسٌ بأسـيافِ تَغْلبِ

[للخليع يمدح عاصما الغسانىّ]

وقال الخَليع[٥] فى كلمةٍ له[٦] يمدح بها عاصما الغَسَّانىَّ:

أقـولُ ونفسِى بـين شـوقٍ وحَسْـرَةَ ... وقد شَخَصتْ عينى ودَمْعِى على خَدِّى[٧] بهِ
أرِيحـى بقَـتْـلٍ مَنْ تَرَكْتِ فُـؤَادَهْ ... بِلَحْظَتِـهِ بينَ التَـأَسُّفِ والجَـهْـدِ

---

(١) هذا العنوان ثابت فى الأصل. س، وهو ساقط من ر.

(٢) ر: «مدح». وما أثبته عن الأصل. س.

(٣) قال فى اللسان: «العنقـاء: طائر ضخم ليس بالعقاب. وقيل: العنقاء المغـرب. كلمة لا أصل لها، يقال إنها طائر عظيم لا ترى إلا فى الدهور. ثم كـثر ذلك حتى سموا الداهـية عنقاء مغربا ومـغربة». مادة ـ عنق.

(٤) فى س. هذا البيت قبل سابقه.

(٥) الخليع لقب الحسين بن الضحاك. أحد شعراء الدولة العباسية.

(٦) كلمة «له» ساقطة من ر.

(٧) شخصت عينى: ارتفع جفناها من كثرة السهاد.

فقالت: عـذابٌ بالهوى[1] قبل مـيتةٍ ... وموتٌ إذا أقْرَحْتَ قلبكَ من بعْدِى[2]
لقـد فَطَنَتْ للجَـوْرِ فَطْنَةَ عـاصِمٍ ... لِصُنْعِ الأيادِى الغُـرِّ فى طَلَبِ الحمْـدِ
سأشْـكوكِ فى الأشْعَـارَ غيـرَ مُقَـصِّرٍ ... إلى عاصمٍ ذى المكْرُمَـاتِ وذى المَجْدِ
لعلَّ فـتًى غَـسَّـانَ يجـمعُ بيـننا ... فَـتـأمَنَ نفـسى مـنكمُ لَوْعَـةَ الصَّـدِّ

[لأبى العتاهية فى العتاب]

وقال إسماعيل بن القاسم[3]:

إن السَّـلاَمَ وإنّ الْبِـشْـرَ من رَجُلٍ ... فى مِـثْلِ ما أنْـتَ فيـه ليس يكفـينى
هذا زمـانٌ ألَـحَّ الـناسُ فـيــه على ... زَهْوِ الملـوكِ وأخْـلاقِ المسـاكـينِ
أمَـا علمتَ جـزاكَ الله صـالحـةً ... عنِّى وزادكَ خـيـرًا يـابْنَ يَقْطـينِ
أنِّى أريدكَ لـلدنيـا وعـاجِلـهـا ... ولا أريـدكَ يـومَ الدِّيـنِ لِـلـدِّيـنِ

[ليزيد بن محمد بمدح إسحاق بن إبراهيم]

وقال يَزِيدُ بن محمد [بن المُهَلَّبِ][4] المهَلبىُّ فى كلمة يمدحُ بها إسحاق بن إبراهيم:

إنْ أكنْ مُـهْـدِيًا لكَ الشـعـر[5] إنِّـى ... لأَبنُ بيـتٍ تُهْـدَى له الأشْـعـارُ
غـيـرَ أنِّـى أراكَ من أهل بَـيْتٍ ... مـا على الحُـرِّ ـ أنْ يسُـودُوهُ ـ عـارُ

* * *

وقال فى كلمةٍ أخرى له[6]:

وإذا جُـدِدْتَ فـكلُّ شـيءٍ نافـعٌ ... وإذا حُـدِدت فكل شىء ضـائرُ[7]
وإذا أتـاكَ مُـهَلَّبىٌّ فـى الوغـى ... والسـيفُ فى يده فـنِعْمَ النّـاصِـرُ

(١) ر: «فى الهوى». وما أثبته عن الأصل. س.
(٢) يقال: قرح قلب الرجل من الحزن وأقرحه غيره.
(٣) هو المكنى أبا العتاهية.
(٤) من س.
(٥) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «المدح».
(٦) كلمة «له» ساقطة من ر. س.
(٧) حددت: منعت، يقال: حده عن الأمر يحده حدا. منعه عنه خيرا كان أم شرا. وجددت. أى رزقت الجد. وهو الحظ.

[في مقتل مصعب بن الزبير]

وقال عبدُ الله بن الزُّبَيْر لما أتاه قتلَ مُصْعَب بن الزبير: أَشَهِدَهُ المَهَلبُ بن أبى صُفْرَةَ؟ قالوا: لا. كان المُهَلَّب فى وجُوه الخَوارج. قال: أفَشَهِدَهُ عَبَّادُ بن الحُصيْن الحَبَطىُّ؟ قالوا: لا. قال: أفَشَهِدَهُ عبدُ الله بن خازمٍ السُّلَمىّ؟ قالوا: لا. فَتَمَثَّلَ عبدُ الله بن الزُّبَيْر.

فقلتُ لها عِيثى جَعَارِ وجَرِّرِى ... بلحْمِ امرئٍ لم يَشهَدِ اليومَ ناصِرُه(١)

جَعَارِ: اسمٌ من أسماء الضَّبُع. وهى صفةٌ غالبةٌ؛ لأنه يقال لها: جاعِرَة. فهذا فى بابه كَفَسَاقِ. ولَكَاعِ. وحَلاَقِ. للمَنِيَّةِ. وقد فَسَّرنا هذا البابَ مُستقْصًى على وجوهه الأربعة.

[ابنة جارية همام بن مرة]

ويُرْوَى أن ابنةَ جاريةٍ لِهَمَّامِ بن مُرَّةَ بن ذُهْلِ بن شَيْبَان قالتْ له يومًا:

أَهَمَّامُ بن مُرَّةَ حَنَّ قَلْبِى ... إلى اللاَّئى يَكُنَّ مَعَ الرجالِ

فقال: يا فَسَاقِ! أردت صفيحةً(٢) ماضية. فقالتْ:

أَهَمَّامُ بن مُرَّةَ حَنَّ قَلْبِى ... إلَى صلْعاءَ مُشْرِقةِ القَذَالِ(٣)

فقال: يا فَجارِ! أردت بَيْضَةَ حصينةً(٤). فقالتْ:

أَهَمَّامُ بن مُرَّةَ حَنَّ قَلْبِى ... إلى أَيرٍ أَسُدُّ به مَبالِى

قال: فقتلها.

[من أخبار سعيد بن سلم الباهلى وما قيل فيه من الشعر]

قال أبو العباس: قال أبو الشَّمَقْمَقِ ـ وهو مَرْوَانُ بن محمد، وزَعَم التَّوَّزىُّ عن أبى عُبَيدةَ قال: أبو الشَّمَقْمَقِ ومنصورُ بن زياد ويَحْيى بن سُلَيْم الكاتبُ. من

---

(١) من أبيات الكتاب ٢: ٣٨؛ وينسب إلى النابغة الجعدى.

(٢) الصفيحة: واحدة الصفائح، وهى السيوف العريضة.

(٣) القذال فى الأصل: جماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس.

(٤) البيضة من الحديد. تلبس على الرأس تقيه السلاح.

أهل خراسانَ. من بُخاريَّة عُبَيْد الله بن زيَاد. وكان أبو الشمقمق ربَّما لَحَنَ، ويَهْزِلُ كثيرًا ويُجِدُّ. فيكْثُرُ صوابُه ـ قال يمدحُ مالكَ بْنَ عَلِيٍّ الخُزاعيَّ ويَذُمُّ سَعيدَ ابن سَلْمٍ الباهليَّ:

قد مَرَرْنا بمالكٍ فوجَدْنا ... هُ جوادًا إلى المَكارِمِ يَنْمِي[1]

ما يبالي أتاهُ ضَيْفٌ مُخِفٌّ ... أم أتاهُ يأجُوجُ مِنْ خَلْفِ رَدْمِ[2]

فارْتَحلنا إلى سَعيدِ بنِ سَلْمٍ ... فإذا ضَيْفُه من الجوعِ يَرْمِي[3]

وإذا خبزهُ عليه « سَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ » ما بَدَا ضَوْءُ نَجْمِ

وإذا خاتمُ النبي سُلَيْمَا ... نَ بن داوُدَ قد عَلاهُ بخَتْمِ

فارتَحَلْنَا منْ عِنْدِ هذا بِحَمْدٍ ... وارْتَحَلْنَا مِنْ عِنْدِ هذا بِذَمٍّ

* * *

وقال عبدُ الصمد بنُ المعَذَّلِ يرثي سَعيدَ بن سَلْمٍ:

كَمْ يتيمٍ جَبَرْتَهُ بعدَ يُتْمٍ ... وفَقيرٍ نَعَشْتَهُ بعدَ عُدْمِ[4]

كُلَّما عَضَّتِ الحوادثُ نادَى ... رضِيَ اللهُ عن سَعيدِ بنِ سَلْمِ

* * *

وقال سعيدُ بن سَلْمٍ: عَرَضَ لي أعرابيٌّ فمدَحَني فَبَلَغ[5]. فقال:

أَلاَ قلْ لساري الليلِ لا تَخْشَ ضَلَّةً ... سعيدُ بن سَلْمٍ ضَوْءُ كلِّ بلادِ

لنا سَيِّدٌ أَرْبَى على كلِّ سَيِّدٍ ... جَوَادٌ حَثَا في وَجْهِ كلِّ جَوَادِ[6]

قال: فتأخَّرتُ عن برِّه قليلا. فهجاني فَبَلَغ[7]. فقال:

لِكُلِّ أَخي مَدْحٍ ثوابٌ يُعِدُّهُ ... وليس لِمَدْحِ الباهِليِّ ثَوَابُ

مَدَحْتُ ابنَ سَلْمٍ والمَديحُ مَهَزَّةٌ ... فكانَ كَصَفْوانٍ عليه تُرابُ[8]

---

(١) ر: «كريمًا». وما أثبته عن الأصل. س. (٢) ر: «أم اتقه». أثبته عن الأصل. س.

(٣) ر: «فانتهينا». (٤) ر: «كم صغير». (٥) س: «أبلغ».

(٦) أي حثا التراب في وجوه الأجواد؛ وذلك كناية عن تقصيرهم.

(٧) س: «أبلغ». (٨) الصفوان: الحجر الأملس.

وقال أبو الشّمَقْمَقِ:

قـال لِي الناسُ زُرْ سَعِيـدَ بن سَلْم — قلتُ للناسِ لا أَزُورُ سَعِيـداَ
وأَمِيرِى فَتَى خُزَاعَةَ بالبَصْـ — ـرَةِ قد عَمَّها سماحًا وجُودَا
ولَنِعْمَ الْفَتَى سَعِيدٌ ولكنْ — مالكٌ أَكْرَمُ البَرِيَّةِ عُودا

فقال سعيدٌ: لَوددتُ أنه لم يكنْ ذَكَرنِى مع مالك، و [أنه][1] أَخَذَ مِنِّى أُمْنِيَّتَهُ.

* * *

وقال أبو الشمقمق أيضا:

هيهاتَ تَضْرِبُ فى حَدِيدٍ بارد — إن كنتَ تَطْمَعُ فى نوالِ سعيدِ
واللهِ لو ملَكَ البحار بأَسْرِها[2] — وأتاهُ سَلْمٌ فى زمانِ مُدُودِ
يَبْغيهِ منها شَرْبَةً لِطُهوره — لأَبَى وقال: تَيَمَّمَنْ بصَعيدِ

* * *

ومِثْلهُ قولُ الآخرِ:

لو أنَّ قَصْرَكَ يابْنَ يوسفَ كُلَّهُ — إِبَرٌ يَضِيق بها فَضَاءُ الْمَنْزِلِ
وأتاكَ يوسُفُ يَسْتَعِيرُكَ إِبْرَةً — لِيخيطَ قَدَّ قميصِهِ لم تَفْعَلِ

* * *

وقال مُسْلِمُ بن الوَليدِ:

دُيونُكَ لا يُقْضَى الزَّمانَ خَرِيمُها — وبُخْلُكَ بُخْلُ الباهِلِيِّ سَعِيدِ
سَعيدُ بن سَلْمٍ ألأَمُ الناسِ كُلِّهِمْ — وما قومُهُ من لؤمه ببعيدِ[3]
يزيدُ له فضلٌ ولكنَّ مَزْيدًا — تَدَارَكَ مِنَّا مَجْدَه بِيَزيدِ
خزَيمَةَ لا بَأْسٌ بِهِ غيرَ أنهُ — لَمَطْبَخِهِ قُفْلٌ وبابُ حَديدِ

---

(١) تكملة من س.

(٢) س: «لو ملك البحور».

(٣) ر: «من نجله». وما أثبته عن الأصل. س.

وقال عبدُ الصمد بن المعَذَّلِ، يرثى عمرَو بن سعيدٍ، وكان عمروٌ هَلَك بُعَيْدَ(1) سَعيدٍ بيسير:

رُزِينا أبا عَمْرٍو فقلنا: لنا عَمْروٌ سَيَكْفيكَ ضَوْءُ البَدْر غَيْبوبَةَ البَدْر
وكانَ أبو عمرو معُاَرًا حَياتَه(2) بعمرٍو فلمَّا ماتَ ماتَ أبو عَمْرو

* * *

وقال أميرُ المؤمنين الرشيدُ يومًا لسعيدِ بن سَلْم: يا سَعيدُ مَنْ بَيْتُ قَيْسٍ فى الجاهلية؟ قال: يا أميرَ المؤمنين، بنو فَزارَةَ، قال: فَمَنْ بيتُهم فى الإسلام؟ قال: يا أمير المؤمنين، الشريفُ(3) مَنْ شَرَّفْتُمُوه، قال: صدقتَ أنتَ وقومُكَ.

* * *

وحدثنى علىُّ بن القاسم بن علىّ بن سليمان الهاشمىُّ، قال: حدثنى رجلٌ من أهل مكَّة، قال: رأيت فى منامى سعيَد بن سَلْمٍ فى(4) فى حياته و [فى](5). نعْمَته، وكثرة عَدَدَ ولَده، وحُسْن مذهبه، وكمال مُرُوءَته، فقلتُ فى نفسى: مَا أَجَلَّ ما أُعْطِيَهُ سعيدَ بن سَلْمٍ! فقالَ لى قائلٌ: وما ذَخَره الله له فى الآخرةِ أكثرُ.

* * *

وكان سعيدٌ إذا استَقْبَلَ السَّنَةَ التى يستقبل(6) فيها عدَدَ سنيه أعتقَ نَسَمة وتصدَّقَ بعشَرَةِ آلافِ درهمٍ، فقِيل لمدينىٍّ: إنَّ سعيدَ بن سَلْم اشترى نفسَه من ربه(7) بعشرة آلاف درهمٍ، فقال: إذًا لا يَبيعه.

[مما قالته العرب فى ذم باهلة]

وقال أحمدُ بن يوسفَ الكاتبُ لولدِ سعيد:

أبنِى سعيدٍ إنّكمْ من مَعْشَرٍ لا يَعْرِفونَ كرامةَ الأضيافِ

---

(1) ر: «وهلك عمرو بعد». وما أثبته عن الأصل. س.
(2) ر: «حياته». بفتح التاء.
(3) كلمة الشريف ساقطة من ر.
(4) ر: «أريت سعيد بن سلم فى النوم».
(5) تكلمة من ر. س.
(6) ر: «يستأنف». وما أثبته عن الأصل. س.
(7) كذا فى الأصل، س وفى ر: «إن سعيدا يشترى نفسه....».

قَـومٌ لبـاهلَةَ بنِ يَعْـصُـرَ إنْ هُمُ ... نُسبـوا حَـسِبْتَـهُـمُ لعـبـدِ منافِ
قَـرنُوا الغَـدَاءَ إلـى العَـشـاءِ وقَـرَّبوا ... زَادًا لَعَـمْـرُ أبـيكَ ليس بـكافِ
وكَـأَنَّـنى لـمَّـا حَطَطْتُ إليـهمُ ... رَحْلـى نَزَلْـتُ بأَبْرَقِ الـعَـزَّافِ(١)
بَيْـنَا كـذاكَ أتاهمُ كُـبَـرَاؤُهُمْ ... يَلْحُـونَ فى الـتبـذير والإسْـرافِ

وأنشدنى المازنىُّ:

سَلِ اللهَ ذَا المَنِّ مِـن فَـضْلِـه ... ولا تـسـألـنّ أبـا وائلـه
فـمـا سـألَ الله عـبـدٌ له ... فـخـابَ ولوْ كـانَ من باهِـلَهْ

* * *

[قال أبو الحسن: وزادنى بعضُ أصحابنا:

تَرى البـاهِلىَّ عـلى خُـبْـزِهِ ... إذا رَامَـهُ آكـلٌ آكِـلَـهُ]

وأنشدنى رجل(٢) من عبد القَيْسِ:

أبـاهِلَ يَـنْبـحُـنِى كلبُكُـم ... وأسـدُكُـمُ ككِلاَبِ الـعَـرَبْ
ولو قـيلَ للـكلب يـا باهِلـى ... عَـوَى الكلبُ من لُؤْمِ هذا النَّسَبْ

* * *

وحدثنى علىُّ بن القاسم قـال: حدثنى أبو قلاَبَةَ الجُرْمىُّ قال: حـججنا مَرَّة مع أبى جَزْءِ بن عَمرو بن سعيد، قال: وكُنَّا فى ذُرَاهُ(٣). وهو إذ ذاكَ بَهِىٌّ وضِىٌّ، فجلسنا فى المسجـد الحرامِ إلى أقوامٍ(٤) من بنى الحاردث بن كَـعْبٍ، لم نَرَ أفْصَحَ منهم، فَرَأَوْا هيئَةَ أبى جَزْءٍ وإعظَامَنَا إيَّاه مع جماله، فقال قائلٌ منهم له: أمِنْ أهل بيت الخليـفة أنتَ؟ قـال: لا، ولكن رجلٌ من العَـرب، قال: ممن الرجلُ؟ قـال: رجلٌ(٥) من مُضَرَ، قال: أَعْرَضَ ثَوبُ الـمُلْـبسِ! من أَيِّها عافاك اللهُ؟ قال: رجلٌ

(١) العزاف. بتشديد الزاى: جبل من جبال الدهناء.
(٢) ر: «وأنشد أبوالعباس لرجل». وما أثبته عن الأصل، س.
(٣) ذراه: كنفه. (٤) ر: «قوم».
(٥) ساقطة من ر.

من قيسٍ، قال: أينَ يُرادُ بكَ، صرْ إلى فصيلتكَ التى تُؤْويكَ! قال: رجلٌ من بنى سعد بن قيسٍ، قـال: اللهم غَفْرًا! من أيِّهَا عافاكَ الله؟ قـال رجل من بنى يَعْصُرَ، قال: منْ أيها؟ قال: رجلٌ من باهلَةَ، قال: قُمْ عَـنَّا! قال أبو قلابةَ: فَأقبلتُ على الحارثىِّ فـقلتُ: أتعرفُ هذا؟ قالَ: هذا ذكـرَ أنه باهلىٌّ، قال[1] فقلتُ: هذا أميرٌ ابنُ أميرِ ابنُ أميرِ. . . قال: حتى عَدَدتُ خمسةً.

هذا أبو جَزْءٍ أميـرٌ، بنُ عمرو ـ وكان أمـيرا ـ بنُ سعيدٍ ـ وكـان أميرا ـ بن سَلْمٍ ـ وكان أميرا ـ بن قتيبةَ ـ وكان أميرا.

فقـال الحـارثـىُّ: الأمـيرُ أَعْظَـم أم الخليـفةُ؟ فقلـتُ: بَـلِ[2] الخليفةُ. قال: أفا الخليـفةُ أعظم أم النَّبىُّ؟ قلتُ: بَـلِ النبىُّ . قال: والله لو عَدَدتَ له فـى النبوّةِ أضعـاف ما عـددتَ له فى الإمْرة[3]، ثم كان باهليًّـا ما عَبَـأَ اللهُ به شيئـا. قال: فكادَتْ نفسُ أبى جَزْءٍ تفيض[4]. فقلتُ له[5]: انْهَضْ بنا، فإنَّ هؤلاء أسوأُ الناسِ أدبا[6].

* * *

[قال أبو الحسن: يقالُ للرجلِ إذا سُئِل عن شىء فـأجابَ عن غيرِه «أعْرَضَ ثوبُ الـمُلْبِسِ» أى أبْدَى غيرَ ما يُرادُ منه].

* * *

وحُـدّثتُ أنْ أعرابيًّـا لقى رجلا مـن الحاجِّ. فـقال له: ممن الرجلُ؟ قـال: باهلىٌّ، قال: أُعيذك بالله من ذلك. قال: إى والله. وأنا مع ذلك مولى لهم.

فأقبل الأعرابىُّ يقبِّلُ يديه ويتمسَّحُ به، قال له الرجلُ: ولِمَ تفعلُ ذاك؟ قال: لأنى أثقُ بأنّ اللهَ عَزّ وجلّ لم يَبْتَلِكَ بهذا فى الدنيا إلاَّ وأنتَ من أهلِ الجنة.

[فى مجلس قتيبة بن مسلم الباهلى]

ويَزعمُ الرواة[7] أن قُتيبَةَ بن مُـسْلمٍ لما فَتحَ سَمَرْقَنْدَ أَفْضَى[8]. إلى أَثَاثٍ لم

---

(١) ساقطة من ر.
(٢) ساقطة من ر.
(٣) ر: «الإمارة».
(٤) ر: «تخرج».
(٥) ساقطة من ر.
(٦) ر: «آدابا».
(٧) ر: «الرقاشى».
(٨) يريد اتسع وسار عريضا.

يرَ مثلهُ، وإلى آلات لم يرَ مثلها(١). فأرادَ أن يُرِيَ الناسَ عظيمَ ما فتحَ الله عليه، ويُعَرِّفَهم أقدارَ القــوم الذين ظَهَرَ عليهم. فأمَرَ بدارٍ ففــرِشَتْ، وفي صَحْنها قُدُورٌ تُرْتَقَى بالسَّلالم. فــإذا بالحُضَيْنِ بن المنذر بن الحارثِ بن وَعْلَةَ الرَّقَــاشيِّ قد أقبلَ، والناسُ جُلُوسٌ على مراتبهم، والحُضَيْنَ شيخٌ كبيرٌ، فلما رآه عبدُ الله بن مسلم قال لقُتيبةَ: ائذنْ لــي في معاتَبته. قال: لا تُرِدْهُ فإنه خبيثُ الجواب، فأبى عبدُ الله إلاَّ أن يأذنَ له ـ وكان عــبدُ الله يُضَعَّفُ، وكان قــد تَسَوَّرَ حائطًا إلى امــرأة قبلَ ذاك ـ فأقبلَ على الحُضَيْن [بن المنذر](٢). فقال: أمنَ الباب دخلــتَ يا أبا ساسانَ؟ قال: أجَلْ أَسَنَّ عمُّكَ عن تَسَوُّرِ الحيطان، قال: أرَأَيتَ هذه القدورَ؟ قال: هي أعظمُ من ألاّ تُرَى، قال: ما أحْــسبُ بكرَ بنَ وائلٍ رأَى مثلَها! قــال: أجَلْ، ولا عَيْلانَ، لو كان رآها سُمِّيَ شَبْعانَ، ولم يُسَمَّ عَيْــلانَ، قال لَهُ عبدُ الله: يا أبا ساسان، أتَعْرِفُ الذي يقولُ:

عَــزَلْنــا وأمَّــرْنَا وبكْــرُ بن وائلٍ ... تَجُــرُّ خُصَــاها تَبْــتَغِي من تُحَــالِفُ

قال: أعْرِفَه، وأعرفُ الذي يقولُ:

وخَــيْــبَــةَ مَنْ يَخِيــبُ على غَنِيٍّ ... وباهِلَــة بن يَعْــصُــرَ والرِّكَــاب

يريدُ يا خَيْبَةَ من يخيب . قال: أفتعرفُ الذي يقولُ:

كَأَنَّ فِــقَاحَ الأزْدِ حَوْلَ ابن مِــسْمَعٍ ... إذا عَــرِقَت أفْــواهُ بكْرِ بن وائِلِ(٣)

قال: نعم(٤). وأعرفُ الذي يقولُ:

قــومٌ قُــتَــيْــبَــةُ أُمُّــهُمْ وأبوهُمُ ... لــولا قُتَيْبَةُ أصْــبحــوا في مَجْــهَلِ

قال: أما الشعــرُ فأراكَ تَرْوِيه، فهل(٥) تقرأُ من القرآن شيــئا؟ قال: أقرأُ منه الأكثَر الأطْيَبَ: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾(٦). قال(٧): فأغْضَبَه. فقال: واللهِ لقد بــلغني أنَّ امرأةَ الحُضَيْنِ حُمِلَتْ إليه وهي حُبْلَى

---

(١) ر: «لم يسمع بمثلها». (٢) من س.

(٣) ر: «وقد عرقت».

(٤) كذا في الأصل. س. وفي ر: «أعرف هذا».

(٥) ر: «ولكن هل تقرأ من القرآن شيئا».

(٦) سورة الإنسان آية: ١ .

(٧) كلمة «قال» ساقطة من الأصل.

مـن غيـره. قـال: فما تحرَّكَ الشَّـيـخْ عن هَيْئَتـه الأُولَـى، ثـم قال علـى رِسْلـه: ومـا يكونُ! تَلدُ غلامًا على فِرَاشِي فيقالُ: فـلاَنُ بن الحُضَيْنِ. كما يقالُ: عبدُ الله ابنُ مسلمٍ. فأقبلَ قتيبة على عبد الله فقال: لا يُبْعِدِ اللهُ غيرَكَ.

[قال أبو العبـاس[1]]: الحُضَيْنُ[2] بن المنذر بـن الحـارث بن وَعْلَـةَ. وكـان الحضينُ بيده لواءُ عليّ بن أبى طالبٍ رحمه الله على ربيعَة، وله يقولُ القائلُ:

لِمَنْ رايةٌ سَـوْداءُ يَخْـفِقُ ظِلُّهَـا ... إذَا قـيلَ قَدِّمْـهَا حُـضَـينُ تَقدَّمَـا

[للأعشى يمدح هوذة بن علي]

وللحارث بن وَعْلَةَ يقولُ الأعشَى ـ وكان قَـصَدَهُ فلم يَحْمَدْهُ. فعَرج[3] عنه إلى هَوْذَةَ بن علَيٍّ ذِى التَّاج. وهوذة مـن بنى حَنيفَةَ بن لُجَـيمِ بن صَعْبِ بن عَلَيِّ ابن بكْرِ بن وَائلٍ، والحـارثُ بن وعْلَةَ من بنى رَقَاش، وهى امـرأةٌ، وأَبوهم مالكُ ابن شَيْبَانَ بن ذُهْل بن ثَعْلَبَـةَ بن عُكابَةَ بن صَعْب بن عَلَيّ بن بكرِ بن وَائل. فقال الأعشَى يَذْكر الحارِثَ بن وَعْلة وهَوذة بن عليٍّ:

أَتَيْتُ حُـــرَيْثًـــا زائرًا عن جَنَـابَةٍ ... فكانَ حـرَيْثٌ عـن عَطائِىَ جـامِـدَا
إذَا مــا رأَى ذا حــاجَــةٍ فـكأَنما ... يرَى أَسَـــدا فى بيــتِـهِ وأســاودَا
لَعَمْـرُكَ ما أَشْبَـهْتَ وَعْلَة فى النَّدَى ... شَـــمَـــائلُهُ ولا أَبَاه مُـــجَـــالدَا
وَإِنَّ امْــرأً قـــد زُرْتُه قـــبلَ هذه ... بجَـوٍّ لَخَــيْـرٌ منك نَفْـسًـا ووالدَا
تَضَـيَّـفْـتُه يومـا فَـقَـرَّبَ مَـجْلِسِى ... وَأَصْـفَـدَنى عَلَى الـزَّمـانَةِ قـائدَا
وأَمْـتَـعنِى على الـعَـشَـا بولَـيـدَةٍ ... فـأُبْتُ بخـير منك يَا هَـوْذَ حامِـدَا
فتى لو يبارِى الشَّـمسَ أَلْقَتْ قناعَها ... أَو القَـمَرَ السَّـارِى لأَلْقَى الـمَقَـالدَا
يَرَى جَمْعَ مـا دُونَ الثلاثين قُـصْرَةً ... ويَعْـدُو على جمـع الثلاثينَ واحـدَا

وهى كلمةٌ.

---

(١) من س. (٢) ر: «هذا الحضين».
(٣) ر: «وعرج».

قوله: «أتيتُ حُرَيْثًا» يريدُ الحارث. تصغيرُه عَلى لفظه(١): حُوَيْرِثٌ.

وهذا التصغيرُ الآخَرُ يقال له تصغيرُ التَّرْخِيمِ، وهو أَن تَحْذِفَ الزوائدَ من الاسم ثم تصغِّر حروفَه الأصليةَ. فتقولَ فى تصغير أحمدَ: حُمْيد لأَنه من الحَمد. وفى الحارث: حُرَيْثٌ، لأنه من الْحَرْث. وفى غَضْبَانَ: غُضَيْب، لأنه من الغَضَب، لأن الألف والنونَ زائدتان، وكذلك ذواتُ الأربعة، تقول فى تصغير «قِنْديلٍ» على لفظه «قُنَيْدِيل». فإن صَغَّرتَه مرَخَّمًا حَذفْتَ اليَاءَ فقلتَ: «قُنَيْدِل»، فعلى هذا مَجْرَى الباب.

وقوله: «عن جَنَابَة»، يقولُ: عن غُرْبَة وبُعْد. يقالُ: هُمْ نِعْم الحىُّ لجارهم جار الجنَابَة. أى الغُرْبَة. يقال: رجلٌ جُنُبٌ، ورجلٌ جانب، أى غريبٌ، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾(٢). وقال الْحُطَيْئَةُ:

واللهِ ما مَعْشَرٌ لامُوا امْرَأً جُنُبًا ... فى آل لأىِ بن شَمَّاسٍ بأَكْيَاس

وقال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ:

فَلا تَحْرِمَنِّى نَائِلا عن جَنَابَةٍ ... فإِنِّى امْرُؤٌ وَسْطَ الْقِبَابِ غَرِيبُ

فمن قال للواحد: جُنُبٌ قال للجميع: أَجْنَابٌ، كقولك: عُنُقٌ وأعناقٌ، وطُنُبٌ وأطنابٌ. ومن قال للواحد: جَانِب، قال للجميع: جُنَّابٌ. كقولك: راكبٌ ورُكَّابٌ، وضاربٌ وضرَّاب. قالت الْخَنْسَاءُ:

ابْكِى أَخَاكِ لأَيْتَامٍ وأَرْمَلةٍ ... وابْكِى أخَاكِ إذا جَاوَرْتِ أَجْنَابا

وإن كان من الْجَنَابَة التى تُصيب الرجلَ قلتَ: رجلٌ جُنُبٌ، ورجلان جُنُبٌ وكذلك المرأةُ والجميعُ، وقد تجوزُ وليس بالوجْه. رجُلان جنبان، وامرأةٌ جُنُبةٌ، وقومٌ أَجْنَابٌ.

وقوله:

* يَرَى أَسدًا فى بيته وأساودا *

---

(١) س: «على اللفظ». (٢) سورة النساء: آية ٣٦.

يريد جَمْع أسْوَدَ سالخ، وأسوَدْ هاهنا نعتٌ، ولكنّه غـالبٌ، فلذلك جَرَى هاهنا مَجْرى الأسماء، لأنه يَدُلُّ على الْحَيَّة، و «أفعل»، إذا كان نعتًا بنفسه فجمعهُ: «فُعْلٌ»، نحو: أَحْمَر وحُمْر، وأَسْودَ وسُود، وإذا كان نعتًا فأُجْرِيَ مُجْرَى الأسماء فجمعُه: «أفاعل» نحو أَساوِد، وأَجَادلَ، وأَدَاهمَ، إذا أردت القَيْد، لأنَّهُ نعتٌ غالبٌ يَجْرِي مَجْرَى الأسماء، وإن أردتَ أَدْهَمَ ـ الذى هو نعتٌ محضٌ ـ قلتَ: دُهْمٌ، قال الأشهَبُ بن رُمَيْلَة:

أُسُودُ شَرًى لاَقتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا على حَرْد دمَاءَ الأساوِدِ

فأجراه مجرى الأسماء. نحو: الأصاغر، والأكابر، والأحامد.

وقوله:

لَعَمْرك ما أشبَهْتَ وعْلَة فى النَّدى شمائله . . . .

فإنه جعل: «شمائلَه»، بدلا من: «وَعْلَةَ»، والتَّقديرُ: ما أَشْبَهْتَ شمائلَ وعْلَة.

والبدلُ على أربعة أضرب:

فواحد منها أن يُبَدَلَ أَحدُ الاسْمَيْن من الآخر إذا رجعَا إلى واحد. ولا يُبَالى أَمَعْرفتَيْن كانا أم معرفة ونكرة، وتقولُ: مررت بأخيك زيد، لأنَّ «زيدًا» هو الأخُ، وكذلك: مررتُ برجلٍ عبد الله، فهذا واحدٌ.

وآخرُ أن يُبْدَلَ بعضُ الشيء منه. نحو: ضربتُ زيدا رأسَهُ، لـمَّا قلتَ: ضربتُ زيدًا، أردتَ أن تُبيِّنَ موضعَ الضربِ منه.

فمثْلُ الأوَّل قولُ الله تباك وتعالى: ﴿اهْدنا الصِّرَاطَ الْمستَقيمَ * صراَطَ الذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيهمْ﴾(١). وَقولُه: ﴿وإنَّكَ لتَهْدَى إلى صراَط مسْتَقيم * صراَط الله﴾(٢). و ﴿لَنَسْفَعًا بالنَّاصيَة * ناصيَة كَاذبَة خاطئة﴾(٣).

ومثْلُ البدَل الثانى قوله: ﴿ولله عَلَى الناسِ حجُّ الْبَيْت مَنِ استَطاعَ إليْه سَبيلا﴾(٤).

---

(١) سورة الفاتحة ٦، ٧.
(٢) سورى الشورى ٥٢، ٥٣.
(٣) سورة العلق ١٥، ١٦.
(٤) سورة آل عمران ٩٧.

مَنْ، فى موضع خفض، لأنها بدلٌ من«الناس»، ومثْلُه، إلا أنه أُعيدَ حرفُ الخَفْض: ﴿قال المَلأُ الَّذينَ استَكْبَرُوا منْ قَوْمه للّذينَ اسْتُضْعَفُوا لمَنْ آمَنَ منْهُمْ﴾[(١)] .

والبدَل الثالث مثْلُ ما ذكرنا فى البيت، أَبْدَلَ: «شمائله» منه. وهى غيرُه، لاشتمال المعنى عليها، ونظيرُ ذلك: أَسْأَلُكَ عن زيد أَمْرِه. لأَن السؤالَ عن الأَمْرِ. وتقولُ على هذا: سُلب زيدٌ ثوبه، فالثوبُ غيرُهُ، ولكن به وقعَ السَّلْبُ. كما وقعت المسأَلَة عن خبرِ زيدِ، ونظيرُ ذلك من القرآن: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فيه﴾[(٢)]. لأنَّ المسأَلةَ إنما كانت عن القتال: هل يكون فى الشهر الحرام؟ وقال الشاعر [وهو الأخْطَلُ][(٣)]:

إنَّ السُّيُوفَ غُدُوَّها وَرَوَاحَها   تَرَكَتْ هَوَازنَ مِثْلَ قَرْنِ الأعْضَبِ[(٤)]

وبدَلٌ رابعٌ. لا يكونُ مثْلُه فى القرآن ولا فى الشِّعْر، وهو أن يَغْلَطَ المتكلِّمُ فيستدرك[(٥)] غَلَطَهُ، أَو يَنْسَى فيذْكُرَ فيرجعَ إلى حقيقة ما يَقْصدُ له، وذلك قوله: مررتُ بالمسجد دارِ زيد، أراد أن يقولَ: مررتُ بدار زيد، فإمَّا نَسِيَ، وَإمَّا غلِطَ، فاستَدْرَكَ فوضَعَ الذى قَصدَ له فى موضع الذى غَلِطَ فيه.

وقوله: «بِجَوٍّ» فهى قصبةُ اليمَامَة.

وقوله: «تَضَيَّفْتُه يومًا»: إما هو «تَفَعَّلْتُهُ»، من الضِّيافة. يقال: ضِفْتُ الرجلَ، أىْ نزلتُ به، وأضافَنِى، أَى أَنْزَلَنِى.

وقوله: «وأَصْفدَنِى»: يقولُ: أعطانى، وهو الإصْفَادُ، والصَّفَدُ الاسمُ، والإصْفَادُ المصدرُ، قال النابغةَ:

* فلم أعرِّضْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ بالصَّفَدِ *

ويقال: صَفَدت الرجلَ فهو مَصْفُودٌ، من القَيْد، ولا يقال فى القيد أصفدت، ولكن صفَدْتَهُ صفْدًا، واسمُ القيْد الصَّفَدُ، قال اللّه جلَّ وعزَّ: ﴿مُقَرَّنِينَ فى الأصفادِ﴾[(٦)]. كقولك: جَمَلٌ وَأَجْمَالٌ، وصَنَمٌ وأَصْنَامٌ.

---

(١) سورة الأعراف ٧٥ .
(٢) سورة البقرة ٢١٧ .
(٣) من س .
(٤) الأعضب: الكبش المكسور القرن.
(٥) ر: «فيدرك».
(٦) سورة ص ٣٨ .

وقوله: «فتى لو يبُارى الشمسَ»، يقـول: يُعارض، يقالُ: انْبَرَى لى فلان، أى اعترضَ [لى[1]] فى هذا المعنى، وفـلانٌ يُبَارى الرِّيحَ، مِنْ هذا، أى يـعارضُ الريح بِجُوده، فهذا غير مهمـوز. فأمَّا: بَارَأْتُ الكَرِىَّ فهو مهموز، لأنَّه من أَبْرَأَنى وأبرأتُه. ويقال: بَرَأَ فلانٌ من مَـرضه، وبَرِئَ يافتَى؛ والمصدرُ منهمـا الْبُرْء فاعلمْ، وبرَيْتُ القلمَ غيـرُ مهمـوز. واللهُ البَارئ المصَـوِّرُ. ويقال: ما بَرَأَ اللهُ مـثلَ فلان، مهمـوز، وقولك: «البَرِيَّةُ»، أصلُه من الهمزِ، ويُخْـتارُ فيه تخفـيفُ الهمزِ، ولَفظ التخفيف والبدل واحد، وكذلك يُخْتارُ فى «النَّبِىِّ» التخفيفُ، وَمن جعلَ التخفيفَ لازمًا قـال فى جمـعه: أنبـياء، كـما يُفْـعَلُ بُذوات الياء والواو، وتقـول: وَصِىٌّ وأوصياءُ، وتقىٌّ وأتقياءُ، وشقىٌّ وأشقياءُ. ومَن هَمزَ الواحدَ قال فى الجمع: نُبآَء، لأنه غيـرُ مُعْتَلٍّ، كمـا تقول: حكيمٌ وحكماءُ، وعليمٌ وعـلماءُ وأنبياءُ لغـة القرآنِ والرسولِ ﷺ. وقال العباسُ بن مِرداس السُّلَمىُّ:

يا خـاتَم الـنّبَـآءِ إنكَ مُـرْسَلٌ ... بالحقِّ كلُّ هُدَى السَّـبيل هُدَاكـا[2]

وقوله:

* أو القَمَرَ السَّارى لألْقَى المَقَالدَا *

إنما سكّن[3] اليـاءَ ضرورةً، وإنما جـازَ ذلك لأنَّ هذه اليـاءَ تَسْكُنُ فى الرفع والخَفْض، فـإذا احتـاجَ الشاعـرُ إلى إسكانها فى النصـب قاسَ هذه الحركـةَ على الحركتين: الضَّمَّـة والكَسرةِ الساقطتين؛ فشبَّهَها بهمـا، فَجَعَلَها كالألف التى فى: «مثنى» التى هى على هيئةٍ واحدة فى جميع الإعراب، قال النابغة:

رَدَّتْ عليـه أقـاصِيـهِ ولبَّـدَهُ ... ضَرْبُ الوَلِيدَةِ يا مِـسْحاة فى الثأدِ[4]

فأسْكنَ الياء فى: «أقاصيه». وقال رُؤْبةُ:

كـأنَّ أيـديهنَّ بالقَـاعِ الـقَـرِقْ[5] ... أيْدِى جَـوَارٍ يَتَـعَـاطين الوَرِقْ[6]

(١) تكملة من س.

(٢) س: «كل هدى السماء».

(٣) ر: «فأسكن». (٤) الثأد: الثرى.

(٥) القاع والقاعة ما انبسط من الأرض. والقرق: القاع لا حجارة فيه.

(٦) من زيادات ر. «والورق هو ورق الشجـر، يضرب بالعصا فيـتناثر فتلتقطه الجوارى بسـرعة لعطف الإبل وغيرها».

وقال:

* سَوَّى مَسَاحِيهنَّ تقْطيط الحُقَق(١) *

[ويُروَى: «تقطيطَ»، بالنصب، وهو أجودُ، لأن بعدَه:

* تفْليلُ مَا قارَعْنَ مِنْ سُمْرِ الطُّرَقَ *

والطُّرَقُ: جمع طُرْقةٍ](٢).

وقال آخرُ:

كـفَى بالنَّـأى من أسـمـاء كـاف … وليس لِحُـبِّـهـا ما عِـشْتُ شـافِ

وأما قوله:

وأمْـتَـعَنِى علـى العَـشَـا بوليـدةٍ … فـأُبْتُ بخيـرٍ منك يا هَوْذَ حَامِـدا

فإنه كان يتحدّث عنه. ثم أقبل عليه يخاطبه، وترك تلك المُخاطبة.

والعرب تتْرُك مخـاطبةَ الغائب إلى مخاطبة الشاهد، ومـخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب. قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿حتَّى إذَا كُنْتمْ فى الفُـلْك وجَرَيْنَ بهمْ بريح طَيِّبة﴾(٣). كانت المخاطبةُ للأُمَّةِ، ثم صُرفت(٤) إلى النبى ﷺ إخْبَارًا عنهم. وقال عَنْترةُ:

شَطَّتْ مَزَارُ العـاشِقِينَ فَأَصـبحت … عَـسَـرًا عَلىَّ طِلابُكِ ابنَةَ مَـخْـرَمِ

فكان يحدِّث(٥) عنها ثم خاطبها. ومثلُ ذلك قول جرير:

وتَرَى العَـواذلَ يَبْـتَدِرْنَ مَـلامَـتِى … فـإذا أرَدْنَ سِـوى هَواكِ عُـصِـينَا

وقال الآخر:

فـدى لك والدى وسـراة قـومى … ومـــــا لـى إنه منـه أتانـى

وهذا كثيرٌ جداًّ.

---

(١) المساحى هنا: الحوافر، على التشبيه.

(٢) ما بين العلامتين من زيادات ر. وتفليل: تكسير. ما قارعن: ما ضربن بها. والطرق: حجارة طارقة بعضها فوق بعض.

(٣) سورة يونس ٢٢ .

(٤) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «انصرفت».

(٥) ر: «يتحدث».

وقوله :

* يَرَى جَمْعَ ما دون الثلاثين قَصْرَةً *

أى قليلا. من الاقتصار. ويُرْوَى: «ويَغدو». و «يَعْدُو» جميعًا.

[من أخبار هوذة بن على]

وكان هَوْذةُ بن علىٍّ ذا قَدر عالٍ، وكان[1] له خَرَزاتٌ تنظَمُ فتُجْعَلُ على رأسِه. تَشَبُّهًا بالملوك.

وحدثنى التَّوَّزىُّ عن أبى عُبَيْدةَ. قال: ما تَتَوجَ مَعَدِّىٌّ قَطُّ، إنما كانت التيجانُ لليمَن، قال: فسألْته عن قول الأعشى لهْوذة[2].

مَنْ يَرَ هَوَذَةَ يَسْجُدْ غيرَ مُتَّئِبٍ ... إذا تَعَمَّمَ فوقَ التاجِ أو وَضَعَا

قال: إنما كانت خَرَزَاتٌ تُنْظَمُ له[3].

* * *

وكتبَ رسولُ الله ﷺ. إلى هوذةَ. كما كَتَبَ إلى الملوك.

وكانت بنو حَنيفةَ بن لُجيْم أصحابَ اليمامة، ويقولُ بعض النسَّابين:

إنَّ عُبَيْدَ بن حنيفةَ كان أَتَى اليمامةَ وهى صَحْراءُ، فاختَطَّهَا، فجَعل يَرْكُض حوالَيْهَا برمحه فى الأرض على ما أصاب من النخلِ، وأنهم أكلوا ما أصابوا تحتَه من التَّمر، فلما طَلَعَ لهم التَّمرُ بَعدُ لم يهتَدُوا لصُعُود النَّخْل، فأقبلوا يَجُدُّونَه، حتى فَكَّرُوا فأعَدُّوا له السَّلالم، فلما عَمِرَت اليمامَةُ جَعَلت العربُ تَنْجعُهمْ لموضع التمر فيُجَاوِرُونَ العَزِيزَ منهم، وكان يقالُ لمن دخلها من هؤلاء: السَّوَاقِط؛ ممن كانوا.

* * *

ويقالُ إن اليمامة والبَحْرَيْن والقَرْيَتَيْنِ ومواضعَ هناك كانت لطَسْمٍ وجَدِيس، والخبرُ فى ذلك مشهورٌ بزَرْقاءِ اليمَامةِ، وقد ذكر ذلك الأعشى فى قوله:

---

(١) ر. «وكانت». (٢) ساقطة من ر.

(٣) ذكر ابن الأثير أن كسرى أنو شروان لما دخل عليه هودة بن على أعجب به. فدعا بعقد من در فعقد على رأسه، ومن ثم سمى هوذة ذا التاج. نقله الموصفى.

[مـا نَظَـرَتْ ذاتُ أَشْـفَـارٍ كَنَظْـرَتِهـا حَقًّـا كما نطَقَ الذِّئبىّ إِذْ سَجَـعَا][1]

قـالتْ أرَى رَجُـلا في كَـفِّـه كـتِفٌ أ يَخْـصِفُ الـنعلَ لَهـفى أَيَّةَ صَـنَعَـا

وكـذَّبُوها بمـا قـالت فَـصَـبَّـحَـهُمْ ذو آل غَسَّانَ يُزْجِى الموتَ والشُّرَعَا[2]

* * *

وحدثنى التَّوَّزىُّ عن أبي عُبيدةَ والأَصْمَعى عن أبى عَمْرو قال: قال لى رجلٌ من أهل القريتين: أُصِبْتُ هاهنا دَراهمَ، وَزْنُ الدرهم ستـة دراهمَ وأربعة دَوانيقَ، من بقايا طَسْمٍ وجَدِيسَ، فخفتُ السلطانَ فأَخفيتُها.

وقد ذكر ذلك زهَيْرٌ فى قوله:

عَهِدى بهم يومَ بـاب القريتين وقد زالَ الهمَالِيجُ بالـفرُسْان واللُّجُم[3]

فـاسـتبـدلتْ بعـدَنا دَارًا يَمَـانِيَـةً تَرْعَى الخَرِيفَ فأَدْنى دَارِها ظَلِم[4]

[لجرير يهجو بنى حنيفة]

وقال جرير يهجو بنى حنيفة:

هَجَـانِىَ الناسُ م الأحْـيَـاء كُلهِم حتى حنَيـفة تَفْسُو فى مَنَاحِـيها[5]

أصحـابُ بخلٍ وحيطان ومَـزْرَعَةٍ سُيـوفهمْ خُشُبٌ فـيها مَـسَاحِـيـهَا

دَلَّتْ وأعطتْ يدًا للسِّلْم صـاغرةً منْ بعد مـا كاد سيفُ الله يُفْنِيـها

صـارت حنيـفـةُ أثـلاثًا فَـثُلْثُـهُمُ أَضْحَوْا عَـبِيدًا وثلْثٌ من مَوَالِـيهَا

قوله: «مَنَاحِيـهَا»، المَنْحَاةُ: مَقَامُ الـسَّانيةِ على الحوض، والحائطُ: البـستان وقوله:

---

(١) ما بين العـلامتين من زيادات ر. والذئبى هو سطيح الكاهن؛ وهو ربيع بن ربيـعة بن مسعـود بن عدى؛ وكان ضعيفا منبسطا لا يقدر أن يقعد (من شرح ديوان الأعشى ٧٤).

(٢) الشرع: الأوتار. واحده شرعة.

(٣) ر. «عهد بها»، وما أثبته رواية الديوان ١٥٠، والأصل، س. وباب القريتين، التى فى طريق مكة؛ وهى قرية كانت لطسم وجديس. والهماليج: جمع الهمـلاج؛ وهى الدالة فى سيرها سرعة ويخترة؛ يريد بها هنا الإبل.

(٤) يمانية: ناحية ا ليمن، وظلم: اسم حبل.

(٥) زيادات ر. «تعير بنو حنيـفة بالفـسو؛ لأن بلادهم بلاد نحل، فـيأكلون ويحـدث فى أجوافـهم الرياح والقراقير».

* مِنْ بعد ما كاد سيف الله يُفنيها *

يعنى خالدَ بن الوليـد بن المغيرة بن عبد الله بن عـمر بن مخزوم فى وقـعته بمسُيْلمَةَ الكذَّاب. وللنَّسَّابِينَ بعد هذا قولٌ مُنْكَرٌ.

* * *

وقال جَرير:

أبَنِى حَنيـفَـةَ نَهْنِهُـوا سُفَـهَـاءَكُمْ ... إنى أخـاف عليكُمُ أن أَغْـضَبَـا[1]

أبنى حـنيـفـــةَ إننى إن أَهْـجُكُمْ ... أَدَعِ اليــمَـامَــةَ لا تُوَارِى أَرْنَبَـا

[لعمارة بن عقيل يهجو بنى حنفية]

وقال عُمَارَة بنُ عقيل:

بَلْ أيُّهَــا الراكبُ الماضِـى لطِيَّـتِــه ... بَلِّغ حنيـفَـةَ وانْشُـرْ فـيـهمُ الخَـبـرا

أكـان مَـسْلَمـةُ الـكذّابُ قَـالَ لَكم ... لن تُدْرِكُوا المَجْد حتى تُغضِبُوا مُضَرا

مَهْـلا حنيفـةُ إنَّ الحربَ إنْ طَرَحَتْ ... عليكمُ بَرْكَـهَـا أَسْـرعْتُم الـضَّجَـرا

البَرْكُ: الصَّـدْرُ، إذا فتحت الباءَ ذَكَّـرْتَ، وإن أردتَ التأنيثَ كسـرتَ الباءَ، قلتَ: بِرْكة، قال الجَعْدِىُّ:

ولوْحَــــا ذِرَاعَـــيْن فى بِرْكَـــةٍ ... إلى جُــؤْجُــؤ رَهِلِ المُـنْكِبِ[2]

* * *

وزَعم الأصمعىُّ أن زِيادًا كان يُقال له: أَشْعَرُ بَرْكا لأنه كان أَشْعَرَ الصَّدْر.

وغيرُ الأصمعىّ زعم[3] أن هـذا كان يقال للوليد بن عُـقْبَة بن أبى مُعَيْطِ بن أبى عَمْرو بن أُمَيَّةَ.

(١) نهنهوا سفهاءكم: كفوهم وازجروهم.

(٢) الجؤجؤ: الصدر، أو مجتمع رءوس عظام الصدر، والمنكب: مجتمع العضد والكتف. ورهله: استرخاؤه من السمن.

(٣) كذا فى الأصل س، وفى ر «يزعم».

[من أخبار الوليد بن عقبة وشعره]

وذكروا أن عَدىَّ بن حاتم بن عبد الله الطائىَّ قـال يومًا: ألاَ تَعْجَبُونَ لهذا، أَشْعَرُ بَرْكًا! يُوَلَّى مثلَ هذا المصـر! والله ما يُحْسِنُ أَنْ يَقْضِىَ فى تمرتين. فبلغ ذلك الوليد فقال على المِنْبَـر: أنشد اللهَ رجلا سمّانى أشعر بركا إلا قـامَ! فقامَ عدىٌّ بن حاتمٍ فقــال: أيها الأميرُ، إن الذى يقومُ فيــقولُ: أنا سميتُكَ أَشْعَـرَ بَرْكًا لَجرِىءٌ، فقالَ: اجلس يا أبا طَرِيفٍ؟ فقد بَرَّأَكَ اللهُ منها. فجلسَ وهو يقولُ: واللهِ ما بَرَّأَنى اللهُ منها.

* * *

وكانت أمُّ الوليد بن عُقْبَةَ أُمَّ عثمان بن عَفَّانَ رحمهما الله ، وهى أَروَى بنتُ كُرَيْز بن حــبيب بن ربيعة بـن عـبد شمـس بْن عـبد منَاف. وأُمُّها البَـيْضَـاءُ بنـت عبــد الْمطَّلب بن هاشم، ومن ثمَّ قال الوليـد لعلىّ بن أبىٍّ طالب رحـمه الله: أنا أَلْقَى رسولَ الله ﷺ بأُمِّى من حيثُ تَلْقَاه بأبيك.

وكان يقــال للبَيْضَــاء بنتِ عبـد المطلب: قُبَّـةُ الديبَاجِ. واسمــها أُمُّ حكِيمٍ، ولذلك قيل لعثمان وللوليد[1] يابَن أرْوَى، وَيا بنَ أُمِّ حكيم .

* * *

وقال الوليد لبنى هاشمٍ لهذا النّسب[2] حين قُتلَ عثمان رحمه الله:

بنى هاشمٍ رُدُّوا سِلاَحَ ابنِ أُختكمْ ... ولا تُنْهِــبُــوهُ لا تحلُّ مَنَــاهبُـــهْ
بنى هاشــمٍ كـيفَ الـهَـوَادَةُ بيـننا ... وعندَ عَـلىٍّ درْعُــهُ وَنَجَـــائبُـــهْ
هُمُ قَــــتَـلوه كَىْ يكـونوا مكــانَه ... كمــا غَدَرَتْ يومًا بكسْـرَى مَرَازِبُهْ

وهذا القول باطلٌ. وكــان عُرْوة بن الزبير إذا ذَكر مـقْتَلَ عثمــان يقولُ: كان علىٌّ أَتْقَى لله مِن أَن يقتل عثمان[3]. وكان عثمانُ أَتْقَى لله مِن أَن يقتله على[4].

---

(١) كذا فى الأصل: س. وفى ر «أو للوليد».

(٢) كذا فى الأصل س. وفى ر. «السبب».

(٣) ر. «من أن يعين فى قتل عثمان».

(٤) ر. «من أن يعين فى قتل».

وقال الوليدُ بن عُقْبَةَ:

أَلاَ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بعد ثلاثة ... قَتيلُ التّجيبيّ الذى جاء من مصر[1]
ومَا لىَ لا أَبْكِي وتَبكى أقاربىً ... وقد حُجِبَتْ عنا فُصولُ أبى عَمْرو!

[لليلى الأخيلية ترثى عثمان بن عفان]

وقالت ليَلْىَ الأخْيَلِيَّةُ، أنشدنيه الرِّيَاشىُّ عن الأصْمعىِّ:

أَبْعَدَ عثمان تَرْجُو الخيرَ أُمَّتُه ... وكانَ آمَنَ مَنْ يمشى على ساقِ
خَليفةَ الله أَعطاهُمْ وخَوَّلَهمْ ... ما كان من ذَهبٍ جَمٍّ وأوراقِ
فلا تُكَذِّبْ بَوعد الله وارْضَ به ... ولا تُوَكَّلْ على شىءٍ بإشْفاقِ
ولا تقولنْ لِشَىْءٍ: سوف أَفْعَلُه ... قد قدَّرَ اللهُ ما كلٌّ امرئٍ لاقِ

[لآخر يرثيه أيضا]

وقال الآخرُ:

أَلاَ قُلْ لقَومٍ شاربى كأسِ عَلْقَمٍ ... بقَتْلِ إمامٍ بالمدينة مُحْرِمِ
قَتَلْتُمْ أمينَ الله فى غيرِ ردّةٍ ... ولا حدِّ إحْصان ولاَ قَتْلِ مُسْلم
تَعَالَوْا فَفَاتُونا فإن كان قَتْلهً ... لواحدةٍ منها يَحِلُّ لكم دَمى[2]
وإلاَّ فأَعظمْ بالذى قد أتيتُمُ ... ومَنْ يأتِ ما لم يَرْضَهُ اللهُ يَظْلمِ
فلا يَهْنِيَنَّ الشامتين مُصابُهُ ... فحَظُّهُمُ مَن قتله حَرْبُ جُرْهُمِ[3]

* * *

وَأنشدنى الرِّياشىُّ عن الأصمعىِّ:

[قال أبو الحسن: هذا الشعر لابن الغريرة الضبى:]

لعَمْرُ أبيكَ فلا تَذْهَلَنْ ... لقد ذَهَبَ الخيرُ إلا قليلا
وقد فتن الناسُ فى دِينهمْ ... وخلَّى ابنُ عَفَّانَ سَرًّا طويلا

---

(١) ر: «التجوبى» صوابه فى الأصل. س منسوب إلى تجيب. قبيلة.
(٢) فماتونا، فحاكمونا، وفى ر «فحل»، على الفعل الماضى، وما أثبته عن الأصل.
(٣) نقل المرصفى عن الطبرى أن الشعر لحنات بن يريد المجاشعى عم الفرزدق.

ومثله قول الراعى:

قتَلوا ابنَ عفَّانَ الخليفةَ مُحْرِمًا ... وَدَعَا فلم أرَ مثلَهُ مَخْذولا
فتَفَرَّقَتْ مِنْ بَعْد ذَاكَ عَصَاهُمْ ... شِقَقًا وأصبح سَيْفُهمْ مسَلولاَ(١)

قوله: «مُحْرِمًا» يريد فى الشهرِ الحرام، وكان قُتلَ فى أيَّام التشريق. رحمه الله.

[لأيمن بن خريم يرثيه أيضا]

وقال أيْمن بن خُرَيْم بن فاتك الأسَدىُّ. وكانت له صحبةٌ:

تفَاقدَ الذَّابحُو عثمان ضاحيَةً(٢) ... أىَّ قتيل حَرام ذُبِّحوا ذَبَحوا
ضَحَّوْا بعثمانَ فى الشهر الحرام ولم ... يخْشَوْا على مطمح الكفِّ الذى طَمَحُوا
فأىَّ سُنَّة جَوْر سنَّ أوَّلُهمْ ... وباب جَوْر على سُلْطانهم فَتَحُوا
ماذا أرادوا أضَلَّ اللهُ سَعْيَهُمُ ... منْ سَفْح ذاك الدَّم الزَّاكى الَّذى سَفَحُوا
فاسْتَوْرَدَتْهُمْ سُيوفُ المسلمين على ... تمام ظِمْء كما يسْتَوْرَدَ النَّضَحَ(٣)
إنَّ الذين تَولَّوا قتله سَفَهًا ... لُقُّوا(٤) أثَامًا وخُسْرَانًا فما ربحُوا

الظِّمْءُ: ما بين الشَّرْبَتَيْن، وقولُه: «ضَحَّوا بعثمان»: إنما أصله فُعِلَ فى الضُّحَى، قال زهيرٌ:

ضَحَّوْا قليلا على كُثْبَان أسْنُمة ... وَمنهم بالقَسُومِيَّات معتَرَك(٥)

أى نزلوه ضُحًى. ويقال: بيَّتوا ذاك. أى فعلوه ليلا. قال الله جل وعز: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾(٦). وأنشد أبو عبيدة:

---

(١) شققا: جمع شقة، بالكسر، وهى الشطبة.

(٢) ضاحية: علانية.

(٣) استوردتهم: من استورد الماء؛ أى ورده، يريد درات سيوفهم دم عثمان على عطشها.

(٤) رواية الديوان ١٦٥:

* وعَرَّسُوا ساعة فى كُثْب أسْنُمَة *

وما أورده المبرد، هى رواية الأصمعى أسنمة: موصع بعينه. كذلك القسوميات، مواضع، والمعترك المزدحم

(٦) سورة النساء ١٠٨

أَتَوْنى فلم أَرْضَ ما بَيَّتُوا   وكانوا أَتَوْنى بأمرٍ نُكَرْ
لأُنكِحَ أَيِّمَهم مُنْذِرًا   وهل يُنكحُ العبْدَ حُرٌّ لِحُرّ!

وقوله:

* من سَفْح ذاكَ الدمِ الزاكى الذى سَفَحُوا *

أى فى صَبِّ ذاك الدم، يقال: سَفَحْتُ دَمَهُ وسَفَكْتُ دَمَهُ، قال اللهُ تعالى: ﴿إلاَّ أَنْ يكونَ مَيْتة أَوْ دمًا مَسْفُوحًا﴾(١).

وقوله: «على تَمام ظِمْءِ» فهذا مَثَلٌ، وأَصلُ الظِّمْءِ: أن تشربَ الإبل يومًا ثم تُغَبَّ يومًا لا تَرِدُ الماء، فما بين الشَّرْبتين ظِمْءٌ، فيكون الظِّمْءُ يومين، فيقال له: الرِّبْعُ، كما يقال فى الحُمَّى، لأنهم يَعْتَدُّونَ بيَوْمَىْ شَرْبها. والْخِمْسُ: أن تَظْمأَ ثلاثةَ أَيامٍ، والنَّضَحُ: الحوْضُ.

والأثام: الهلاَكُ، قال الله عَزَّ ذكْرُه: ﴿وَمَن يفعَلْ ذَلكَ يَلْقَ أثامًا﴾ ثم فسَّرَ فقال: ﴿يضاعَفْ لَه العذابُ يَوْمَ القيامَة ويَخْلُدْ فيه مُهانًا﴾(٢). فجزم «يُضاعفْ» لأنه بدَلٌ من قوله: «يلْقَ أثامًا» إذْ كان إيَّاه فى المعنَى، وأنشدنى أبو عبيدة:

جزَى اللهُ ابنَ عُرْوَةَ إذ لَحِقْنَا   عُقُوقًا والعُقُوق من الأثام

وقوله: «على مطْمَح الكَفِّ» يقول: على رَفْعها وإبعادِها، يقال: طَمَحَ بَصَرُه، إذا ارتفع فأبْعَدَ النَّظرَ، قال امرؤ القيس:

لقد طَمَحَ الطمَّاحُ من بُعْدِ أَرْضِه   لِيُلْبِسَنى من دائه ما تَلَبَّسَا

---

(١) سورة الأنعام ١٤٥

(٢) سورة الفرقان ٦٨ ، ٦٩ .

بـاب

فى التَّشْبيـه

قال أبو العـباس: وهذا بابٌ طريفٌ نَصل به هذا البابَ الجـامعَ الذى ذكرناه وهو بعضُ ما مرَّ للعرب من التشبيه المُصيب، وللمحدثين(١) بعدهم.

* * *

فأَحْسنُ ما جاء بإجماع الرُّواةِ ـ: ما مَرَّ لامرئ القيس فى كلامٍ مختصر، أى بيت واحد، من تشبيه شيء فى حالتين مختلفتين(٢) بشيئين مختلفين، وهو قوله:

كـأنَّ قـلوب الطَّيــرِ رَطبًـا ويابسًـا لَدى وَكْرِهَا العُنابُ والْحَشفُ البَالى(٣)

فهذا مـفهومُ المعنَى، فإن اعتـرضَ معترضٌ فـقال: فهَلاَّ فَصَلَ فـقال: كأنه رطبًا الْعُـنابُ وكأنه يابسا الحـشَفُ! قيل له: العـربىُّ الفصـيحُ الفَطِنُ اللَّقِنُ يَرْمى بالقولِ مفـهومًا، ويَرَى ما بعد ذلك من التكرير عيًّـا، قال الله جل وعزَّ، وله المثلُ الأعلىَ: ﴿وَمِنْ رَحْـمَـته جَـعَل لكُم الليلَ وَالـنَّهَارَ لتَـسْكُنُوا فـيـه ولِتَـبْتَـغُـوا مِنْ فَضْله﴾(٤)، علَمًا بأن المخاطَبِينَ يعلمون(٥) وقتَ السُّكون ووقتَ الاكتساب.

* * *

ومنْ تمثيلِ امرئ القيس العجيبِ قوله:

كأنَّ عُـيونَ الوَحْش حَـوْلَ خِبَـائِنَا وأَرْحُلِنَا الجَـزْعُ الـذى لم يثـقُبِ(٦)

ومن ذلك قوله:

إذا ما الثَـريَّا فى السمـاءِ تعرَّضَتْ تَعَـرُّضَ أَثَناءِ الْـوِشَـاحِ المفـصَّلِ(٧)

---

(١) ر: «والمحدثين»: وما أثبته عن الأصل، س. (٢) ساقطة من ر.

(٣) الحشف البالى: ردىء النمر؛ قال شارح الديوان ٣٨: «وإنما خص قلوب الطير جاءت بقلوبها إلى أفراخها».

(٤) سورة القصص ٢٣. (٥) ر «يعرفون».

(٦) الجزع: خرز فيه بياض وسواد. شبه عيون الوحش لما فيهن من السواد والبياض بالخرز. وجعله غير مثقب؛ لأن ذلك أصفى له وأتم لحسنه.

(٧) تعرضت: أى أرتك عرضها. أى ناحيتها، والوشاح المفصل. الذى جعل بين كل حرزتين فيه لؤلؤة. والأثناء: جمع ثنى.

وقد أَكْثَرُوا فى الثُّرَيَّا[1]. فلم يأتُوا بمن يقـاربُ هذا المعنى، ولا بما يقـاربُ سُهولةَ هذه الألفاظ.

* * *

ومن أعجب التشبيه قولُ النابغة:

فـإنَّكَ كـالليل الَّذِى هُوَ مُـدْرِكى ... وإِنْ خلْتُ أَنَّ المُـنْتَـأَى عـنك واسِعُ

وقوله:

خَطاطيفُ حُجْـنٌ فى حِبَالٍ مَـتينةٍ ... تمُـدُّ بـهــــا أيـدٍ إلىَّ نَـوَازِعُ[2]

وقوله:

فـإنـكَ شـمسٌ والملوكُ كـواكبٌ ... إذا طَلَعَتْ لـم يَبْـدُ منهنَّ كـوكبُ

* * *

ومن عجيب التشبيه قولُ ذى الرُّمَّة:

ورَدْتُ اعْـتِـسَافًـا والثـريَّا كـأنهـا ... على قِـمَّةِ الرأس ابنُ مَاءٍ مُـحَلِّقِ[3]

وقوله:

فـجـاءَت بنَسْجِ العَنكبـوتِ كـأنَّه ... على عـصَوَيْهـا سَابِرىٌّ مُـشَبْـرَقُ[4]

وتأويله[5] أنه يَصِفُ مـاءً قديمًا لا عَهْـدَ له بالورَّادِ[6]. فقد اصـفرَّ واسْوَدَّ، فقال:

وماء قديم العـهد بالناس[7] آجن ... كأن الدَّبا مـاء الغضـا فيـه تبصق[8]

---

(1) ر: «وقد أكثر الناس فى الثريا».

(2) الخطاطيف: جمع خطاف، وهو حـديدة معقوفة الرأس. ونوازع: جـواذب، يقول: ولك خطاطيف أُجَرُّ بها إليك. فليس عنك مهرب.

(3) الاعتساف: السير على غير هدى، وابن الماء: طير من الطيور محلق على مرتفع (من شرح ديوانه ٤٠١).

(٤) العصوان: عرقوبا الدلو، والعرقويان: خشبتان.

(5) ر: «وتأويل هذا». (6) ر: «بالواردة».

(7) ر: «قديم العهد بالإنس»، وما أثبته هو رواية الديوان والأصل: س.

(8) آجن، متغير الطعم واللون. والدبا: الجراد. والغضا: شجر له هدب إذا أكلته الإبل اشتكت بطونها.

وقد أجاد عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ الْفَحْلُ فى وصف الماء الآجن، حيث يقول:

إذا وَرَدَتْ مـاءً كَـأَنَّ جِـمَـامَـهُ ... من الأَجْنِ حِنَّـاءٌ مَـعًـا وصَـبِـيبُ

فقال ذو الرُّمَّة فى وصف هذا الماء، فَقَرَنَ بتغيُّره بُعْدَ مَطْلبه. فقال:

فـأَدْلَى غُـلاَمِى دَلْوَهُ يَبْـتَـغِى بهـا ... شِـفـاءَ الصَّـدَى واللَّـيلُ أَدْهَمُ أَبْلَقُ

يريدُ أَنَّ الفجرَ قد نَجَمَ فيـه، فجاءَتْ - يعنى الدَّلْوَ - بنَسجِ العنكبوت. كأنه عَلَى عَـصَوَيْـها سَـابِرِىٌّ مُـشَبْـرَقٌ. والسـابِرِى: الرقيقُ مِـن الثيـاب والدروع(١). والمشبرق: الممزق. وأنشد أبو زيد:

لهَـوْنا بسرْبالِ الشَّـبَابِ مُـلاوَةً(٢) ... فـأصبَحَ سِـرْبالُ الشَّـباب شبارِقًـا

* * *

ومن التشبه العجيب قولُ ذى الرُّمَّة فى صفة الظليم:

شَخْتُ الجِـرازة مِثْلُ البـيتِ سائِرُهُ ... مِن المسـوحِ خِدَبٌ شَـوقَبٌ خَـشِبُ

الشَّخْتُ: الضَّـئِيلُ اليابسُ الضَعـيفُ. الجُزارةُ القوائم. وقوله: «مِـثْلِ البيتِ سائرُه مِن الْمسوحِ». يعنى إذا مدَّ جَنَاحَيْه. وإنما أخذه من قول علقمة بن عَبَدَةَ:

صَـعْلٌ كـأنَّ جَنَاحَـيْه وجُـؤْجُـؤَهُ ... بيتٌ أَطافتْ به خَـرْقـاءُ مَـهْـجُـومُ

الصَّعْلُ: الـصغيـرُ الرأسِ. الخَرْقـاءُ التى لا تُحسِن شيئًا. فـهى تُفْسِـدُ ما عرَضتْ له. قال الحُطَيْئة:

هُم صَنَعْـوا لِجَـارِهِمُ ولـيـستْ ... يَدُ الخَـرقـاءِ مِـثلَ يَدِ الـصَّنَاعِ

والمهجومُ: المـهدُوم، وفى الخبر أنه لما قُتِـل بِسْطامُ بن قَيْس لم يبْقَ بيتٌ فى بكر بن وَائـلٍ إلاَ هُجِم، أى هُدِمَ، والْخِـدَبُّ: الـضَّـخمُ. والشَّـوقَـبُ الطويلُ. والخَشِب: الذى ليس بَليِنٌ على مَنْ نزل به.

* * *

ومن التشبيه الْمصِيبِ قوله فى صفةِ رَوْضَة:

(١) قال صاحب اللسان: «الدروع السابرية منسوبة إلى سابور». واستشهد ببيت ذى الرمة.

(٢) الملاوة: الحين من الدهر.

قَـرْحَـاءُ حَوَّاءُ أَشْـرَاطِيَّـةٌ وَكَـفَتْ   فِـيهـا الذّهابُ وَحَـفَّتْـهـا البرَاعِـيمُ

قَرْحَاءُ: يريدُ الأنْوَاءَ. وقوله: «حَوَّاءُ» يقـول: تضرب إلى السَّوَاد لشدة ريها وخُضْرَتها، وكـذلك قال المفسرون[1] فى قـول الله جلَّ وعـزَّ: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾[2]. تَضربان إلى الدهمة، لشدة خُضْرَتهمَا وريِّهما.

وقوله: «أشْـراطيَّةٌ» ليس مما قَصَـدْنَا له، ولكنه ممَّا يَجْرِى فنفسِّـره. ومعناه: أنهَا مُطِرَتْ بنوءِ الشَّرَطَيْنِ[3].

وحدثنى الزِّيادىُّ قال: سـمعتُ الأصمعىَّ - وسُئِل بحَضْـرَتى، أو سألتُه عن قوله: «أشراطيـةٌ» - فقال: باسْتـه واسْتِ عِرْسه! وذاكَ أَنَّ الأصمعـىَّ كان لا يُنْشدُ ولا يُفَسِّـر ما كـان فيـه ذكرُ الأنْوَاء، لقـول رسول الله ﷺ: «إذَا ذُكِرَت الـنجُومُ فأَمْسكُوا». لأنَّ الْخَـبَرَ فى هذا بعينه. «مُطِرْنَا بنَوْء كذا وكذا»، وكـانَ لا يُفَسِّرُ ولا يُنْشدُ شعرًا فيـه هجاءٌ. وكان لا يفسِّرُ شعرًا يوافقُ تفسيـرُه شيئًا من القرآنِ، هكذا يقولُ أصحابه، وسُئِلَ عن قول الشَّماخِ:

طَوَى ظِمْأَها فى بَيْضَة القيظ[4] بعدَما   جَـرَى فى عِنَانِ الشِّعْـرَيَيْنَ الأمَاعِـز[5]

فَأَبَى أن يفسرَ «فى عنانِ الشِّعْرَيَيْن».

قوله[6]: «الذِّهَابُ[7]» فهى الأمْطَـارُ اللَّيِّنَةُ الدّائمـةُ، ويقالُ: إنها أنْجَعُ المطرِ فى النَّبْت، وكذلك العهادُ، وأَنْشَدَ الأصمعىُّ:

أمـيـرٌ عَمَّ بالنَّعْـمَـاء حـتى   كَـأَنَّ الأرْضَ جَلَّـلَهـا العِـهُـاد[8]

والبَرَاعِيمُ؛ واحدها[9] بُرْعـومَة، وهى أَكمـةُ الرَّوْض قبلَ أن تَـتَفَتَّقَ. يـقال

(١) ر: «وكذا المفسرون يقولون».

(٢) سورة الرحمن ٦٤ .

(٣) الشرطان: مثنى شرط بالتحريك وهى من الحمل قرناه.

(٤) ر: «بيضة الصيف».

(٥) طوى ظمأها: فقطع بها مقدار ظمئهـا فى السير. والظمء: ما بين الشربتين؛ يريد أنه سار بها فلم يوردها الماء، وبيضة القيظ: شدته. وقوله: «جرى فى عنان الشعريين الأماعز» جعل للشعريين الصور والغميصاء - وهما كوكبان يطلعان فى القيظ - عناناه طرفـاه محيطان برأس الأماعز، وهى الأمكنة الغليظة (من رغبة الآمل).

(٦) ر «وأما قوله».

(٧) الذهاب: جمع ذهبة.

(٨) جمع عهدة.

(٩) ر: «واحدتها».

لواحدها: كُمٌّ[1]. وكمامٌ، فمن قال: كِمَامٌ، فجمعه أكِمَّةٌ، مثلُ صمامٍ وأصِمَّة، وزمامٍ وأَزِمَّة، ومن قال: كِمٌّ، فالجماع أَكمامٌ، قال الله عزَّ وَجلَّ: ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأكمامِ﴾[2].

* * *

ومن ذلك قولُ الآخَر، أَحسبُه تَوْبَةَ بن الحُمَيِّر :

[قال أبو الحسن: يقالُ إنه لمجنونِ بنى عامرٍ، وهو الصواب] :

كَأَنّ القلبَ لَيْلَةَ قيلَ يُغْدَى ... بليْلَى العامريَّة أَو يُرَاحُ[3]
قَطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فباتَتْ ... تجاذبه وقد عَلِقَ الجَنَاحُ
[لها فَرْخَانِ قد غَلِقا بوكْرٍ ... فَعُشُّهما تُصَفِّقه الرِّياحُ[4]
فلا بالليلِ نالتْ ما تُرَجِّي ... ولا بالصبحِ كانَ لها بَرَاحُ][5]

وقد قال الشعراءُ قبله فلم يبلغوا هذا المقدارَ.

وقال الشَّيْبَانىُّ[6] للحَجَّاجِ:

هَلا بَرَزْتَ إلى غَزَالَةَ فى الوَغَى ... بل كَانَ قَلْبُكَ فى جَنَاحَىْ طائرِ

فهذا يجوز أن يكونَ فى الخفقانِ وفى الذهابِ ألبَتةَ.

* * *

ومن التشبيه المحمودِ قول الشاعرِ:

طَلِيقُ الله لم يَمْنُنْ عليه ... أبو داوُدَ وابنُ أبى كَثِيرِ
ولا الحجَّاجُ عَيْنَىْ بِنْتِ مَاءٍ[7] ... تقَلِّبُ طَرْفَها حَذَرَ الصُّقورِ

وهذا غاية في صفة الجبانِ.

---

(١) الكم: وعاء الطلع وغطاء النور. (٢) سورة الرحمن ١١ .

(٣) ر: «تعالجه»، وفى نهاية الأبيات. و«يروى: «تجاذبه»، فهذا غاية الاضطراب».

(٤)غلقا: من الغلق. وهو الحبس.

(٥) البيتان الواقعان بين العلامتين من زيادات ر .

(٦) هو عمران بن حطان.

(٧) بنت الماء: ما يصاد من طير الماء إذا نظرت إلى صقر قلبت عينها حذرا منه.

ونَصَبَ «عَيْنَيْ بنتِ ماء» على الذّمِّ، وتأويلُه: إنه إذا قال: «جاءني عبدُ الله الفاسقُ الخبيثُ» فليس يقوله[1] إلا وقد عَرفهُ بالفسق والخبث[2]. فَنَصْبه «أعني» وما أَشبَهه من الأفعال، نحو «أَذْكُر»، وهذا أبلغُ في الذمِّ، أن يُقيمَ الصفةَ مقامَ الاسم، وكذلك المدحُ. وقولُ الله تبارك وتعالى: ﴿وَالْمقيمينَ الصَّلاَةَ﴾ بعد قوله: ﴿لكنِ الرَّاسخونَ في العلْم منْهُمْ﴾[3]. إنما هو على هذا. ومَنْ زعم أنه أرادَ: «ومنَ المقيمينَ الصَّلاَة» فمخطئٌ في قول البصريين، لأنهم لا يَعْطفون الظاهر على المضمرِ المخْفُوض، ومَن أجازه من غيرهم فعلى قبحٍ، كالضرورَة. والقرآنُ إنما يحمل على أشرف المذاهب. وقرأ حمزَة: ﴿الَّذي تَسَاءلُونَ بهِ والأَرْحَامِ﴾[4]. وهذا مما لا يجوزُ عندنا إلا أن يُضْطَرَّ إليه شاعرٌ، كما قال:

فاليومَ قَرَّبْتَ تَهْجُونا وتشْتِمُنَا ... فاذْهَب فما بك والأيَّام من عَجَبِ

وقرأ عيسى بن عُمر: ﴿وامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَب﴾[5]. أرادَ: وامرأَتُهُ في جيدهَا حَبْلٌ منْ مَسَد، فنصبَ «حَمَّالَةَ» على الذَّم. ومَن قالَ إنَّ «امرأَتُهُ» مرتفعةٌ بقوله: ﴿سَيَصْلَى ناراً ذَاتَ لَهَب﴾: فهو يجوزُ. وليس بالوجه أن يُعْطَفَ المظْهَرُ المرفوعُ على المضمر حتى تؤكِّدَ، نحو: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتلاَ﴾[6]. و: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[7]. فأمَّا قولُه: ﴿لَوْ شَاءَ الله مَا أَشْرَكْنا وَلا آبَاؤُنَا﴾[8]. فإنه لـمَّا طَالَ الكلامُ وزيدتْ[9] فيه «لا» احتملَ الحذفَ وهذا على قبحه جائزٌ في الكلام[10]. أعني: ذهبتُ وزيدٌ، وأَذْهَبُ وعمرو، قال جَرير:

وَرَجَا الأُخَيْطِلُ من سَفَاهَةِ رأْيِهِ ... ما لم يكُنْ وأبٌ له لِيَنَالا

وقال ابنُ أَبي ربيعة:

قلت إذْ أقْبَلَتْ وَزُهْرٌ تَهَادَى ... كَنِعَاجِ المَلا تَعَسَّفْنَ رَمْلا[11]

---

(1) ر: «يقول».
(2) ر: «بالخبث والفسق».
(3) سورة النساء ١٦٢.
(4) سورة النساء ١.
(5) سورة المسد ٤.
(6) سورة المائدة ٢١.
(7) سورة البقرة ٣٥.
(8) سورة الأنعام ١٤٨.
(9) ر: «وزادت»، وما أثبته عن الأصل، س.
(10) لفظ «في الكلام» ساقط من ر.
(11) الملا: الفلاة.

ومما يُنصبُ على الذمِّ قولُ النابغةِ الذُّبْيَانِّى[١]:

لَعَمْرِى وما عَمْرِى علىَّ بِهَيِّن ... لقد نَطَقَتْ بُطْلا علىَّ الأقَارِعُ[١]
أقَارِعَ عَوْفٍ لا أُحَاوِلُ غيرها ... وُجُوهَ قُرودٍ تَبْتَغى مَنْ تُجادِعُ[٢]

وقال عُرْوَةَ بن الوَرْد العَبْسِىُّ:

سقَوْنى الخمرَ ثم تكَنَّفُونى ... عُدَاةَ اللَّهِ مِن كَذِبٍ وزورِ

والعربُ تُنْشِدُ قولَ حاتمِ الطائىِّ رفعًا ونصبًا :

إن كنْت كارهة مَعيَشَتنا ... هَاتَا فَحُلِّى فى بَنى بَدْرِ
الضاربين، لَدَى أَعِنَّتِهم ... والطاعِنينَ وخَيْلُهُمْ تَجْرِى

وإنما خَفَضُوهما على النعت، وربّما رفَعوهما على القطعِ والابتداء.

وكذلك قولُ الْخِرنِقِ بنتِ هَفَّانَ الْقَيْسية، من بنى قَيْسِ بن ثَعْلَب:

لا يَبْعَدَنْ قَومِى الذين هُمُ ... سُمُّ العُدَاةِ وآفَةُ الْجُزْرِ
النَّازِلِينَ بكلِّ مُعْتَرَكٍ ... والطَّيِّبِينَ مَعاقدَ الأزْرِ

وكل ما كان مِن هذا فعلَى هذا الوجه[٤].

وإن لم يُرِدْ مَدْحًا ولا ذَمًّا قد استَقَرَّ له فَوَجْهُهُ النعتُ. وقرأ بعضُ القرَّاء: ﴿فتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنَ الخَالقين﴾[٥].

وأكثرُ ما تُنشِد العربُ بيتَ ذى الرُّمَّة نصبًا، لأنَّه لمَّا ذكر ما يَحِنُّ إليه ويصبُو إلى قُرْبه أشَادَ بذكْر ما قد كان يَبْغِى، فقال:

دِيَارَ مَيَّةَ إذْ مَىٌّ تُساعِفُنَا ... ولا يَرَى مِثْلَها عُجْمٌ ولاَ عَرَبُ

وفى هذه القصيدة من التشبيهِ المُصِيبِ قولُه:

---

(١) ساقط من ر .

(٢) البطل : ضد الحق. والأقارع: هم بنو قريع بن عوف بن كعب.

(٣) تجادع: تشاتم، وفى ر: «تخادع».

(٤) كذا فى الأصل. س ، وفى ر: «فعلى هذا أكثر إنشاده».

(٥) سورة المؤمنون ١٤ .

بَيْضَاءُ فى دَعَجٍ، صَفْرَاءُ فى نَعَجٍ كأنها فِضَّةٌ قد مَسَّها ذَهَبُ(١)

وفيها من التشبيه المصيب قولُه(٢):

تَشْكُو الخِشَاش ومَجْرَى النَّسْعَتَيْن كما أَنَّ المريضُ إلى عُوَّادِهِ الوصِبُ(٣)

والْخشاشُ(٤): ما كان فى عَظْمِ الأنف، وما كانَ فى المَارِنِ فهو بُرَةٌ، يقالُ: أَبْرِيْت الناقَةَ، فهى مُبْرَاةٌ، قال الشَّماخُ - وهذا من التشبيه العجيب:

فَقَرَّبْتُ مُبْرَاةً تخَالُ ضُلُوعَها من الماسِخياتِ القِسىَّ المؤطّرا(٥)

ومَاسِخة، من نصرٍ(٦) بن الأزْدِ، وإليهم تنسب(٧) القِسِىُّ الماسِخِيَّة.

وأحسنُ ما قيل فى صفة الضلوع واشتباكها قولُ الراعى:

وكأنما انتَطَحَتْ على أَثْبَاجِهَا فُدُرٌ بِشَابَةَ قد يَمَمْنَ وُعُولا(٨)

الفَادرُ: المسنُّ من الوُعول.

وذو الرُّمَّة أخذ ذلك من المُثَقَّب العبدىِّ، قال المثقب(٩):

إذا ما قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِلَيْلٍ تَأَوَّهُ آهَةَ الرجلِ الحزينِ

* * *

ومن التشبيه المستحسنِ قولُ عَلْقَمَةَ بن عَبَدَةَ:

كأنَّ إبريقهم ظَبْىٌ على شَرَفٍ مُفَدَّمٌ بسبَا الكَتَّانِ مَلْثُومُ(١٠)

فهذا حسن جدا.

* * *

---

(١) الدعج: سواد العين. والنعج: البياض الخالص. ورواية الديوان ٥: «كحلاء فى برج»؛ والبرج: سعة فى بياض العين.

(٢) ساقطة من ر.

(٣) النسعة والنسع: سير مضفور يجعل زماما للبعير وغيره، وأن من الأنين.

(٤) ر: «الخشاش» بحذف الواو.

(٥) أصل الإطر: عطف الشيء تقبض على أحد طرفيه فتعوجه. وفى ر: «الموترا»، والموتر: المشدود.

(٦) ر: «نصر من الأزد».

(٧) ر: «نسبت».

(٨) الأثباج: جمع ثبج، وهو معظم الظهر. وفيه محانى الضلوع. وشابة: جبل بعينه. يَمَمْنَ: قصدن، وخفف فى البيت للشعر

(٩) ر: «أخذ ذلك المعنى من قول المثقب العبدى».

(١٠) الشرف: ما ارتفع من الأرض وأشرف على ما حوله. مفدم: مغطى بالفدام، وهو من وصف الإبريق. وسبا الكتان، يريد سبائب الكتان؛ والسبائب: جمع سبيبة؛ وهى شقة بيضاء. ملثوم؛ من اللثام؛ وهو ما يوضع على الفم؛ واستعاره للإبريق.

وقال أبـو الهِنْدِى، وهو عبـدُ المؤمنِ بن عبـد القُدُّوسِ بن شَـبَثٍ بن رِبْعِيٍّ الرِّيَاحِىُّ، مِن بنى رِيَاحِ بن يَرْبُوعٍ. وكان شَبَثٌ سَيِّدَ بنى يربُوعٍ بالكوفةِ:

مُـفَـدَّمَـةٌ قَـزًّا كـأنّ رِقـابَـهـا   رِقـابُ بَنَاتِ الماء أَفـزعَـهـا الرَّعْـدُ

[من أخبار أبى الهندى]

وكان أبو الهندىِّ قد غَلَبَ عليه الشرابُ، على كرم مَنْصِبِه، وشرف أسْرَتِه، حتى كاد يُبْطِلهُ.

وكان عَجِـيبَ الجواب، فجلس إليه رجلٌ مَـرَّةً يُعْرَفُ ببرزينِ المناقـير، وكان أبوه صُلِبَ فى خرَابة، والخِـرَابة عندهم: سَرِقُ الإبل خاصَّة. فـأقبلَ يُعَرِّضُ لأبى الهِنْدىِّ بالشراب، فلما أكْثَرَ عليه قال أبو الهندى: أحدهم يَرَى القَذاةَ فى عين أخيه ولا يَرَى الجِذْعَ فى إست أبيه.

وفى الخِرَابَة يقول الراجزُ:

والخـارِبُ اللِّصُّ يُحِبُّ الخـارِبا   وتلك قـرْبى مـثلَ أنْ تُنَاسِبَـا

أن تُشْبِهَ الضرائِبُ الضَّرَائِبَا(١)

وقال الآخر:

إيتِ الطريـقَ واجْـتَنبْ أَرْمَـامَـا   إنَّ بهـا أكْـتلَ أو رِزامـا(٢)

خُوَيْرِبَيْنِ يَنْقُفَانِ الهَامَا(٣)

[زاد أبو الحسن: * لم يَتْرُكا لِمُسْلِم طَعَامَا *]

نَصَبَ «خُوَيْرِبَيْن» علـى «أعْنِى» لا يكون غيرُ ذلك، لأنه إنما أَثْبَتَ أحـدَهما بقوله: «أو».

---

(١) الضرائب: جمع ضريبة، وهى السجية والطبيعة.

(٢) أرمام جبل بعينه، وأكتل ورزام: لصان من لصوص البادية.

(٣) نقف الهامة: شجها حتى يخرج الدماغ.

ومَرَّ نصرُ بن سَيَّار الليثيُّ بأبى الهندى وهو يَميلُ سُكْرًا، فقال له: أَفْسَدْتَ شرفَك! فقال أبو الهنديِّ: لو لم أفْسِد شرفى لم تكنْ أنتَ والىَ خراسانَ.

وحَجَّ به نصرُ بن سَيَّار مرة، فلما ورد الحَرَمَ قال له نصرٌ: إنك بفناء بيت الله ومَحَلِّ حرمه[1] فَدَعْ لى الشّرابَ حتى يَنْفَر الناسُ، واحْتَكِمْ علىَّ، فَفَعَلَ. فلما كان يومُ النّفرِ أخذ الشرابَ فوضَعَه بين يديه. وأقبل يشرب ويبكى، ويقول:

رَضِيع مدامٍ فارَقَ الرَّاحَ رُوحُه فَظَل عليها مُسْتَهِلَّ المَدَامِعِ
أَدِيرَا علىَّ الكأسَ إنى فقَدْتُها كما فَقَدَ المفْطُومُ دَرَّ المَرَاضعِ

وكان يَشْرَبُ مع قيس بن أبي الوَلِيد الكنانيِّ، وكان أبو الوليد ناسكًا فاسْتَعْدَى عليه وعلى ابنه، فَهَربا منه. وقال أبو الهندى:

قلْ للسَّرِىِّ أَبى قيسٍ: أَتُوعِدُنا ودارنا أصبحتْ من داركم صَدَدًا[2]
أبا الوَليد أَمَا والله لَو عَمِلَتْ فيكَ الشمولُ لما حَرَّمْتَها أبدا
ولا نَسِيتَ حُمَيَّاها ولذَّتَها ولا عَدَلْتَ بها مالا ولا وَلَدَا

* * *

ثم نرجعُ إلى التشبيه، وربما عَرَضَ الشيء والمقصودُ غيره، فيذكر للفائدةِ تقع فيه، ثم يُعادُ إلى أصلِ الباب.

قال أبو العباس: وقال عُرْوَةُ بن حزَامٍ الْعُذْرىُّ:

كأنَّ قطاةً عُلِّقَتْ بجناحِها على كَبِدِى من شِدَّةِ الخفَقَانِ

ويقال: إن المرأةَ إذا كانت مُبْغضَةً لزوجها، فآية ذلك أن تكون عند قرْبه منها مُرْتَدَّةَ النَّظر عنه كأنما تنظر إلى إنسان وراء[3]، وإذا كانت محبَّة له لا تُقْلِعُ عن النظر إليه، وإذا نَهَضَ نظرت من وَرائه إلى شخصه حتى يَزُولَ عنها، فقال رجلٌ: أردتُ أن أعلمَ كيف حالى عند امرأتى، فالتفتُّ وقد نهَضْت من بين يديها فإذا هى تُكَلِّح[4] فى قفاىَ.

---

(١) ر: «ومحمل «وفوده».

(٢) داركم صددا؛ منصوب على الظرفية؛ أى قريبة.

(٣) ر «من ورائه»؛ وما أثبته عن الأصل.

(٤) التكليح: التكشير فى عبوس.

وقال الفَرَزْدَقُ فى هذا المعنى، والنَّوَارُ تخاصمهُ عند عبد الله بن الزُّبَيْر بن العوام:

فَدُونَكَها يابنَ الزُّبَيْرِ فإنّها ... مُولَّعةٌ يُوهى الحجارةَ قيلُهَا
إذا جَلَسَت عند الإمامِ كأنما(١) ... تَرَى رُفْقَةً مِنْ خَلْفها تَسْتَحِيلها

قوله: «مُولَّعَة». يقول: كأنها(٢) مُولَّعَةٌ بالنظر مرة هاهنا ومرّة هاهنا. وقوله: «تَرَى رُفقةً يقال: رِفْقَةٌ ورُفَقَةٌ. ومعنى «تَسْتَحِيلُها» تَتَبيَّنُ حالاتِها، قال حُمَيْدُ بن ثَوْر:

إذا خرجت تَسْتَحِيلُ الشُّخُوصَ(٣) ... من الخوفِ تَسْمَعُ ما لا ترَى(٤)

* * *

ومن عجيب التشبيه قولُ جريرٍ مما يُكْنَى عن ذكره:

ترَى الصِّبْيَانَ عاكِفةً عليها ... كعَنْفَقَةَ الفَرَزْدَقِ حينَ شَابا(٥)

ويقالُ: إن الفرزدقَ حين أنْشِدَ النصفَ الأولَ ضرب بيده إلى عنْفَقته توَقُّعا لعَجُزِ البيتِ.

ومن التشبيه الحَسَنِ قولُ جرير فى صفة(٦) الخيل:

يَشْتَفْنَ للنَّظرِ البَعِيد كأنما ... إرْنانُهَا ببَوَائنِ الأشْطَانِ

قوله: «يَشْتَفْنَ» و «يَتَشَوَّفنَ» فى معنى واحد. وقوله: «كأنما إرْنَانُها بَبَوائن الأشْطَان»، أراد شدة صَهيلها. يقول: كأنما يَصهَلْنَ فى آبارٍ واسعةٍ تَبينُ أشطانُهَا عنَ نواحيها.

ونظيرُ ذلك قولُ النابغة الجَعْدىِّ:

وَيصْهَلُ فى مثلِ جَوْفِ الطَّوىِّ ... صَهِيلا يُبَيِّن للمعْرب

(١) ر: «كأنها»؛ وما أثبته عن الأصل؛ س.
(٢) ساقطة من ر.
(٣) كذا فى الأصل س؛ وفى ر: «مروعة تستحيل الشحوص» وهى رواية الديوان ٤٧ .
(٤) وفى زيادات طبعة المرصفى: قوله: «مروعة» يقول: كل شيء يدنينى من الظفر بها يروعها وينفرها.
(٥) العنفقة. ما بين الذقن وطرف الشفة السفلى من الشعر.
(٦) قال المرصفى: «هذا خطأ؛ صوابه قول الفرزدق يهجو جريرا ويمدح بنى تغلب، وهو فى ديوانه ٨٨٢ .

المُعْرِب: العالمُ بالخيلِ العِرَاب.

* * *

ومن حَسَنِ التشبيه قولُ عَنْتَرة:

غـــادَرْن نَضْلَةَ فـى مَـعْــرَكٍ يَجُــرُّ الأسِنَّـةَ كـالُمحْــتَطِبْ[1]

يقول: طُعِنَ وغُودِرَتِ الرِّماحُ فيه، فَظَلَّ يَجُرُّها، كأنه حاملُ حطبٍ.

* * *

ومن التبشبيه المتجاوز المُفْرِط قولُ الخَنْسَاء:

وإنَّ صَـخْـرًا لتَـأْتَمُّ الهُـدَاةُ به كـأنه عَلَـمٌ فى رأســه نارُ

فَجَعَلت المهتَدِى يأتَمُّ به، وجعلتْه كنار فى رأسِ عَلَمٍ، والعَلم: الجبلُ، قال جريرٌ:

* إذا قَطَعْن عَلَمًا بَدا عَلَمْ *

وقال الله جلَّ ثناؤه: ﴿**وله الجَوَار المنشآتُ فى البَحْرِ كالأعْلام**﴾[2].

ومن هذا الضرب من التشبيه قولُ العَجَّاج:

* تَقَضِّىَ البازِى إذا البَازِى كَسَرْ *

والتَّقَضِّى: الانقضاض. وإنما أراد سرعتَها، والعربُ تُبْدلُ كَثيرًا الياءَ من أحد التَّضْعِيفَيْن، فيقولون: تَظَنَّيْتُ والأصلُ: «تظَنَّنْتُ»، لأنه «تَفَعَّلْتُ» من الظَّنِّ، وكذلك: تَقَضَّيْتُ؛ من الانقضاض، أى تقَضَّضْتُ، وكذلك تسَرَّيْتُ، ومثل هذا كثيرٌ.

[من تشبيهات المحدثين]

ومن تشبيه المحدثين المسْتَطْرَف قولُ بَشَّار:

كأنَّ فُـؤادَهُ كُـرَةٌ تَـنَزَّى حِـذارَ البَـيْن إنْ نَـفَعَ الحِـذارُ

---

(١) الضمير فى «غادرن» يعود إلى الخيل ولم يجر لها ذكر. ونضلة بن الأشتر قتله ورد بن حابس العبسى؛ قال المرصفى.

(٢) سورة الرحمن ٢٤ .

[يُرَوِّعُـــهُ السِّـــرَارُ بكـلِّ أمْـــر ... مـحَافـةَ أن يكونَ به السِّـرَارُ](١)

وفى هذه القصيدة:

جَفَتْ عـينى عن التُغْمـيض حتى ... كـأَنَّ جُـفُـونَهـا عنهـا قـصَارُ
أقـــولُ وليْلَـتى تَـزدادُ طولا ! ... أمـــا لِلَّـيلِ بعـــدَهُـمُ نَهَـــارُ

* * *

وقال الحسن بن هانئ فى صفة الخمر:

فـإذا مـــا لَمَسْـتَـهـــا فَـهَـبـاءٌ ... تَمْنعُ اللَّمْـسَ مـا يُبـيحُ الْعُـيـونَا
درسَ الدَّهْرُ مـــا تجَـسَّـمَ منهـــا ... وتَبَـــقَّـى لُبَــابَـهَـــا المكنـونا
فـــهىَ بِكْـرٌ كـأَنـهـــا كلُّ شىء ... يتَـــمَـنَّى مُـــخَـــيَّـــرٌ أن يـكونَا
فى كُـــؤوسٍ كـــأنهـنَّ نجـــومٌ ... جـــارياتٌ بُرُوجُـــهـــا أيديـنَا
طالعـــات مع السُّـــقـــاةِ علـينا ... فـإذا مـــا غَـرَبْـنَ يَغْـرُبْنَ فِـــينَا

فهذه قطعة من التشبيهِ غايةٌ، على سُخَفِ كلامِ المُحْدَثِينَ.

* * *

وقال الحنفىُّ: وهو إسحاق بن خَلَف ـ فى صفة السيف:

ألقـى بجـــانـب خَـــصْـــرِهِ ... أَمْـضَـى منَ الأجَلِ المتـــاحِ(٢)
وكـــأنما ذَرَّ الـهَـــبـــا ... ءَ علـيـــه أنـفـــاسُ الـرِّيَاح

* * *

وقال مُسْلم بن الوليد الأنصارىُّ فى مدحهِ يَزيد بن مزْيَد:

يمْضى المَنايَـا كـمـا تمضى أسنَّتُـه ... كأن فى سَرْجِهِ بَـدرًا وَضِرْغامًا(٣)

* * *

(١) ما بين العلامتين من زيادات ر: والسرار: آخر ليلة من الشهر. وهى التى يستتر فيها القمر ويختفى.

(٢) ر: «فكأنما» وما أثبته عن الأصل.

(٣) ر: «تمضى»، وما أثبته عن الأصل.

وقال دِعْبِلُ بن عليٍّ فى صفة المصلوب(١):

لم أرَ صَفًّا مثلَ صَفِّ الزُّطِّ تسْعين منهمْ صُلِبوا فى خَطِّ(٢)
من كلِّ عالٍ جِذْعُه بالشطِّ كأنه فى جِذْعِه المشتطِّ(٣)
أخو نُعاسٍ جَدَّ فى التَّمَطِّى قد خامَرَ النَّوْمَ ولم يَغِطِّ(٤)

* * *

وقال يَزيدُ المُهَلَّبىُّ فى مثله(٥):

قامَ ولمَّا يَسْتَعِنْ بساقِهِ آلفَ مَثْواهُ على فِراقِهِ

* كأنما يضحك فى أشداقه *

أراد بياضَ الشريط فى فيه.

* * *

وقال أعرابىٌّ فى صفة مصلوبٍ، وهو الأخْطَل:

[قال أبو الحسن: الأخطلُ الذى يعنى رجلٌ مُحْدَثٌ من أهل البصرة، ويعرفُ بالأخَيْطِلِ، ويُلَقبُ بِبَرْقوقًا، وذكر أبو الحسن أن أبا العباس كان يُدَلّسُ به].

كأنَّه عاشقٌ قد مَدّ صفْحَتَه يومَ الفراقِ إلى توديع مُرْتحلِ
أو قائمٌ من نُعاسٍ فيه لُوثُته مُواصِلٌ لِتَمَطّيه من الكَسَلِ(٦)

[وقال مسلمُ بن الوَليد:

وضعتَه حيث ترتاب الرياح به وتحسد الطير فيه أضبع البلد](٧)

وقال حَبيبُ بن أوْس [قال أبو الحسن: يعنى به إسحاق بن إبراهيمَ الطاهَرِىَّ]:

(١) ر. «مصلوب». (٢) الزط: جيل أسود من السند أو الهند.
(٣) كذا فى الأصل، ويريد بالمشتط الطويل، وفى ر: «المشتط».
(٤) الغطيط صوت نفس النائم.
(٥) فى زيادات ر. «وقال آخر فى صفة مصلوب، وهو يزيد المهلبى»، وما أثبته من الأصل.
(٦) اللوثة. الاسترخاء والبطء. (٧) ما بين العلامتين من زيادات.

قَـد قَلَّصَتْ شَفَـتاهُ من حَـفيظتـه   فَخيلَ من شدَّة التقليص مُبْتَسما(١)

وقال أيضًا فى رجل يَنْسُبُه إلى الدَّعْوَة(٢):

وتَنَقُّلٌ من مَـعْـشَـرٍ فى مَـعْـشَـرٍ   فـكـأنَّ أمَّـكَ أَوْ أبـاكَ الـزِّئـبـقُ

يقال: زئْبَقٌ، وزئبرٌ، مهموزان، ودرهمٌ مُزَأْبَقٌ، وثوبٌ مُزَأْبَرٌ(٣).

* * *

ومن إفراط التشبيه قولُ أبى خِراشٍ الهُذَلِىِّ يصفُ سرعةَ إبله فى العَدْو:

كـــأنَّهُم يَسْــعَـــوْنَ فى إثْـر طائرٍ   خَفيفِ المَشاشِ عَظْمُهُ غيرُ ذى نَحْضِ

يُبـادِرُ جُنْـحَ الليلِ فـهـو مـــهـابِذٌ   يحُثُّ الجنـاحَ بالتـبـسُّطِ والـقـبْضِ

وقـال أوْسُ بن حَـجَر [قـال أبو الحـسن: أهلُ الكوفـةِ يَرَوْنَهـا لعَبـيـدِ بن الأَبْرصِ]:

كأنَّ ريقَـتَهَا بعـدَ الكرَى اغْتُـبِقَتْ   من مـاء أدْكَنَ فى الحانوت نضَّـاحِ

أو من مُـعـتَّـقَـةٍ وَرْهَاءَ نَشْـوَتُهـا   أو من أنابِيـبِ رُمَّـان وتفَّـاحِ(٤)

وقال ابنُ عَبْدَلٍ يهْجو رجلا بالْبَخر:

نكَـهْتَ علىَّ نَـكْهَـــةَ أَخْـــدَرِىٍّ   شَـتِـيم شـــابك الأنيَـابِ وَرْدِ(٥)

وفى هذا الشِّعْر:

فـــمـــا يَدْنُو إلـى فـــيــه ذُبابٌ   ولو طُلِـيت مَــشـــافِـرهُ بِـقنْدِ(٦)

يَرَيْنَ حَـــلاوةً ويَـخَــفْن مَـــوْتًا   وَشِـــيكًا إنْ هَمَـــمْن لـه بِورْدِ

---

(١) التقليص: التقبض. وفى ر: «من شدة التعبس».

(٢) فى زيادات ر: «وهو إسحـاق بن إبراهيم الطاهرى» ودفعها المرصـفى، وقال: هو عتبـة بن أبى عاصم؛ وكان قد ضمهما مجلس لم يتكلم فيه حتى انصـرف أبو تمام؛ فأخذ يتشدق بهجائه، فبلغ أبا تمام؛ فقال كلمة منها هذا البيت.

(٣) الزئير: ما يعلو الثوب الجديد مثل ما يعلو الخز.

(٤) الاغـتبـاق: شرب العـشى. والأدكن: مـا تعلوه الدكنة؛ وهى لون بين الحـمرة والسـواد أراد به الزق. والورهاء: الريح التى فى هبوبها خرق وعجرفة. والنشوة: الرائحة الطيبة.

(٥) النكهة: ريح الفم. والأخدرى من وصف الحمار الوحشى.

(٦) القند: عسل قصب السكر.

الذُّبابُ: الواحد من الذِّبَّان، وأدنى العَدَدَ فيه أذبَّةٌ، والكثيرفى الذِّبَّان، ولكنه ذكر واحدًا ثم خَبَّرَ عن سائر الجنس، والأسدُ أَنتنُ السِّباعِ فمًا، كما أن الصَّقْرَ أَنْتَنُ الطير فمًا.

قال بعضُ المحدَّثين فى رجل يهجوه، والمَهْجُوّ داود بن بكر، وكان وَلِىَ الأهْوازَ وفارسَ، والشعرُ لأبى الشَّمَقْمَق:

ولـه لحيـةُ تَيْس ولـه منْقـارُ نَسْـر
ولـه نَكْهَـةُ لَيْث خالَطَتْ نكْهَةَ صَقْرِ

وقال عبد الرحمن بن أبى عبد الرحمن بن عائشة:

من يكن إبْطَه كآباطِ ذا الخَلْقِ فإبطاىَ فى عِدَادَ الفِقاحِ[(١)]
لِىَ إبْطانِ يَرْميانِ جَلِيسى بشبيه السُّلاحِ[(٢)] أو بالسُّلاح
فكأنِّى من نَتْن هذا وهذا جالسٌ بين مُصْعبٍ وصُباح

يعنى مصْعَبَ بن عبد الله الزُبَيْرىَّ، وصباحَ بن خاقَانَ المنْقَرِىّ. وكانا جليسين لا يكادان يفترقان، وصديقَين مُتَوَاصلَين، لا يكادان يتصارَمَانَ. فَحُدِّثْتُ أنّ أحمدَ بن هشامٍ لقيهما يومًا، فقال: أمَا سمعتما ما قال فيكما هذا؟ يعنى إسحاق بن المَوْصِلىّ، فقالا: ما قال فينا إلا خيرًا، قال: قال:

لامَ فيها مُصْعَبٌ وصُبَاحٌ فعصَينا مُصعبًا وصُباحا
وأبينَا غيرَ سَعْى إليها فاسْتَرَحنَا منهما واستراحا

قالا: ما قال إلا خيرًا، ولكنّ[(٣)] المكروهَ ما قال فيك، إذْ يقول:

وصافيةٍ تُعْشى العُيونَ رَقيقة رَهينة عامٍ فى الدِّنَان وعامِ
أدرْنَا بها الكأسَ الرَّوِيَّةَ مَوْهنًا من الليل حتى انجابَ كلُّ ظلام[(٤)]
فما ذَرَّ قرن الشمس حتى كأنَّنا من العِيِّ نحْكِى أَحْمَدَ بنَ هِشام

* * *

(١) الفِقاح: جمع فقحة. وهى حلقة الدبر.
(٢) السُّلاح: العذرة.
(٣) ساقطة من ر.
(٤) الموهن: نحو نصف الليل.

واعلمْ أن للتشبيه حَدًّا؛ لأن الأشياء[1] تَشَابَه من وجوه، وتبايَنُ من وجوه؛ فإنما يُنْظَرُ إلى التشبيه من أين وقع[2]، فإذا شُبِّه الوجْه بالشمس والقمر[3] فإنما يُرَادُ به[3] الضِّيــاءُ والرَّوْنقُ، ولا يُرادُ به[3] العظَمُ والإحْـرَاقُ. قــال اللهُ جل وعــز: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾[4]، والعربُ تُشَبِّــهُ النساءَ ببيْضِ النَّعَام، تــريدُ نقَاءَه ورقّة لونه[5]، قال الراعي:

كــأنَّ بَيْضَ نعَــامٍ فى مَـلاحِفِـهـا ... إذا اجْـتبلاهُنَّ قَـيْظٌ لَيلُهُ وَمِـدُ[6]

وَقيلَ للأوْسيَّة - وهى امرأَةٌ حكيمةٌ فى[7] العرب - بحضرة عمر بن الخطاب رحمه الله: أىُّ مَنْظَرَ أحسن؟ فقالت: قُصُورٌ بِيضٌ، فى حدَائق خُضْرٍ، فأَنشدَ عمرُ ابن الخطاب لِعدى بن زيد:

كَـدُمَى العــاجِ فى المَحــاريب أَو ... كالبَيْضِ فى الرَّوْض زَهْرُهُ مُـسْتَنِيرُ

وقال آخرٌ:

كالبَيْضِ فى الأدْحى يَلمْعُ بالضُّحى[8] ... فــالحُــسْنُ حُـسْنٌ والـنَّعـيمُ نعــيم

وقال جريرٌ:

ما اسْتَوْصَفَ الناسُ من شَىْءٍ يَروقُهُم[9] ... إلا رَأَوْا أمَّ نُوحٍ فـوقَ مــا وصَـفُـوا

كـــأنهـــا مَــــزْنَةٌ غَـــرَّاءُ رائحــــةٌ ... أو دُرَّةٌ ما يُوَارِى ضوءها الصدف[10]

المُزْنة: السحابة البيــضاءُ خاصة، وجمعُهــا مُزْنٌ، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿أَأَنْتُم أَنْزَلْتمـوهُ مِنَ المُزْنِ﴾[11]، فالمرأةُ تُشَـبَّهُ بالسـحابة لتَـهاديها وسُـهولة مـرِّها، قال الأعْشَى:

---

(١) ر: «فالأشياء»، وما أثبته عن الأصل.

(٢) ر: «من حيث وقع».

(٣) ساقطة من ر.

(٤) سورة الصافات ٤٩ .

(٥) ر: «ونعمة لونه».

(٦) الملاحف: الأغطية، والومد: ندى يجىء فى صميم الحر؛ من قبل البحر مع سكون الريح.

(٧) كذا فى الأصل، وفى ر، س: «من العرب».

(٨) الأدحى: مبيض النعام تدحوه برجلها، ثم تبيض فيه.

(٩) ر: «عن شىء بروقهم»، وما أثبته عن الأصل، س.

(١٠) ر: «لا يوارى لونها» .

(١١) سورة الواقعة ٦٩ .

كـأنَّ مِشْـيَتَـهـا من بيتِ جارتهـا   مَـرُّ السَّحـابةِ لا رَيثٌ ولا عـجلُ

الرَّيْثُ: الإبطاءُ، فهذا ما تَلْحَـقُه العَيْنُ منها، فأما الْخفَّةُ فـهي كأسرعِ مارٍّ، وإنْ خفي ذلك على البصر، قال الله جل وعز: ﴿**وتَرى الجبالَ تحْسَبُها جامدةً وهى تُمُّر مَرَّ السَّحَاب**﴾(1).

* * *

والعرب تُشَبِّـهُ المرأةَ بالشمس، والقمر، والغـصن، والكثيب(2). والغَزال، والبقرةِ الوحشيَّةِ، والسحابةِ البـيضاء، والدُّرَّةِ، والبَيْضَةِ، وإنما تَقْصد من كل شيءٍ إلى شيءٍ.

قال ذو الرُّمَّة:

ومَـيَّـةُ أَحْسَنُ الثَّـقَلَيْن جيـدا(3)   وسـالفَـة وأحْـسَنُهُم قَـذالا(4)
فلم أرَ مـثْلَهَـا نَظَرا وعـيْنًا   ولا أمَّ الغَـزال ولا الـغـزالاَ
تريكَ بيـاضَ غُـرَّتهـا ووَجْـهًـا   كَـقَـرْن الشَّـمْس أَفـتَقَ ثم زالاَ
أصـابَ خَـصاصَـةً فـبَدَا كليـلا   كـلاَ وانْغَلَّ سـائرُهُ انْغـلالاَ(6)

الجِيدُ: العُنُق، والسالفة: ناحيةُ العُنُق، والقَذالاَن: ناحيتَا القفَا من الرأس.

وقوله: «أفتَقَ ثم زَالا»، يقال: أَفتقَ السـحابُ، إذا انكشفَ انكشافةً فكانت منه(7) فُرْجَةٌ يسيـرةٌ بين السحابتين. تقول العرب: دامَ علينا الغَـيْمُ ثم أفتقْنا، وإذا نُظر إلى الشمس والقمر من فتْقِ السحاب فهو أحسنُ ما يكونُ وأشدُّه استنارةً.

وقوله: «كلاَ» يريدُ في سرعةِ ما بدا ثم غاب.

---

(1) سورة النمل 88 .

(2) كلمة «الكثيب»، ساقطة من ر، وهى فى الأصل، س.

(3) الديوان: «خدا».

(4) الديوان: «وأحسنه».

(5) الديوان: «تريك بياض لبتها».

(6) أصاب قرن الشمس خصاصة، أى تقف السحاب فبدا منها كليلا، أى ضعيفا؛ ليس مبين الضوء، وانغل: دخل، والانغلال: الدخول، يقول: دخل فى الحساب. (من شرح الديوان).

(7) ر. «صعه» وما أثبته عن الأصل، س.

وقال الله عز وجل: ﴿كأنَّهُنَّ الْيَاقوتُ والمَرْجَانُ﴾[1]. وقال تبارك وتعالى: ﴿كأمْثَال اللُّؤلؤ المَكْنُون﴾[2].

والمكنونُ: المَصُونُ، يقال: كَنَنْتُ الشيءَ، إذا صُنْتَه. وأكْنَنتُه، إذا أخفيتَه، فهذا المعروف، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أوْ أكْنَنْتمْ فى أنفسكمْ﴾[3]. وقد يقالُ: كَنَنْتُهُ، أخفيتُه.

وقد قال جريرٌ فى يَزيدَ بن عبد الملِك، وأمُّه عاتكة بنتُ يزيد بن معاوية بن أبى سُفْيان:

الحَزْمُ والجودْ والإيمانْ قد نزَلوا　　على يَزيدَ أمين الله فاحْتَلَفُوا[4]
ضَخمُ الدَّسيعَةِ والإيمان، غُرَّتُه　　كالبَدْرِ ليلةَ كادَ الشهرُ يَنْتَصفُ[5]

وقال ذو الرُّمَّة:

فياظَبْيَة الوعْسَاء بَيْنَ جُلاجلٍ　　وبَيْنَ النَّقا آأنْت أمْ أمُّ سَالم[6]

وقال ابنُ أبى ربيعةَ:

أبْصَرْتُها ليلة ونسْوتُها　　يَمْشينَ بين المقَامِ والحَجَرِ
يَرْفُلْنَ فى الرَّيْطِ والمُرُوط كما　　تمشِى الهُوَيْنَى سوَاكِنُ البَقَرِ[7]

فهذه تشبيهاتٌ غَريبات مفهومةٌ.

وقال أبو عبد الرحمن العطوى[8]:

قد رأينا الغزال والغُصْنَ والنَّجْمَيْنِ شَمْسَ الضُّحى وبدْرَ الظلاَم

فوَحَقِّ البَيَانِ يَعْضُدُه البُرْ　　هان فى مَأْقِطٍ أَلَدّ الْخِصَام

---

(١) سورة الرحمن ٥٨.　(٢) سورة الواقعة ٢٣.
(٣) سورة البقرة ٢٣٥.
(٤) احتلفوا، بالحاء المهملة، من الحلف، أى تحالفوا، وفى س: «اختلفوا» تصحيف.
(٥) الدسيعة: العطية. سميت دسيعة لدفع المعطى إياها مرة واحدة كما يدفع البعير جربه دفعة واحدة.
(٦) الوعساء: الأرض اللينة، وجلاجل: جبل بعينه.
(٧) الريط: جمع ريطة؛ وهى الملاءة غير ذات لعفين كلها نسيج واحد. والمروط: جمع مرط، وهو كساء من صوف أو كتان.
(٨) س: وقال أحد الشعراء المكلمين المحدثين.

مـا رَأَيْنَا سوَى الحبيبة شيْئًا[1] جَمعَ الحُسْنَ كلَّه فى نِظام
فهى تجرِى مَجْرَى الأصَالة فى الرأْ ى ومجرَى الأرْواحِ فى الأجسام

البرهان: الحجةُ، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانكم إنْ كنتم صَادقين﴾[2]. أى حجَجكم. والمَاقطُ: موضعُ الحرب، فضربه مثَلا لموضعِ المناظرة والمحَاجَّة. والألد: الشديدُ الخصومة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وتُنْذِر به قومًا لُدًّا﴾[3]. وقال: ﴿وهُوَ ألَدُّ الخصَام﴾[4].

* * *

وقالت ليْلَى الأخْيَلِيَّة[5]:

كأنَّ فَتَى الفتْيَانِ توبةَ لم يُنِخْ بنجْد ولم يَطْلُعْ مع المتَغَوِّرِ
ولم يَقْدَعِ الخَصْمَ الألدَّ ويملأ الـ ـجِفَانَ سَدِيفًا يومَ نكْباءَ صَرْصَرِ[6]

السَّدِيفُ: شِقَقُ السنام.

[الرياح ومواقعها]

والنَّكْباءُ: الريحُ بين الرِّيحين، لأن الرياحَ أربعٌ، وما بين كلّ ريحين نكباءُ، فهى ثمان فى المعنى.

فما بين مَطْلِعِ سُهَيْل إلى مَطْلِعِ الفجرِ جَنوبٌ، وإنما تأتى الجنوبُ من قِبَلِ اليَمَنِ، قال جريرٌ:

وحَبَّذَا نَفَحاتٌ من يَمانِيَةٍ تأتيك من جبل الرَّيَّانِ أحْيانا[7]

وإذا هبَّتْ من تِلْقاء الفَجْرِ فهى الصَّبَا تقابِلُ القِبْلَةَ، فالعرب تسميها القبُولَ، قال الشاعرُ[8]:

إذ قلتُ هذا حِينَ أسْلُو يَهيجُنى نَسيمُ الصَّبا من حيثُ يطَّلع الفجْرُ

---

(1) ر: «سوى المليحة».
(2) سورة البقرة ١١١.
(3) سورة مريم ٩٧.
(4) سورة البقرة ٢٠٤.
(5) من كلمة ترثى بها توبة بن الحمير.
(6) لم يقدع: لم يكف.
(7) الريان: جبل من بلاد طيئ؛ وفى ر. «من قبل الريان».
(8) هو أبو صخر الهذلى.

وإذ أَتَتْ من قبل الشَّأْمِ فهى شَمَالٌ، قال الفرزْدَقُ:

مُسْتَقْبِلِين شَمَالَ الشَّأْم نَضرِبُنا بحَاصِب كنَديفِ القطْن مَنثورِ

وهى تقابلُ الجنوب، وكذلك قال امرؤ القيس:

فَتُوضِحَ فالمِقْرَاةِ لم يَعفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْها من جَنوبٍ وشمْأَل

وإذا جاءت من دبُر البيتِ الحرامِ فهى الدَّبُورُ، وهى تهُبُّ بشدة، والعربُ تسميها مَحْوَة. عن أبى زيد، لأنها تمحو السحابَ. ومَحْوَةُ معرفةٌ لا تنصرفُ، فأما الأصمعىُّ فَزعمَ أن «مَحْوَةَ» من أسماء الشَّمال. وأنشدا جميعًا:

قد بكَرتْ مَحْوَةُ بالعجَاجِ فَدَمَّرَتْ بَقِيَّةَ الرَّجَاجِ

الرَّجَاجُ: حاشيةُ الإبلِ وضِعافُها. وقال الأعْشَى:

لها زَجَلٌ كَحَفِيفِ الحَصا د صادَفَ بالليلِ رِيحًا دَبورا

* * *

ولهذه الرياح أسماءٌ كثيرةٌ، وأحكامٌ فى العربية، لأن بعضَهم يجعلها نعوتًا، وبعضَهم يجعلُها أسماءً، وكذلك مَصادرُها تحتاجُ إلى الشرح والتفسيرِ، ونحن ذاكرون ذلك فى عَقِبِ هذا البابِ، إن شاء اللهُ.

يقالُ: جَنَبَتِ الرِّيحُ جُنُوبًا، وشَمَلَتْ شمُولاً، ودَبَرَتْ دُبُورًا، وصَبَتْ صُبُوًّا، وسَمَّتْ سُمُومًا، وحَرَّتْ حُرُورًا، مضموماتُ الأوائل.

فإذا أردتَ الأسماءَ فتحتَ أوائِلها، فقلتَ: جَنُوبٌ، وشَمولٌ، وسَمومٌ، ودَبُورٌ، وحَرُورٌ.

ولم يأتِ من المصادر شىءٌ مفتوحُ الأول، إلا أشياءُ يسيرةٌ، قالوا: توضَّأتُ وَضُوءًا حسنًا، وتطهرت طَهُورًا، وأُولِعْتُ بشىء وَلُوعًا، وإنَّ عليه لقبُولا، ووقَدَتِ النارُ وَقُودًا، وأكثرُهم يجعلُ الوَقودَ الحطبَ، والوُقُودَ المصدرَ.

ويقال: الشِّمالُ، على لغاتٍ ست، يقال: شَمَالٌ، وشَأْمَل، وشمالٌ، وشمَلٌ، وشَمْلٌ، وشَامَلٌ، غير مهموزٍ.

ويقال للشّمال: الجِرْبِيَاءُ، قال ابن أَحْمَرَ:

بجَـوٍّ مِـن قَـسًّـا ذَفِـرِ الخُـزَامَى ... تَدَاعَى الجِـرْبِيَـاءُ بهِ بالحَنِينَا[1]

ويقال للجَنُوبِ: الأزْيَبُ.

ويقال للصَّبَا: القَبُولُ، وبعضهم يجعلُه للجنُوب، وهو في الصَّبا أشهرُ، بل هو القولُ الصحيحُ والإيرُ، والهِيرُ، والأَيِّرُ، والهَيِّرُ، قال الشاعرُ:

* مَطَاعِيمُ أَيْسَارٌ إذا الهِيرُ هَبَّت *

فهذا يدلُّ على أنه الصَّبا ، وذاك أنهم إنما يَتَمَدَّحُونَ بالإطْعَامِ في المشتاة[2] وشدَّة الزمان، كما قال طَرَفَةُ:

نحنُ في المَشْتَاة نَدْعُو الجفَلَى ... لا تَرَى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ

الجَفَلَى: العامَّةُ، والنَّقَرى: الخاصَّةُ، والآدبُ: صاحب المأْدُبة، يقال: مَأْدَبَةٌ ومَأْدُبَةٌ للدَّعْوَة ، وفي الحديث: «إنَّ القرآنَ مَأْدُبةُ الله».

قال أهلُ العلمِ: معناه مَدْعاةُ الله، وليس من الأدَبِ. وأكثرُ المفسرين قالوا القولَ الأولَ، وكلاهما في العربية جائز ويدل على القول الأول قولُ رسول الله ﷺ: «أنا الجَفْنَةُ الغَرَّاءُ»، أي التي يجتمعُ الناسُ عليها ويُدْعَوْنَ إليها، ويقال في الدَّعوة: أَدَبَهُ يَأْدُبُه أَدْبًا، إذا دعاه، قال الشاعرُ:

وما أصْبَحَ الضَّحَّاكُ إلا كخالع ... عصانا فأَرْسَلْنَا المَنِيَّةَ تَأْدُبُهْ

* * *

وقولُنا في الرياح: إنها تكونُ أَسْماءً ونُعُوتًا نُفَسِّره إن شاء اللهُ.

يقولُ أكثرُ العرب: هذه ريحٌ جَنُوبٌ، وريحٌ شَمَالٌ، وريحٌ دَبُور، فتجعلُ جَنُوبًا، وشَمَالا، ودَبُورًا، وسائرَ الرياحِ نُعُوتًا قال الأعشى:

لها زَجَلٌ كحفيف الحَصَا ... دِ صادَفَ بالليْلِ ريحًا دَبُورَا

---

(١) قسا: موضع بالعالية، وذفر، من ذفر الطيب، وهو اشتداد رائحته، والخزامى: نوع من العشب، طويل العيدان، صغير الورق

(٢) ر. «المشتى».

وقال زهيرٌ:

مكَلَلٌ بـأُصُـولِ النَّبْتِ تَنْسِـجُـه ريحٌ شَمالٌ لضـاحِى مائِه حُبُكُ[1]

وقال جريرٌ:

* ريحٌ خَرِيقٌ شَمَالٌ أو يَمانَيِّةٌ *

فهذا يكونَ على النعت أجود، لأنه أوضحـه بـ «يمانية»، ولا تكون اليمانية إلا نعتًـا، لأنها منسوبةٌ، فـأما الحريق فهى الشَّـديدةُ من كل ريحٍ. قال حُمَـيْدُ بن ثُور:

بمثْـوى حَـرَامٍ والمطِىُّ كـأنه قنًا مُـسْنَدٌ هَـبَّتْ لَهنَّ حَـريق

والبَلِيلُ: الباردة من كل ريح[2]. وأصلُ ذلك الشمالُ.

[لجرير فى بنى مجاشع]

قال جريرٌ يُعَيِّرُ بنى مجاشعٍ بخذلانهم الزُّبَيْرَ بن العوَّام فى كلمةٍ يقول فيها:

إنى تُذَكِّـرنى الزُّبَيـرَ حَـمَـامـةٌ تَدْعُـو بأَعْلَى الأيـكَتَـيْـنِ هَدِيلا
يالهْفَ نفسـى إذْ يَغَـرُّكَ حَـبْلُهُمْ هَلا اتَّخَـذْتَ على القُيُـون كَفَـيلاَ
قـالت قريـش ما أذلَّ مُـجَـاشعًـا جـارًا وأكْرَمَ ذا القـتـيل قَـتـيـلاَ!
أفَـبَعْـدَ مَتْـرَكِكُمْ خَليلَ مُـحَمَّـد ترجو القُـيُونُ مع الرسول سَبِـيلاَ!
أفَتى الـنَّدَى وفَتى الطعـان غَرَرْتمُ وأخَـا الشَّـمـال إذا تَهُبُّ بَـلِيـلا

ويُروَى أن أحَيْـحَةَ بن الجلاَحِ الأنـصارىَّ ـ وكان يُبَـخَّلُ ـ كان[3] إذا هَبَّت الصَّبا طَلَعَ من أُطمه[4] فنظرَ إلى ناحية هبُوبها، ثم يقولُ لها: هُبِّى هُبُوبَك، فقد أعددتُ لك ثلثمائة وستين صاعًا من عَجْوَة، أدْفَعُ إلى الوليد منها خمسَ تَمَرات، فَيُردُّ علىَّ منها ثلاثًا ـ أى لصلابتها ـ بعد جهْد مَا يلوك منها اثنتين.

---

(١) مكلل: محاط، وضاحى مائه: ظاهره، وحبك: جمع حبيكة؛ وهى الطريقة، يصف ماء أحاط به النبت، وقد ضربته الريح فأظهرت فيه تكسرا.

(٢) ر. «الرياح».

(٣) ساقطة من ر.

(٤) الأطم: الحصن يبنى بالحجارة.

[من أخبار لبيد بن ربيعة]

وكان لَبيد بن رَبيعةَ بن مالك بن جعفر بن كلاَب شريفًا فى الجاهلية والإسلام قد نَذَرَ ألاّ تهُبَّ الصَّبَا إلاَّ نَحَرَ وأطْعَمَ حتى تنْقضىَ. فهبت فى الإسلام[1] وهو بالكوفة مُقْترٌ مُمْلقٌ، فعلم بذلك الوليدُ بن عقْبَةَ بن أبى مُعَيْط بن أبى عمرو بن أميَّةَ بن عبد شمس بن عبد مناف ـ وكان وَاليَهَا لعثمانَ بن عَفَّان، وكان أخاه لأمِّه، وأُمُّهما أَرْوَى بنت[2] كُرَيْز بن حبيب بن ربيعةَ بن عبد شمس[3]. وأمُّ أرْوَى البيضاء بنت عبد المطلب ـ فخطب الناسَ وقال: إنكم قد عرفتم نَذْرَ أبى عَقيل، وما وكَّد على نفسه، فأعينوا أخاكم، ثم نزل فبعث إليه بمائة ناقةٍ[4]. وبَعَث الناسُ، فقضى نَذْرَه، ففى ذلك تقول ابنةُ لَبيد:

إذا هَبَّتْ رياح أبى عَقِيل ... دَعَونا عِنْدَ هبَّتِها الوَلِيدا[5]

* * *

---

(١) ر: «بالإسلام».

(٢) ر: «ابنة».

(٣) حاشية الأصل: «غلط أبو العباس بتقديم حبيب وتأخير ربيعة».

(٤) زيادات ر: «وأبيات يقول فيها:

أرَى الجَزَّارَ تُشْحذُ مُدْيتَاهُ ... إذا هَبَّتْ رياح أبى عَقيل

طويل الباع أبيض جعفرىٌّ ... كريم المجد كالسيف الصقيل

وفى ابنُ الجعفرىِّ بما لَدَيْه ... على العِلاَتِ والمال القليل

فلما أتته قال: جزى الله الأمير خيرا. قد عرف الأمير أنى لا أقول شعرا، ولكن اخرجى يابنية. فخرجت خماسية، فقال لها: أجيبى الأمير، فأقبلت وأدبرت.

(٥) بعده فى زيادات ر:

طويل الباعِ أبيض عَبْشَميًّا ... أعان على مُروءته لبيدا

بأمثال الهضابِ كأنَّ ركبًا ... عليها من بنى حامٍ قعودا

أبا وهب جزاك الله خيرًا ... نحرناها وأطعمنا الثريدا

فعُدْ إن الكريم له معادٌ ... وَظَنى بابن أروى أن يعودا

فقال لها لبيد: أحسنت يا بنية. لولا أنك سألت. فقالت: إن الملوك لا يستحى من مسألتهم. فقال لها: يابنية، وأنت فى هذا أشعر».

ومَنْ جَعَلَ الشَّمالَ والجنوبَ أسماءً لم يـصْرفْهَا إذا سُمِّىَ بشىء منها رجلٌ؛ لأنك إذا سمـيتَ رجلا مذكـرًا باسم مؤنَّث على أربعة أحـرف فصاعدًا لا عـلامةَ للتـأنيث فيـه لم تَصْرِفْـهُ فى المعرفـة، وصرفـته فى النكرة، نحـوَ عَنَاق، وأَتان، وعقرب. وإن كـان نعتًا انصرفَ، لأنك إذا سـميتَ رجلا مذكـرًا بنعت مؤنث لا علامـةً فيه صـرفتَه لأنـه مذكَّرٌ نُعِّتَ به المؤنَث. نحـو حائِض. وطالق. ومُـتْئِم. ومُرْضِع.

وإذا ذكرنا من البـاب شيئا فـما لم نذكره منه فـعلى مَجْرَاه ومِنْهاجِـهِ، قال الشاعر، فجعلَ ما وصَفْنا أسماءً:

حـالتْ وحـيل بهـا وغَـيَّـرَ آيَّهَـا ... طول البلَى تَجْـرِى به الرِّيحَـان(١)

ريحُ الشَّـمَـال مع الجنوب وتارَةً ... رِهَمُ الرَّبيع وصبـائبُ التَّـهتَـانِ(٢)

وقد أنشدوا بيتَ زُهَيْر:

* رِيحُ الجَنُوب لِضَاحِى مَائِهِ حُبُكُ *

وَقولُنا: لاَ عَلاَمَةَ فيه للتأنيث لتَـعْرِفَ كيف حُكم علاماتِ التأنيت لأنَّ ذلك إنما يكونُ على ضربَيْن:

فما كانت فيـه ألفُ التأنيث مقصورةً أو ممدودة فغير مـنصرف فى مَعْرفة ولا نكرة. لمذكَّـر كان أو مؤنث. فـالمقصـور نحوُ حُـبْلَى وسكْرَى، ومَا أشـبه ذلك. والممدودُ نحوُ حمراءَ، وصفراءَ، وصحراءَ، وما أشبه ذلك.

فإن كـانت ممدودة لغير التأنيث انـصرف إذا كان لمذكر فى المعـرفة والنكرة، زائدًا كان أو أصليًّا، فالأصلىُّ نحو سَقَاء، وغذاء، وحذاء، ورداء ـ والزائدة نحو علْبَاء، وحرْباء، وقـوباء، يافتى، ومَن قال: قُوباءٌ يافـتى ـ أَنَّثَ ولَم يصْرِف. لأن الأَوىً مُلْحَقَةٌ وهذه للتـأنيث، فأَمَّا الألفُ المقصورة التى لغير الـتأنيث، فإن كانت أصليةً انصرفتْ فى المذكر، ، نحو مَلْهًى، ومَغْزًى، ومُشْتَرًى.

وإن كانت زائدة لغير التأنيث انصرفتْ فى النكرة. ولم تنصرف فى المعرفة، نحو أَرْطَى، وعَلْقَى، فيمن جعل الواحدة عَلْقاةً.

(١) حالت: أتى علىها حول .حيل بها: . أى أحيلت عما كانت عليه. والآى: جمع آية.

(٢) الرهم. جمع رهمة. وهو المطر الضعيف.

وأمَّا ما كـانت فيه هاءُ التأنيث فـهومنصرفٌ فى النكرة، وغيـرُ منصرف فى المعرفة، لمذكَّر كان أو مؤنَّث، عربيًّا كَانَ أو أعجميًّا.

فهـذه جملة هذا البـابِ، فأمَّا قـياسُه وشـرحُه فـقد أتينا عليـه فى الكتاب (المقْتَضَب).

* * *

ويقال[١] فى أكْثر الكلام: هَبَّتْ جَنوبًا، وهبَّتْ شَمالا، فُيسْتَغْنَى[٢] عن ذكر الريح، وهذا مما يؤكد أنها نعوتٌ، لأن الحاَل إنما بَابُها أن تقعَ فيما يكون وصفًا[٣]. قال جريرٌ:

هَبَّتْ شَمَـالا فذكْرِى مـا ذكرتُكُم　　　عند الصَّـفاة إلـى شرْقِىِّ حَـوْرانَا

وقال الآخرُ:

فـأَىُّ حىٍّ إذا هَـبَّت شـآمِـيَـة　　　واستَدْفـأَ الكلْبُ بالمأسُور ذِى الذئَب

المأسُورُ، يعنى قَتَبًا[٤]. وإنما الأَسْرُ الشّـدُّ بالقدّ[٥] حتى يُحْكَـم، وإنما قيل الأسيرْ مِنْ ذا. لأنَه كان يُشَدُّ بالقدِّ. ثم قـالت العربَ لكلِّ مُحكم شديد أسير[٦]. قال الله تبارك وتعالى: ﴿**نحنُ خَلَقْنَاهُم وَشَدَدْنا أَسْرَهم**﴾[٧].

وقولُه: «ذى الذأب» يعنى الفضولَ التى وسَّعَتْه وأَسْبَغَتْه. يُقالُ: غَبِيطٌ مُذَأَبٌ أى ذو ذِئَبٍ. أى مُوَسَّعٌ، والغَبيطُ: مرْكَبٌ من مَرَاكب النساء.

[لأوس بن حجر]

وقال أوْسُ بن حَـجَر فى شـدة البرد وغَلَبَـة الشمـال يَرْثى فَضَـالةَ بن كلْدة الأسَدِى :

وَالحـافظ النـاسَ فى قَـحُـوطَ إذا　　　لم يُـرسلُوا تحتَ عـــائذ ربعَـــا
وَعَـزَّتِ الـشَّـمْـأَلُ الرِّيـاحَ وقـد　　　أَمْـسَى كَمِـيعُ الفـتـاة ملتَـفْعَـا[٨]

---

(١) ر «تقول».
(٢) ر: «فتستغنى».
(٣) ر «تعتا».
(٤) القتب: رحل على قدر السنام.
(٥) القد سير يقد من جلد غير مدبوغ.
(٦) ر: «شديد الأسر».
(٧) سورة الإنسان ٢٨
(٨) الكميع. الضجيع.

وكانت الكاعبُ المَنَعَّمة الحسناءُ في زادِ أَهلِها سُبُعَا

تحوط، وقَحُوط، وكَحْل، وحَجْرَة: أسماءٌ للسَّنة المجْدِبَة. والعائذ: الحديثة النِّتاج، فتنْحَر أولادها فى السَّنة المُجْدِبَة إبقاءً على أَلْبانها وشحومها. والرُّبَعُ الذى يُنْتج فى الربيع. والهبع: الذى يُنْتج فى الصيف. يقالُ: ما لهُ هُبَعٌ ولا رُبَعٌ. وإنما سمى: هَبَعًا. لأن الرُّبَعَ أسنٌّ منه فيمشى مع أمهاته(١). ولا يلحقهنَّ الهُبَعُ إلا باجتهادٍ فيستعينُ بعنقه فى المشى، يقالُ إذا فعل ذلك: هَبَع يهْبَعُ.

* * *

ويقال للريح الشمال: مؤْوبة ومُسْع، قال الهُذَلىُّ:

قد حال دونَ دَريسَيْه مُؤَوِّبَةُ نِسْعٌ لها بِعضاهِ الأرض تَهْزِيرُ(٢)

الدَّريسَان: ثوبان خَلَقَان. ومُؤَوِّبَةُ، مُفَعِّلَةٌ، من التأْويب، وهو سَيْرُ النهار لا تعريجَ فيه. قالَ أبو عبيدة: هو سير النهار، والإسآد: سيرُ الليل لا تعريس فيه، وأَنشدَ لسَلاَمَة بن جَندَل:

يومان يوم مَقاماتٍ وأنديةٍ ويومُ سَيْر إلى الأعداء تأويب

وإنما يعْنى ريحًا، وقوله: نسْعٌ: أى شَمالٌ. والعضَاهُ: شجر ضخام(٣)، فبعض العرب يقول للواحدة: عِضَاهَةٌ، وللجميع: عَضَاهٌ. على وزن دجاجة ودَجاجٍ، وبعضهم يقول للواحدة: عِضَةٌ، فيقول فى الجمع عِضَيَاتٌ. وعِضَهاتٌ. فتكون من الواو ومن الهاء قال الشاعرُ:

هذا طريق يَأزمُ المآزما وَعِضَوَاتٌ تقْطَعُ اللهَازما(٤)

ونظيرُ عِضَة سَنَةٌ؛ على أن الساقط الهاء فى قول بعض العرب، والواو فى قول بعضهم، تقول فى جمعها سنوات، وسانيتُ الرّجل. وبعضهم يقول: سنهات. وأكرينه مسانهة.

(١) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «أمهاتها».

(٢) للمتنخل. ديوان الهذليين: ١٦ .

(٣) ر: «شجرة ضخمة».

(٤) المآزم: جمع مأزم؛ وهو الطريق بين جبلين، واللهازم: جمع لهزمة وهى ما تحت الأذن من أعلى اللحيين.

وهذا الحرفُ فى القرآن يُقْرَأ على ضـروب فمن قرأ: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ وانْظُرْ﴾[١]. فوصلَ بالهاء ـ فهو مأخوذٌ من: سانَهْتُ. التى هى سُنَيْهة ومَن جعله من الواو قال فى الوصل: ﴿ لم يتَسَنَّ وانْظُرْ ﴾[٢]. فإذا وقفَ قال: ﴿ لم يتَسَنَّهْ ﴾ فكانت الهاءُ زائدة لبيان الحركة. بمنزلة الهاء فى قوله: ﴿فبهُدَاهم اقْتَده﴾[٣] و ﴿كتَابيَهْ﴾[٤]. و ﴿حسَابيَهْ﴾[٦]. والمعنى واحدٌ. وتأويله: لـمَ تُغَيِّرْهُ السِّنون، ومن لَم يَقْـصدْ إلى السَّنَة، قال: لم يتأسَّنْ. والآسِنُ: المتغيِّر، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿فيها أنهارٌ من ماء غير آسِنٍ﴾[٧]. ويقال: أَسِنٌ فى هذا المعنى، كما يقال: رجل حَاذِرٌ وحَذِرٌ.

* * *

ويقال للرِّيح الجَنُوب: النُّعَامَى، قال أبو ذُؤَيْب:

مَـــرَتْهُ النُّعَـــامى فلم يَـعْـتَـــرفْ   خِــلاَفَ النَّعَامَى مـن الشَّأْمِ ريحَـا

ومعنى «مَـرَتْه» استَـدَرَّتْه، وفى الحديث: «ما هَبَّت الـريحُ الجَنوبُ إلا أَسالَ اللهُ بهَا وَاديًا».

وقال رجلٌ يمدحُ رجلا:

فَـتى خُلِـقَتْ أخـلاقُـه مُطمــئنةً   له نفَــحــاتٌ ريحُــهُـنَّ جَنوبُ

يريدُ أن الجنوبَ تأتى بالمطر والندى.

والعـربُ تكرَهُ الدَّبُـورَ، وفى الحـديث أَنَّ رسـول الله ﷺ قـال: «نُصِـرْتُ بالصَّبا، وأهْلكَتْ عادٌ بالدَّبُور».

وقَلَّمَـا يكون بالدَّبور المطَرُ، لأنَّهـا تُجَـفِّل السحـابَ، ويكونُ فـيهـا الرَّهَجُ والغَبَرَة. ولا تهُبُّ إلا أقلَّ ذاك إلا بشدة. فتكادُ تَقْلَعُ البيوتَ وتأتى على الزُّروع.

[لرجل فى الهجاء]

وقال رجلٌ يهجو رجلا:

---

(١) ر: «فى قول بعضهم».

(٢) سوره البقرة ٢٥٩

(٣) سورة الحاقة ١٩ .

(٦) سوره محمد ١٥ .

(٢) سورة الأنعام ٩٠ .

(٥) سورة الحاقة ٢٠ .

لو كنت ريحًا كانت الدَّبُورَا   أو كنتَ غَيْمًا لم تكُنْ مطيرَا
أو كنتَ ماءً لم تكونْ طهورًا   أو كنتَ مُخًّا كنتَ مُخًّا رِيرَا

* أو كنتَ بَرْدًا كنتَ زَمْهَرِيرًا *

الرِّيرُ: المخُّ الرقيق، يقال: مُخٌّ رَيرٌ ورَارٌ، فى معنًى واحدٍ، وقال السُّلَيْكُ:

* يَصيدُكَ قافلا والمُخُّ رارُ *

وقال آخرُ:

لو كنت ماء لم تكن بعذب   أو كنت سيفا كنت غير عضب
أو كنت لحما كنت لحم كلب   أو كنت عيرا كنت غير ندب(١)

[السليك يرثي فرسه]

فأمَّا قولُ السُّلَيْك فإنه يرثى فرسَه. وكان يقال له النَّحَّامُ، فقال:

كأنَّ قوائمَ النَّحَّامِ لَمَّا   تحَمَّلَ صُحْبتى أُصُلا محَارُ
على قَرْمَاءَ عاليةٌ شَوَاهُ   كأن بياضَ غُرَّته خمَار
وما يُدْريكَ ما فقْرى إليه   إذا ما القومُ وَلَّوا أو أَغَاروا
ويُحْضِرُ فوق جُهْدِ الْحُضْر نصًّا   يَصِيدُكَ قافلا والمخُّ رَارُ

قوله:

* كأن قوائم النحَّامِ لمَّا *

المحارة: الصَّدَفَة. يريدُ المَلاَسَة، وأنه قد ارتفعتْ قوائمُه للموت. والأصلُ: جمع أَصيل، والأصيلُ العَشيُّ، يقال: أصيلٌ وأصُلٌ، مثل: قضيب وقَضُب، وجمع أَصُل آصالٌ. وهو جمعُ الجمع، وتقديرُه: عُنُق وأَعْنَاق. وطُنُبٌ وأطنابٌ. ويقال فى جمع أصيلة أصائل، مثلُ خَلِيفةٍ وخَلائف. قال الأعْشَى:

* ولا بأَحْسَنَ منها إذْ دَنا الأُصُلُ(٢) *

---

(١) الندب: الخفيف السريع.

(٢) وصدره. * يوما بأطيب منها نشر رائحة *

وقال أبو ذؤَيْب :

لعَمْرِى لأنَت البيتُ أُكْرِمُ أَهْلَه   وأَقعُدُ فى أَفْيَائه بالأصائل

وقَرْماءُ. ممدودةٌ: اسم موضعٍ. وشَوَاهُ: قوائمُه. وقد فسرناه قبلَ هذا. وقوله: «ولَّوْا أو أغارُوا» إذا طَلَبُوا أو هَرَبوا. وقوله: «يَصيدُكَ» أى يَصيدُ لك يقال: صدْتُكَ ظَبْيًا. قال الله عز وجل: ﴿وإذا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾(١). أى كالُوا لهم، أو وَزَنُوا لهم. يقال: كِلْتك ووَزَنْتك. لأنه قد قال تعالى أوَّلا: ﴿إذا اكْتَالُوا على الناس يَسْتَوْفُونَ﴾(٢).

فأما ما جاء فى الحديث من قول رسول الله ﷺ عند الهُبُوب: «اللهمَّ اجْعَلْها رياحًا ولا تجْعَلْها ريحًا»، فإن العربَ تقولُ: لا تَلْقحُ السحابُ إلا من رياحٍ. وتصديقُ ذلك قول الله عز وجل: ﴿اللهُ الذى يُرْسِلُ الرِّياحَ فتُثيرُ سَحابًا﴾(٣). وقول النبى ﷺ: «إذا هَبَّتْ بَحْرِيَّةٌ ثم تذَاءَبَتْ» قالَ الشاعر:

* تَسُحُّ إذا تذَاءَبَتِ الرِّياحُ *

يقول: إذا تقابلت: يقال: تذاءَبَتِ الرياحُ، وتَناوَحَتْ، أى تقابلتْ، وتَنَاوَحَ الشجرُ، إذا قابلَ بعضه بَعْضًا، وإنما سميت النائحة نائحةً لأنها تُقابلُ صاحبتهَا.

فإذا خَلَصت الريحُ عندهم دَبُورًا فهى من جنس البَوار، وإذا خَلَصَت شَمالا شَتْوِيَّة فهى من آيَات الجدْب. ومن ثمَّ تقولُ العربُ: فلا يُطْعَمُ فى الشَّمال، كما تقولُ: يطْعم فى المحل: قال أَوْسُ بن حَجَر: «وعَزَّت الشَّمْأَلُ الرِّياح» أى غَلَبَتْها، فكانت أقوى منها، فلم تَدَعْ لها موضعًا وقوله: ﴿وعَزَّنى فى الخطَاب﴾(٤) أى غلبنى فى المخاطبة والخصومة، ومن أمثالِ العربِ: «من عَزَّ بزَّ» وتأويلُه: من غَلَبَ استلب(٥). قالت الخنْسَاء:

كَأنْ لم يكونوا حِمًى يُتَّقَى   إذِ الناسُ إذْ ذاكَ مَنْ عَزَّ بَزَّا

[بين غنوى وفزارى]

قال أبو العباس : وحدثنى عمْرو بن بحر الجاحظُ قال: رأيتُ رجلا من غَنِيٍّ يُفاخِرُ رجلا من بنى فَزَارَةَ. ثمَّ أحدَ بَنى بدْرٍ بن عمرو، وكان الغَنَوى متمكنًا

(١) سورة المطففين ٣ .   (٢) سورة المطففين ٢ .
(٣) سورة الروم ٤٨ .   (٤) سورة ص ٢٣ .   (٥) ر «سلب» .

من لسانه؛ وكان الفزاريُّ بكيئًا[١]. فقال[٢] الغنويُّ: ماؤُنا من بين الرَّقَم إلى كذا. وهم جيرانُنا فيه، فنحن أقصرُ منهم رِشاءً، وأعذبُ منهم ماءً، لَنَا ريفُ السُّهُول ومعاقلُ الجبال، وأرضُهم سَبِخةٌ، ومياهُهم أَمْلاحٌ، وأَرْشيتُهم طوال، والعربُ[٣] من عَزَّبَزّ. فبِعزِّنا ما تَخَيَّرنا عليهم، وبِذلِّهِمْ ما رَضُوا منّا[٤] بالضَّيْم.

وقوله: «كان الفزاريُّ بكيئًا» يقول: غيرَ قادرٍ على الكلام، وأصلُ ذلك في الحَلَب، يقالُ: ناقة غَزِيرةٌ وناقةٌ بكيءٌ، وهى ضدُّ الغَزيرة، أى قليلةُ اللبن، ودَهينٌ وصِمْرِد. فى معنى، يقالُ: بكَأَت الشاة والناقةُ، وبكؤتْ. قال الشاعرُ:

فــإذا مــا حَــارَدتْ أو بَكُؤَتْ فُضَّ عن خاتَمٍ أُخرَى طِينُهَا[٥]

وقال سَلاَمة بنُ جَنْدل:

يقولُ: مَحْبِسُها أَدْنَى لِمرْتَعِها ولو تَدَاعى بِبُكْءٍ كلُّ مَحْلوب[٦]

يقولُ: إنْ نَحْبِس الإبلَ على ضرٍّ ونقاتلْ عنها فهو أَدْنى بأن تَعزَّ فتَرْتَعَ فيما تَسْتَقبل، وإن ذهبتْ أَلبانُها، لأنا إنْ أَطَرَدْناها[٧]. وهَرَبْنَا طمِعَ فينا واسْتُذْلِلنا، ويقال فى الكلامِ: رجلٌ عَيِيٌّ بَكِيّ.

وقال أبو العباس: وهذا الغنويُّ: إذا قابل[٨] بقبيلته آلَ بَدْرٍ فقد أَعظَمَ الفِرْيَةَ، وبلغ فى البُهْتِ، وأَشْمَتَ العَدُوَّ بجمْهُور قيْس، وصارَ بهم إلى قول[٩] الأَخْطل:

وقد سَرَّنى من قَيْسِ عَيْلانَ أنني رأيتُ بنى العَجلانِ سادوا بنى بَدْرِ

---

(١) ر: «بكيا». وما أثبته عن الأصل.

(٢) ر: «قال» وما أثبته عن الأصل.

(٣) ر: «والعرب عن عز بز» ، س: «والعرب إذ ذاك من عزّ بزّ»، وما أثبته عن الأصل.

(٤) كذا فى الأصل. س. وفى ر: «عنا».

(٥) هو عدى بن زيد؛ وقبله:

ولنا باطية مملوءة جونة يتبعها برزينها

البرزين: إناء يتخذ من قشر الطلع، والحرد داء فى القوائم؛ إذا مشى البعير نفض قوائمه، فضرب بهن الأرض كثيراً، وانظر اللسان ٤ : ١٢٣ . ١٨ : ١٩٦ .

(٦) ر: «وإن تداعى».

(٧) أطردناها: آمرنا بطردها. وفى ر: «طردناها».

(٨) ر «حاول» . (٩) ر «إلى ما قال». .

وكان زيادٌ يقولُ ـ وهو الغايةُ فى السياسة ـ أوصيكم بثلاثة: العالم[1]، والشريف، والشَّيْخ. فوالله لا أوتى بوَضيعٍ سَبَّ شريفًا، أو شابٍّ وَثَبَ بشيخ، أو جاهلٍ امتهن[2] عالمًا إلا عاقبتُ وبالغْتُ.

[لعمارة بن عقيل يهجو بنى أسد]

وقال عُمارة لبنَي أَسَدِ بن خُزَيْمةَ:

يأيُّها السَّائلى عَمْدًا لأُخْبِرَهُ ... بذات نفسى وأَيْدى الله فوقَ يَدى
إنْ تَسْتَقِمْ أَسَدٌ تَرْشَدْ وَإن شَغَبَتْ ... فَلا يَلُمْ لائمٌ إلاّ بَنِى أَسَد
إنى رأيتكمُ يعْصَى كَبيرُكُمُ ... وتكنَعونَ إلى ذى الفَجْرَة النّكد[3]
فباعدَ الله كلَّ البُعْدِ داركُم ... ولا شفاكمْ من الأضْغان والحَسدِ

فرأى عصيانهم الكبيرَ من أقبح العيب، وأَدَلَّه على ضِغْن بعضهم لبَعض. وحَسَد[4] بعضَهم بعضًا. والوضيعُ يَنْقَلبُ إلى الشَّريف؛ لأنه يرَى مُقاولته فَخرا، والاجتراء عليه ربْحًا. كما أن مُقاولة الشريف للّئيم ذُلٌّ وَضعَة. قال الشاعرُ:

إذا أنتَ قَاوَلْتَ اللَّئيمَ فإنما ... يكونُ عليك الفضل حين تُقاولُهْ[5]
ولستَ كمن يَرْضَى بما غيْرُهُ الرِّضَا ... ويمسح رأس الذّئْبِ والذّئبُ آكلُهْ

وسَنُشْبع هذا المعنى إن شاء الله.

وفى هذا الشعر بيتٌ يُقَدَّمُ فى باب الفَتْك. وهو:

فلا تَقْرَبَنُ أَمْرَ الصَّريمة بامْرئ ... إذا رام أَمْرًا عَوَّقَتهَ عواذُله
[وقل للفؤادِ إنْ تُرَى بك نَزْوةٌ ... من الرَّوْعِ أَفْرِخْ أكْثرُ الرَّوع باطِلهْ][6]

الصَّرِيمة: العَزِيمة.

* * *

(1) ر: «بالعالم». (2) ر: «امتحن».
(3) تكنعون تخضعون، والفجرة: الفجور، والنكد: اللئيم.
(4) ر «وحسد» بسكون السين؛ والصحيح ما أثبته عن الأصل.
(5) ر. «يكون عليك العتب».
(6) ما بين العلامتين من زيادات ر. وأفرخ. أى أخرج روعك وفزعك.

وقد امتنَعَ قوم من الجواب تَنَبُّلا، ومواضعُهم تُنْبئُ عن ذلك، وامتنع قومٌ عيًّا بلا اعتلال. وامتنع قومٌ عَجْزًا[1]. واعتلُّوا بكرهة السَّفَه، وبعضُهُمْ مُعْتَلٌّ برفعة نفسه[2] عَن خصمه، وبعضُهم كان يَسُبُّهُ الرجلُ الرَّكيكُ من العَشيرة فَيُعْرِضُ عنه[3] ويَسُبُّ سيدَ قومه، وكانت الجاهليةُ ربما فعلته بِقَى الذُّحُول[4]. قال الراجزُ:

إنَّ بَجيلا كلَّما هَجانى ... مِلْتُ على الأغطش أو أَبَان
أو طَلْحة الخَيرِ فَتَى الفِتْيَان ... أَولاكَ قومٌ شَأنُهُمْ كَشَانِى
ما نلْت مَن أعراضِهم كَفانِى ... وإن سكَتُّ عرَفوا إِحْسانى

وقال أحدُ المحْدَثينَ:

إنّى إذا هَرَّ كَلبُ الْحَى قلتُ له: ... اسِلمْ. ورَبكَ مَخْنُوقٌ على الجرَرِ

قوله: «اسْلَمْ» فاستأنف بألف الوصل؛ لأن النصفَ الأول موقوفٌ عليه.

قال الشاعرُ:

ولا يبُادرُ فى الشّتاءِ وليدنا[5] ... القِدْرَ يُنْزِلها بغير جِعَالِ

الجِعَالُ: الذى تنْزَل[6] به البُرْمَة، وربما تُوقّيَتْ به حرارتها.

قال الراجز:

لا نَسَبَ اليومَ ولا خُلَّةٌ ... اتَّسَعَ الخَرقُ على الراقِعِ

وهذا كثير غيرُ مَعيب.

* * *

وفى مثل اختيار النبيل لتكافؤ الأغراض[7] قول الأخطل:

(١) ر: «عجزوا». وما أثبته عن الأصل. س.
(٢) ر. س: «برفعة نفسه»، وهذه رواية الأصل.
(٣) كلمة « عنه » ساقطة من ر .
(٤) الذحول: «جمع ذحل» وهو الثأر.
(٥) ر: «وليدها».
(٦) ر: «الذى بوضع فيه البرمة». وما أثبته عن الأصل. س.
(٧) ر: «لتتكافأ» . وما أثبته عن الأصل . س .

شَفَى النَّفْسَ قَتْلَى منْ سُلَيْمٍ وعامرٍ ... ولم يَشفها قَتْلى غَنيٍّ ولاجَسْرِ
ولا جُشَمٍ شَرِّ القبائلِ إنها ... كبَيْضِ القَطا ليسوا بسُودٍ ولا حُمْرِ
ولَوْ ببَنِى ذُبْيَانَ بُلَّتْ رِمَاحُنا ... لَقَرَّتْ بهمْ عينى وباءَ بهمْ وتْرِى

* * *

وقال رجلٌ من المحْدَثِينَ. وهو حمْدانُ بن أبانَ اللاحقيُّ:

أَلَيسَ من الكبائر أنَّ وَغْداً ... لآل مُعَذَّل يهجو سَدُوسَا
هجا عرْضًا لهمْ غَضًّا جَديدًا ... وأَهْدَفَ عِرْضَ والدهِ اللَّبيسَا

* * *

وقال آخر:

اللُّؤْمُ أَكْرَمُ من وَبْرٍ ووالده ... واللؤْم أكرم من وَبر ومَا وَلَدَا
قَومٌ إذا جَرَّ جاني قومهمْ أمنُوا ... من لؤم أحْسابهمْ أن يُقتلُوا قَوَدَا
اللُّؤْم داءٌ لوَبْرٍ يُقْتَلونَ به ... لا يُقْتلون بداءٍ غيرِهِ أبَدا(١)

* * *

وقال رجل من المحْدَثين(٢):

أمَّا الهجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ ... والمدْحُ عنك كما عَلمْتَ جَليلُ
فاذهبْ فأنت طليق(٣) عِرْضِكَ إنَّه ... عِرْضٌ عَزَزْتَ به وأنتَ ذَليلُ

* * *

وقال آخرُ:

نُبِّئْتُ كلبًا هاب رَمْيِى له ... يَنْبحُنى من موضعٍ نائى
لَوْ كنتَ من شيءٍ هَجَوْناكَ أَو ... لَوْ بِنْتَ لِلسَّامعِ والرائى
فعدِّ عن شتْمِى فإنى امرُؤٌ ... حَلَّمنى قِلَّةُ أكْفائى

---

(١) ر: «اللؤم».

(٢) ر: «وقال أحد المحدثين»؛ وفى الزيادات: «هو دعبل».

(٣) ز: «عقيق عرضك».

وقال آخر(١):

فلــو أني بُلِــيتُ بهـــاشـــمىٍّ ... خَــؤُولَتُــهُ بنو عَــبْــدِ المَدَانِ
صَــبَــرْتُ عــلى عِـداوتـهِ ولكنْ ... تَعــالَىْ فــانظـرى بمن ابتــلانِى

* * *

[من أخبار ذوى الحلم]

ووقف رجل عليه مُقَطَّعَـاتٌ على الأحْنَف بن قَيْسٍ يسبُّهُ ـ وكـان عَمرُو بن الأهْتمِ جعل له ألفَ درهم علـى أن يُسَفِّهَ الأحنفَ ـ فجـعل لا يألو أن يسبّه سـبًّا يُغْضب، والأحنفُ مُـطْرِقٌ لا يكلمه(٢). فلمـا رآه لا يكلمـه أقـبلَ الرجلُ يعضُّ إبهامه(٣) ويقولُ: يا سَوْأَتاه! والله ما يمنعه من جوابى إلا هوَانى عليه!

* * *

وفعَل ذلك آخرُ. فأمسكَ عنه الأحنفُ، فأكْثرَ الرجل، إلى أن أراد الأحنفُ القيامَ للغَداء؛ فـأقبل على الرجل، فقال له: يا هذا! إن غَداءَنَا قـد حضَر فانْهَضْ بنا إليه إن شئْتَ، فإنكَ مُذُ اليوم تحْدُر بحمل ثفَال.

والثِّفَالُ من الإبل: البطِيءُ الثقيلُ الَّذِى لا يكادُ ينْبَعث.

* * *

وعُدَّتْ على الأحنفِ سَـقْطةٌ فى هذا الباب، وهو أن عـمرَو بن الأَهْتَم دَسَّ إليه رجلا ليسفهه، فقال له: يا أبا بَحْرٍ(٤)، ما كان أبوك فى قومه؟ قال: كان من أوسطهم، لم يسدْهُم، ولم يتخلَّفْ عنهم، فرجع إليه ثانية، ففطنَ الأحنفُ أنه من قبل عمرو. فقال: ما كان مالُ أبيك؟ فقال: كانت له صِرْمَةٌ(٥) يمنح منها ويقرى، ولم يك أَهْتمَ سلاحًا(٦).

* * *

(١) زيادات ر: «هو دعبل».

(٢) لفظ «لا يكلمه» ساقط من ر.

(٣) ر: «إيهامه».

(٤) ر: «أبا بحر».

(٥) الصرمة: القطعة من الإبل لم تبلغ السنين.

(٦) السلاح. كثير السلح. يعرض بأبى عمرو.

وجُعلَ لرجل ألفُ درهم على أن يسألَ عمرَو بن العاص عن أُمِّه ـ ولم تكن في موضعٍ مَرْضيٍّ [إنما كانت من عَنَزَة، ثم من بني جِلاَّنَ][1] ـ فأتاه الرجل، وهو بمصر أميرًا عليها. فقال: أردت أن أعرفَ أمَّ الأمير، فقال: نعم، كانت [امرأة][1]، من عَنَزَة. ثم من بني جِلاَّن. تُسَمَّى ليْلى وتلقَّبُ النابغة، اذْهَب فخذ[2] مَا جُعِل لك.

* * *

وقال له مرةً المنذر بن الجارود: أي رجل أنتَ لولا أمُّك! قال: فإني أحمدُ اللهَ إليك، إني فكَّرْتُ فيها[3] البارحةَ. فأقبلتُ أَنقُلُها في قبائلِ العرب. فما خَطَرَتْ لي عبدُ القيس ببال[4].

* * *

ودخل عمرو مكةَ فرأى قومًا من قريش قد جلسوا حَلْقَةً، فلما رأوه رَمَوهُ بأبصارهم، فَعَدل إليهم فقال: أَحْسَبُكُم كنتم في شيء من ذكري! قالوا: أجَل. كنا نمثل[5] بينك وبين أخيك هشام أَيُّكما أَفضل؟ فقال عمرٌو: إنَّ لهشام عليَّ أربعةً: أمُّه ابنة هشام بن المغيرة، وأمِّي مَنْ قد عرَفتم، وكان أحبَّ إلى أبيه مني، وقد عرفتم معرفة الوالدِ بالولدِ، وأسلمَ قبلي، واسْتُشْهدَ وبَقيتُ.

* * *

قال أبو العباس: وقد أكثر الناس في الباب الذي ذكرناه، وإنما نذكُر من الشيْء وجوهه ونوادرَه.

قال رجلٌ لرجل من آل الزبير كلامًا أَقْذَعَ له فيه. فأعرضَ الزبيريُّ عنه. ثم دار كلامٌ فسبَّ الزبيريُّ عليَّ بن الحسين. فأعرضَ عنه. فقال له الرجل الزبيري: ما يمنعك من جوابي؟ فقال علي: ما منعكَ من جواب الرجل!

* * *

(١) تكملة من الأصل. س.
(٢) ر: «وخذ».
(٣) ر. «في هذا».
(٤) ر: «على بال».
(٥) ر «نميل».

وقد رُوى قولُ القائل: لو قلتَ واحدة لسمـعتَ عشرًا. فقال له: ولكنك لو قلتَ عشرًا ما سمعتَ واحدة.

وقال الشاعرُ:

ولقـد أمُـرُّ على اللـئيم يسُـبّنِى ... فـأجـوزُ ثُمَّ أقـولُ لا يَعْنـينى

* * *

وقال رجلٌ لرجلٍ ـ وسَـبَّه فلم يلتفتْ إليه ـ: إياك أَعنى. فـقال له الرجلُ: وعنكَ أُعْرِض.

* * *

فأما قولُ الشَّعْبِيِّ للرجلِ ما قال فـمنْ غَيْرِ هذا الباب، وإنما مَخْرَجُه الدِّيانةُ. وذاك أن رجلا سبَّ الشعبىَّ بأمور قبيحة نسبه إليها. فقال له[1] الشعبىُّ: إن كنتَ كاذبًا فغفر اللهُ لك. وإن كنتَ صادقًا فغفَر اللهُ لى.

* * *

وقال أبو العـباس: قال رجلٌ لأبى بكر الصـديق رحمه اللهُ: لأَسُبَّنَّكَ سَـبًّا يَدخلُ معك قبرَك. فقال: معكَ واللهِ يدخلُ لا معى.

* * *

[ويُحَدِّثُ ابنُ عائشة عن أبيه: أن رجلا من أهل الشام دخل المدينةَ. فقال: رأيت رجلا على بغلة لم أرَ أحـسنَ وجهًا ولا أحسنَ لبـاسًا ولا أفْرَهَ مَرْكـبًا منه. فسألت عنه. فقيل لىَ: الحسنُ بن على بن أبى طالب. فامتلأتُ له بُغْضًا. فَصرْتُ إليـه. فقلتُ: أأنـت ابنُ أبى طالب؟ فقـال: أنا ابنُ ابنه. فـقلتُ له: فـيك وبك وبأبيك. أسُـبُّهـما. فـقال: أحُـسبك غـريبًـا! قلتُ: أَجَلْ. فقـال: إن لنا منزلا واسعًا، ومعونَةً على الحاجة ومالا نُوَاسِى منه. فانطلقْتُ وما أجِدُ على وجهِ الأرض أَحبَّ إلىَّ منه][2].

* * *

(١) ساقطة من ر.

(٢) ما بين العلامتين من زيادات ر.

قال أبو العباس: ويتـصل بهذا الباب ذكْرُ من رغِبَ برجـلٍ عـن إرثِ رجـلٍ لا يُشَاكله. وولاية رجلٍ لا يشابهُه. قال الشاعر[1]:

بكتْ دار بِشْـر شَجْـوَها أنْ تبـدَّلَتْ ... هلالَ بن قَـعْـقَاع بـبشْـرِ بن غـالبِ
ومـــا هيَ إلا كـالـعـروس تنـقَّلتْ ... على رَغمها من هاشمٍ فى محاربِ[2]

[للفرزدق حين ولى ابن هبيرة العراق]

وقـال الفـرزدقُ حين وَلى العِراقَ عـمرُ بن هُبَيْرَة الفزارىُّ بَعـقِب مَسْلَمة بن عبد الملك[3]:

راحتْ بمَسْلَمَـةَ البـغـال عُـشَيَّـةً[4] ... فـــارْعَىْ فـــزارةُ لا هَنَاكِ المَـرْتَعُ!
ولقـد علـمتُ إذا فـزارة أمِّـرتْ[5] ... أنْ سوفَ يطمَعُ فى الإمارة أَشْجَع[6]
فـأرى الأمور تنكرتْ أعـلامُهَـا[7] ... حـتى أمَـيَّـــة عـن فـزارةَ تُنْزَعَ
عـزل ابنُ بِشْـر وابنُ عـمـرو قبلَه ... وأخـــو هراةَ لمثلهــــا يَتَــــوَقَّعُ

فلما وَلى خالدُ بن عـبد الله القَسْرىُّ على عُمَر بن هُبَـيْرَة. قال رجل[8] من بنى أسد يجيب الفرزدق:

عــجبَ الفرزدقُ من فَـزارة أن رأى ... عنهـــا أُمَـــيَّــــة بالمشــــارق تُنْزَعَ

(١) هو إسماعيل بن عمار بن عيينة الأسدى؛ نسبه أبو تمام إليه فى الحماسة ص ١٥١٣ ـ بشرح المرزوقى.

(٢) قال المرزوقى: شجوها. انتـصب على أنه مفعول به. والشاعر يفـضل بشرا على هلال؛ يقول: إن الدار التى كان يستوطنها بشر لما رحل عنها وصار فـيها بدلا منه هلال ـ بكت وتحسرت. وحق لها ذلك؛ فما هى فى استبدالها إلا كعروس زوجت من بنى هاشم ثم انتقلت إلى محارب. ومحارب: قبيلة فيها ضعة وخمول.

(٣) ديوانه ٥٠٨ : «حين عزل عبد الملك بن بشر بن مروان عن البصرة وسعيد بن عمرو بن الحارث بن الحكم ابن أبى العاص عن الكوفة. وسار مسلمة من العراق إلى الشـام، وولى العراق عمر بن هبيرة الفزارى». مع اختلاف فى ترتيب الأبيات.

(٤) الديوان:

* ومَضَتْ لِمَسْلَمَة الرِّكابُ مُوَدَّعًا *

(٥) الديوان: «لئن فزارة أمرت».

(٦) ر «يطمع».

(٧) الديوان:

* إنَّ القيامَةَ قدْ دَنَتْ أشْرَاطُها *

(٨) نسبها المرصفى إلى إسماعيل بن عمار الأسدى.

فَلَقــد رأى عجــبًــا وأُحْدثَ بعــدَه		أمــرٌ تَضــجُّ له القلـوبُ وتَفْــزَعُ
بكَت المنابـرُ من فَـزارة شَـجْـوَهَا		فـاليـومَ من قسْـر تَذُوبُ وتجـزَع
وملوكُ خنْدفَ أَسْلَمـونَا للعدَى(١)		لله دَرُّ ملـوكنـا مـــــا تَصْنَعُ!
كــانوا كـتَـارِكَـة بَنِـيـهـا جَـانِبًـا		سَـفهًـا وغيْـرَهُمُ تَصُـونُ وترْضِعُ

[للفرزدق أيضا فى هجاء عمرو بن هبيرة]

قال أبو العـباس: وكان الفرزدقُ هَجَّاءً لعـمرَ بن هُبَيْرَة عند ولايـته العراقَ، وفى ذلك يقول ليزيدَ بن عبد الملك:

أمـــيــــرَ المؤمـنينَ وأَنـت بَرٌّ		أَمــيٌن لـستَ بالطَّبـع الحـريص
أَأَطْعَــــمْتَ العــراقَ ورافـــدَيْه		فــزاريًّا أحَـذَّ يد الـقـمــيص(٢)
تَفَــــهَّقَ بالعــــرَاق أبو المُثَنَّى		وعَلَّم قـــومَــهُ أَكْلَ الخَـــبِـيصِ
ولـم يَك قـبلَـهـا راعِى مَـخَـاضٍ		لــيـــأمَـنه علـى وَرِكَىْ قـلوص

قوله: «لست بالطَّبع الْحريص». فالطبع: الشديد الطمع الذى لا يفهمُ لشدة طمعه. وإنما أخـذ هذا من طبع السيف، يقال: طَبعَ السيـفُ، يا فتى! وهو سيفٌ طبع، إذا ركبه الصَّدأ حتَّى يُغَطِّيَ عليه. والمَثلُ من هذا فى الذى طبع على قلبه إنما هو تغطيةٌ وحجابٌ. يقُال: طَبَع الله على قلب فـلان. كما قال جلَّ وعزَّ: ﴿خَتَمَ اللهُ على قُلوبهم وعَـلى سَمْـعهم﴾. هذا الوقف. ثـم قـال: ﴿وعَلَى أَبصارهم غشَاوَةٌ﴾(٣) وكذلك: رِينَ عَـلَى قلبه، وغينَ على قلبـه؛ فالرَّيْنُ يكونُ من أشـياءَ تَأَلَفُ عليـه فتـغطيه. قـال الله جلَّ وعزَّ: ﴿كـلا بل رَان علَى قُلـوبهم مَـا كـانُوا يكْسُبُون﴾(٤). وأما «غينَ على قلبه». فـهى غِشاوةٌ تعترِيه. والـغَيْنَةُ: القطعة من الشجَر الملتفّ تُغَطى ما تحتهَا، قال الشاعر:

كـأَنِّى بَيْـنَ خـافِـيَـتَىْ عُـقَـابِ		أَصـابَ حَـمامـةً فى يومِ غَـيْنِ(٥)

(١) ر: «ذللتنا للعدى».
(٢) ر: «أأطمعت». وما أثبته عن الأصل. س.
(٣) سورة البقرة ٧ . وفى ر. «طبع الله على قلوبهم». وهو مخالف للتلاوة.
(٤) سوة المطففين ١٤ .
(٥) نسبه المرصفى إلى رجل من تغلب يصف فرسا. وذكر قبله.

وقالَ بعضُهم: أرادَ فى التفاف من الظُّلْمة. وقال آخرونَ: أراد فى يوم غيم. فأبدل من الميم نونًا. لاجتماع الميم والنون فى الغُنَّة. كما يقالُ للحيَّة: أيمٌ. وأينٌ. واستجازت الشعراءُ أن تَجْمعَ الميم والنونَ فى القوافِى. لما ذكرتُ لك من اجتماعهما فى الغُنَّة. قال الراجز:

بُنىّ إن البِرَّ شىءٌ هيِّنْ ... الْمَنْطِقُ اللَّيِّنُ والطُّعَيِّمُ

وقال آخرُ[1]:

ما تَنْقِمُ الحربُ العَوَانُ مِنِّى ... بازلُ عامَيْن حديثٌ سِنِّى[2]

* لِمِثْلِ هذا وَلَدتنِى أُمِّى *

والعِرَاقَانِ: البصرة والكوفة. والرَّافِدَانِ: دِجْلَة والفراتُ.

وقوله: «أَحَذَّ يدِ القميصِ»، الأحَذ: الخفيفُ. قال طَرَفَة:

* وأَتْلَعُ نهَّاضٌ أَحَذ: مُلَمْلَمُ *[3].

وإنما نَسَبه بالخفة فى يدِه إلى السرقة[4].

وقوله: «تَفهَّقَ»، أى امتلأ مالا[5]. يقال: بئر تَفْهَقُ. وغَديرٌ يَفْهَقُ، إذا امتلأ ماءً. قال الراجزُ:

لا ذَنْبَ لىِ قد قلتُ للقومِ استَقُوا ... والقَوْمُ فى عُرْض غَديرٍ يَفْهَقُ

وقال الأعشى فى مدحه المحلق بن حنتم أحد بنى أبى بكر بن كلاب:

نفَى الذَّمَّ عن رَهْطِ المَحلَّقِ جَفْنَةٌ ... كجابِيَةِ الشيخِ العِرَاقِىَ تَفْهقُ

= فداءٌ خالتى وَفِدًا صديقى ... وَأَهْلِى كُلُّهم لِبَنى قُعَيْن
فأنْتَ حَبَوْتَنى بعنانِ طِرْف ... شديد الشدِّ ذى بذل وَصَوْنِ

(١) نقل المرصفى عن ابن سيده. أنه أبو جهل بن هشام.

(٢) البازل من الإبل: ما استكمل السنة الثامنة. وطعن فى التاسعة. فإذا جاوز البزول قيل بازل عام أو عامين؛ وكذلك ما زاد؛ فإذا قيل ذلك للرجل فإنه يراد استكمال شبابه. قاله المرصفى.

(٣) رواية البيت بتمامه. كما فى ديوانه (٥٦ ـ مجموعة العقد الثمين).

وأَرْوَعُ نبَّاضٌ أحَدُّ مُلَمْلَمٌ ... كمِرْداةِ صَخْر منْ صَفِيحٍ مُصَمَّدِ

(٤) ر: «السرق». (٥) ر: «ماء».

هكذا فى رواية أبى عُبيدة.

وقوله:

ولم يَك قبْلَها راعِى مَخاضٍ ... لِيَأْمَنَهُ على وَرِكَىْ قَلوص

كانت بنو فَزارَةَ تُرمَى بِغشيانِ الإبل. ولذلك قال ابنُ دَارَةَ:

لا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَوْتَ به ... على قُلوصِكَ واكتُبْها بأَسْيَارِ

[للفرزدق أيضا فى حبس عمر بن هبيرة]

فلما عزل ابن هبيرة وحبسه خالد بن عبد الله القسرى قال الفرزدق:

لعمرى لئن نابتْ فَزَارَةَ نَوْبَةٌ ... لَمِنْ حَدَثَ الأيامِ تَحبِسُها قَسْرُ
لقد حَبَس القَسْرِىُّ فى سجن واسط ... فَتًى شَيْظَمِيًّا ما يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ
فَتى لم تربُه النصارَى ولم يكنْ ... غِذاءٌ له لحمُ الخنازيرِ والخمْرُ

قوله: (١فتى شيظميا١) . الشَّيْظمىُّ: الطويلُ. قال ذو الرُّمَّة:

إذا ما رَمَيْنا رَمْيَةً فى مفَازَةٍ ... عَرَاقِيبها بالشَّيْظَمِىِّ المواشِكِ(٢)

يريدُ حاديًا يَسُوقُها، وقوله: «ما يُنَهْنِهُهُ الزَّجرُ». يقول: ما يُحَرِّكه.

وقوله: «فَتى لم تُرَبْهُ النصارى» يُنَبِّه به على أمِّ خالد، وكانت نصرانيةً روميَّة، وكان أبوه استَلَبها فى يوم عيد للرُّوم، فأَوْلدها خالدًا وأَسَدًا، ولذلك يقولُ الفرزدقُ:

ألا قطَعَ الرحمنُ ظهرَ مَطِيَّة ... أتتْنا تَهادى من دِمَشقَ بخالد
وكيفَ يَؤُمُّ الناسَ مَنْ كانت امُّهُ ... تَدينُ بأَنَّ اللهَ ليس بواحد!
بَنى بيعَةً فيها النَّصارَى لأمِّه ... ويَهْدِمُ من كُفْر مَنارَ المَساجِدِ

وقال:

عليكَ أميرَ المؤمنين بخالد ... وأصحابه لا طهَّر اللهُ خالدَا
بَنَى بيعةً فيها الصَّليبُ لأمِّهِ ... ويَهْدِمُ مِن بُغْضِ الصلاةِ المساجدَا

(١ ـ ١) ساقط من ر.

(٢) ديوانه ٤٢٦. والمواشك: السريع.

وكان سببُ هَدم خالد مَنار المساجد حتى حَطها عن دُورِ الناس أنه بلغه شـ
لرجلٍ من الموالى. موالى الأنصار. وهو :

ليــتنى فى الْمُــؤَذِّنِينَ حَـيَــاتِى ، إنهم يُبْـصِـرونَ مَـنْ فى السُّطوح
فَـيُـشِــيـرونَ أو تُشـيــرُ إليـهم بالـهَـــوى كـلُّ ذاتِ دَلٍّ مَلِـيح

فحطها عن دُور الناس. ويُرْوَى عنه فِيما رُوِيَ من عتُوِّه أنهُ استُعْفِيَ من بـ
بناها لأمِّه. فقال لملإٍ منَ المسلمين: قَبحَ اللهُ دينهم، إن كان شَرًّا من دينكم!.

* * *

[للفرزدق عند هروبه من سجن ابن هبيرة]

وقال الفرزدقُ لابن هُـبَيْرَةَ حينَ[1] نُقِبَ له الســجنُ وهرب، فسـار[2] تحـ
الأرض هو وابنه حتى نَفَذا[3]:

لَمَّـا رأيتَ الأرضَ قـد سُــدَّ ظهْـرها ولم يَبْقَ إلا بـطنَهـا لـك مَـخْــرَ
دعَــوْتَ الذى ناداه يونُسُ بـعـدَ مــا ثوَى فى ثلاث مُـظْلمـات فَـفــرَّ
فأصبحتَ تحتَ الأرضِ قد سرْتَ سيرةً ومـا سار سـارٍ مثـلها حيْن أدْلَجَـ
خــرجتَ ولم يَـمْنُنْ علـيكَ طَلاَقَــةً سوى رَبَد التَّقْرِيبِ من نَسْلِ أعْوَجَ

فقـال ابنُ هُبَيرة: مـا رأيتُ أشرفَ من الفـرزدق! هجانِى أميـرًا. ومد
أسيرًا.

قـولُه: «حـيثُ أدْلَجَـا». تقـولُ: أدْلجْتُ، إذا سـرتَ فى[6] أول اللـ
وادَّلجْتُ، إذا سرتَ من آخره فى السَّحر. قال زُهَيْرٌ:

---

(١) ر: « حيث » .

(٢) ر: «وسار».

(٣) وانظر أيضا خبر هذه الأبيات بتفصيل أوسع فى الديوان ١٤١ .

(٤) ر: «حيث أدلجا». وهذه رواية الأصل والديوان.

(٥) ر: الديوان: «من آل أعوجا».

(٦) ر: «من».

بكَرْنَ بُكوراً وادّلَجن بسُحْرَةٍ فُهنَّ لِوَادى الرَّسِّ كالـيدِ للفَم

وأَعْوَجُ فرسٌ كان لِغَنِىٍّ، وقالوا: كان لبنى كلاب. ولا يُنْكَرُ هذا. لأن خبيبة[1] بنت رِيَاح الغَنَوِيَّة ولدَتْ بنِى جعفر بن كلاب. فَلعلّه أن يكونَ صارَ إلى بنى جعفر بن كلابٍ من غَنِىٍّ.

والعربُ تَنْسُبُ الخَيْلَ الجيادَ إلى أَعْوجَ، وإلى الوَجِيه، ولاحِق. والغرابِ. واليَحْموم. وما أشبهَ هذه الخيلَ من المتقدماتِ. قال زَيْدُ الخيْل:

جَلَبْنَا الخيلَ من أجأ وسَلمى تخبُّ نَزَائعًا خَبَبَ الذئاب[2]
جلَبْنَا كلّ طِرْفٍ أَعْوَجىٍّ وسَلْهَبةٍ كخافِيَّةِ العُقَابِ[3]

* * *

ثم نرجعُ إلى التشبيه المصيب؛ قال امرؤُ القيس فى طول الليل:

كأنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فى مَصَامِها بأمْرَاس كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدلِ

فهذا فى ثَبات الليل وإقامته. والمصَامُ: المقَامُ. وقيل للممسك عن الطعام: صائم، لثباته على ذلك، ويقال: صامَ النهارُ إذا قامت الشمسُ. قال امرؤُ الفيس:

فَدَعْها وسل الهمَّ عنك بِجَسْرةٍ ذَمُولٍ إذا صامَ النهارُ وهَجَّرا

وقال النابغة:

خَيْلٌ صِيامٌ وخَيْلٌ غيرُ صائمةٍ تحت العَجَاج وخيلٌ تَعْلُكُ اللُّجَما

والأمراسُ: جمع مَرَس. وهو الحبلُ. قال أبو زُبيْدٍ يرثى غلامهَ ويذكر تعرضه للحرب[4]:

إمَّا تُقَارَنْ بكَ الرّماحُ فلا أبكيكَ إلا لِلدَّلْوِ والمرَس[5]

* * *

(١) ر: « حبيبة ». وما أثبته عن الأصل.
(٢) النزائع: جمع نزيعة، وهى التى تنزع إلى وطنها وتحن إليه.
(٣) السلهبة، والسلهب أيضا الفرس الطويل.
(٤) ر: «وتعرض للحرب فقتل».
(٥) ر: «إما تعلق». وما أثبته رواية الأصل. س

وقال فى ثَبات الليل:

فيَـالَكَ من لـيلٍ كـأنّ نُجـومَـهُ　　بكل مُـغـارِ الفَتْلِ شُـدَّت بَيـذْبُل

المُغارُ: الشديدُ الفَتْلِ. يقال: أَغَـرْتُ الحبلَ. إذا شددتَ فتْله. ويَذْبُلِ: جبل بعينه.

* * *

وقال أيضًا :

كـأنَّ أبـانًا فى أفـانـين وَدْقـه　　كـبـيـر أناسٍ فى بجَـادِ مُـزمَّلِ

أبانٌ جبل. وهما أبانَان: أبانٌ الأسْوَد. وأبانٌ الأبيض، قال المُهَلْهِلُ[1] ـ وكان نزَلَ فى آخرِ حـربِهم ـ حربَ البَـسوسِ ـ فى جَنْب بنِ عَمْـرو بن عُلَةَ بن جَلْد بن مالك، وهو مَذْحِجٌ. وجَنْبٌ حَىٌّ من أحيائهم وَضيعٌ ـ فخُطِبَت ابنتُه ومُهِرَت أَدَمًا فلم يقدر على الامتناع، فزوَّجَها، وقال:

أنْكَحَـهـا فَـقْـدُها الأراقِم فى　　جَنْبٍ وكـان الْـحـبـاءُ من أَدَم[2]

لو بِأَبـانَيْنِ جـاءَ يخطُبُـهـا　　ضُـرِّجَ مـا أَنْفُ خـاطبٍ بدَمِ

وقوله: «فى أفـانين ودقه» يريد ضروبا من ودقـه. والودق: المطر. قال الله تبارك وتعالى: ﴿**فترى الودق يخرج من خلاله**﴾[3].

وقال عامر بن جوين الطائى :

فَـلا مُـزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَـهـا　　ولا أرضَ أَبْقَـلَ إبْقـالـهـا

وقوله:

* كَبيرُ أُناَس فى بجَاد مُزَمَّلِ *

يريدُ مُزَمَّـلا بثيابه. قال الله تبـارك وتعالى: ﴿**يأَيُّهـا المُزَّمِّـلُ * قُم اللَّيلَ إلا قليلا**﴾[4]. وهو المُتَزَمِّـل. بثـيابـه[5] والتـاء مـدغمـةٌ فـى الـزاى. وإنما وَصَفَ

(١) ر : «مهلهل».

(٢) الأراقم : قبائل من تغلب؛ ويريد بالحباء هنا المهر. والأدم: الجلد.

(٣) سورة النور ٤٣ .　(٤) سورة المزمل ١ ، ٢ .

(٥) ساقطة من ر .

امرؤُ القيس الغيثَ. فقال قومٌ: أراد أنَّ المطر قد حَنَقَ الجبلَ فصار له كاللباس على الشيخ المتزَمِّل.

وقال آخرون: إنما أراد ما كساه المطَرُ من خُضرة النبت. وكلاهما حَسَنٌ، وذَكر الوَدْق لأن تلك الخضرة من عمله.

* * *

وقال الراجزُ يصفُ غيْمًا:

أقْبَلَ فى المسْتَنِّ من رَبابِهِ ... أَسْنِمَةُ الآمال فى سَحابِهِ

أراد أنّ ذلك السحابَ يُنْبتُ ما تأكله الإبل، فتصيرُ شُحومُها فى أسنمتها.

والرَّبابُ سحابٌ دُوَيْنَ المُعْظَم من السحاب، قال المازنىُّ[1]:

كأنَّ الربابُ دُوَينَ السَّحَابِ ... نَعَامٌ يُعَلَّقُ بالأرْجُلِ

وقوله جل وعزَّ: ﴿إِنِّى أَرَانِى أَعْصِرُ خَمرًا﴾[2] أى أعصرُ عِنبًا فيصيرُ إلى هذه الحال.

* * *

وقال زُهَيرٌ:

كأنَّ فُتَاتَ العِهْنِ فى كل مَنزلٍ ... نَزَلْنَ به حَبُّ الفَنَا لم يُحَطَّمِ

الفَنَا: شجرٌ بعينه، يُثْمِرُ ثمرًا أحمرَ ثم يتفرَّقُ فى هيئة النّبِق الصّغار. فهذا من أحسن التشبيه. وإنما وصفَ ما يسقُطُ من أنماطِهِنَّ إذا نَزلْنَ.

والعِهْنُ: الصُّوف المُلَوَّن فى قول أكثر أهل اللغة. وأما الأصمعىُّ فقال: كلُّ صوف عهنٌ. وكذلك قال أهلُ اللغة: الحنْتَمُ الخَزَفُ الأخضرُ. وقال الأصمعىُّ: كلُّ خَزَفٍ حنتمٌ. قال القُرَشىُّ[3]:

مَنْ مُبْلغُ الحسْناءِ أنَّ حَليلَها ... بمَيْسَانَ يُسْقَى فى زُجاج وحَنْتَمِ

---

(١) نقل المرصفى من الأغانى أنه زهير بن عروة بن جلهمة.

(٢) سورة يوسف ٣٦ .

(٣) نسبه المرصفى إلى النعمان بن عدى بن نضلة.

وقال جريرٌ :

ما فـى مَقامِ ديار تَـغْلِبَ مَسْـجدٌ   وبهـــــا كنـائِسُ حَـنْتَـمٍ ودِنان

* * *

والتشبيهُ جـار كثيرٌ فى كلام العربِ، حتى لو قالَ قـائلٌ: هو أكثر كلامِهِمْ، لم يُبْعِدْ.

قـال الله عـز وجلَّ وله المَثَلُ الأعْلَى: ﴿الزُّجاجَةُ كـأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾[1]. وقال: ﴿طَلْعُهـا كأَنَّهُ رُءوسُ الشَّياطين﴾[2]. وقد اعـترضَ معتـرضٌ من الجهلة المُلْحدين، فى هذه الآية. فـقال: إنما يَمَّثَّلُ الغائبُ بالحاضـرِ، ورءوس الشياطين لم نَرَهَا، فكيف يَقَعُ التمثيلُ بها!

وهؤلاء فى هذا القـول كما قـال الله جلَّ وعزَّ: ﴿بل كَذَّبْوا بمَا لـم يُحيطُوا بعلْمـه ولَمَّـا يَأتهمْ تأويلُهُ﴾[3]. وهذه الآيةُ قـد جاء تفسـيرها على ضـربين[4]. أحدهَمَا أن شجرًا يقال له الأسْتَنُّ[5]. منكَرُ الصورة يقالُ لثمره: رءوس الشياطين، وهو الذى ذكره النابغةُ فى قوله:

* تَحيدُ مِن أَسْتَن سُودٍ أسَافِلُهُ *[6].

وزعم الأصمعىُّ أن هذا الشجَر يسمى الصَّوْمَ.

والقولُ الآخرُ ـ وهو الذى يَسْـبقُ إلى القلب ـ أن الله جَلَّ ذكرُه شَنَّعَ صورة الشياطين في قُلوب العبادِ. فكان[7] ذلك أبلغَ من المعايَنةِ، ثم مَثَّلَ هذه الشجرة بما تَنْفرِ منه كلُّ نفس.

---

(١) سورة النور ٣٥ .   (٢) سورة الصافات ٦٥ .   (٣) سورة يونس ٣٩ .

(٤) ر : «فى ضربين». وما أثبته عن الأصل. س.

(٥) نقل المرصفى عن أبى حنيفة الدينورى أنالأستن شجر يفشـو فى منابته ويكثر، إذا نظر إليه الناظر من بعيد شبهه بشخوص الناس.

(٦) بقيته :

* مثل الإماء الغوادى تحمل الحزما *

(٧) ر «وكان».

[حديث أبى النجم العجلى مع هشام بن عبد الملك]

قال أبو العباس: وحُدِّثْتُ فى إسنادٍ متصل أن أبا النَّجْمِ العِجْلىَّ أنشدَ هشاما[1]:

* والشمسُ قد صارتْ كعَيْنِ الأحْوَلِ *

لما ذهبَ به الرَّوِىُّ عن الفكر فى عين هشامٍ، فأغضبَه، فأمَرَ بطرده. فطُرِد[2]. فأقَلَ أبو النَّجمِ رَجعتَهُ. فكان[3] يأوى المسجدَ[4]، فأرقَ هشامٌ[5] ذات ليلة فقال لحاجبه: أبْغِنى رجلا عَرَبيًّا فصيحًا يحادثُنى ويُنْشدُنى. فطَلَبَ له ما طَلَبَ، فوَقَفَ على أبى النَّجم، فَأتى. فلما دُخِلَ به إليه قال: أين تكون منذُ أقصيناكَ؟ قال: بحيثُ ألفتْنى رُسُلكَ، قال: فمَن كان أبا مَثْوَاكَ؟ قال: رَجُلين: كَلْبيًّا وتَغْلَبِيًّا. أتَغدَّى عند أحدهما. وأتعشىَّ عند الآخرِ. فقال له: مالَكَ منَ الولَدِ؟ قال: ابنتان. قال: أزَوَّجْتَهما؟ قال: زوَّجتُ إحداهما. قال: فيم أوصيْتَها؟ قال: قلتُ لها ليلةَ أهْدَيْتُها:

سُبِّى الحماةَ وابْهَتى عليهَا ... وإنَّ أبَتْ فازْدَلفى إليهَا
ثم اقْرَعِى بالوُدِّ مرْفَقيهْا[6] ... وجَدِّدِى الْحِلْفَ به عليهَا

* لاَ تُخْبرى الدهرَ بذاكَ ابْنَيْهَا *

قال: أفأوصيتَهَا بغيرِ هذا؟ قال: نَعم، قلت:

أوْصَيْتُ من بَرَّةَ قلبًا حُرًّا ... بالكَلْب خيرًا والحماة شرًّا
لا تَسْأمِى نَهكا لها وضَرًّا ... والحَىَّ عُمِّيهمْ بشَرٍّ طُرًّا
وإن كَسَوكِ ذهبًا ودُرًّا ... حتى يَرَوْا حُلْوَ الحياة مُرًّا

---

(١) ر: «هشام بن عبد الملك». من أرجوزته التى مطلعها.

* الْحَمْدُ لله الْعَلِىِّ الأجْلَلِ *

(٢) ساقطة من ر .
(٣) ر: «وكان».
(٤) ر: «المساجد».
(٥) ر: «أرق هشام ليلة».
(٦) الود: الوتد .

قال هشامٌ : ما هكذا أوْصَى يعقوبُ ولدَه، قال أبو النجم: ولا أنا كيعقوبَ، ولا بنتي كولده. قال: فما حالُ الأخرى؟ قال: قد دَرَجَتْ بين بيوت الحيِّ، وتنفعنا(١) في الرسالة والحاجة. قال: فما قلتَ فيها؟ قال: قلتُ:

كأنَّ ظَلامَةَ أختَ شَيبانْ ... يَتيمةٌ ووالداهَا حَيَّانْ
الرأسُ قَمْلٌ كله وصِئْبَانْ ... وليس في الرِّجْلَيْن إلا خَيْطَانْ

* فَهْيَ التي يُذْعر منها الشيطانْ *

قال: فقال هشام: يا غلام(٢)، ما فعلتِ الدنانير المختومة التي أمرتُك بقبضها؟ قال: ها هي عندي، ووزنُها خمسمائة. قال: فادفعْها إلى أبي النجم ليجعلهَا في رِجْلَيْ(٣) ظَلاَّمةَ مكانَ الخَيْطَيْن، أفلا تراهُ قال:

* فهْيَ التي يُذْعَرُ منها الشيطانْ *

وإن لم يَرَه. لما قرَّرَ في القلوب من نكارَته وشَنَاعَته! وقال آخرُ :

وفي البَقْلِ إن لم يَدْفَعِ الله شَرَّهُ ... شَيَاطين يَعْدُو بَعْضُهُنَّ على بعض

وزعَم أهلُ اللغة أنَّ كلَّ متمردٍ من جنٍّ أو إنس أو سَبُع(٤) أو حية(٤) يقال له شيطانٌ. وأن قوله: «تَشَيْطَنَ» إنما معناه تخَبَّثَ وتَنكَّر. وقد قال الله جل وعزَّ: ﴿شَيَاطِينَ الإِنْسِ والجِنِّ﴾(٥). قال الراجز:

أبْصَرْتُها تَلْتَهم الثُّعْبانَا ... شيطانةٌ تَزَوَّجَتْ شيطانًا

وقال امرؤُ القيس :

أتوعِدُني والمشْرَفِيُّ مُضَاجِعي ... ومَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كأنياب أَغْوَال!

والغولُ: لم يَخْبِرْ صادقٌ قطُّ أنه رآها.

* * *

ثم نرجعُ إلى تفسير شعر أبي النجم(٦):

---

(١) ر : «ونعتنا» . (٢) ر : «الحاجيه».
(٣) ر : «رجل». (٤) ساقطة من ر .
(٥) سورة الأنعام ١١٢ . (٦) ر : «وأقول أبي النجم».

قوله: * سُبِّى الحماةَ وابْهَتِى عليها *

إنما يريد: ابهَتيها، فوضَعَ «ابهتى» فى موضع «اكْذبى» فمن ثَمَّ وصلَها بـ «على».

والذى يُستعملُ فى صلَة الفعل اللام، لأنها لام الإضافة، تقول: «لزيدٍ ضربتُ» و «لعمرو أكرمتُ» والمعنى: عمرًا أكرَمتُ، وإنما[1] تقديره: إكرامى لعَمْرو. وضربى لزيد. فأجْرَى الفعلَ مُجْرَى المصدر، وأَحسنُ ما يكون ذلك إذا تقدَّمَ المفعول. لأن الفعل إنما يجىء وقد عَملَت اللامُ. كما قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿إنْ كُنْتُمْ للرُّؤيا تَعْبُرُونَ﴾[2]. وإن أُخِّرَ المفعولَ فهو عربى[3] حسنٌ. والقرآنُ محيطٌ بجميع[4] اللغات الفصيحة، قال الله جل وعزَّ: ﴿وأُمرْتُ لأنْ أكُونَ أوَّلَ المُسْلمينَ﴾[5] والنحويون يقولون فى قوله جل ثناؤه: ﴿قُلْ عَسَى أنْ يَكُونَ رَدفَ لَكمْ﴾[6]: إنما هو: رَدِفَكُمْ. وقال كُثيِّرٌ:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل

وحروفُ الخفضِ يُبْدلُ بعضها من بعض، إذا وقع الحرفان في معنًى فى بعض المواضع، قال الله جل ذكره: ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فى جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[7]، أى «عَلَى» ولكنَّ الجذوعَ إذا أحاطت دخلتْ «فى». لأنها للوعاء. يقال: «فلانٌ فى النَّخْلِ». أى قد أحاطَ به. قال الشاعر[8]:

هُمُ صَلَبُوا العَبْدِىَّ فى جذْعِ نخلة فلا عَطَسَت شَيْبانُ إلا بأَجْدَعَا

وقال الله جل وعز: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فيه﴾[9] أى عليه. وقال تبارك وتعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ منْ بَيْنِ يَدَيْه وَمنْ خَلْفه يَحْفَظُونهُ منْ أَمْرِ الله﴾[10]، أى: بأمرِ الله. وقال ابنُ الطَّثْرِيَّة:

---

(1) ر: «فإنما».
(2) سورة يوسف ٤٣.
(3) ر: «فعربى».
(4) ر: «بكل».
(5) سورة الزمر ١٢.
(6) سورة النحل ٧٢.
(7) سورة طه ٧١.
(8) هو سويد بن أبى كاهل. اللسان ٤: ٢٦٧. وبأجدع. أى بأنف أجدع.
(9) سورة الطور ٣٨.
(10) سورة الرعد ١١.

غَدَتْ مِنْ عليه تَنْـفُضُ الطَّلَّ بعدَمَا   رأتْ حاجبَ الشمسِ اسْتَوَى فَتَرَفعَا

وقال الآخرُ :

غَدتْ مِن عليه بعدَمـا تَمَّ خمْسُها   تَصِلُّ وعن قَيْضٍ بزيزاءِ مَـجْهَلِ[1]

أى من عنده.

وقال العامرى[2]:

إذا رضـيتْ علىَّ بنو قُـشيْـر   لعـمـر اللهِ أعـجـبنـى رضَـاها

وهذا كثيرٌ جداً .

وقوله :   * وَإنْ أَبَتْ فازدَلِفِى إلَيْهَا *

يقول: تقرَبِى، ومن ذا سُمِّيت المزْدلفةُ، قال العَجَّاج:

نَاج طَـواهُ الأيْنُ مِمَّا وجَـفـا   طَىَّ اللَّيـالى زُلَفًـا فَـزُلفـا

* سَمَاوَةَ الهلالِ حتى احْقَوْقَفَا *

يقال[3]: زُلفةٌ وزُلَفٌ. كقولك: غُرْفةٌ وغُرَفٌ.

وقوله: * بالكلب خيرًا والحماة شَرًّا *

كلامٌ مَعيبُ عندَ النحويـين، وبعضُهم لا يُجيزه؛ وذلك لأنه[4] عَطَفَ على عاملَين. على الباء[5] وعلى الفـعل. ومنْ قال هذا قال: ضـربتُ زيدا فى الدار، والحُجْرة عمرًا.

قال أبو العـباس: وكان أبو الحسن الأخـفشُ يراهُ ويقرأُ: ﴿واخْتَلاف اللَّيْل وَالنَّهَار وَمَـا أَنْزل اللهُ مِنَ السَّمـاء من رزْق فأَحْـيَا به الأرْضَ بَعْـد مْوتهـا وتَصْريف

---

(١) لمراحم العقيلى فـى وصف القطا، اللسان ١٣ : ٤٠٦ . وقال فى شرحه· «قـال ابن السكيت فى قوله: «من عليه»: من فوقه. يعنى من فوق الفرخ. ومعنى: «تصل»، أى هى يابسة من العطش»

(٢) حاشية الأصل: «هو القحيف العقيلى».

(٣) ر· «تقول».

(٤) ر: «وذاك أنه».

(٥) ر. «بالباء».

الرِّيَاحِ آيَاتٌ﴾[1]. فعطف على «إنَّ» وعلى «فى» وقال عدىٌّ بن زيد:

أَكُلَّ امْــرِئٍ تحْــسِبِــيَن أمْــرَأً ... ونــار تَوقَّــــــدُ بالــليل نَــارًا

فعطفَ على «كلّ» وعلى الفعل.

وأما قوله:

* غَدَتْ منْ عليه بعد ما تمَ خِمْسُهَا *

فالخِـمْسُ: ظِمءُ من أَظْمَائهـا، وهو أن تَردَ ثم تُغَبَّ ثلاثا. ثم تَرد. فـيُبْـتَدُّ بيَوْمَىْ ورْدِها مع ظمئها. فيقال: خمسٌ، والرِّبع كحُمَّى الرِّبْعِ.

وقوله: «تَصِلُّ» أى تَسْمَعُ لأجوافها صَليلا من يُبْس العطَش، يقال: المسمار يصِلُّ فى الباب إذا أُكْرِهَ فيه. قال جريرٌ يخاطبُ الزُّبَيْرَ بمَرْثِيته فى هجَائه الفرزدق:

لو كنتَ حين غُـررتَ بَـيْنَ بُيُـوتنَا ... لَسَمِـعْتَ من وَقْعِ الحَديدَ صَـليلا

ويقال للحمارِ: الْمصَلْصِل. إذا أخرج صوتَه من جوفه حاداً خفيًّا.

قال الأعْشَى:

عَنْتـريس تَعْـدُو إذا حُـرِّكَ السَّـوْ ... طُ كـعَـدْوِ المصَـلْصِلِ الجَـوَّالِ[2]

وقال المفسـرون فى قوله عز و جل: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ منْ حَـمَأٍ مَسْنُونٍ﴾[3]. قالوا[4]: هو الطين الذى قد جَفَّ، فـإذا قَرَعَهُ شىءٌ كان له صَليلٌ. وتفـسيرُ ذلك عند العربِ التِّقْنُ[5] الذى يَذهب عنه الماءُ فى الغدرانِ فيَتَشَقَّقُ ثم يَيْبَسُ.

والقَيْض: قشْرُ البيضة[6] الأعلى، والذى يَلْبَسُ البيضـةَ فيكونُ ما بينها وبين قشرها الأعلى. يقال له: الغرْقِىءُ. يقال: ثوبٌ كأنه غِرْقِىءُ البيض[7].

والزِّيزَاءُ: ما ارتفعَ من الأرض: وهو ممدودٌ منصرفٌ فى المعرفة والنكرة، إذا كان لمذكر. كالـعلْباء والحِرْباء، وسنذكر هذا فى غير هذا الموضع مُـفَسَّرًا، على أَنَّا قد استقصيناه فى الكتابِ (المقْتَضَب).

---

(١) سورة الجاثية ٥ . بنصب «آيات». وهى قراءة حمزة والكسائى والباقون بالرفع وانظر الكشاف ٤ : ٢٢٥.

(٢) ديوانه ٨ قال فى شرحه: «عنتريس: صلبة قوية، أخذه بالعرندسة. إذا أخذه بالجفاء والغلظ، والمصلصل: الصافى الصوت: قال: وليس هذا بالوصف الجيد».

(٣) سورة الحجر ٢٦ . (٤) ر : «قال». (٥) التقن: اسم للطين الذى يذهب عنه الماء.

(٦) ر: «البيض». (٧) ر: «بيض».

والمَجْهَلُ: الصحراء التى يُجْهَلُ فيها، فلا يُهْتَدى لسَبيلها.

ويقال للشىء إذا غَبَّ وتغيرت رائحتُه. صَلَّ وأَصَلَّ. فهوَ صالٌّ ومُصَلٌّ ويقال: نَتَنَ وأنْتن. ويقال: خَمَّ وأخَمَّ. وذاك إذا كان مستورًا حتى يَفْسُدَ. ويقال إذا عَتَقَ اللحم فتغير: خَنِزَ وخزِنَ. وبيتُ طَرَفَة أحسنُ ما يُنْشَدُ:

ثم لا يَخْنُزُ فينا لَحْمُها إنما يَخْنز لَحْمُ المدَّخِرْ

ويقال لربِّ البيت وربَّة البيت اللَّذَين ينزل بهما الضَّيفُ: هى أُمُّ مَثْوَاهُ. وهو أبو مَثْوَاهُ. وأنشد أبو عُبيدةَ:

مِن أُمِّ مَثْوَى كريم قد نزلْتُ بها إنَّ الكريم على عِلاتِهِ يسعُ

وفى كتاب الله جل وعزَّ: ﴿أَكْرِمى مَثْواهُ﴾ معناه عند العربِ إضافتُه.

* * *

ومن التشبيه المطردِ على أَلْسِنَةِ العربِ ما ذكروا فى سَيرِ الناقةِ وحركة قوائمها، قال الراجزُ:

كأنها ليلة غب الأزرق وقد مددنا باعها للسُّوَّق

* خَرْقاء بين السُّلَّمَيْن تَرْتَقى *

قوله: «ليلة غبَّ الأزْرَق»، إنما يعنى موضعًا، وأَحْسِبُه ماءً، لأنهم يقولون: نَطْفَةٌ زَرقاءُ. وهى الصافيةُ، قال زهير:

فلمَّا وَرَدْنَا الماءَ زُرْقًا جِمامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضِرِ المُتَخَيِّمِ(١)

وقال آخرُ:

فألْقَتْ عصا التَّسْيَار عنها وخَيَّمَتْ بأَرْجاءِ عَذبِ الماءِ زُرْقٍ مُحافِرُ

وقوله:

وقد مددنا باعها للسُّوَّق

(١) ديوانه ١٣: الجمام: ما اجتمع من الماء الواحدة جم وجمة، وضعن. أى أقمن، والحاضر. الذين حضروا الماء. والمتخيم. المقيم (من شرح الديوان).

يقول: استفرغنا ما عندَها فى[1] السَّير. يقال: تَبَّـوعَتْ وانْبَاعَتْ، إذا مدَّتْ باعَها.

وقوله: خرْقاءُ بين السُّلَّمَيْن تَرْتقى

يقول: لكثرةِ حركة الخرقاء وقلةِ حذْقها بالصُّعود.

وقال الآخرُ:

كـأنَّهَـا نائحـةٌ تَفَـجَّع تَبْكِي بشـجوٍ وسِـواهَا الموجع[2]

* * *

وقال الشَمَاخُ:

كـأنَّ ذِرَاعَـيْـهـا ذراعـا مُـدِلَّة بُعَـيْدَ السِّبـاب حاولَتَ أَنْ تَعَـذَّرَا[3]
من البيضِ أعطـافًا إذَا اتَّصلَتْ دَعَتْ فِرَاسَ بن غَـنْمٍ أو لَقَيطَ بَن يَعـمَرَا[4]
بهـا شَـرَقٌ مِنْ زَعْـفَـرَان وَعَنْـبَـرٍ أَطارتْ من الحُسْنِ الرِّداءَ المُحَبَّـرا[5]
تقـولُ وَقـد بَلَّ الـدُّمـوعُ خِـمـارَهَا أَبَى عـفَّتي ومَنْصِـبِى أن أُعَـيَّـرا
كـأنَّ بذفْـرَاها مَنَاديـلَ فَـارَقَتْ أَكُفَّ رجـال يَعْـصِـرُونَ الصَّنَوْبَرَا
كـأنَّ ابْنَ آوَى مُـوثَقٌ تَحتَ غَرْضِـهـا إذا هو لـم يكْلِـمْ بِنَابَيْـهِ ظَفَّـرَا

شَبَّـه يديها بيدَىْ مُـدِلَّة بجمال ومنـصب قد سابَّتْ وأقـبلتْ تعتذر وتشـير بيديها. فَوصَفَ جمالهَا الذى به تُدلُّ؛ وَمَنْصِبَها المتصلَ بمن ذَكَرَتْه.

وقوله:

* أطارتْ من الحسن الرداء المحبَّرا *

---

(١) ر: «من السير». (٢) ر: «الشجو».

(٣) ديوانه ٢٩. قال فى شرح الديوان: شبـه ذراعيها وهى تتذرع فى سيرها بـذراعى امرأة مدلة على أهلها ببراءة ساحتها وقوله: «بعيد السباب». أى فى عقب المسابة قامت تعتذر إلى الناس».

(٤) قال فى شـرح الديوان: «البيض: جـمع بيضاء. وهى نقـية العرض من الـدنس. والأعطاف: الجوانب واتصلت: انتسبت؛ وفراس: رجل عزيز. بالفتح. وهو ابن تغلب. ولقيط بن يعمر رجل أيضا عزيز. و «أو» بمعنى الواو. أى أنها شريفة النسب. فهى لا تقصر عن نفى ما رميت به».

(٥) الديوان: «لها شرق». والشـرق: الضمخ. وأطارت: رمت. والمحبر: المزين. أى أنها مدلة بجـمالها فلا تختمر فتستر شيئا عن الناظر؛ لأنها تبتهج بكل ما فى وجهها ورأسها. (من شرح الديوان).

يقول: هى مُدِلَّةٌ بجمالهـا. فلا تَخْتَمِر فَتستُرَ شيـئا عن الناظر. لأنها تَبْتَهج بكل ما فى وجهها ورأسها.

وقد كَشَفَ هذا المعنى عمر بن أبى ربيعةَ المخزوميُّ حيثُ يقولُ:

فلمـــا تَوَاقَـفْـنا وسَلَّمْت أقـبلتْ — وجُـوهٌ زَهاها الحُسْن أن تَـتَـقَنَّعَـا
تَبَـالَهْنَ بالعـرْفــان لمّا عَـرَفْنَنى — وقلْنَ امـرؤٌ باغٍ أكَلَّ فـأَوْضَـعَـا
وقـرَّبن أسـبَـابَ الهـوَى لمـقَـتَّلٍ — يَقـيسُ ذرَاعًا كـلما قـسْن إصْبَعَـا
[فـــقلـتُ لِمُطْرِيـهنَّ ويْحَـكَ إنما — ضَرَرْتَ فهل تَسْطِيعُ نَفعًا فتَنفعَا][1]

قوله:

كـأنَّ بذفْـرَاهـا مناديل فـارقتْ — أَكُفَّ رحالٍ يعْـصِرُّونَ الصَّنَوْبَرَا[2]

يقول: لسَوَاد الذِّفْرَى. وهذا من كرمها. قال أَوْسُ بن حَجَرٍ:

كَـأَنَّ كُـحَـيْـلا مُـعْـقَــدًا أو عَنِيَّـةً — على رَجْعِ ذِفراها مِنَ اللِّيت واكِفُ[3]

وهذا معنَى يُسألُ عنه لأن اللِّيـتْين صفحتَا العُنُق. والذِّفْـرَى فى أعلى القفا، فكيف يكفُ على الذفْرى مـن اللِيت! والمعنى إنما هو كأنَّ كُحَـيْلا مُعْقَـدًا أو عَنِيَّةً واكفٌ على رجْعِ ذِفْرَاها.

وقـوله: «من الليت» كقـولك: كـموضع دجْلة مـن بغدادَ، إنما هو للحَـدِّ بينهما، لا أنه وَكَفَ من شىءٍ على شىءٍ.

وأما قوله:

كأنَّ ابنَ آوَى مُوثَقٌ تحْتَ غَـرْضِها — إذا هو لم يكـلِمْ بنابيْـهِ ظَـفَّـرَا[4]

يقـول: ليستْ تَسْتَـقِرُّ. فكأنَّ ابنَ آوَى يَكْلِمُهَا بنَابَيْهِ أو يَخْلِبهـا بظُفْره. فهى لا تستقرُّ. وقال أوس بن حَجَرٍ:

---

(١) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٢) الذفرى: من نصف المقذ إلى أصول الأذنين. وقارفت: قاربت. ويعصرون الصنوبر: يستخرجون ما فيه. (من شرح الديوان).

(٣) زيادات ر «الكحيل: القطران. والعنية: ضرب منه».

(٤) موثق: مكتوف. ويكلم: يجرح. وظفر: أصابها بأظافيره.

كـأنَّ هراًّ جَنِيـبًا تحتَ غَـرْضَـتِهـا والْتَفَّ دِيكٌ برجليـهـا وخنزيرُ[١]

والغَرْضُ والغُرْضَةُ واحدٌ. وهو حزَام الرَّحْلِ.

* * *

وقال آخرُ:

كـأنَّ ذراعـيـهـا ذراعـا بَذيَّة مُفَجَّعَـة لاقَتْ خَلائلَ عن عَفْرِ[٢]

سَمعْنَ لَها واستفرغَتْ في حديثهاَ فلا شيءَ يَفْرِي باليـدَيْنِ كما تَفرِي

[قال أبو العبـاس: أنشدنيهما عبدُ الصـمد بن الْمعَذَّل. وأنشدنيـه سعيدُ بن سَلْم][٣]. ولو قيل إن هذا من أبلغ مـا قيل فى هذا الوصف ما كان ذلك بـعيدًا. وَصَفَها بأنها بَذيَّةٌ وقد فُجعَتْ بما أَسْـمعَتْ ونيل منها؛ ولقيَتْ خلائلها بعدَ زمان. وتلك الشكوى كامنة فيها. وأصْغَيْنَ لها فتسمّعن[٤].

والفَرْيُ: الشَّقُّ. يقال: فَرَى أوْدَاجهُ، أى قَطَعَ، وفَرَيْتُ الأديم. وإذا قلتَ: أفرَيْتُ. فمعناه أصلحتُ. وقولُ الحـجَّاج: إنى والله ما أهَمُّ إلا مَضَيْتُ ولا أَخْلُق إلا فَرَيْتُ. يقول: إذا قَدَّرْتُ قطعتُ. يقال: فَرَيْتُ القِـرْبة والمزادةَ، فهما مفْريَّتَانِ، قال ذو الرمة[٥]:

* كأنه مِن كُلَى مَفريَّة سَرَبُ *

* * *

وقال امرؤُ القيس :

كأنَّ الحَـصَى مِن خلفهـا وأمامـها إذا نَجَلَتْهُ رِجْـلُها حَذْفُ أَعْـسَرَا[٦]

(١) ر: «ديك بحقوبها».

(٢) الخلائل: جمع خليلة؛ وهن اللائى أصفين الود.

(٣) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٤) ر : «إليها يتسمعن».

(٥) ديوانه ؛ وصدره :

* ما بالُ عينك منْهَا الماءَ يَنْسَكبُ *

والكلى: جمع كلية؛ وهى رقـعة تكون فى أصل عروة المزادة. ومفرية: مقطـوعة، وسرب: سائل. (من شرح الديوان).

(٦) ديوانه ٦٤ ؛ قال فى شرحه: «يقـول: إذا سارت فرقت الحصى إلى كل جهة لشدة سيرهـا، وشبه فعلها ذلك برمى الأعسـر؛ وهو الذى يرمى برجله اليـسرى. وحصـه لأن رميه لا يذهب مـسـتـمكا. وكذلك الحصى إذا رمت الناقة به. ومعنى «نجلته» فرقته ورمت به. والحذف: بالحصى ونحوها؛ فإن كان بالعصا وشبهها فهو الخذف. بالخاء غير معجمة.

كـأنَّ صَـليلَ المَرْو حِينَ تُـشـدُّهُ   صَلِيلُ زَيُوفٍ يُنْتَقَدْن بعَبْقَرَا(١)

قولـه: «خَذْفُ أعسَرَا» يريد أنه يذهب على غير قصدٍ. وقوله: «صَلِيلُ زُيُوف» يقال: إن الزائف(٢) شَديدُ الصوت صَافيه.

* * *

وقال آخر:

كـأنَّ يَدَيْهـا يَدَا مـاتِح(٣)   أتـى يـوم وِرْدٍ لـغِـبّ زرَودا

يخافُ العِقابَ وفى نفسـه   إذا هـو أنْهَلَ ألاّ يَعُـودا

يقول: هذا الساقى يخافُ العقابَ إن قَصَّرَ، ولا عَوْدَةَ له إليه ثانيةً، فهو يستسقى(٤) سقية فى مرة واحدة.

* * *

وقد أكثروا فى هذا. فمن الإفراطِ فى السرعة قولُ ذى الرُّمَّة:

كـأنَّه كـوكَبٌ فـى إثْرِ عِـفْـرِيَةٍ   مُسَوَّمٌ فى سَوادِ الليل مُنْقَضِبُ

يقال: عِفْرِيتٌ وعِفْرِيَةٌ فى معنًى واحد. والتاء فى «عِفريتٌ» زائدةٌ. وهو ملحقٌ بـ «قنديل». يقال: فلانٌ [عِفْرِيَةٌ زِبْنِيَةٌ، والزِّبْنِيَة: المُنكَر، وجمعه زَبَانيَةٌ. وأصله من الحركة. يقال: زَبَنه، إذا دَفَعَهُ، ويقال](٥): عِفْرِيَة نِفْرِيَةٌ، على التوكيد. [وعِفْرِيتٌ نِفْرِيتٌ. ويقال: عُفَارِيةٌ، ولم يُتْبَعْ بِنُفَارِيةٍ](٦).

* * *

ومن الإفراط قولُ الحُطَيْئة:

---

(١) قال فى شرح الديوان: «شبه صوت الحجارة إذا رمت بها ووقوع بعضها على بعض بصوت الدراهم الزيوف؛ إذا انتقدها الصيرف وقلبها. والزيوف: الرديئة. واحدها زائف وزيف. وإنما خصها لأن صوتها أشد من صوت غيرها لكثرة نحاسها. والصليل: الصوت. والمرو. الحجارة. ومعنى «تشده» تفرقه. وعبقر: موضع باليمن. وكانت دراهمه زيوفا».

(٢) ر «الزيف».

(٣) الماتح. المستقى بالدلو من أعلى البئر. وزرود: اسم رمال بطريق الحاج من الكوفة.

(٤) ر: «فهى تستقى».

(٥) ما بين العلامتين من زيادات نسخة ر.

(٦) ما بين العلامتين من زيادات ر.

وإن نَظَرَتْ يومًا بمؤْخِرِ عينها ... إلى عَلَمٍ بالغَوْرِ قالت له ابْعَدِ

ومن الإفراط قوله :

بأرضٍ تَرَى فَرْخَ الُحبارَى كأنه ... بها راكبٌ مُوفٍ على ظهر قَرْدَدِ(١)

ومن ذلك قوله :

وكادَتْ على الأطْواءِ أطْواء ضَارجٍ ... تساقِطنى والرَّحْلَ مِن صوتِ هُدْهُدِ

وقال آخر :

مَروحٌ برجليها إذا هى هَجَّرتْ ... ويمنعُها مِن أن تَطِيرَ زمامُها

وقال الشَّمَّاخُ :

مَرْوحٌ تَغْتَلى فى البِيدِ حَرْفٌ ... تكاد تَطيرُ مِن رَأْيِ القَطيع

وكذلك الأعرابىُّ الذى يقول :

* لو تُرْسَلُ الرِّيحْ لَجِئْنَا قبلَها *

وقد مضى خبَرُه .

وأَمْلَحُ ما قيل فى هذا المعنى وأجْوَده قولُ امرئ القيسِ :

وقدْ أغْتَدِي والطير فى وكُناتِها ... بمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوَابِدِ هَيْكَلِ

فجعله للوحش كالقَيْد.

* * *

وحُدِّثْتُ أَن رجلا نظر إلى ظبيةٍ تَرُودُ فقال له أعرابىٌّ: أتحبُّ أن تكون لك؟ قال: نعم، قال: فأعطنى أربعَ دراهمَ حتى أردَّها إليك. ففعل. فخرجَ يَمْحَصُ(٢) فى إثْرها. فَجدَّتْ وجَدَّ، حتى أخذ بقَرْنَيْها. فجاء بها وهو يقولُ:

وَهْىَ على البُعْدِ تُلَوِّى خَدَّها ... تُرِيغُ شَدِّى وأُرِيغُ شَدَّهَا

* كيف تَرَى عَدْوَ غلامٍ رَدَّهَا *

---

(١) القردد : ما غلظ من الأرض .

(٢) يقال: محص الظبى فى عدوه يمحص محصا: أسرع وعدا عدوا شديدا، وفى ر · «يفحص» .

قال أبو العباس: ومن حُلوِ التشبيه وقريبِه، وصريحِ الكلامِ وبليغه[(١)] قولُ ذي الرُّمَّة:

وَرَمْلٍ كأوراكِ العَذارَى قطعتُه وقد جلَّلَتهُ المُظْلِماتُ الحنادِسُ[(٢)]

الحِنْدِسُ: اشتداد الظُّلمَة، وهو توكيدٌ لها، يقال: ليلٌ حِنْدِسٌ. وليلٌ أَلْيَلُ. كما يقالَ: ليل[(٣)] مُظْلِمٌ.

* * *

وقال الشَّماخُ في صفة الفَرَس:

مُفِجُّ الحَوَامِي عن نُسُور كأنَّها نَوَى القَسْبِ تَرَّتْ عن جَرِيمٍ مُلَجْلَجِ

قولُه: «مُفِجُّ الحوامِي» يريد مُفَرِّقُ الحوامي. فالحوامي: نواحي الحافر. والنسُورُ. واحدُها نسرٌ. وهى نُكْتَةٌ في داخل الحافر. ويُحْمَدُ الفرسَ إذا صَلُبَ ذلك منه، ولذلك شُبِّهَ بنَوَى القَسْبِ[(٤)]. وتَرَّتْ: سقطتْ. والجَرِيمُ: المَصْرُومُ. والمُلجْلَجُ: الذى قد لُجْلِجَ مَضْغًا في الفمِ ثم قُذِفَ لصلابته.

وقوله: «مُفِجٌّ» ليس يريدُ الذى هو شديدُ التَّفرقة. ولكن الانفصال عن النَّسْر. فإنه إن اتَّسَعَ واستوى أسفلُه فذلك الرَّحَحُ[(٥)]. وهو مذمومٌ في الخيل. وكذلك إن ضاق وصَغُرَ قيل له: مُضْطَرٌّ. وكان عيبًا قبيحًا. قال حُمَيْدٌ الأرْقَطُ:

لا رحح فيها ولا اضطرار ولم يقلب أرضها البيطار[(٦)]

[* ولا لِحَبْلَيْهِ بها حَبَارُ *]

الحبار: الأثَر][(٧)]. ويروى: «ولم يقلم[(٨)]». وتأويل ذلك: أن حوافَرها

(١) ساقطة من ر.

(٢) يقول: هذا الرمل حقف كأوراك العذارى. جللته: لبسته. الحنادس. الليالى المظلمة. والحندس: الظلام. (من شرح الديوان).

(٣) ر «وليل أليل مظلم». س: «وليل أليل. وهويم. كما يقال: ليل مظلم». وما أثبته عن الأصل.

(٤) القسب: التمر اليابس يتفتت في الفم. ونواه أصلب النوى.

(٥) الرحح: انبساط الحافر في رقة.

(٦) ر: «ولم يقلم»

(٧) ما بين العلامتين من زيادات ر.

(٨) ، «ولم يقلب».

لا تَتَشَـعَّثْ فيـقلِّمها البَـيْطار. لأنها إذا كـانت كذلك ذهبَ منهـا شيءٌ بعدَ شيء فمَحقَها. وقال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَة:

لا فى شظاهَا ولا أَرْساغِـها عَنَتٌ ... ولا السَّـنابِكُ أفـناهـن تَّقليـم[١]

وإنما يُحْمَدُ الحافـرُ المُقَعَّبُ. وهو الذى هَيْئَتهُ كهيئـة القَعْبِ. وإن كان كذلك قيلَ: حافِرٌ وأبٌ[٢]. قال ابن الخَرِع[٣]:

لهـا حـافـرٌ مـثل قَـعْبِ الوَليـدِ ... يَتَّـخِـذُ الفَـأرُ فيـه مَغَـارَا

يريدُ: لو دخل الفأرُ فـيه لَصَلَحَ. كقـول القائل: فأتى بَجـفنَةٍ يقْعدُ عليـها عَشرةٌ. أى لو قعَد عليها عشرة لصَلَحَ. وقال الراجزُ:

* وأبٌ حَمَتْ نُسُورُه الأوْقارَا *

[يقال: حافرٌ مَوْقُورٌ. وهو أن يُصـيبَه داءٌ يشبهُ الرَّهْصةَ][٤] وفى كلِّ حافرٍ حاميَتان. وهما حرفاهُ مِنْ[٥] عَنْ يمين وشمال. ومُقَدَّمُه السُّنْبُكُ. ومؤُخَّرُه الدابِرَةُ.

ومثل قوله: «عن جَرِيم ملجج» قولُ عَلْقَمَة بن عَبَدَة:

سُـلاَّءَةٌ كَعَـصَا الـنَهْدِىِّ غُلَّ بهـا ... ذُو فَيْـئَةٍ مِنْ نَوَى قُرَّانَ مَعْـجُومُ[٦]

شَبَّـهها بالشَّـوكة من شوكِ النخل؛ لأن الـفرسَ الأنثى يُحْمـدُ منها أن يدقَّ صدرُها ثم يـنخرط على امتـلاء إلى مؤخَّـرها. والحَمَـامُ يُحْمَد منـهنَّ أن يَعْرُضَ الصَّدْرُ ثم ينخرط إلى ذنبِه ضُمورًا. فيقال فى صفته: كأنه جلَمٌ.

وقوله: «كعَصَا النَّهدىّ». يريدُ فى الصلابة. كما قال:

* وكلُّ كُمَيْتٍ كالهِرَاوةِ صِلدِمِ *

وقوله: «ذو فيْئةٍ من نَوَى قُرَّان» يقول: ذو رَجْـعةٍ. يقول: مَضَغَتْه الإبلُ فلم

---

(١) رواية المفـضليات ٤٠٣ : «ولا أرسـاغهـا عتب»؛ والعـتب: العـيب. والشظى: عظم لاصق بالركبـة. والسنابك: مقاديم الحوافر؛ يقول: هى وافية السنبك لم تأكله الأرض.

(٢) حافر وأب: صلب قوى.

(٣) هو عوف بن عطية بن الخرع. من بنى تيم من عبد مناة.

(٤) ما بين العلامتين تكملة من س وزيادات ر .

(٥) ساقطة من ر .

(٦) السلاءة : شوكة النخل .

تَكْسِرُه ثم بَعَرَتُهُ صَحَاحًا. ومعجومٌ: ممضوغٌ. يقال: عَجَمْتُه أعْجُمه عَجْمًا[1] إذا مضغتَه. فالعَجمُ، ويقال للنَّوى من كلّ شيء: العَجَمُ، متحرِّكُ الجيم[2]. قال الأعشى:

* وجُذعانُها كلَقيطِ العَجَمْ *

وقال النابغةُ:

وظلَّ يَعْجُمُ أعلى الرَّوْق مُنْقَبِضًا ... في حَالك الَّلْون صَدْق غيرِ ذي أوَدِ

ومثلُ البيت الأول قولُ عُقْبة بن سبقٍ العَنَزيّث:

لهُ بَيْنَ حَواشِيهِ ... نُسُورٌ كَنَوَى القَسْبِ

فهذا تشبيه مقاربٌ جداًّ.

* * *

ومن التشبيه الحسن قولُ الشاعر[3]:

كأنَّ المَتْنَ والشَّرْخَيْن منه ... خلافَ النّصْلِ سِيطَ به مَشيجُ

يريدُ سهمًا رُمِيَ به فأنفذَ الرَّمِيَّةَ وقد اتصَلَ به دمُها. والمتن: متن السهم وشَرْخُ كلِّ شيء: حَدُّه. فأرادَ شَرْخَي الفوق. وهما حرفاه. والمَشيجُ: اختلاط الدَّم بالنُّطْفَة. هذا أصلُه. قال الشماخ:

طَوَتْ أحْشَاءَ مُرْتِجَةٍ لوَقْتٍ ... على مَشَجٍ سُلالُتُه مَهِينُ

وقال الله جل وعز: ﴿منْ نُطْفَةٍ أمْشَاجٍ نبتَليه﴾[4]. وفي الحديث: «اقتلوا مَسَّان المشركين واستَبْقُوا شَرْخَهُمْ»[5]. أي الشَّبَابَ، لأن الشرْخَ الحَدُّ. قال حسان ابن ثابت:

---

(١) ساقطة من ر. وهي في الأصل. س. (٢) ر: «العين» وهما بمعنى.

(٣) في زيادات ر: «هو الشماخ». والبيت ليس في ديوانه؛ وهو لعمر بن الداخل الهذلي؛ ديوان الهذليين ٣: ١٠٤، وروايته:

كأن الريش والفوقين منه ... خلاف النصل سيط به مشيج

وهو أيضا بهذه الرواية في ١٢: ١٩٥ من غير نسبة

(٤) سورة الإنسان

(٥) أورده ابن الأثير في النهاية ٢: ٢١٠. وقال في شرحه: «أراد بالشيوخ الرجال، المسّان هو أهل الجلد والقوة على القتال. ولم يرد الهرمى والشرخ الصغار الذين لم يدركوا»

إنَّ شَرْخَ الشَّبابِ والشَّعَرِ الأسْودَ ما لم يُعاصَ كان جنُونًا

قال أبو العباس: وأنشدنا عمرو بن مرزوق. قال: أنشدنا شعْبَة. قال: أنشدنا سمرأ بن حرب فى هذا الحديث:

إنَّ شرْخ الشباب تألفُهُ الْبيضُ   وشَيْبُ القَذالِ شىءٌ زهيد

فأما قولُ الشَّنْفَرى:

كأنَّ لها فى الأرض نسْيًا تَقُصُّهُ   على أمِّها وإنْ تُحدِّثْكَ تَبْلتِ

فإنما أرادَ شدَّةَ استحيائها. يقول: لا تَرْفعُ رأسَها، كأنها تُطلبُ شيئًا فى الأرض.

والنِّسيُ على ضربين: أحدُهما ما تقادم عَهْدُهُ حتى يُنْسى. والآخر ما أضلّهُ أهلهُ فيطْلبُ ويُطمعُ فيه. وتَقصُّهُ: تَتَبعُهُ. قال الله جل وعز: ﴿**وقالتْ لأختِه قُصِّيه**﴾(١) أى اتّبعِى أثَرَهُ؛ والأمّ: القصد.

وقولُه: «وإن تُحَدِّثك تَبْلتِ»: تَقْطَعُ الحديثَ لاستحيائها.

وأنْشدَ بشَّارُ بن بُرْد الأعمى قولَ كُثيِّر:

ألا إنما لَيْلَى عَصَا خَيْزُرانةٍ   إذا غَمَزُوها بالأكُفِّ تلينُ(٢)

قال: فقال: لله أبو صَخْرٍ! جلعها عصا. ثم يَعْتَذِرُ لها! والله لو جعلَها عصًا من مُخٍّ(٣) أو زُبْدٍ لكان قد هَجَّنها بالعَصَا. ألا قال كما قلتُ:

وبَيْضاءِ المحَاجر من مَعَدٍّ   كأنَّ حديثَها قطَعُ الجنَان
إذا قامت لسُبْحتِها تثنَّتْ   كأن عِظامها من خيْزَرانِ(٤)

والخيزُرانةُ: كلُّ غُصْنٍ لَيِّنٍ يَتثَّنى. ويقال للمُرْدِيِّ: خيزرانةٌ؛ إذا كانَ يتثّنى إذا اعْتُمدَ عليه. قال النابغةُ:

---

(١) سورة القصص ١١ .

(٢) قبله .

وقد جعل الأعداء ينتقصوننا   وتطمع فينا ألسن وعيون

(٣) ر : «من مخ» .

(٤) السبحة : صلاة النافلة.

يَظَلُّ من خوْفِه المَلاح معتصما[1] بالخَيْزُرانَةِ بعد الأيْنْ والنَّجدِ[2]

الأيْنُ: الإعياءُ. والنَّجَد: العَرَقُ[3].

* * *

وقد عاب بعض الناس قول كُثَيِّر:

فما رَوْضَةٌ بالحَزْن طَيِّبَةُ الثَّرى يَمجُّ النَّدَى جَثْجَاثها وعَرَارُها[4]
بمُنْخَرَقٍ من بَطْن واد كأنَّما تلاقَتْ به عطَّارَةٌ وتجارها
بأطْيَبَ من أرْدَانِ عَزَّةَ مَوْهِنا وقد أوقِدَتْ بالمَنْدَلِ الرَّطْبِ نارُهَا

وحكى الزُّبيريون أن امرأةً مدينية عَرَضَتْ لكُثَيِّر فقالت: أأنْتَ القائلُ هذين البيتين؟ قال: نعم. قالت: فَضَّ اللهُ فاكَ! أرأيتَ لو أنّ زِنْجيَّةً بخَرَت أردانَها بمَنْدلٍ رَطْبٍ أمَا كانت تطيبُ! ألا قلتَ كما قال سيِّدكَ[5] امرؤ القيس:

ألم تَرَ أنِّي كلما جِئْتُ طارِقًا وَجَدْتُ بها طِيبًا وإن لمْ تَطَّيبِ[6]

قوله: «جثجاثها وعرارها» الجثجاث: ريحانة طيبة الريح برية؛ من أحرار البقل؛ قال جرير يهجو خالد عينين العبدى:

كم عَمَّة لك يا خُلَيْدُ وخالة خُضْرٌ نَواجذها من الكُرَّاثِ
نَبَتَتْ بِمَنْبِتِه فطابَ لِريحهَا ونأتْ عن القَيْصُومِ والجَثْجَاثِ

وإنما هجاه بالكُرَّاث لأن عبد القيس يسكنون البَحْرَيْن. والكُراثُ من أطعمَتِهم. والعامة يُسَمُّونَهُ الرَّكْلَ والرَّكَّالَ. قال أحدُ العَبْديِّينَ:

ألاَ حَبَذا الإحْسَا وطِيبُ تُرابها وركالها غادٍ علينا ورائحُ[7]

---

(١) ر: «معتمدا»؛ وما أثبته رواية الأصل والديوان.

(٢) الملاح: صاحب السفينة. والخيزرانة: السكان؛ وهو ذنب السفينة.

(٣) النجد: العرق والكرب.

(٤) الحزن: موضع لبنى يربوع. فيه رياض كثيرة.

(٥) ساقطه من ر (٦) قبله:

حلبلىّ مُرّا بى عَلى أمّ جُنْدَبِ لنَقْضى لبانات الفؤاد المعذّب

وانظر تفصيل الخبر فى الأغانى ١٤: ٥٧ طبعة الساسى. والموشح للمرزبانى ١٥١ - ١٥٣.

(٧) الإحساء: مدينة بالبحرين.

وقولُ كُثير: «وعَرارُها» فالعَرَارُ البَهارُ البَرّىُّ. وهو حَسَنُ الصُّفْرَةِ طيِّب الرِّيحِ. قال الأعشَى:

بيضاءُ ضَحْوَتَهَا وصَفْـــــــــراء العَشيَّة كالعَرَارَه[١]

وقولُه: «مَوْهِنًا» يريد بعدَ هدْى من الليل[٢]. يقالُ: أتَانَا بعد هدْءٍ من الليلِ. وبعد وَهْنٍ منَ اللَّيْل[٣]. أىْ بعدَ دخولنا فى الليل. وأنشدَ أبو زيد:

هَبّتْ تَلومُك بعد وَهْنٍ فى النَّدَى بَسْلٌ عليك ملامتِى و عِتابِى

والمَنْدَلُ: العُودُ. يقال له: المَنْدَلُ والمَنْدَلىُّ. قال الشَّاعرُ[٤]:

أَمِنْ زَيْنبَ ذى النَّار قُبَيْلَ الصبحِ ما تخبُو
إذَا ما خَمِدَتْ يُلْقَى عليها المَنْدَلُ الرَّطْبُ

قال أبو العباس: «ذى» معناه «ذه» يقال: ذَاَ عبدُ الله، وذى أَمَةُ الله. وذهْ أَمَةُ الله. وتهْ أَمَةُ الله. وتَا أَمَةُ الله؛ فإذا قلتَ: هذا عبد الله: فالاسمُ «ذا» و «ها» للتنبيه. وعلى هذا القول[٥]: هذى أَمَةُ الله [وهذه أمَةُ الله][٦]. وإن شئتَ أسكَنْت فى الوصل فقلتَ: هذه أَمَةُ الله. وإذا قلت: هذهى أَمَةُ الله. فالياءُ زائدةٌ. لأن هذه الهاءَ لما كانت فى لَفظ المضمرِ شبَّهوها به فى زيادة الياء، نحوَ: مررتُ بِهِى يافتى! ولا[٧] يجوزُ أن تَضُمَّ الهاءَ فى «هذه» على قول مَنْ قال: مررتُ بهُو. لأن هاءَ الإضمارِ أصلها الضم. تقولُ: رأيتَهو يافتَى. ورأيتُهُم يافتى! وهذه الهاءُ ليستْ منْ هذه. إنما هى مشبَّهةٌ، وتقولُ: هاتِهِ هندٌ. وهاتى هند. وهاتَا هندٌ. على زيادة «ها» للتنبيه. قال جريرٌ:

---

(١) العرار: شجر له نور أصفر قدر شبر؛ وقبله:

يا جارتى ما كنت جاره بانت لتحزننا عفاره
ترضيك من دل ومن حسن مخالطه غراره

وانظر ديوانه ١١١.

(٢) من الليل. ساقط من ر.

(٣) «من الليل». ساقط من ر.

(٤) ينسب البيتان لعمر بن أبى ربيعة. وهما فى ملحق: ديوانه ٤٧٨.

(٥) ر: «تقول».

(٦) تكملة من نسخة الأصل.

(٧) ر: «لا يجوز» بدون الواو.

هذى التى جدعت تيما معاطسها ثم اقعدى بعدها ياتيم أو قومى(١)

وقال عِمْرانُ بن حِطَّان:

وليس لِعَيْشِنَا هذا مَهَاهٌ وليستْ دارُنَا هاتَا بِدَار

قال أبو العباس: النحويون يُثْبتون الهاءَ فى الوصل فيقولون: مَهَاهٌ. وتقديرُه: «فَعَالٌ». ومعناه اللمْعُ والصَّفَاء(٢). يقال: وَجْهٌ له مَهَاهٌ يافتى! والأصمعىُّ يقولُ: مَهَاة. تقديرُها «حَصَاة». يجعلُ الهاءَ زائدة. وتقديرها فى قوله(٣): «فَعَلَةٌ» والمَهَاةُ: البِلَّوْرةُ. والمَهَاةُ: البقرة الوحشيةُ. وجمعُها «المَهَا»(٤).

فإذا صغَّرتَ: «ذهْ». قلتَ: تَيَّا. كأنك صغَّرتَ «تَا». ولا تُصَغِّر «ذهْ» على لفظها. لأنك إذا صغَّرتَ «ذَا» قلت: «ذَيَّا». فلو صغَّرتَ «ذى». فقلتَ: «ذَيَّا». لالْتَبَسَ المؤنث بالمذكر. فصغَّرُوا ما يخالف فيه المؤنث المذكَّر.

وهذه المبهمَةُ يخالفُ تصغيرُها تصغير سائر الأسماء. وسنذكر ذلك فى باب نُفْرِدُه له إن شاء الله.

* * *

عاد القولُ إلى التشبيه.

أنشدَتْنى(٥) أمُّ الهَيْثَم فى صفة جَمَلٍ:

كأنَّ صوتَ نابِه بنابِه صَرِيرُ خُطَّافٍ عَلى كُلاَّبِه

أرادتِ الصريفَ. وهو أن يَحُكَّ أحدَ نابَيْه بالآخرِ.

---

(١) يهجو التيم. وقبله:

ما بين تيم وإسماعيل من نسب إلا القرابة بين الزنج والروم

إن ابن تيم لمنسوب لوالده دانى القرابة من حام ويحموم

وانظر ديوانه ٤٨٩ ـ ٤٥٠.

(٢) ر: «والبهاء».

(٣) «فى قوله» ساقط من ر.

(٤) زيادات ر: «حكى يعقوب بن السكيت: «مهاة». من أسماء الشمس. وأنشد:

ثم تجلو الظلام رب رحيم بمهاة ضياؤها منشور

(٥) ر: «وأنشدتنى».

وقوله: «صريرُ خطافٍ على كُلابِهِ» فالخُطَّافُ ما تَدُورُ عليه البَكْرَةُ. والكُلَّابُ ماوَلِيه.

وقد قال النابغةُ :

مـقذوفـةٍ بدَخِيسِ النَّحْضِ بازِلُهـا له صَـرِيفٌ صَرِيفَ القـعْوِ بالمَسَـدِ

القعْـوُ: ما تدورُ عليه البَكْرَةُ إذا كان من خَـشَب. فإن كان من حديـدٍ فهو خُطَّاف. وإن دارت على حبْلٍ فذلك الحبلُ يسمى الدَّرَكَ.

وقوله: «مقذوفـة» يقول: مَرَمِيَّةٌ باللحم. والدَّخيسُ: الـذى قد رَكِبَ بعضُهُ بعضًـا. والنَّحْضُ: اللَّحْم. وبازلهَا: نابُها. ومـعنى بزَلَ، وفطَرَ. واحدٌ. وهو أن ينشقَّ الناب؛ قال ذو الرُّمَّة:

كــأنَّ على أنيــابهـــا كلَّ سُـدفــةٍ صِياحَ البَوَازِى من صَرِيفِ اللَّوائك(١)

ويقولُ: مما تَـلُوكهُ. ويقال فى الغـضَب: تركتُ فلانًا يَصْـرِفُ نابُهُ عليكَ. ويَحْـرُق ويَحْرُقُ. ورأيتُـه يَعَضُّ عليك الأرَّم. قـال زهيـرٌ فى مـدحه حـصْنَ بن حُذَيْفَة(٢):

أَبَى الضَّيْـمَ والنُّعمانُ يحْـرِق نابُهُ عليه فـأفَضْىَ والسُّيوف مَـعاقِلُهْ(٣)

وقال آخرُ :

نُبِّـئْتُ أَحْـمَـاء سُلَيْـمَى أنَّـما ظَلُّوا غِـضَـابًا يَعْلُكُونَ الأرَّمَـا

وقال بعضُ النحويين: يعنى الشِّفَاهَ. وقال بعضُهم: يعنى الأصابعَ.

فأما قـولُهم: «عَضَّ على ناجذه» وهو آخرُ الأسنان، فـيكونُ على وجهين: أحدُهما أنه قد احتَنَكَ وبَلَغ، والآخرُ: أن يكونَ للإطْرَاقِ والتَّشَدُّد.

ويُروى عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه أنه كان يقولُ: إذا لقيتُم القومَ فاجمَعُوا القلوبَ وعَضُّوا على النَّواجِذِ، فإن ذلك يُنْبِى(٤) السيوفَ عن الهَامِ.

---

(١)السدفة: بقية من سواد الليل؛ فشبه أنيابه بأصوات البزاة؛ يقال: لاك يلوك؛ إذا مضغ (من شرح ديوانه).

(٢) زيادرات ر : «ابن بدر الفزارى».

(٣) أفضى: سار إلى الفضاء. وقبله :

من مـثل حـصن فى الحـروب ومـثله لإنكـار ضـيم أو لأمـر يحـاوله

(٤) ر : «يثنى».

ثم نعود إلى التشبيه.

قال الراجز[1]:

كــأنَهَّــا حين بنـاها الْبَــاسُ[2] جِنِّيَّـــةٌ فى رأســهـــا أَمْــرَاسُ
بهـا سُـكُونٌ وبهـا شـِمَـاسُ[3] يَخْـرُجُ مـنهـا الحَـجّـرُ الـكُبَّـاسُ
يَمُــرُّ لا يِحْـبِسُـهُ حَـبَّـاسُ لا نَـافِـــذُ الطّـعْنِ ولا تَـرَّاسُ

يصفُ المَنْجَنيقَ. والأمراسُ: الحبالُ، والواحدُ مَرَس[4]، والكُبَّاس: الضخم. قال: هامـةٌ كبْسَاءُ يا فـتى؛ ورأسٌ أَكبَسُ. والحبَّاسُ: الذى من شـأنه أن يَحْبِسَ. يقال: رجلٌ ضاربٌ للذى يضربُ كثيرًا كان منه ذلك أو قليلا، فإذا قلتَ: ضَرَّابٌ وقَتَّالٌ. فإنما يُكَثِرْ الفعلَ، ولا يكونُ للقليل.

قال الراجز:

أَخْـضَـرُ مِن مَـعْدنٍ ذى قُـسَـاسِ كـأنه فى الحَـيْـدِ ذى الأضْـراس

* يُرْمَى به فى البلدِ الدَّهَّاس *

يصفُ معْولا. وذو قُسَاسٍ: مَعـدنٌ للحديد الجيِّد. وهو يقْربُ من بلاد بنى أسَد. والحَيْـدُ: ما أشرفَ من الجـبلِ أو غيرِ ذلك، يقال للطُّنُف حَـيْدٌ. وهو الذى يسمِّيه أهلُ الحَضَرِ الإفْريزَ؛ يقالُ: طَنِّفْ حائطَك، ويقال للنَّاتِئ فى وسَط الكَتف: حَيْدٌ وعَيْرٌ. وكذا الـناتئُ فى القَدَمِ. وقوله: «ذى الأضراس» يريد الموضعَ الضَّرِسَ الخشنَ ذا الحجارة. فيـقولُ: هذا المعْوَلُ لحدَّته يَقعُ فى الخشونة فيَهْدمُـهَا كما يهدمُ الدَّهَّاسَ. والدهاس: ما لان مـن الرملِ. قالَ دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّـةَ فى يوم حُنَيْن: أينَ مُجْتَلَدُ القوم؟ فقالوا: بأَوْطاس[5]. فقال: نِعْمَ مَجَـالُ الخيلِ. لا حَزْنٌ ضَرِسٌ[6]. ولا لَيِّن دَهِسٌ!

(١) زيادات ر : «هو أبو النجم».
(٢) ر : «تناهى».
(٣) الشماس والشموس. شرود الدابة ونفارها.
(٤) ر : «مرسة».
(٥) أوطاس: موضع فى ديار هوازن.
(٦) الحزن: ما غلظ من الأرض. والضرس: الشديد خشونة.

وقال العَجَّاجُ يصفُ حمارًا :

كـأنَّ فى فـيـه إذا مـا شَـحَـجَـا ... عُـودًا دُوَينَ اللَّهَـوَاتِ مـوُلجـا[1]

هذا يصف العَيْرَ[2] الوحشىَّ الـذىْ قد أسنَّ[3] تَرَاهُ لا يشتدُّ نهـيقُهُ. وكأنه يعالجه علاجًا. قال الشَّمَّاخ:

إذا رَجَّعَ التَّـعـشـيرَ عَـجًّـا كـأنه ... بناجذِه من خَلْفِ قَـارِحِهِ شَجِى[4]

فأما قولُ عَنْتَرَة:

بَرَكَتْ علـى مـاءِ الرِّدَاعِ كـأنَّـمـا ... بَرَكَتْ على قَـضبٍ أَجشَّ مُهَـضَّم

فإنما يصفُ الناقةَ ويذكر حنينَها. يقال: إنه يخرجُ منها كأشْجَى صوت.

فإنما شَبَّهه بالزَّميـر. وأراد القَصَبَ الذى يُزْمَرُ به. قال الأصمعىُّ: هو الذى يقال له بالفارسية «نَاىْ» قال الراعى يصفُ الحادى:

زجلُ الحُـدَاء كـأنَّ فى حَيْـزُومِـهِ ... قَـصَـبًا ومـقْنِعَـةَ الحنينِ عَـجُـولا

المَقْنِعُ: الرافعُ رأسَـه فى هذا الموضع. ويقـال فى غـيره: الذى يَحُطُّ رأسَـه استخذاءً وندمًا؛ قال الله عز وجل: ﴿مُقْنِعى رءوسهم﴾[5]. ومن قال: هو الرافعُ رأسَـه. فتـأويلُه عندنا أنه يتطاولُ فـينظرُ ثم يُطَأْطِئ رأسَـه. فـهو بَعْـدُ يَرجعُ إلى الإغْضاء والانكسار.

* * *

والبعيـرُ يحـنُّ كأشـد الحنيــن إلى أُلاَّفـه إِذا أُخِـذَ من القطيـع. قال: وأكثَرُ ما يَحِنُّ عند العطشِ. قال الشاعر[6] :

وتفـرَّقُّـوا بعـد الجـمـيـعِ لنيَّـة ... لابُدَّ أن يتـــفــرَّقَ الجـــيـــرانُ

لا تصـبـرُ الإبلُ الجـلادُ تفـرَّقَتْ ... بعـدَ الجـمـيعِ ويَصْـبـرُ الإنسـانُ

* * *

---

(١) الشحيج. صوت البغل والحمار إذا أسن.

(٢) ر : «هذا يوصف به العير». وما أثبته عن الأصل. س .

(٣) ر : «إذا أسن».

(٤) التعشير : نهيق الحمار.

(٥) سورة إبراهيم ٤٣ .

(٦) هو مالك بن الصمصامة الجعدى.

وقال آخرُ :

وهل ريبةٌ فى أن تَحِنَّ نَجيبةٌ ... إلى إلْفِها أو أن يَحِنَّ نَجيب!

وإذا رَجَّعَت الحنينَ كان ذلك أحسن صوتٍ يهتاج له المُفارِقون، كما يهتاجون لنَوْحِ الحمام، ولالْتِيَاح البُروقِ.

* * *

وقال عَوْفُ(١) بن مُحلِّم وسمع نَوْح حمامةٍ:

ألاَ يا حَمَامَ الأَيْك إلْفُكَ حاضِرٌ ... وغُصنُكَ مَيَّادٌ ففيمَ تنوُحُ(٢)

أَفِقْ لا تَنُحْ من غيرِ شىءٍ فإننى ... بكيتُ زمانًا والفؤادُ صحيح

وَلُوعًا فَشَطَّتْ غَرْبَةً دارُ زينبٍ ... فها أنا أبْكى والفؤادُ قَريحُ!

وكلُّ مُطَوَّقَةٍ عند العربِ حمامةٌ. كالدُّبْسِيِّ والقُمْرِيِّ والوَرَشَانِ وما أشبه ذلك؛ قال حُمَيْد بن ثورٍ:

وما هاجَ هذا الشَّوْقَ إلا حمامةٌ ... دَعَتَ سَاقَ حُرٍّ تَرْحَةً وتَرَنُّمَا(٣)

إذا شئتُ غَنَّتْنى بأجْزاع بيشَةٍ ... أو النَّخْلِ من تَثْليثَ أو بيَلَمْلَمَا

مُطَوَّقةٌ خَطْبَاءُ تَسْجَعُ كلَّمَا(٤) ... دَنَا الصيفُ وانجالَ الربيعُ فأنْجَمَا

مُحلاَّةُ طَوْق لم يكُن من تميمةٍ ... ولا ضَرْبِ صَوَّاغٍ بكفَّيْه درهَمَا

تَغَنَّتْ على غُصْنٍ عشاءً فلم تَدَعْ ... لنائحةٍ فى شَجْوِها مُتَلَوَّمَا

إذا حَرَّكَتْهُ الرِّيحُ أو مال مَيْلَةً ... تغنَّتْ عليه مائلاً ومُقَوَّمَا

عجبتُ لها أنَّى يكونُ غناؤُها ... فَصِيحًا ولم تَفْغَرْ بمَنْطِقِها فَمَا!

---

(١) قال المرصفى: الشعر لأبى كبير الهذلى. لا لعوف؛ وإنما ذكر لعبد الله بن طاهر العندليب. فالتفت إلى ابن محلم وقال: هل سمعت بأشجى من هذا؟ فقال: لا والله؛ قاتل الله أبا كبير حيث يقول. وذكر الأبيات.

(٢) ر : «ميال». وما أثبته عن الأصل. س.

(٣) من قصيدة طويلة فى ديوانه ١ ـ ٣ مطلعها :

سل الرَّبْعَ أنَّى يَمَّمَتْ أم سالمٍ ... وَهَلْ عَادَةٌ للرَّبْعِ أن يتكلمَّا!

وترحة : حزنا. وترنما : صوتا لا يفهم.

(٤) الديوان «تصدح».

فلم أر مِثلى شاقَهُ صوتُ مِثلِها ... ولا عَرَبِيًّا شاقَهُ صوتُ أعجَمَا

وقال ابن الرِّقَاع ، وذكرَ حمامةً :

[قال أبو الحسن الأخفش : الصحيح أنه لنصيب] :

[ومِمَّا شَجانى أنَّنى كنتُ نائمًا: ... أُعَلِّلُ من بَرْدِ الكَرَى بالتَّنَسُّمِ
إلى أن بكَتْ ورقاءُ فى غُصْنِ أيْكة ... تُرَدِّدُ مَبْكاها بحسْنِ الترنُّم][1]
فلو قَبلَ مَبْكاهَا بكيتُ صَبابَةً ... بليلى[2] شَفَيْتُ النفسَ قبلَ التَّنَدُّمِ
ولكنْ بكتْ قبلِى فهاجَ لِىَ البُكا ... بُكاها فقلتُ الفَضْلُ للمتقدِّمِ

أما قولُ حميد «دعَتْ ساقَ حُرٍّ» فإنما حكى صَوْتَهَا، ويقال للواحد ذكرًا كان أو أنثى: حمامةٌ والجَمعُ الحمامُ، والحماماتُ، فإذا كان ذكرًا قلتَ هذا حَمامةٌ، وإذا كانت أُنثى قلت هذه حمامةٌ. وكذلك هذا بَطَّةٌ وهذه بَطَّةٌ. ويقال بقرةٌ للذكر والأنثى، ودجاجةٌ لهما، فإذا قلتَ: ثَوْرٌ، أو ديكٌ بَيَّنْت الذَّكَرَ، واستغنيتَ عن تقديم التذكير.

ويقال للحمامة: تَغَنَّتْ وناحتْ، وذاك أنه صوتٌ حسنٌ غيرُ مفهومٍ، فيُشَبَّهُ مرةً بهذا ومرةً بهذا، قال قَيْسُ بن مُعاذٍ :

ولو لم يَشُقْنى الظاعنونَ لَشَاقَنى ... حمائمُ وُرْقٌ فى الديار وُقُوعُ
تَجَاوَبْنَ فاستبْكَيْنَ من كان ذَا هوًى ... نَوَائحَ ما تَجْرِى لهنَّ دموعُ

قوله: «وانجَالَ الربيعُ» يقال: «انجالَ عنَّا»، أى أَقْلَعَ، ومثلُ ذلك «أنجمَ عنَّا»، وإن قلتَ: «أثجَمَ»، فمعناه لَزِمَ ووقع، فهو خلافُ «أَنجَمَ». وإن قلتَ: «انجَابَ» فمعناه انشَق. يقال: «الْمِجْوَبُ» للحديدة التى يُثْقَبُ بها المَسِيبُ. ويقال: «جُبْت البلادَ» أى دخلتُها وطَوَّفْتُهَا. وفى القرآن: ﴿وثَمود الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بالْوَادِ﴾[3] أى شَقُّوه.

وقوله: «لم يكُن من تَميمةٍ» «التميمة» المعاذةُ. وقد مضى هذا.

---

(١) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٢) ر : «سعدى»، وما أثبته عن الأصل .

(٣) سورة الفجر ٩ .

وقوله: «وما تَفْغَرْ بمنطقِها فَمًا». يقولُ: لم تَفْتحْ. يقال: «فَغَرَ فَاه» إذا فَتَحَه[١].

وقوله:

* ولا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صوتُ أعجمَا *

يقولُ: لم أَفهم ما قالتْ. ولكنى استحسنتُ صوتَها واستَحْزَنْته. فَحَنَنْتُ له.

ويُرْوَى أن بعضَ الصالحين كان يسمعُ الفارسيَّةَ تَنُوحُ ولا يدرِى ما تقولُ، فيُبكيه ذلك ويُرَقِّقه. ويَذْكُرُ به غيرَ ما قَصَدَتْ له.

* * *

قال أبو العباس: وحُدِّثْتُ أن بعض المحْدَثين[٢] سمع غِناءً بخُرَاسانَ بالفارِسيَّة فلم يَدْر ما هو غيرَ أنه شَوَّقَهُ لشَجَاهُ وحُسْنه. فقال فى ذلك:

حَمِدتُك ليلةً شَرُفَتْ وطابَتْ ... أقامَ سُهادُها ومَضى كَرَاهَا
سَمِعتُ بها غِناءً كان أَوْلَى ... بأن يَقتادَ نفسِى من غِنَاها

الغناء الأولُ الممدودُ من الصوت. والذى ذكره بعدُ فى القافية من المال مقصورٌ:

ومُسْمِعَة يَحَارُ السَمْعُ فيها ... ولا تصْمِمْه لا يَصْمَمْ صداَهاَ[٣]
مَرتْ أَوتَارَها فَشَفَتْ وشَاقَتْ ... فلو يَسْطِيعُ حاسدُها فَداَهَا
ولم أفهم معانيهَا ولكنْ ... وَرَتْ كَبِدى فلم أَجْهَل شَجَاهَا
فكنتُ كأَنَّنِى أَعْمَى مُعَنًّى ... بحُبِّ الغَانِياتِ وما يَرَاهَا

[وقال عَبْدُ بنى الحسْحاسِ:

وَرَاهُنَّ رَبِّى مثل ما قد وَرَيْنَنِى ... وأحْمَى على أكبادهنَّ المكاويا][٤]

(١) زيادات ر «حكى ثعلب: «فغر فاه» و «فغر نفسه». وكذلك شجى فاه. وشجى نفسه».

(٢) هو أبو تمام.

(٣) قال المرصفى: يدعو لها بطول العمر. والعرب تقول: أصم الله صداه. تريد أهلكه. وإذا مات قالت صم صداه. والصدى: ما تسمعه عقيب صياحك راجع إليك من جبل أو مكان مرتفع.

(٤) ما بين العلامتين من زيادات ر.

قال أبو العباس: والشيءُ يُذْكر بالشيءِ وإن كان دونَه . فَنَجْرِى لاحتواءِ البابِ والمعنَى عليهما.

وفى شعرِ حُمَيْد هذا ما هو أحْكم مما ذكرنا وأوعظُ. وأحْرَى أن يُمثِّل به الأشرافُ. وتُسَوَّدَ به الصُّحُفُ. وهو قولُه:

أَرَى بَصرِى قد رَابنى بعدَ صِحَّة ... وحَسْبُكَ داءً أن تَصِحَّ وتَسْلَمَا
ولا يَلْبَثُ العَصْرَانِ يومٌ وليلةٌ ... إذا طَلَبَا أن يُدْرِكَا ما تَيَمَّمَا

ويُروى عن النبى ﷺ أنه قال: « كَفَى بالسَّلامَة داءً » .

* * *

ثم نرجعُ إلى التشبيه.

قال أبو العباس: والعربُ تُشَبِّهُ على أربعة أضرُب : فتشبيهٌ مُفْرِطٌ، وتشبيهٌ مُصيبٌ، وتشبيهٌ مُقَارِبٌ، وتشبيهٌ بعيدٌ يحتاجُ إلى التفسير ولا يقوم بنفسه. وهو أخْشَنُ الكلام.

فمن التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للمَخِىِّ: هو كالبَحْر. وللشجاع: هو كالأسد. وللشريف: سما حتى بَلَغَ النجمَ. ثم زادُوا فوق ذلك. فمن ذاك قولُ بعضهم - وهو بَكْرُ بنُ النَّطَّاح، يقوله لأبى دُلَف القاسمِ بن عيسى:

له هِمَمٌ لا مُنْتَهَى لكِبارِها ... وهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ من الدَّهْرِ
له رَاحةٌ لو أن مِعْشارَ جودِها ... علَى البَرِّ صارَ البَرُّ أَنْدَى من البحرِ
ولو أنَّ خَلْقَ الله فَى مَسْك فارسٍ(١) ... وبارَزَهُ كان الخَلِىَّ من العُمْرِ

وقد قيل: إن امرأةَ عِمْرَانَ بن حِطَّانَ قالت له: أما زعمتَ أنك لم تكذب فى شعرٍ قَطُّ! قال: أوَ فَعَلْتُ؟ قالت: أنت القائلُ:

فهُناك مَجْزأة بن ثَوْ ... ر كان أَشْجَع من أُسامَهْ

أفيكونُ رجلٌ أشجعَ من الأسدِ! قال: فقال: أنا رأيتُ مجزأة بن ثور فتح مَدينة، والأسدُ لا يفتحُ مدينة.

* * *

---

(١) المسك : الجلد .

ومن عجيب التشبيه فى إفـراط، غيرَ أنه خَرَجَ فى كلامٍ جيِّدٍ وعنى به رجلٌ جليلٌ، فَخَرج من باب الاحـتمال إلى باب الاستحسان، ثم جُـعلَ لجودة ألفاظه، وحسن رَصْفه، واستواء نظمه، فى غاية ما يُسْتَحْسَنُ ـ قولُ النابغة يعنى حِصْنَ بن حُذَيْفَة بن بَدْر بن عَمْرٍو الفَزَارىّ:

يقولون حِـصْنٌ ثم تأبى نفـوسُهمْ   وكيفَ بـحصْنٍ والجبـال جُنُوح(١)
ولم تَلْفظ الموْتى القُـبـورُ ولم تَزُلْ   نجـومُ السـمـاءِ والأديمُ صـحـيحُ
فـعـمَّـا قليـلٍ ثمَّ جـاء نعـيُّـهُ   فَـظَـلَّ نَـدِىّ الحـىِّ وهْـو يَـنُـوحُ

* * *

ومن تشبيههم المتجاوز الجيِّد النَّظْم ما قد(٢) ذكرناه، وهو قولُ أبى الطَّمَحَانِ القيْنى :

أضاءتْ لهـم أحسابُهم ووجُـوهُهُمْ   دُجَى الليل حتى نَظَّمَ الجزْع ثاقِبُهْ(٣)

* * *

ويروى عن الأصـمـعى أنه رأى رجلا يختـالُ فى أُزَيِّرٍ(٤) فى يوم قُـرٍّ فى مشْيَته، فـقال له: ممن أنَت يا مَقْرُور؟ فقال: أنا ابنُ الوَحيـد، أمشى الْخَيْزَلى(٥)، ويُدْفئنى حَسَبِى.

وقيل لآخـرَ فى هذه الحال: أمَـا يُوجعُكَ البَـرْد؟ فقـال: بَلى والله، ولكنى أذكُر حَسَبى فأَدْفأُ.

وأصوَبُ منهما قولُ العُرْيانِ الذى سُئلَ فى يوم قُرٍّ عمَّا يَجدُ. فقال: ما علىَّ من كبير مَؤونة، فقـيل(٦): وكيـفَ ذلك(٧)؟ فقال: دَامَ بى العُـرْىُ، فاعتَـادَ بدنِـى ما تعتادُه وجوهُكم!

* * *

(١) جنوح : مصدر جنح إليه، إذا مال وسكن.   (٢) ساقطة س ر .
(٣) الجزع: ضرب من الخرز؛ وقيل: هو الخرز اليمانى؛ الذى فيه بياض وسواد، تشبه به الأعين .
(٤) الأزير : تصغير إزار؛ قال المرصفى: يريد أنه يختال فى إزار قصير.
(٥) الخيزلى : مشية فيها تبختر وتثاقل وتراجع وتفكك .
(٦) ر «وقيل» .   (٧) ساقطة من ر .

ومنَ التشبيهِ القاصد[1] الصحيح قولُ النابغةِ :

وَعيدُ أبى قابُوسَ فى غير كُنْهه ... أتانى وَدُونى رَاكسٌ فالضَّوَاجعُ[2]
فبتُّ كأنى سَاوَرَتْنى ضَئيلةٌ ... من الرُّقْشِ فى أنيابها السُّمُّ ناقعُ[3]
يسَهَّدُ من نوم العشاء سَليمُهَا ... لحلْى النساء فى يَديْه قعاقعُ
تَنَاذَرَها الرَّاقُون مَن سُوء سُمِّها ... تُطلقه طَوْراً وطَوْراً تَرَاجعُ[4]

فهذه صفةُ الخائف المهموم. ومثلُ ذلك قول الآخرَ[5]:

تَبيتُ الهُمومُ الطارقاتُ يَعُدْنَنى ... كما تعْتَرِى الأوْصافُ رأسَ المطَلَّقِ

والمُطَلَقُ هو الذى ذكره النابغة فى قوله :

* تُطلقه طوراً وطوراً تُرَاجعُ *

وذاك أن المنهوشَ إذا ألحَّ الوجعُ بـه تارة، وأمْسكَ عنه تارة، فقد قارب أن يُوأَس من بُرْئه.

وإنما ذكَرَ خوفَه من النعمان وما يَعْتريه من لَوْعَة فى إثر لوعة، والفَتْرَة بينهما، والخائفُ لا ينامُ إلاّ غِرَارًا، فلذلك شبَّهَه بالمْلدوغ المُسَهَّد.

وقوله :

* لحلْى النساءِ فى يديه قَعَاقعُ *

لأنهم كانوا يُعلقون حُلِىَّ النساء على الملدوغ، يزعمون أن ذلك من أسبابِ البُرْء، لأنه يسمعُ تَقَعْقُعَهَا فيمنعُه النوم فلا ينامَ، فَيدِبُّ السُّمَّ فيه، ويُسَهَّدُ لذلك.

* * *

وقال الآخرُ:

---

(١) القاصد : المستقيم الواضح القريب .
(٢) راكس والضواجع: موضعان فى بلاد غطفان .
(٣) من المساورة؛ وهى المواثبة. والضئيلة: الحية الدقيقة. والرقش: جمع رقشاء؛ وهى الحية التى فيها نقط سود وبيض.
(٤) تناذرها الراقون، أى أنذر بعضهم بعضا ألا يتعرض لها.
(٥) هو شأس بن نهار العبدى .

كأنَّ فجاعَ الأرضِ وهى عريضةٌ ... على الخائف المطلوب كِفَّةُ حابِلِ
يُؤْتَى إليه أنَّ كلَّ ثنيَّةٍ ... تَيَمَّمها تَرْمى إليه بقاتِلِ(١)

يقال: لكل مستطيل كُفَّةٌ. يقال كُفَّةُ الثوبِ لحاشيته، وكُفَّةُ الحابلِ، إذا كانت مستطيلةً. ويقال: لكل شىء مستدير كِفَّةٌ. ويقال: ضَعْهُ فى كِفَّة الميزان، فهذه جملة هذا. وكِفَّةُ الحابل، يعنى صاحبَ الحبَالةِ التى يَنْصِبُها للصَّيدِ.

* * *

وأما التشبيه البعيدُ الذى لا يقومُ بنفسه، فكقوله:

بل لو رأَتْنِى أُخْتُ جيرانِنا ... إذْ أنا فى الدار كأنى حِمارْ

فإنما أراد الصحة، فهذا بعيدٌ، لأن السامعَ إنما يستدلُّ عليه بغيره. وقال الله جل وعز، وهذا البِّينُ الواضح: ﴿كَمَثَلِ الحمَارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً﴾(٢) والسِّفْرُ الكتابُ، وقال: ﴿مثلُ الذينَ حُمِّلوا التَّوْراةَ ثمَّ لم يَحْمِلُوها كَمثلِ الحمَارِ﴾(٣) فى أنهم قد تعاموا عنها، وأضْرَبُوا عن حدودها وأمرِها ونَهيها، حتى صاروا كالحمار الذى يَحْمِلُ الكتب ولا يعلمُ ما فيها.

وهَجَا مروان بن سليمانَ بن يَحْيى بن أبى حَفْصةَ قومًا من رواةِ الشِّعر بأنهم لا يعلمون ما هو، على كثرة استكثارِهم روايتَه، فقال:

زَواملُ للأشعار لا عِلْمَ عندَهمْ ... بجَيِّدها إلاَّ كعِلْمِ الأباعِرِ
لَعَمْرُكَ ما يدْرى البَعيرُ إذا غَدَا ... بأوساقِه أو رَاحَ ما فى الغَرَائِر

* * *

والتشبيهُ كما ذكرنا من أكثر كلام الناس. وقد وَقع على أَلْسُنِ الناس من التشبيه المستحسَنِ عندهُم، وعن أصلِ أخَذوه ـ أن يشبهوا(٤) عين المرأة فى الكحل بعين الظبية(٥) أو البقرة الوحشيَّة. والأنْفَ بحَدِّ السيف، والفَمَ بالخاتم، والشعر بالعناقيد، والعُنُقَ بإبريق فضة. والساقَ بالجُمَّار(٦). فهذا كلامٌ جارٍ على الألْسُن.

---

(١) يؤتى إليه . أى يجىء إليه فى وهمه . (٢) سورة الجمعة ٥ .
(٣) الزوامل : حمع زاملة. وهى البعير بحمل المتاع والطعام. والغرائر: جمع الغرارة؛ وهى الأوعية، التى تسمى بالحوالق.
(٤) ر . «أن شبهوا. وما أثبته عن الأصل . س».
(٥) ر : «الظبى» . (٦) الجمارة: شحمة بيضاء فى رأس النخلة وفى س «الجمار».

وقد قال سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم: فرأيتُ رسول الله ﷺ وسَاقاهُ ناديتان في غَرْزه كأنهما جمَّارتان، فأرَدْتُه فوقَعْتُ في مِقْنَب[1]، من خَيْل الأنصار، فقرَّعُوني بالرِّماح. وقالوا: أين تريدُ؟

وقال كعبُ بن مالك الأنصاريُّ: وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ تَبَلَّجَ وجْهُهُ فصارَ كأنه الْبَدْرُ.

وعينُ الإنسان مشبَّهةٌ بعين الظبى والبقرةِ فى كلامهم المنثور. وشعرِهم المنظومِ، مِنْ جارِى ما تكلمتْ به العربُ، وكَثُرَ فى أشعارها، قال الشاعرُ[2]:

فَعَيْنَاكِ عيْناها وجيدُكِ جيدُها ... ولكنَّ عظمَ السَّاقِ منكِ رقيق[3]

[وقال ذو الرُّمَّة :

أرَى فيكِ مِن خَرْقاء يا ظَبْيَةَ اللِّوى ... مَشابهَ جُنِّبْت اعْتلاَقَ الحبائل
فعيناكِ عيناها وجيدُكِ جيدها ... ولونُكِ . إلاَّ أنها غَيْرُ عاطلِ][4]

وقال آخر[5] :

فلم تَرَ عينى مثلَ سرْب رأيتُهُ ... خَرَجْنَ علينا من زقاق ابن واقف
طَلَعْنَ بأعْناق الظِّباءَ وأعْيُنِ الْـ ... ـجآذرِ وامْتَدَّتْ بهنَّ الرَّوادفُ[6]

ويقالُ للخطيب: كأنَّ لسَانه مِبْرَدٌ. فهذا الجارى فى الكلام، كما يقال للطويل: كأنه رُمْح. ويقال لِلْمُهْتَزِّ للكرَم: كأنَّه غصنٌ تحت بارحٍ.

ومن عجيب[7] التشبيه قولُ القائلِ :

لعَيْنك يومَ البَيْنِ أسْرَعُ واكفًا ... من الفَنَنِ المَمْطُور وهْو مَرُوح[8]

---

(١) المقنب: جماعة الخيل والفرسان.

(٢) هو مجنون بنى عامر. وقبله:

وَيَاشِبْهَ لَيْلَى لوْ تَلبَّثْت ساعةً ... لعلَّ فؤادى مِنْ جواه يفيقْ

(٣) ر : «دقيق». وما أثبته عن الأصل. س .

(٤) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٥) ر : «الآخر». ونسبه المرصفى إلى هدبة بن خشرم العذرى

(٦) فى البيت إقواء .

(٧) ر : «من مليح».

(٨) نسبه القالى فى أماليه (١ : ٧٠) . إلى أبى حية النميرى. ورواه: «العيناك». والفنن: الغصن. وجمعه أفنان.

وذاك أن الغُصْنَ يقعُ المطُر فى وَرَقةٍ فيصـير منها فى مِثْلِ المدَاهِنِ، فإذا هَبَّتْ به الريحُ لم تُلَبِّثْهُ أنْ تقطِّرُه.

[طرائف من تشبيهات المحدثين]

ثم نذكُر بعدَ هذا طرائِفَ من تشبيه المُحْدثين ومَلاَحَاتهم، فـقد شرطناه فى أول الباب، إن شاء الله .

قال أبو العباس: ومن أكـثرهم تشبيهًا، لاتِّساعه فى القـولِ، وكثرة ثقبه[1]، واتِّساع مذهبه[2] الحسنُ بن هانئ، قـال فى مَديحه الَفَضْلَ بن يحـيى بن خالد بن بَرْمَك :

وكنَّا إذا مـا الحـائنُ الجَـدِّ غَـرَّهُ … سَنَا بَرْقِ غـاوٍ أو ضَـجيجُ رعَـادِ
تَرَدَّى له الفضلُ بن يحيى بنِ خالد … بماضِى الظُّبـا أزهاهُ طُـولُ نجَـادِ
أمـامَ خـميسٍ أرْجُـوان كـأنهُ … قـميصٌ مَـحُـوكٌ من قنًا وجيَـادِ
فـما هو إلاَّ الدَّهرُ يـأتى بصَـرْفِـهِ … على كـل منْ يَشْـقَى به ويُعَـادِى

قوله: «الحائنُ الجدِّ» يقال: حـانَ الرجلُ إذا دنَا موتُه، ويقال: رجلٌ حائنٌ. والمصدرُ الحَيْن. والجـدُّ: الحظُّ، والجدُّ والجَدَّةُ، مفتوحَـان، فإذا أردتَ المصدرَ من جَدَدْتُ فى الأمْر، قلتَ: «أجدُّ جداًّ» مكسـورَ الجيم، ويقال: جَدَدْتُ النخلَ أجُدُّه جَدًّا [وجَدَادًا][3] إذا صرَمْـتَهُ. ويقـال: جَذَذْتُهُ جَذًّا. وتركـتُ الشىء جُذَاذًا، إذا قَطَعْتَه قطعًا. ويُرْوَى هذا البيتُ لجرير على وجهين:

آلُ المهـلَّبِ جَـذَّ اللهُ دَابـرَهـمْ … أضْحَوْا رَمـادًا فلا أصْلٌ ولا طَرَفُ

ويروى «جَـدَّ» . وقرأ بعضُ القُـرَّاء: ﴿**عَطاءً غَيْرَ مَجْدود**﴾[4] فأما قوله: ﴿**فَجعَلَهُمْ جذاذا**﴾[5] فلم يُقْـرأ بغيرِه. ويقـالُ: كم جَذاذُ نَخْلكَ. أى كـم تَصرَّم منهـا. ويروى فى قوله الله جل وعـز: ﴿**وأَنَّه تَعالى جَدُّ ربِّنَا**﴾[6] عن أنـس بن

---

(١) كذا فى س والأصل، وفى ر : «تفننه».
(٢) ر . «مذاهبه».
(٣) تكملة من س .
(٤) سورة هود ١٠٨ .
(٥) سورة الأنبياء ٥٨ .
(٦) سورة الجن ٣ .

مالك: «غنَى ربّنَا». وقرأ سعيدُ بن جـبير: «جَدًّا رَبُّنا». [ولو قرأ قارئ «جداً ربُّنا» على معنى: جدِّ ربِّنا لم يُقْرأ به لتغيُّر الخَطِّ. وكذا قراءةُ سعيدٍ مخالفَةٌ الخَطَّ](١).

وهذا الشعر يُنْشَدُ بالكسر:

أجِـدَّكَ لم تَغْـتـمضْ لـيْلةً ... فـتـرقُـدَها مَعَ رُقَّـادِهَا

ومثلُه(٢):

أجِـدَّكَ لم تَسمَعْ وَصَـاةَ مـحمـدٍ ... رسـول الإلهِ حين أوْصَى وأشْهَـدَا

لأن معناه أجـداً منك، على التوقيف، وتقديُره في النصـب: «أتجدُّ جداً»، ويقـال: امرأةٌ جَـدَّاءُ، إذا كانـت لا ثَدْىَ لها، فكأنه قُـطِعَ منها، لأنَّ أصلَ الجَـدِّ القطعُ، ويقال: بلدةٌ جَدَّاءُ، إذا لم تكن بها مياهٌ. قال الشاعرُ:

وجَـدَّاءَ مـا يُرْجَى بهـا ذو هَوَادةٍ ... لِعُرْفٍ وَلاَ يَخْشَى السُّماةَ رَبِيبُها(٣)

* * *

[القَرَابـةُ والهوادة فى المعنى واحـدٌ. قال أبو الحـسن: «السُّماة» هـم الصَّادَةُ نصفَ النهـارِ، وروى عن بعض أصحـابنا، عن المازنيِّ قال: إنما سُـمِّى «سامـيًا» بالمسـمَّـاة، وهو خُفٌّ يلْبَسهُ لئـلا يَسـمَعَ الوحش وَطْأه، وهو عندى مِـن «سَمَـا للصيد»].

* * *

يُنْشَدُ هذا البيت:

أَبَى حُـبِّى سُلَيْـمَى أن يَبِـيـدَا ... وأصْبَحَ حـبْلُهـا خلَقًـا جَـديدًا

يقولُ: أصبحَ خَلَقًا مقْطوعًا، لأن «جديدًا» فى معنى «مَجْدودٍ» أى مقطوع، كما تقولُ: «قتيلٌ ومقتولٌ» و «جَريحٌ ومَجْرُوحٌ».

---

(١) ما بين العلامتين زيادة من ر.

(٢) زيادات ر: «قول الأعشى». والبيت فى ديوانه ١٠٣. وروايته: «نبى الإله».

(٣) البيت فى الكتاب ١: ٢٩٤: ٢ ١٤٤. ونسبه إلى العنبرى، وروايته.

وجـداء مـا يرجى بـهـا ذو قـرابة ... لعطف ومـا يخـشى السـمـاة ربيـبهـا

إلى العنبرى.

ويقال في غير هذا المعنى: رجلٌ مَجْدودٌ. إذا كان ذَا خَطَر وحَظٍّ[1]، وفي الدعاء «ولا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ منك الجَدُّ»، أي مَنْ كان له حظٌّ في دنياه لم يَدْفَعْ ذلك عنه ما يريد الله به. ولو قال قائلٌ: ولا ينفعُ ذا الجدِّ منكَ الجدُّ - يريدُ الاجتهاد - لكان وجهًا.

وقوله: «سَنَا بَرْقٍ غاو» والسَّنا: من الضِّياء مقصورٌ. قال الله جل وعز: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾[2]. والسَّناءُ: من المجد ممدودٌ، وقال الشاعرُ:

وهم قومٌ كرام الحَيِّ طُرًّا ... لهم خَوَلٌ إذا ذُكِرَ السَّناءُ

وضَربه الحسن[3] هاهنا مَثَلا وجَمَعَ الرَّعْدَ فقال: رِعادٌ، كقولك: كَلْبٌ وكِلابٌ، وكعْبٌ وكِعابٌ.

وقوله: «بمَاضِي الظُّبى». ظُبَةُ كلِّ شيءٍ حَدُّهُ، يقال: وخَزَهُ بظُبَةِ السيفِ، يرادُ بذلك حَدُّ طَرَفِه.

وقوله: «أَزهاهُ طولُ نجَاد»، النجاد: حَمَائلُ السيف، وأزهاه: رفَعَه وأعْلاهُ، والرجلُ يُمْدَحُ بالطُّولِ، فلذلك يُذْكَر طولُ حمائِله، قال مَرْوانُ بن أبي حَفْصةَ يمدحُ المَهدِيَّ:

قَصُرَتْ حمائِلُهُ عليه فقَلَّصَتْ ... ولقد تأَنَّقَ قَيْنُها فأطالهَا

* * *

وقال الحسنُ بن هانئ يمدحُ محمدًا الأمينَ:

سَبْطُ البَنانِ إذَا احْتَبَى بنِجَادِهِ ... غمَرَ الجماجمَ والسِّماطُ قِيامُ[4]

* * *

وقال جريرٌ للفرزدق:

تعالوا ففاتونا ففي الحكم مقنع ... إلى الغر من أهل البطاح الأكارم
فإني لأرضى عبد شمس وما قضت ... وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

---

(١) ر: «أي حظ». (٢) سورة النور ٤٣.
(٣) يريد الحسن بن هانئ.
(٤) عمر الجماجم. أي فرع القوم وعلاهم بطول قامته.

وقال الآخر :

لما التقى الصفان واختلف القنا نهالا وأسباب المنايا نهالها
تبين لى أن القماءة ذلة وأن أشداء الرجال طوالها

وقولُه: «أمَامَ خَميس»، الخميسُ هاهنا: الجيشُ، وكذلك قال رَبِيَئةُ أهلِ خَيْبَرَ، لَمَّا أطَلَّ رسولُ اللهِ ﷺ عليهم: محمدٌ والخميسُ، أى والجيشُ. وقال الشاعرُ، وهو طَرَفَةُ:

وأى خميس لا أفأنا تهابه وأسيافنا يقطرن من كبشه دما

أَفأنا: رَدَدْنَا، يقال: أفاءَهُ يُفِيءُ إذا رَدَّ. والأُرْجُوَان: الأحمرُ[1] قال الشاعرُ:

عَشيَّةَ غادَرَتْ خَيْلِى حُمَيْدًا كأنَّ عليه حُلَةَ أُرْجُوَانِ

والجيادُ: الخيلُ. وفى القرآن: **﴿إذ عُرِضَ عَلَيْهِ بالعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الجيادُ﴾**[2].

* * *

ومن تشبيهه[3] الجِّيدِ فى هذا الشعرالذى ذكرنا قوله:

تَرَى الناسَ أفواجًا إلى باب داره كأنهمُ رِجْلا دبًا وجَراد[4]
فَيَوْمٌ لإلحاقِ الفقير بذى الغِنَى ويومُ رِقابٍ بُوكِرَتْ لِحَصَادِ

* * *

ومن التبشبيهِ الجيد قوله[5]:

فكأنى بما أُزَيِّنُ منها قَعَدِىّ يزيِّن التَّحْكِيما

وكان سبب هذا الشعرِ أن الخليفة تَشَدَّدَ عليه فى شربِ الخمر، وحَبَسه من أجل ذلك حبسًا طويلا، فقال:

---

(١) الأرجوان : صبغ أحمر شديد الحمرة .
(٢) سورة ص ٢١ .
(٣) أى الحسن بن هانئ .
(٤) الدبا : مقصور الجراد قبل أن يطير .
(٥) زيادات ر : «أى الحسن بن هانئ».

أيُّهـا الرائحَـان بـالّلَوم لُومَـا / لا أذوقُ المُدامَ إلا شـمـيـمـا
نالَنـى بالملاَم فـيـهـا إمـامٌ / لا أرَى لى خـلاَفَـهُ مُسْـتَـقيمـا
فـاصْـرفَـاها إلى سـواَىَ فـإنّى / لسْـتُ إلاَّ علَى الحـديث نَـديمَا
كُـبْـرَ حَظِّـى منهـا إذا هى دَارَتْ / أنْ أراها وأن أشمَّ الـنَّسـيـمـا
فـكأنـى بمـا أُزَيِّـنُ منـهـا / قَـعَـدىٌّ يُزَيِّنُ التَّـحكيـمـا[1]
لَمْ يُطِقْ حَـمْلهُ السِّلاحَ إلى الحَـرْ / بِ فَـأَوْصَى المطِيقَ ألاَّ يُقِـيـمـا

فهذا المعنى لم يسبقه إليه أحد.

* * *

قال: وحدثت أن العمانى[2] الراجز أنشد الرشيد فى صفة فرس:

كـأنَّ أُذْنَيْـه إذا تَـشَـوَّفَـا / قـادمـةً أو قَلَمًـا مُـحَـرَّفَـا[3]

فعلمَ القومُ كلُّهم أنه قد لَحنَ، ولم يهتد منهم أحدٌ لإصلاح البيت إلا الرشيدُ. فإنه قال له: قُلْ: «تَخالُ أُذْنَيْـه إذا تَشَوَّفَا». والراجزُ وإن كان لَحَنَ فقد أحسنَ التشبيه.

* * *

ويروى أن جريرًا دخلَ إلى الوليدِ وابنُ الرقاع[4] العامليُّ عنده يُنْشِدُهُ القصيدةَ التى يقولُ فيها:

غَلَبَ المَسَاميحَ الوليدُ سَمَاحَةً / وكَفَى قُرَيْش المعْضِلاَتِ وَسَادَهَا

قال جرير: فحسدته على أبيات منها، حتى أنشد فى صفة الظبية:

* تزْجِى أغَنَّ كَأَنَّ إبْرَةَ رَوْقِه *

قال: فقلتُ فى نفسى: وَقَعَ والله، ما يَقْدِرُ أن يقول أو يُشَبِّهَ به، قال: فقال:

---

(١) القعدى: من يرى رأى القعد؛ وهم الخوارج الذين يرون القعود والتحكيم ولا يخرجون إلى القتال.
(٢) العمانى: هو محمد بن ذؤيب بن محجن البصرى.
(٣) قادمة: واحدة القوادم؛ وهن أربع ريشات فى مقدم الجناح. واللواتى بعدهن المناكب إلى أسفل الجناح.
(٤) هو الوليد بن عبد الملك، وابن الرقاع هو عدى.

* قَلَما أصَابَ مِنِّ الدَّوَاة مِدَادَهَا *

قال: فما قَدَرْتُ حَسَدًا له أن أُقِيمَ حتى انصرفتُ.

* * *

ومن التشبيه[1] الحسن الذى نَستطرِفُه قوله:

تعـاطيكهَـا كـفٌّ كـأن بَنَانـهَـا　　إذا اعتَـرَضْتها العَـيْنُ صَفُّ مَدَارِى

* * *

ومن التشبيه المليح قوله:

وكـأنَّ سـلمـى إذْ تُوَدِّعُـنَا[2]　　وقـد اشْـرَأَبَّ الدمَّـع أن يكفَـا[3]

رَشَـأٌ تَوَاصَـيْنَ الـقِـيَـانُ به　　حـتى عَـقَـدنَ بأُذْنِه شُنُفَـا[4]

* * *

وفى هذا الشعرِ من التشبيه[5] الجِّيد قوله[5]:

خَـيِّـرْ فـؤادَكَ أو سَـتُـخْـبِـرهُ　　قَـسَـمًـا ليَنْتَـهِـيَنَّ أو حَلَفَـا

الحبُّ ظـهْـرٌ أنت راكِـبُـهُ　　فـإذا صـرَفْتَ عِنَـانَهُ انصَـرَفَـا

* * *

ومن التشبيهِ الجيدِ قوله[6]:

إليكَ رَمَتْ بالقَوم خـوصٌ كـأنما　　جَمَـاجِمُـها فـوقَ الحجـاجِ قُبُـورُ

* * *

---

(١) ر : «تشبيهه» .

(٢) ر : «كأن سعدى» وما أثبته عن الأصل، س .

(٣) زيادات ر : «يقال: اشرأب لأن يكلمنى» إذا تهيأ لكلامك. واشرأب الدمع، إذا تهيأ للوكف».

(٤) الرشأ: الظبى إذا قوى واشتد، وتواصين، أوصى بعضهم بعضا.

(٥ـ٥) ساقط من ر .

(٦) من كلمة يمدح بها الخصيب، أمير مصر، وقبله :

ومـازلتَ توليـه النَّصيـحـةَ يافـعًـا　　إلى أن بدا فى الـعـارضَيْـن قـتـيـرُ

إذا غـالـهُ أمْـرٌ فـإمَّـا كَـفَـيْـتَـهُ　　وإمَّـا عـلـيـه بالـكُفَـاة تشـيـرُ

وله أيضًا :

سَأَرْحَلُ مِن قُودِ المَهَارَى شِمِلَّةً ... مُسَخَّرةً مَا تَسْتَحِثُّ بِحَادِى(١)

معَ الرِّيح ما راحتْ فإن هيَ أَعْصَفَتْ ... نَهُوزٌ برأسٍ كالعَلاَةِ وَهَادِى(٢)

العَلاَة : السِّنْدانُ، قال جريرٌ :

أَيَفْخَرُ بالمُحمَمِ قَيْنُ لَيْلَى ... وَبالكِيرِ المرَقَّعِ والعَلاَة

* * *

وقال الحسن بن هانئ فى صفة السفينة :

بُنِيَتْ على قَدَرٍ ولاءَمَ بَيْنَهَا ... طَبَقَانِ من قِيرٍ ومن أَلْوَاحِ

فكَأَنَّها والماءُ يَنْطَحُ صَدْرَها ... والخَيْزرانةُ فى يدِ المَلاَّحِ

جَوْنٌ من العِقْبَانِ يَبْتَدِر الدُّجَى ... يَهْوِى بصَوْت واصْطفاقِ جَنَاحِ

* * *

وقال فى شعرٍ آخر ، يصفُ الخمرَ، ويذكرُ صفاءَها ورِقَّتَها، وضياءها وإشراقَها:

إذا هَبَّ فيها شاربُ القومِ خلْتَهُ ... يُقَبِّل فى داجٍ من اللَّيْل كَوْكَبا(٣)

* * *

فأما قوله:

بَنيْنَا عَلَى كِسْرَى سماءَ مُدَامَة ... جَوَانِبُها مَحفُوفَةٌ بنُجومِ

فلو رُدَّ فى كِسْرَى بنِ ساسانَ رُوحُهُ ... إذًا لاَصْطَفانِى دونَ كلِّ نديمِ

---

(١) قود المهارى. القود: جمع قوداء، وهى الطويلة الظهر والعتق، والمهرى: المنسوبة إلى مهرة بن حيدان. أى حى من العرب .

(٢) النهوز، مبالغة من النهز، وهو الدفع .

(٣) قبله .

وقُلْتُ لساقيها أجزْهَا فلم يَكنْ ... ليَأبى أميرُ المؤمنين وأشربا

فجوَّزها عنِّى سُلافًا ترَى لَهَا ... إلى الأفُقِ الأعلى شعاعًا مُطَنَّبَا

فإنما كانت صورةُ كسرى فى الإناء وقوله:

جوانْبها محفوفةٌ بنجوم

فإنما يريد ما تَطوَّقَ به من الزَّبَدِ .

* * *

وقد قال فى أخرى :

[أولُ الشعرِ من غير الأم(١):

وَدَارِ نَدَامَى خَلَّفُوهَا وَأَدْلجُوا — بهَا أثرٌ منهم جديد ودارِسُ
مَسَاحِبُ من جَرِّ الزِّقَاق على الثَّرَى — وأضغاثُ رَيْحَانٍ جَنِىٌّ ويابسُ
حَبَسْتُ بها صَحْبِى فأَلَّفْتُ شملَهُم — وإنى على أمثال تلكَ لحابسُ](٢)
أقمنا بها يوما ويومًا وليلة — ويومًا له يومُ التَّرَحُّلِ خامسُ
تدارُ علينا الرَّاحُ فى عَسْجَدِيَّة — حَبَتْها بأنواع التصاوير فارسُ
قرارَتَها(٣) كسْرَى وفى جَنَبَاتها — مَهًا تَدَّرِيهَا بالقسى الفوارس
فلِلْخَمْرِ مازرَّت عليه جُيُوبُها — وللْماء ما دَارَتْ عليه القَلانسُ

العسجديةُ: منسوبةٌ إلى العَسْجَد، وهوالذَّهب.

وقال المُثَقَّبُ العَبْدِىُّ :

قالت ألا تَشْتَرى ذاكمُ — إلاَّ بما شئنا ولم يُوجَدِ
إلاَّ بِبَدْرَىْ ذهب خالصٍ — كلَّ صباحٍ آخرَ المُسْنَدِ
مِنْ مالِ مَنْ يَجنِى ويُجْنَى له — سبعون قِنطاراً من العسجدِ

وقوله: «تَدَّريها» أى تَختِلها. يقال: دَرَيْتُ الصَّيْدَ. إذا خَتَلتَه. قال الأخطلُ:

---

(١) الأم هنا أصل الكتاب .

(٢) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٣) قرارتها : منصوب على الظرفية .

وإن كنت قد أقْصَـدتنى إذْ رَمَيْتنى بسهمِك والرامى يصـيدُ وما يَدرى

* * *

وقال الحسن بن هانئ :

مَـا حَطَكَ الواشــونَ من رُتْبَـة عندى ولا ضَـرَّك مـغــتـابُ[(١)]
كـأنما أثْـنواْ ولم يَعْـلَمُــوا[(٢)] علـيكَ عـندى بالـذى عـابُوا

وهذا المعنى عندى مأخـوذٌ من قول النُّعمان بن المُنْذر لحَـجْلِ بن نَضْلَة، وقد ذكر معاويةَ بن شكَلٍ، فقال: أبيتَ اللَّعْنَ! إنَّهُ لقَعْوُ الألْيَتَيْنِ، مُقْبَلُ النَّعلين، فحجُ الفَخِـذَيْن، مَشَّاءٌ بأقْـرَاءٍ، تبَّاعُ إماءٍ، قَـتَّالُ ظبَـاء. فقال النعـمانُ: أردتَ أن تذيمه فمدَهتَهُ.

قوله: «مُقْبَلُ النعـلين»، يقولُ: لنعله قِبَالٌ. يَنْسُبُهُ إلى التَّـرَفهِ. وتباع إماء. وقَتَّالُ ظَبَاء . من ذلك.

والقَعْوُ: ما تَدُورُ فيه البَكرَةُ إذا كان من خشب.

وقوله: «تَذيمه» مـعناه تذمُّهُ. يُقالُ: ذَمَّـهُ يَذُمُّهُ ذَمًّا وذَامَهُ يَذيمهُ ذَيْمـاً، وذَأَمَه يَذْأَمُـهُ ذَأْمًـا. والمعنى واحـد، قـال الله تبـارك وتعـالى: ﴿**اخْرُجْ مِـنْهَا مَـذْءُومًا مَدْحُورًا**﴾[(٣)]. وقال الحارث بن خالد المخزوميُّ لعبد الملك:

صَحِـبْتُك إذ عَيْنى عليـها ترودُها فلمَّـا انجَلَتْ قَطَّعْتُ نفسى أَذيمُهـا

وقوله: «فَـمَدَهْتَهُ» يريدُ «مَـدَحْتَهُ». فأبدلَ مـن الحاء هاءً، لِقُـرْب المَخْـرَج، وبنو سَعْد بن زيد مَناة بن تميمٍ كذلك تقولُ. ولخمٌ ومَن قَارَبهَا.

قال رُؤْبة :

لله در الغــــانيـــــات المدَّه[(٤)] سَبَّـحْنَ واسْتَرْجَـعْنَ من تألُّهى[(٥)]

يريد «المُدَّح»، وفى هذه الأرجُوزَة :

---

(١) ر : «ما اغتابوا» . وهذه رواية الأصل .

(٢) ر : «كأنهم» .

(٣) سورة الأعراف ١٨ .

(٤) المده : اللاتى يتمدحن بالجمال .

(٥) استرجعن : قلن . «إنا لله وإنا إليه راجعون» .

* بَرَّاقُ أصْلاَدِ الجبين الأَجْلَه[1] *

يريدُ الأجْلَحِ، والعـربُ تقـولُ: جَلَحَ الرجُلُ جَلَحًـا. وجَلِه يَجْلهُ جَلَهًـا. وجَلِيَ يَجْلَى جلًى، والمعنى واحدٌ، قال العجاجُ:

* مَعَ الجَلاَ ولائحِ القتير *

ومثلُ بيت الحسنِ وكلام النعمانِ قولُ عمرو بن مَعْديكرب:

كـأنَّ مُـحَرَّشًـا فى بيتِ سُـعْـدَى ... يُعَلُّ بِعَـيْـبِـهِـا عِنْدى شَـفِـيعُ[2]

وفى قصيدةِ الحَسَن هذه :

إن جـئت لـم تأتِ وإن لمْ أَجِئْ ... جـئـتَ، فـهــذا منكَ لى داب!

كــــأنما أنــت ـ وإنْ كنـت لا ... تَكْذبُ فـى الميــعــادِ ـ كــذَّابُ

وهذا كلام طَريفٌ.

* * *

ومن حَسَنِ تشبيه المحدَثِينَ قولُ بشَّارِ بن بُرْدٍ العقيلى[3]:

وكــأنَّ تحـتَ لســانـهـــا ... هاروتَ يَنْفُثُ فـيـه سحْـرًا[4]

وتَخـالُ مــا جَـمَـعَتْ عـليـه ... بَنَـانَـهَـــا ذَهَـبًـــا وعِـطرًا[4]

وهذا التشبيهُ الجامعُ.

ونظيرهُ فى جمع شيئين لمعنيين ما ذكرتُ لكَ من قول مُسْلمِ بن الوليد :

كأنَّ فى سَرْجِه بَدْرًا وَضِرْغامًا

* * *

ومن حَسَنِ التشبيه من قول المُحْدَثين قولِ عباس بن الأحْنَفِ:

---

(١) أى لا شعر فوق جبينه. تشبيها بالحجر الصلد .

(٢) يعل، من العل، وهو السقية الثانية

(٣) ساقطة من ر . (٤) قبلهما :

حَــــــوْراءُ إن نَـظَـرَتْ إلَـيْـكَ ... سَـــقَــتْكَ بـالعـيـنين خـمْـــرَا

وَكَـــأنَّ رَجْعَ حَـــديـثِـــهـــا ... قِـطَعُ الـريـاض كُـــــسينَ زَهْـرَا

أحْـــرَمُ منكــم بما أقـــولُ وَقَـــدْ نالَ به العـاشـقـونَ مَنْ عَشـقُـوا
صِـــرْتُ كـــأنى ذُبالـةٌ نُصِـبَتْ تُضىءُ للنـاسِ وَهْـى تَحْـتَـرِقُ(١)

فهذا حسنٌ فى هذا جداً .

* * *

ومن حَسَنِ مـا قالوا فى التـشبيـهِ قولُ إسـماعيلَ بن القـاسم أبى العَتـاهيَة للرَّشيـد :

أمينَ الله أَمْـنُكَ خَـــيْــــرُ أَمْنٍ عليك مـن التُّـقَى فـيـه لـبَـاسُ
تُسـاسُ من السَّمـاء بكل فَـضْلٍ وأنتَ به تَسُـوسُ كــمـا تُسـاسُ
كــأن الخلْـقَ رُكِّبَ فـيــه رُوحٌ له جَـسَـــدٌ وأنـت عليــه رَاسُ

وقد أخَذَ هذا المعنى علىُّ بن جَبَلة. فقال فى مدحه حُـمَيْد بن عبدِ الحميدِ. وزَادَ فى الشرح والترتيب. فقال:

يَرْتُـقُ مــا يَفْـــتُـقُ أعــداؤُهُ وَلَيْسَ يَـأْسُـو فَـتْـقَـــهُ آسى(٢)
فـالنـاس جسمٌ وإمـامُ الـهـدى رأْسٌ وأنت الـعَـــيْنُ فـى الرَّاسِ

والعربُ تَخْتَصرُ فى التشبيه، وربَّما أومأَتْ به إيماءً، قال أحدُ الرُّجَّاز:

بتْنـا بِحَـسَّـــانَ ومِـعْـــزَاهُ تَئطُّ(٣) مـازِلْتُ أَسْعَى بيـنهم وأَلْتَـبِطْ(٤)
حـتى إذا كـاد الظَّلاَمُ يخـتَلِطْ(٥) جَاءوا بمَذْقٍ هل رأيتَ الذئبَ قَطْ!

يقول فى لَوْنِ الذئب. واللبَنُ إذا جُـهدَ(٦) وخُلِطَ بالماءِ ضَرَبَ إلى الغـبْرة. وأَنشدَ الأصمعىُّ:

وَتَشْرَبُهُ مَخْـضًا وَتَسقِـى عِيالـها سَجَـاجا كأَقْـرَابِ الثعـالبِ أَوْرَقا

---

(١) الذبالة : الفتيلة .
(٢) الرتق: ضد الفتق؛ وهو لأم الفتق وإصلاحه.
(٣) تئط : من الأطيط؛ وهو صوت الأمعاء من الجوع.
(٤) الالتباط : العدو والوثوب.
(٥) ر · «كان الظلام». وما أثبته من الأصل. س .
(٦) جهد اللبن أخرج زبده كله .

السَّجَاج: الرقيق المَمْذُوقُ. والقربانِ: الجَنْبَانِ. والواحدُ قرْبٌ. (١والجَميعُ أقرابٌ١)، ومن ذلك قول عمر بن الخـطاب رحمه الله لرسول الله ﷺ - وقد شـاوَرَ فى رجل جَنَى جنَايَة، وجاء قـومهُ يَشْفَـعونَ له، فشَـفع له قومٌ آخرون، فقال له عمر: يا رسولَ الله. أرى أن تُوجعَ قُرْبَيْه، فقال القومُ: يا رسول الله، إنَّك لن تَشْتَدَّ على أمَّتكَ بقول عمرَ. فنزل إليه جبريلُ ﷺ فقـال له ثلاثـا: يا محمـدُ، القولُ قولُ عُمرَ، شُـدَّ الإسلامَ بعمر. فخرجَ رسـول الله ﷺ فضَرَبَ الرَّجلَ.

والأوْرَقُ: لونٌ بين الخضْـرَةِ والسَّوادِ، يقال: جَـمَلٌ أوْرَقُ بَيِّـنُ الوُرْقَةِ، وهو ألأمُ ألوان الإبل عندَ العربِ وأطيبُها لحمًا.

* * *

ومن مَليح التشـبيه لِلمُـحْدَثين(٢) قـولُ عبـد الصَّمـد بن المعَـذلِ فى صفـة العقربِ:

تَبْـرزُ كـالْقَـرْنَيْنِ حين تُطْلعُـهُ ... تُزْحلُه مَـرًّا وَمَـرًّا ترْجعـهُ(٣)
فى مثْل صَدْرِ السِّبْت خَلْقٌ تُفْظعهُ ... أعْـصَلُ خَطَّارٌ تـلوح شُنَعُـهْ(٤)
أسْـوَدُ كالسُّـبَّـجَة فـيَه مـبْـضَعُـهْ ... لا تَصنَعُ الرَّقْشَـاءُ ما لا يَصْنَعُهْ(٥)

وفى هذه الأرجوزة أيضًا:

باتَ بهَـا حَـيْنُ حُـبَيْـش يَتْبَـعُـهْ ... وبَاتَ جَـذْلانَ وَثيراً مَـضْجَـعُه(٦)
ذَا سنَـة آمنَ مَـــا يُـروِّعُـــه ... حَـتى دَنَـت منه لحـتْف تزْمــعُـه
فـاظَـتْ تَجمُّ سَـمَّـهـا وتَجْـمَـعُـهْ ... يا بُؤْسِ للمُـودعـه مـا يُودعُـهْ(٧)
فَـشَـرعَتْ أمَّ الحـمَـام إصْـبَـعُـه ... أنحتْ علَيـه كالشـهاب تلْذَعُـه(٨)

(١-١) ساقط من ر.

(٢) ساقطة من ر.

(٣) تزحله: تنحيه.

(٤) السبت: الجلد المدبوغ. وخلق. مخلوق. يريد ذنبها. تفظعه: تراه فظيعا. أعصل. من العصل، وهو الالتواء فى الشىء. وخطار: كثير الحركة يمينا وشمالا. (من رغبة الآمل).

(٥) السبجة: بردة من صوف فيها سواد وبياض، والرقشاء: الحية فيها نقط سود وبيض.

(٦) حبيش هنا: اسم اللديغ، والحين: الهلاك.، ووثيرا، من الوثارة. وهى لين الفراش.

(٧) فاظت. أخرجت سمها.

(٨) شرعت: دنت.

عَطَّك سِـــرْبَالَ حَـــرير تخلعُـــهْ فكلُّ خـلٍّ ظاهرٍ تَفَـــجُّـــعــــهْ(1)
يَزدادُ منَ بَغْتِ الحِـــمَـامِ جَـزَعـه واليـأسُ مِن تـيْـسـيـره تَوَقُّـــعُـه

وكذلك قال يزيدُ بن ضبَّة [أو يزيد بن الصمة(2)] .

[قال أبو الحسن : شك العباس فى أنه لأحدهما . أعنى هذا البيت] .

ولكـنَّهُم بَانـوا ولم أدرِ بَغْـــتَـــة وأَفْظَعُ شيءٍ حينَ يَفْجَـؤكَ البَغْت(3)

* * *

ومن أحسن التشبيه ومَلِيحِهِ قولُ رجل يَهْجُو رَجُلا برَثاثة الحالِ :

يأتيك فـى جُـبَّـة مـحـــرَّقـة أَطْوَلُ أعـــمـار مــثْلهَـــا يَوْمُ
وطَيْلَسَـــانٍ كـــالآلِ يَلْبَـسُـــهُ على قَـــمـيـصٍ كـأَنَهُ غَـــيم

* * *

والتشبيه كثيرٌ، وهو بابٌ كأنه لا آخِر له، وإنما ذكرنا منه شيئًا لئلا يخلوَ هذا الكتابُ من شيء من المعانى.

ونختمُ ما ذكرنا من أشعار المحْدَثين ببيتين أو ثلاثة من الشعر الجيِّد. ثم نأخذُ فى غير هذا الباب إن شاء الله . قال طُفَيلٌ :

تَقـريبُـهُ المَرطَى والجـوْنُ مُعْـتَـدِلٌ كـأنـه سُـبَـدٌ بـالماء مَـغْــسُــولُ

السُّبد: طائرٌ بعينه. وقد قالوا : الخطفة التى توضعُ عند البئر ، وهو بالطائرِ أشبه، وإنما أراد العَرَقَ فى هذا الوقتِ، وخيرُ الخـيل ما لم يُسْرِع عَرَقُهُ ولـم يُبْطِئ، فإذا جاء فى و قته شَمِلَهُ.

قال الرَّاجزُ :

كــأَنَّه والـطَّرْفُ منـه سَـــامِى مُـشْـتَـمِلٌ جـاء مِنَ الحَـمَّـامِ

وقال الأعشى :

---

(1) العط شق الثوب وغيره من غير أن يبين.

(2) تكملة من س ، وفى ر . «أو للعرجم» ، ولعله . «أو للعرجى»

(3) حاشية الأصل : «فى عيرهدا الموضع إنه لمحمد بن عبد الله بن نمير الثقفى».

يُعَادِى النحُوصَ ومِسْحَلَهَا وعِفْوَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَسْتَحِم

النَّحْوص، جماعُها نحُصُ، وهى التى لم تَحْملْ فى عامها، والمِسْحَلُ: العَيْرُ، والعِفْوُ: الولَدُ وجمعُه عفَاءٌ. فاعلم؛ وهو أَسْعَى له إذا لم يكن لعامه. ويَسْتَحِمُّ: يَعْرَقُ. وفى حديث أمِّ زَرْع: «مضْجَعُه كَمَسلِّ الشَّطْبَة[1] وتَكْفيه ذراعُ التجفرَة»[2]. ومعناه أنه خَمِيص البطن، وهذا تمْدَحُ به العربُ وتَستحسنه، فأَما قولُ مُتَمِّم بن نُوَيْرة:

* فتى غَيْرَ مبْطان العَشيَّات أَرْوَعَا[3] *

فإنما أَرَاد أنه لا يسْتعجلُ بالعشاء لانتظاره الضيفَ، كما قال:

وضَيْف إذا أَرقَى طُرُوقًا بَعيرهُ وعان نآهُ الغلّ حتى تكَنَّعا[4]

وقالوا فى قول الخنساء:

يُذكّرُنى طُلوعُ الشمسِ صَخْرًا وأذكُره لكلِّ غُروبِ شمسِ

قالوا: أرادتْ بطلوعِ الشمس وقت الغَارَةِ. وبغروب الشمس وقت الأضْيافِ.

* * *

وقال رجلٌ لبعض أهله[5]: واللهِ ما أنتَ بعَظيم الرأْس فتكون سَيِّدًا، ولا بأرْسَحَ[6] فتكون فارسًا.

وقال رجلٌ من بنى أَسدِ لرجل من قَيْس: واللهِ ما فُتِقْت فَتْق السَّادَةِ. ولا مُطِلْتَ مَطْلَ الفُرْسانِ.

---

(١) الشطبة: السعفة التى تشطب من الجريد.

(٢) التجفرة: ما بلغ أربعة أشهر من ولد الشاة.

(٣) المبطان: العظيم البطن من كثرة الأكل. وصدره:

* لَقَدْ كفَّنَ الْمنهالُ تَحْتَ ردائه *

(٤) قال الأصمعى: إذا ضل الرجل أرغى بعيره. أى حمله على الرغاء لتجيبه الإبل برغائها، أو تنبح لرغائه الكلاب فيقصد الحى». والعانى: الأسير، والطروق: الإتيان ليلا. وتكنع الأسير تقبض واجتمع.

(٥) ر. «لابن له».

(٦) الأرسح: قليل لحم المخذين والأليتين.

فهذه كلُّها نعوت قد عُرِفَتْ لقومٍ حتى كأنها سِمَاتٌ لهم. وكانوا يقولون: ينْبَغى أن يكون الفارس[1] مُهَفْهَفَ الخَصْرَيْن[2]، مُتَوَقِّدَ العينين، حَمْشَ الِّذراعين[3]. وأنشد الأصمعيُّ:

* كأنما سَاعِدَاه ساعدَا ذيب *

قالوا: ومن نعت السَّيِّد أن يكونَ لحيمًا، ضَخْمَ الهامة، جهيرَ الصَّوْت، إذا خطا أَبْعدَ، وإذا تُؤمِّلَ مَلأَ العَيْنَ؛ لأنَّ حقَّه أن يكونَ فى صَدر مجلس، أو ذِرْوَةِ مِنْبر، أو منفردًا فى مَوْكِب.

وكانوا يقولون فى نعت السيِّد: يملأ العَيْنَ جمالا، والسَّمعَ مَقالا.

* * *

وقال أبو عليٍّ دعْبل بن على فى رجلٍ نَسَبَهُ إلى السُّؤدَد، بقوله لمعاذ بن جَبَلِ بن سعيدٍ الْحِمْيَرِىِّ، وهو من ولد حُمْيدِ بن عبد الرحمن الفقيه:

فإذا جالَسْتَهُ صَدَّرْتَهُ ... وتَنحيَّتْ له فى الحاشيهْ[4]
وإذا سَايَرْتَهُ قَدَّمْتَهُ ... وتأخَّرتَ معَ المستأنيَهْ[5]
وإذا ياسَرْتَهُ صَادفتَه ... سَلِسَ الخلق سَليمَ الناحيَهْ[6]
وإذا عاسَرْتَهُ صادفتَه ... شَرِسَ الرَّأْى أبيًّا دَاهيَهْ[7]
فاحْمَدِ الله على صُحبته ... واسْأَلِ الرَّحمنَ منه العافِيَهْ

وهذا المعنى قد أجمله جريرٌ فى قوله :

بِشْرٌ أبو مَرْوانَ إن عاسَرْتَهُ ... عَسِرٌ وعندَ يَسَاره مَيْسورُ[8]

(١) ر : «ينبغى للفارس أن يكون» .
(٢) مهفهف الخصرين : ضامرهما .
(٣) حمش الذراعين. أى دقيقهما.
(٤) حاشية كل شىء طرفه وجانبه .
(٥) المستأنية : المتمهلة البطيئة.
(٦) ياسرته : لاينته وساهلته .
(٧) شرس الرأى : سيئ الخلق .
(٨) هو بشر بن مروان ، أخو عبد الملك بن مروان .

بـاب

تجتمعُ فيه طَرَائفُ من حَسَن الكلام، وجيـدِ الشعر، وسائرِ الأمثال، ومأثور الأخبار، إن شاء الله .

[الحجاج بن يوسف والوليد بن عبد الملك]

كان الحجَّاجُ بن يوسف يَسْتَثْقِل زيادَ بن عمرو العَتَكىَّ، فلما أَثْنت الوُفودُ على الحجاجِ عندَ الوليد بن عـبد الملك، والحجاجُحاضرٌ، قال زيادُ بن عَـمرو: يا أمير المؤمنين، إنّ الحجـاجَ سيفُكَ الذى لا يَنْـبُو، وَسَهْمُـكَ الذى لا يَطيشُ، وخادمُك الذى لا تأْخذُه فيك لَوْمَةُ لائمٍ، فلم يكن أَحَدٌ بَعْدُ أخَفَّ على قلب الحجاج منه.

[لابن قيس الرقيات فى معاتبة المهلب]

ولزيادٍ يقول ابنُ قيس الرُّقَيَّات فى معاتبتهِ المهَلَّبَ بن أبى صُفْرة :

أَبْلـغـــا جَــارِىَ المهَلَّبَ عَنِّى ... كلُّ جـار مُـفـارقٌ لا مَـحَالَه
إنَّ جَـــاراَتِكَ اللواتى بَـتكْـر ... يتَ لِتَنْبِـيـذ رَجْلِهِنَّ مـقَـالَهْ(١)
لو تَعَـلَّقْنَ مِن زياد بن عـمــرو ... بحِبَـال لَمَـا ذَمَـمن حـبَـالَهْ
غَلَـبَتْ أُمُّـــــهُ أَبَاهُ عـليـــــه ... فَـهْـوَ كـالكابُلِىِّ أَشْـبَـهَ خَـالَهْ(٢)
ولقــد غَـــالنى يزيـدُ وكـانتْ ... فى يَزيـد خيـانةٌ ومَـغَـاله(٣)
عَـتَكِـىٌّ كـأنّـه ضَـوْءُ بَدْرٍ ... يَحْـمَـدُ النَاسُ قَـوْلَه وَفَـعَـالَهْ

[نبذ من أقوال الحكماء]

وقال أسماءُ بنُ خارجةَ الفَزَارِىُّ : لا أُشاتِم رجلا، ولا أَرُدُّ سائلا، فإنما هو كريم أَسَدُّ خُلَّتَهُ، أو لئيمٌ أشترى عِرضى منه.

* * *

وقال سَـهْلُ بن هارون : يجب على كل ذى مَقَـالةِ أن يَبْدَأَ بحمـدِ اللهِ قبلَ استفتاحِها، كما بُدِئ بالنعمةِ قبل استحقاقِها.

---

(١) تكرست: بلد بين بغداد والموصل .

(٢) قال المرصفى: «يريد أن شهـوة أمه سبقت شهوة أبيه فـسرت أعراقها فيه» فلم يشبه أباه فى صلابة عوده ونجابته. والكابلى. مسوب إلى كابل؛ وهو ثغور طخارستان، سبة إلى العجم».

(٣) المعالة : الخيانة .

وكان يقولُ عند التَّعْزِيةِ : التَّهْنِئَـة بآجلِ الثواب أوْلَى منَ التعزيةِ على عاجلِ المصيبةِ .

* * *

وأراد رجلٌ الحجَّ، فأتى شعْبَةَ بن الحجاجِ يُوَدِّعُه، فقال له شعبة: أَمَا إِنك إنْ لم ترَ الحلْمَ ذُلا، والسَّفَه أنَفًا! سلِمَ لك حَجُّك.

وقالَ أُوَيْس القرَنِيُّ : إنَّ حقوقَ الله لم تَتْرُكْ عند مُسْلِمٍ درْهَمًا .

[لدعبل يذم رجلا]

وقال دِعبلُ بن عليٍّ الخَزاعِيُّ يذمُّ رجلا :

رأيتُ أبا عِـمْـرَان يَبْذلُ عِـرْضَـهُ ... وخُبْزُ أبى عمـران فى أحْرَزِ الحرز
يحِنُّ إلى جَـاراتِـهِ بعـد شِـبْـعِـهِ ... وجـاراتُه غَـرْثى تَحِنُّ إلى الخـبـزِ

[لبعض آل المهلب]

وقال آخر(١):

قَـوْمٌ إذا أكلوا أَخْـفَـــوْا كـلامَـهُمُ ... وَاسْتَـوْثَقوا من رِتاجِ الـباب والدارِ
لا يَقْبِسُ الجارُ منهم فَضْلَ نارِهُم(٢) ... ولا تكُفُّ يَدٌ عن حُـرْمَـةِ الجـار(٣)

[لرجل من طيئ وكان قتل رجلا من بنى أسد]

وقال رجلٌ من طَيِّـئ ، وكان رجلٌ منهم، يقال له زيـدٌ، من وَلَد عُرْوَة بن زَيْدِ الخَيْلِ ، قَتَلَ رجلا من بنى أَسَد يقال له زيدٌ، ثم أقيدَ به بَعْدُ :

علا زَيْدُنا يوم الْحمى رأْسَ زَيْدِكمْ ... بأبْيَضَ مَـصْـــقُـول الغـرَار يَمَـان
فَــإنْ تَقْـــتُلُوا زَيْـدًا بَزِيدٍ فَــإنما ... أَقَــادكُمُ السُّـلْطانُ بعــد زَمَـــانِ

* * *

(١) نسبه أبو تمـام فى الحماسة ٤ : ٩٠ إلى بعض آل المهلب. وقـال التبريزى فى شرحـه: «هو عبد الله بن عبد الرحمن، ولقبه أبو الأنوار».

(٢) القبس الشعلة من النار ، والقابس: طالب النار .

(٣) زيادات ر : أظن تمامه :

حـتى إذا اسـتنبح الاضـيـاف كَلْبَـهم ... قـــالـوا لأمِّـــهمُ بولـى على الـنارِ
قـامت بأحـمـرها تبـدى مـشـافِـره ... كـــــأنه رئـةٌ فى كـفِّ جـــــزار

والبيت الأول للأحطل ، وروايته فى ديوانه «قوم إذا استنبح. . .»

[قال أبو الحسن . وأنشدنا غيره :

عَـلا زيدُنا يوم النّقى رأْسَ زيدكمْ   بأَبْيَضَ مِن مــاءِ الحـديد يَمَـانِ]

[لشمعل التغلبى حين ضربه عبد الملك بن مروان]

قال : كلم شـمعل التغلبى عـبد الملك كلاما لـم يرضه، فرماه عـبد الملك بالجرز[1] فخدش وهشم ، فقال شمعل :

أَمِنْ جـذْبَةٍ بالرِّجْلِ مِنِّى تَبَاشَـرَتْ   عُدَاتى، فلا عَـيبٌ علىَّ ولا سُخْرُ
فَـإِنَّ أمـيـر المؤمنين وسَـيْـفَـهُ   لكالدَّهْر ، لا عارٌ بما فَعَلَ الدَّهْرُ!

* * *

وقال الحجاج بن يوسف : البخل على الطعام أقبح من البرص على الجسد.

* * *

وقال زياد : كـفى بالبـخيل عارا أن اسـمه لم يقـع فى حمد قـط ، وكفى بالجود مجدا أن اسمه لم يقع فى ذم قط .

* * *

وقال آخر :

ألا تَرِيْنَ وقــد قَطَّعْــتنى عَــذلا   ماذا من الفَضلِ بَيْنَ الُبخلِ والجودِ!
لا يَعْـدَمُ السـائلون الخَـيــر أَفـعُلُه   إمَّـــا نَوالا وإمَّــا حُــسنَ مَــرْدودِ
إلا يكُـنْ وَرَقٌ يومًــــا أَراحَ بــه   لِلْخَـابِـطِين فـإنى لَـيِّنُ العُــودِ

قولـه: «إلا يكُنْ وَرَقٌ» يريد المالَ، وضَرَبه مَـثَلا. ويقـال: أتى فلانٌ فـلانا يَخْتَبِطُ ما عندَه. والاخْتِبَاطُ: ضربُ الشجرِ ليَسْقُطَ الورقُ، فجعلَ الخابِطَ الطالبَ، والوَرَقَ المالَ، كما قال زُهَيْرٌ :

وليس مَـانِعَ ذى قُـرْبى ولا رَحِمٍ   يومًـا ولا مُعْدِمًـا مِن خابـطٍ وَرَقًا

[بخل الحطيئة]

وَيُروَى أن ضيفًا نزل بالحُطَيْئةِ، وهو يَـرْعى غنمًا له ، وفى يده عصًا، فقال

(١) الجرز : عمود من حديد .

الضَّيفُ: ياراَعِى الغَنَم [ما عندك؟][1]، فأومأ إليه الحطيئـة بعصاهُ، وقال: عجْرَاءُ من سَلَمٍ[2]، فقال الرجلُ: إنى ضَيْفٌ، فقال الحطيئةُ: للضّيفانِ أَعْدَدْتُها!

[متفرقات من شعر دعبل]

وقال دعْبلٌ :

وابنُ عـمْــرَانَ يَبْـتَـغِى عَــرَبِيًّـا ... لَيس يَـرْضَى البَنَاتَ لـلأكْــفـــاء
إنْ بَدَتْ حـاجـةٌ له ذكـر الضَّيْــ ... ــفَ ويَنْـسَـاه عندَ وقتِ الـغَـدَاءِ

* * *

وقال أيضا :

أضيافُ سالمَ فى خَفْضٍ وفى دَعَة ... وفى شَـــرَابٍ ولحمٍ غـيـــرِ ممنوعِ
وَضَيْفُ عَمْرو وَعمرو يَسْهَرَان معًا ... عــمْرٌو لِبِطْنَتِهِ والضَّـيفُ للجُـوعِ

* * *

وقال أيضا :

ما يرحل الضيف عـنى بعد تكرمة ... إلا برفـــد وتشـيـــيع ومـعـــذرة

* * *

وقال أيضا :

لم يُطيـقـوا أن يَسمـعُـوا وَسَمِـعْنا ... وصـــبَـرْنـا على رَحى الأسْـنَانِ
صوت مَضْغ الضُّيوفِ أحسن عندى ... من غِنـاءِ القِــيَــان بالعِــيــدان

[وقال القرَشىُّ من بنى أميَّةَ :

إذا مـــا وترنَـا لم نَنَـمْ عَنْ تراَتِـنا ... ولم نَكُ أَوْغَـالا نقـيمُ البْـوَاكِيـاَ[3]
ولكنَّـنا نمضى الجـيـــادَ شَـــوازبا ... فنرمى بهـا نحو التِّـرَات المراميَـا[4]

---

(١) تكملة من س .
(٢) العجراء : التى فيها عقد . والسلم : شجر من العضاه .
(٣) وترنا : قتل منا قتيل، والترات : جمع ترة. وهى النسل، والأوغال: جمع وغل ، وهو النذل الضعيف من الرجال
(٤) النسوارب من الخيل : الضوامر .

[لجرير يفتخر و يهجو الأخطل وقومه]

وقال جرير :

إنَّ الذى حـرَمَ الخـلافـة تَغْلـبًا ... جَـعَلَ النُّبُّـوةَ والخـلافـةَ فـينَا(١)
مُـضَرٌ أبـى وأبو الملوكِ وَهَلْ لكم ... يا خُـزْرَ تَغْلِبَ مـن أب كـأَبِينا !
هذا ابن عـمِّى فى دِمَشْقَ خَلِيـفةٌ ... لو شِـئْتُ سـاقكمُ إلىَّ قَـطِينا(٢)
إنَّ الفـرزدقَ إذْ تحَنَّفَ كـارها ... أَضْحى لِتَغْلِبَ والصَّلِيبِ خَدِينا(٣)
ولقد جَزِعْتَ إلى النصـارَى بَعْدَما ... لَقِىَ الصليبُ مـن العذابِ مُـهِينا
هَلْ تَشْهَـدُونَ من المشَاعِرِ مَشْـعَرًا ... أو تَسْـمعـون من الأذان أَذِينا!(٤)

***

قال أبو العبـاس : حدثنى عُمارةُ بن عقـيلِ بن بلال بن جَرير، قال: لَمَّا بلغ الوليد قولُه :

هذا ابن عـمى فى دمَشْقَ خَلِيـفةٌ ... لو شـئت سـاقكم إلىَّ قَطـينًا

قال الوليـد : أَمَّا واللهِ لو قـال: «لو شاء ساقكم»، لفـعلتُ ذاك به، ولكنه قال: «لو شئتُ» فجعلنى شُرْطيًّا له.

***

وَيُرْوَى أن بلالا(٥) قعد يومًـا ينظرُ بين الخصومِ، ورجل منهم ناحِيًـا يَتَمثَّلُ قولَ الأخطَلِ على غير معْرفة(٦):

وابن المرَاغَـة حـابس أَعْـيَـارهُ ... مَـرْمَى القصـيَّةِ مـا يذَقْنَ بِلالا(٧)

---

(١) الخرز : ضيقو الجفون ، يصفهم بأنهم ينظرون بمؤخر عيونهم حقدا وغيظا وعداوة .
(٢) القطين: الخدم والمماليك .
(٣) تحنف : تنسك وتأله .
(٤) الأدين : المؤذن .
(٥) هو بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى القاضى .
(٦) فى هجاء جرير .
(٧) المراغة فى الأصل : الموضع تتمرغ فيه الدواب ،وتقال أيضا للأتان التى لا تمتنع من الفحول. والأعيار جمع عير ، وهو الحمار، والقصية: الموضع المتنحى البعيد. والبلال. ما بل الحلق من ماء وغيره.

فسمعه بلالٌ، فلمَّا تَقَدَّمَ مع خصْمه قال له بلالٌ: أَعِدْ عليَّ[1] إنشادَكَ، فَغَمزَه بعضُ الجلساء، فقال الرجلُ: إني واللهِ ما أدرى مَنْ قالَه، و لا فيمن قيلَ؟ فقال بلالٌ: أَجَلْ، هو أَيْسَرُ منْ ذاك، هلمَّا فَاحْتَجَّا.

* * *

وقال جرير :

مَررْتُ عَلى الديارِ فما رَأَيْنَا ... كَدَارٍ بين تَلْعَةَ والنَّظِيمِ
عَرَفْتُ الْمُنتَأى وعَرفتُ منها ... مَطَايَا القِدْر كَالْحِدَأ الجثُومِ[2]

* * *

وقال آخر :

لقد تَبَلَتْ فُؤادكَ إذْ تولَّتْ ... ولمْ تَخْشَ العُقوبةَ فى التَّولِّى[3]
عَرَفْتُ الدارَ يومَ وقفتُ فيها ... بريحِ المِسْكِ تَنْفَحُ فى المَحَلِّ

* * *

(١) ساقطة من ر .
(٢) جثوم جمع جاثمة ؛ من جثم الطائر إذا لصق بالأرض فلم يبرح.
(٣) تبلت فؤادك: أسقمته وأدنفته.

بـاب

من أخبار الخوارج

[في بيعتهم لعبد الله بن وهب الراسبي]

قال أبو العباس: ذَكَر أهلُ العلم من الصُّفْرِيَّة أنَّ الخوارج[١] لَمَّا عَزَموا على البَيْعَة لعبد الله بن وهْب الرَّاسِبيِّ من الأزد، تَكَرَّهَ ذلك. فأَبَوْا مَنْ سواه، ولم يُريدُوا غيرَه. فلمَّا رأى ذلك منهم قال: يا قوم، استَبِيتُوا الرأى ، أَىْ دَعُوه يَغِبّ[٢].

وكان يقول: نعوذ بالله من الرأى الدبرى.

قوله: «استبيتوا الرأى» يقول: دَعوا رأيكم تأتى عليه ليلة ثم تَعَقَّبُوه. يقال: بَيَّت فلانٌ كذا كذا، إذا فعله ليلا، وفى القرآن: ﴿إذ يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضَى من القَول﴾[٣]، أى أدَارُوا ذلك بينهم لَيْلا[٤]. وأنشدَ أبو عُبيدةَ :

أتونى فلم أَرْضَ ما بَيَّتُوا   وكانوا أتَونى بأمْر نكَرْ
لأنكِح أَيِّمَهُم مُنْذِرًا   وهل يُنْكِحُ العَبْدَ حُرٌّ لحرٍّ!

والرأىُ الدَّبْرِىُّ: الذى يَعْرِضُ[٤] بعد وقوع الشىء، كما قال جريرٌ[٥]:

ولا يَعرفونَ الشرَّ حتى يُصيبَهمْ   ولا يعرفون الأمْرَ إلاَّ تَدَبُّرا

وكان عبدُ الله بن وَهْب ذا رأى وفَهْمٍ، ولسانٍ وشَجاعةٍ، وإنما لجئوا إليه وخَلَعوا مَعْدَانَ الإيادى ، لقول مَعْدانَ :

---

(١) من خرج على الإمام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا. سواء كان الخروج فى أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أم كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة فى كل زمان. والصفرية: طائفة من الخوارج؛ تابعوا زياد بن الأصفر، ويقال لهم: الزيادية أيضا. الملل والنحل للشهرستانى ١: ١٢٣ .

(٢) يغب : أى يبيت .

(٣) سورة انساء ١٠٨ .

(٣) ر : «ليلا بينهم».

(٤) ر: «من بعد».

(٥) فى هجاء الفرزدق وقومه من بنى مجاشع.

سلامٌ على مَنْ بايَعَ الله شَارِيًا[1] وليس على الحِزْب المقيم سَلامُ

فبرئت منه الصُّفْرِيَّةُ، وقالوا: خالفتَ، لأنَّكَ بَرِئْتَ من القَعَدِ[2] والخوارج في جميع أصنافها تَبرأ من الكاذب . ومن ذي المعصيةِ الظَّاهرةِ .

[شأنهم مع واصل بن عطاء]

وحُدِّثْتَ أنَّ واصلَ بن عطاء أبا حُذَيفَةَ أَقْبَلَ في رُفقة ، فأحَسُّوا الخوارجَ، فقال واصلٌ لأهل الرّفقة: إنَّ هذا ليس من شأنكم، فاعتَزِلُوا ودَعُوني وإيَّاهم ـ وكانوا قد أشْرَفُوا على العَطَب ـ فقالوا: شأنَكَ، فَخَرَجَ إليهم، فقالوا: ما أنتَ وأصحابُكَ؟ قال: مشركونَ مُسْتَجِيرونَ، ليَسْمَعُوا كلام الله، ويفهموا[3] حُدُودَه. فقالوا: قد أجَرْناكم، قال: فعَلِّمُونا، فجعلوا يعلمونه أحكامهم. وجَعل يقول: قد قبلتُ أنا ومَن معي، قالوا: فامْضوا مُصاحَبِين، فإنكم إخواننا ! قال: ليس ذلك لكم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وإنْ أحدٌ منَ المشْركينَ اسْتَجَارَكَ فأجرهُ حتَى يَسْمَعَ كلام الله ثم أبْلغْهُ مأْمَنَهُ﴾[4]، فأبْلغُونَا مَأْمَنَنَا. فنظَر بعضهم إلى بعض، ثم قالوا: ذاك لكم، فساروا بجمعهم[5] حتى بَلَّغُوهم المَأْمَنَ.

[مناظرة عبد الله بن عباس لهم]

وذكر أهلُ العلمِ من غير وجه أنَّ عليًّا رضى الله تعالى عنه لما وَجَّهَ إليهم عبد الله بن عبَّاسٍ رحمة الله عليه، ليُنَاظِرَهم، قال لهم: ما الذى نقَمْتُمْ على أمير المؤمنين؟ قالوا: قد كان للمؤمنين أميرًا، فلمَّا حكَّم فى دين الله خرجَ من الإيمان، فليُتُبْ بعدَ إقراره بالكفر نعد لهُ. فقال ابن عباس: ما ينبغى[6] لمؤمنٍ لم يَشُبْ إيمانَهُ شكٌ أن يُقرّ على نفسه بالكفْر! قالوا: إنه قد حكَّمَ، قال: إن الله عزَّ وجلَّ قد أمَرَنا بالتحكيم فى قتلِ صَيد، فقال عَزَّ وجلَّ: ﴿يحْكُمُ به ذَوَا عَدْل منكم﴾[7]، فكيفَ فى إمامة قد أشْكلتْ على المسلمين! فقالوا: إنه قد حُكِمَ عليه فلم يَرْضَ، فقال: إنَّ الحكومةَ كالإمامةِ، ومتى فَسَقَ الإمامُ وَجَبَتْ معصيتُه، وكذلك الحكمان

(١) شاريا، أى بائعا نفسه فى طاعة الله .

(٢) القعد: طائفة من الخوارج يرون التحكيم حقا؛ غير أنهم قعدوا عن الخروج على الناس.

(٣) ر : «ويعرفوا» .

(٤) سورة التوبة ٦

(٥) ر : «بأجمعهم».

(٦) ر : «لا ينبغى» .

(٧) سورة المائدة ٩٥ .

لَمَّا خالفا نُبِـذت أقاويلهما فقال بعضُـهُم لبعض: لا تَجعلوا احتجـاجَ قريشٍ حُجَّةً عليكم، فـإنَّ هذا مـن القـوم الذين قـال الله عـزَّ وجلَّ فـيـهم: ﴿بَلْ هُمْ قَـوْمٌ خَصِمُونَ﴾[1]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾[2].

[الفتوى فيمن أصاب صيدا وهو محرم]

وَالشيءُ يذْكرُ بالشيء، وجـاء في الحديث أن رجلا أعـرابيًّا[3] أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فـقال: إنى أَصَبْـتُ ظَبْيًا وأنا مُـحْرِمٌ، فـالتفتَ عـمرُ إلى عبدالرحمن بن عَوْف، فـقال: قل، فقال عبدُ الرحمن: يُهْدى شَـاةً، فقال عمرُ: أَهْد شَاة. فقـال الأعْرابيُّ: والله ما دَرَى أميرُ المؤمنين ما فـيها حتى اسْتَفْـتى غيرَهُ! فَخفَقَهُ عمرُ رضوان الله عليه بالدرَّة، وقال: أَتَقْتُلُ فى الحرَمِ وتَغْمِصُ الفُتْيا! إنَّ الله عز وجلَّ قال: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾[4]، فأنا عمرُ بن الخَطاب، وهذا عبدُ الرحمن بن عوفٍ.

* * *

وفى هذا الحديث ضُـروب من الفقـه؛ منها ما ذكـروا أنَّ عبـد الرحمن بن عوف قـال أوَّلا، ليكون قولُ الإمـام حُكْمًا قاطعًـا، ومنها أنه رأى أنَّ الشـاةَ مثلُ الظبيـة، كما قـال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿فَجَـزَاءٌ مِثْلُ مَا قَـتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾[4]. وأنه لم يسأله: أَخَطَأً قتلته[5] أم عمْدًا؟ وجعل الأمرينَ واحدًا. ومنها أنه لم يسأله: أقتلت صيدًا قبله وأنتَ مُحْرِمٌ؟ لأنَّ قومًـا يقولون: إذا أصابَ ثانية لم يُحْكَم عليه، ولكنَّا نقولُ له[6]: اذهبْ فـاتَّقِ الله، لقول الله تـبارك وتعـالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَـيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ﴾[7].

[قول قطرى بن الفجاءة لأبى خالد القنانى ورد أبى خالد عليه]

مِنْ طَرِيف أخبار الخوارج قولُ قطَرِيِّ بن الفُجاءَةِ المازنىِّ لأبى خالد القنَانىِّ - وكان مِن قَعَدِ الخوارجِ:

---

(1) سورة الزخرف ٥٨ . (2) سورة مريم ٩٧ .

(3) نقل المرصفى عن ابن الأثير أنه قبيصة بن هانئ أحد التابعين .

(4) سورة المائدة ٩٥ .

(5) ر : «قتله». وما أثبته عن الأصل.

(6) كلمة «له» ساقطة من ر . (7) سورة المائدة ٦٥ .

أبا خالد إنْفِرْ فَلَسْتَ بخَالد[1]
وَمَا جَعَلَ الرحمنُ عذْراً لقاعد

أتزْعُمُ أنَّ الخَارجىَّ على الهدَى
وأنتَ مُقيمٌ بين لِصٍ وجاحِدِ!

فكتبَ إليه أبو خالد :

لقد زادَ الحياةَ إلىَّ حُبًّا
بناتى، إنهنَّ من الضِّعَافِ

أُحاذُر أنْ يَرَيْنَ الفَقْرَ بَعْدى
وأن يَشْرَبْنَ رَنْقًا بعد صافِ[2]

وأن يَعْرَيْن إنْ كُسىَ الجَوارى
فتنْبُو العَيْنُ عن كُومٍ عجَافِ[3]

ولولا ذاكَ قد سَوَّمْتُ مُهْرِى
وفى الرحمن للضّعفاء كافِ

[أبانَا مَنْ لنا إنْ غِبْتَ عنَّا
وصارَ الحىُّ بعدكَ فى اختلافِ][4]!

[من أخبار عمران بن حطان وأشعاره]

هذا خلافُ ما قال عِمْرَانُ بن حطانَ، أحدُ بنى عمرِو بن شَيْبان بن ذَهْلِ بن ثعْلَبَةَ بن عُكابَةَ بن صَعْبِ بن علىٍّ بن بكْرِ بن وائلٍ، وكان[5] رَأْسَ القعَد من الصُّفْرِية وخَطِيبَهُم وشاعِرَهم، قال: لمَّا قُتِلَ أبو بلال، وهو مِرْدَاس بن أُدَيَّةَ - وهى جدَّتُه. وأبُوهُ حُدَيْرٌ. وهو أحدُ بنى رَبِيعة بن حَنْظَلَةَ بن مالكِ بن زيد مَنَاة بن تميمٍ، قال عِمران بنُ حطان:

لقد زادَ الحياةَ إلىَّ بُغْضًا
وحُبًّا للخروجِ أبو بلال

أُحَاذرُ أن أموتَ على فِرَاشى
وأرْجُو الموتَ تحتَ ذُرَا العَوالى

ولو أنى عَلِمْتُ بأنَّ حَتْفِى
كَحَتْفِ أبى بلالٍ لم أبالِ

فمنْ يكُ همُّهُ الدنيا فإنى
لَهَا واللهِ ربِّ البيتِ قالى

وفيه يقولُ:

يا عَيْنُ بكَى لِمرْدَاسٍ ومَصْرَعِهِ
يا رَبَّ مِرْدَاس اجعَلْنى كمرداسِ

(١) ر : «يا انفر»، وما أثبته عن الأصل. س .

(٢) الرنق : الكدر .

(٣) العجاف : جمع عجفاء. وهى الهزيلة التى ذهب سمنها.

(٤) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٥) ر : «وقد كان».

تركْــتنــى هائمًـــا أبكى لِمــرْزئَتى — فى مَنْزِل مُــوحشٍ من بعــد إيناس
أنكرتُ بَعَدَكَ مَنْ قــد كنتُ أَعْرِفُه — ما الناسُ بعــدَكَ يا مِرْداسُ بالناسِ
إمَّـــا شَــــرِبْتَ بكأْس دَارَ أَوَّلُهـــا — على القرون فذاقُــوا جُرْعَةَ الكاسِ
فكلُّ مَنْ لم يَذقــهَا شاربٌ عَــجلا — منهــا بأنــفــاسٍ ورْدٍ بعــدَ أَنْفــاسِ

* * *

وكان من حديث عــمرانَ بن حطّانَ فيما حدثنى العــباسُ بن الفْرجِ الرِّيَاشِيُّ عن محمد بــن سَلام أنه لــمَّا أَطْرَدَهُ الحجاجُ كان يتنــقلُ فى القبائل، فكان إذا نزل فى حىٍّ انْتَسَب نَسَبًا يَقْرُب منه، ففى ذلك يقول:

نَزَلْنَــا فى بَنى سَــــعْـــد بــن زَيد — وفى عَكٍّ وعـــامــرِ عــوبْــثــان(١)
وفى لَخْم وفــى أدد بن عــمـــروٍ — وفى بَـكْرٍ وحَىّ بــنى العَــــدَانِ

ثُمَّ أخَــرج حــتــى نزل عند روح بن زنبــاعِ الجُــذامــىّ. وكــان رَوحٌ يَقْــرِى الأضيافَ، و كا مسامرًا لعبد الملك بن مروانَ أثيرًا عنده(٢)، فانْتَمَى له من الأَزْدِ.

ـ وفى غيــرهذا الحديث أنَّ عبد الملك ذكــر رَوْحا فقال: مَنْ أُعْطِى مــثْلَ مَا أُعْطِىَ أبو زُرْعةَ! أُعْطِىَ فقْهَ أهل الحجَاز وَدَهاءَ أهلِ العراقِ، وطاعة أهل الشامِ.

رجع الحديثُ. وكــان رَوحُ بنُ زِنْباعٍ لا يسمع شــعرًا نادرًا ولا حديثًا غــريبًا عند عبد الملك. فــقال: إن لى جارًا من الأزد ما أسمعُ من أميــر المؤمنين خَبَرًا ولا شعرًا إلا عَرَفَهُ وزاد فيه. فقال: خَبِّــرْنى ببعض أخباره. فَخَبَّرهُ وأنشده. فقال: إن اللغةَ عَدْنانيةٌ. وَأَنّى لأَحْسبُهُ عــمرانَ بن حِطان؛ حتى تذاكروا ليلة قول عِمران بن حطان يمدحُ ابن مُلْجَم لعنه الله :

يا ضَــــرْبَةً مِنْ تَقىٍّ مــا أرادَ بــهــا — إلا ليَــبْلُغَ من ذى العرش رِضْــوانَا
إنِّى لأذكُــره حـــينًا فَــأَحْــسِــبــهُ — أَوْفى البَــرِيَّةِ عــند الله مــيــزَانَا(٣)

فلم يَدْرِ عبدُ الملك لِمَنْ هو. فرجعَ روحٌ إلى عمرانَ بن حطانَ، فسأله عنه.

---

(١) فى الأصل : «عوثبان»، وما أثبته عن ر . وهو يوافق ما فى القاموس .
(٢) أثيرا : مكرما .
(٣) زيادات ر : «قلبه الفقيه الطبرى» فقال :

فقال عمرانُ: هذا يقولُه عمرانُ بن حِطّانَ، يَمدح به عبد الرحمن بن مُلْجَم، قاتل علي بن أبى طالب، فرجعَ روحٌ إلى عبد الملك فأخبره، فقال له عبدُ الملك: ضَيْفُكَ عمرانُ بن حِطّان اذهب فجئنى به، فرجَع إليه، فقال: إن أميرَ المؤمنين قد أحبَّ أن يراكَ، قالَ عمرانُ: قد أردتُ أن أسألَك ذلك فاستحييتُ منكَ، فامْضِ فإنى بالأثَر، فرجَع روْحٌ إلى عبد الملك فأخبره، فقال له[1] عبد الملك: أَمَا إنَّك سترجعُ فلا تجدُه! فرجع وقد ارتحلَ عمرانُ، وخَلَّفَ رُقْعَة فيهَا:

يارَوْحُ كم من أَخى مَثْوَى نزلتُ به	قد ظَنَّ ظَنَّكَ من لَخْمٍ وَغَسَّان
حتى إذا خِفْتُهُ فارَقْتُ منزلَهُ	من بَعْدِ ما قيلَ عمرانُ بنُ حطَّانَ
قد كنتُ جارَكَ حَوْلا ما تَرَوِّعُنى	فيه روائعُ من إنْسٍ ومنْ جانَ
حتى أردتَ بىَ العُظْمَى فأدركنى	ما أدْرَكَ الناسَ من خوفِ ابنِ مَرْوَانَ
فاعْذرْ أخاك ابْنَ زِنْبَاعٍ فإنَّ له	فى النائباتِ خُطوبًا ذاتَ ألوانَ
ومَا يمان إذا لاقيتُ ذا يَمَنٍ	وإن لَقيتُ مَعَدِّيًّا فَعَدْنانى
لو كنتُ مستغفرًا يومًا لطاغيَةٍ	كنتَ المُقَدَّمَ فى سرِّى وإعْلانى
لكنْ أبَتْ لىَ آياتٌ مُطَهَّرَةٌ	عند الولاية فى طهَ وَعِمْرانِ

ثم ارتحل حتى نزلَ بُزفَرَ بن الحارث الكلابىِّ، أَحَد بنى عَمرو بن وهب فانتسبَ له أَوْزاعيًّا ـ وكان عمرانُ يُطيلُ الصلاةَ، وكانَ غلْمانٌ من بنى عامر يضحكونَ منه، فأتاه رجلٌ يومًا ممّن رآه عند رَوحِ بن زنْباعٍ فسَلَّم عليه، فدعاه زُفَرُ فقال: منْ هذا؟ فقال: رجلٌ من الأزْد، رأيتُهْ ضيفًا لرَوْحِ بن زنباعٍ، فقال له زفَرُ يا هذا، أأزديًّا[2] مرةً وأوْزَاعيا مرةً! إن كنتَ خائفًا أمَنَّاكَ[3]، وإن كنتَ فقيرًا جبَرْنَاكَ. فلما أمْسَى هَرَبَ وخَلَّفَ فى منزله رُقعةً فيها:

= يا ضربةً من شقىٍّ ما أراد بها	إلا ليَهْدم من ذى الْعَرْش بُنْيانَا
إنى لأذكُرُه يومًا فألعنُه	إيهًا والْعَنْ عِمْران بن حِطانَا

قال محمد بن أحمد الطبيب يرد على عمران بن حطان:

يا ضَرْبَة منْ غَدُور صار ضَارِبُهَا	أشْقَى البرية عندَ الله إنْسَانا
إذَا تفكَّرْتُ فيه ظِلْتُ ألعنُه	وألعن الْكَلْبَ عِمْران بن حطّانا

(١) كلمة «له» ساقطة من ر

(٢) ر «أزديا؟»

(٣) ر: «آمناك»

إن التى أصبحت يعيا بها زفر ... أعيت عياء على روح بن زنباع

قال أبو العباس: أنشدنى(١) الرِّياشِيُّ :

* أعْيَا عيَاهَا على روْحِ بن زِنْباع *

ـ وأنكَره كما أنكَرناه، لأنه قَصَرَ الممدود، وذلك فى الشعر جائز، ولا يجوز مَدُّ المقصور ـ

مـا زَالَ يَسـأُلنى حَـوْلا لأخْـبِـرَهُ ... والناسُ من بين مَـخْـدوعٍ وخَـدَّاع
حـتـى إذا انقطعتْ عنى وَسَـائِلُهُ ... كَفَّ السـؤالَ ولم يُولعْ بـإهْلاعى
فاكـفُفْ كمـا كَفَّ عَنِّى إننى رجلٌ ... إمَّـا صَـمـيمٌ وإمـا فَـقْـعـةُ القـاعِ
واكفُفْ لسانَكَ عن لوْمى ومسألتى ... مـاذا تُـريدُ إلى شَـيْخٍ لأوْزاع !
أما الصـلاةُ فإنى لَسْتُ تاركَـها(٢) ... كلُّ امْـرِئٍ للذى يُعْنَى به سـاعى
أكَـرِمْ بـرَوْحِ بن زِنْبـاعٍ وأُسْـرته ... قـومٌ دَعَـا أَوَّليـهم للعـلا داعى
جـاوَرْتُهـمْ سنة فـيـمـا أُسَـرُّ به ... عِرْضى صحيحٌ ونَوْمى غـيرُ تَهجاع
فـاعْـمَلْ فـإنك مَنْعِيٌّ بواحِـدةٍ ... حَسْبُ اللبيب بهذا الشَّيْبِ من ناعى

ثم ارتحل حـتى أتى عُمان. فـوجدهم يُعَظِّمُـونَ أمر أبى بلال ويُظْـهرونه، فـأَظهَرَ أمرَه فيهم، فبلغ ذلك الحجَّاجَ، فكتبَ إلى عامل(٣) عُمان، فارْتحلَ عمرانُ هاربًا، حتى أتَى قومًا من الأزْد، فلم يَزَلْ فيهم حتى مات، وفى نزوله بهم يقولُ:

نزَلْنَا بحـمـد الله فى خَـيْـر مَنْزِل ... نسَـرُّ بما فـيـه من الإنْسِ والخَـفَـرْ
نزلْنَا بـقـوم يَجـمَـعُ الله شَـمْلَهُم ... وليس لهم عُودٌ سوَى المَجْد يُعْتَصَرْ
من الأزْد إنَّ الأَزْدَ أكـرم أُسـرةٍ(٤) ... يَمـانيَـةٌ طابـوا إذا نسبَ البَـشَـرْ
فأصـحبتُ فـيهم آمنًا لا كَـمَعْشَرٍ ... أَتَوْنِى فـقالوا من رَبِـيعَـةَ أَوْ مضَـرْ
أَم الحَىِّ قَـحْطَان؟ فَـتلْكُمْ سَـفـاهةٌ ... كمـا قال روح لى وصاحِبُـهُ زفُرَ(٥)
وَمَـا مـنهـمـا إلا يُـسَـرُّ بنسْـبَـة ... تُقَـرِّبنـى منْهُ وإنْ كـانَ ذَا نَفَـرْ
فَنحـنُ بَنُو الإسْـلامِ واللهُ وَاحِـدٌ ... وَأَوْلَى عـبَـادِ اللهِ باللهِ مَـنْ شكَرْ

---

(١) ر : «أنشدنيه».
(٢) ر : «غير تاركها».
(٣) ر : «أهل» .
(٤) ر : «معشر» .
(٥) ر : «لى روح».

قوله:

* يا روحُ كم مِن أَخِي مَثْوَى نَزَلْتُ به *

قد مَـرَّ تفسيـرُه. يقالُ: هذا أبو مَـثْوَاىَ. وللأُنثى: هذه أمُّ مـثْواىَ، ومنزلُ الإضافة(١) وما أَشْـبَهَـها المَثْوَى. وكـذلك قال المفـسرون فى قـول الله عز وجل: ﴿أكرمى مَثْوَاهُ﴾(٢)، أىْ إضَـافَتَـه. ويقال مِنْ هذا: «ثَوَى يَثْـوى ثويًّا» كقـولك: مَضى يَمْضِى مُضِيًّا، ويقال: ثواءً، ومَضاءً، كما قال الشَّمَّاخُ:

طال الثَّـواءُ علـى رَسْم بِيَـمْـؤُودِ   أوْدَى وكلُّ جَـديدٍ مَـرَّةَ مُـودِى

وقوله:

* فِيه رَوَائعُ مِن إنسٍ ومِن جَانِ *

الواحدةُ رائعـة، يقال: رَاعَنِى يروعُنى رَوْعًـا، أى أفْزَعَنى، قـال الله تعالى ذكْره: ﴿فلمَّا ذَهَبَ عن إبراهيمَ الرَّوْعُ﴾(٣). ويكونُ الرائعُ الجميل، يقـال: جَمالٌ رائعٌ، يكون ذلك فى الرجل والفرسِ وغيرهما، وأحْسبُ الأصلَ فيهما واحدًا؛ أنه يُفرِطُ حتى يَروع، كما قال الله جل ثناؤه: ﴿يكادُ سَنَا بَرْقه يَذْهَبُ بالأبْصارِ﴾(٤). للإفراط فى ضيائه. والرائع؛ مهمـوزٌ، وكذلك كلُّ فعل من الثلاثة ممَّا عيْنه واو أو ياءٌ، إذا كانت معتلة ساكنة، تقـولُ: قال يقول، وباع يبيع، وخَافَ يخافُ، وهابَ يهاب، يَعْـتَلُّ اسمُ الفاعل فَيُهْـمزُ موضع العين، نحو قـائل،، وبائع، وخائف، وصـائب. فإن صَـحَّت العين فى الفعـل صحَّت فى اسم الفـاعل، نحو: عَـوِرَ الرجلُ فهـو عاوِرٌ، وصَـيدَ فهـو صايدٌ، والصَّـيَدُ: داءٌ يأخذُ فى الرأس والـعينين والشُّئون. وإنما صحـت فى «عـورَ» و «حَـولَ» و «صَيـدَ» لأنه منقولٌ من «أحْوَل» و «أعْوَر». وقد أحكمنا تفسيرَ هذا فى الكتاب المُقْتَضب.

وقوله:

يومًـا يمانٍ إذا لاقيـتُ ذا يَمَنٍ   وإن لقيـتُ مَـعَـدِّيًّا فـعـدْنَانى

(١) ر: «الضيافة».
(٢) سورة يوسف ٢١.
(٣) سورة هود ٧٤.
(٤) سورة النور ٤٣.

يريد أنا يومًا يمان، ولولا أنَّ الشِّعْـر لا يصلحُ بالنصب لكان النصبُ جائزًا، علي معنى أتَنَقَّلُ يَومًـا كذا ويوما كذا. والرفع حـسنٌ جميلٌ. وهذا الشعـرُ يُنْشَدُ نصبًا.

أفِي السلم أعـيـــارًا جَـفـاءً وغَلْظَةً وفى الحرب أمثالَ النساءِ العوارِكِ!(١)

العوارك. هُنَّ الحوائضُ. وكذلك قوله:

أفى الـولائمِ أولادًا لـواحــــــدةٍ وفى المحــافـل أولادًا لَعَــلات!

قال: العلاتُ، سُميتْ لأن الواحدة تُعَلُّ بعدَ صاحبتها. وهو من العَلَلِ،وهو الشُّربُ الثـانى. أى يختلفـون ويتحـوَّلون فى هذه الحالاتِ، ومن كـلام العرب: أتميميًّا مرةً وقـيسيًّا أخرى! وكذلك إن لم تستفهم وأخبـرتَ قلت: تميميا مرةً عَلِمَ الله وقَيْسيًّا أخرى. أى تنتقلُ. ومن ثَـمَّ قال له زُفَرُ بن الحارث: أزديًّا مرةً وأوْزاعيًّا أخرى؟ والرفع على «أنتَ» جَيِّدٌ بالغُ.

وقولُه:

* لو كنتُ مستغفرًا يومًا لطاغية *

يكون على وجهين: لنفْسِ طاغـية . والآخرُ للمذكَّر . وزاد الهاء للتـوكيد للمبالغة. كـما يقالُ: رجل راويةٌ وعَلامَةٌ ونَسَّابةٌ. وكلاهمـا وَجْهٌ. ويقال: جاءت طاغيـةُ الرُّوم. تريد الجماعـة الطاغية. كـما قال رسـول الله ﷺ: «تَقْتُلك الفتـئةُ الباغِيَةُ».

وقوله: «عندَ الولاية» إذا فـتحتَ فهـو مصدرُ «الوَلِيِّ» وفى القرآن المجـيد: ﴿ما لكُم من وَلايَـتهم منْ شَيء﴾(٢). والوِلايةُ مكسورةٌ. نحو السِّـياسةَ والرِّياضة والإيالة، وهى الوِلَايةُ. وأصلُهُ من الإصلاحِ. يقال: آلَهُ يَؤُولُه أوْلا، إذا أصلَحه. قال عـمرُ بن الخطاب: قـد ألنَا وَإيلَ علينَا؛ تأويلُ ذلك : قـد ولينَا ووُلِيَ علينا. وهذه كلمةٌ جامعةٌ. يقول: قد وَلِينَا فَعَلِمنا ما يُصْلِح الوالِيَ، ووُلِيَ علينا فَعلِمنا ما يُصْلِحُ الرَّعِيَّةَ.

---

(١) الأعيار: جمع عير ، وهو الحمار. والبيت من شواهد الكتاب ١ ـ ١٧٢ .

(٢) سورة الأنفال ٧٢ .

وقوله:

* حتى إذا ما انْقَضَتْ منِّى وَسائلُه *

وهى الذَّريعةُ والسَّببُ، يقال: قد تَوَسَّلْتُ إلى فلان، قال رؤْبَةُ بنُ العَجَّاج:

والناس إن فـصلتـهم فـصـائلا كل إلينا يبـتـغى الوسـائلا

وقوله: «ولم يُولَعْ بإهْلاعى»، أى بإفزاعى وترويعى، والهَلَعُ من الجُبْنِ عند ملاقاة الأقران. يقال: نعوذ بالله من الهَلَعِ، ويقال: رجلٌ هَلُوعٌ، إذَا كان لا يَصْبِرُ على خيرٍ ولا شَرٍّ، حتى يفعلَ فى كل واحد منهما غيرَ الحَقِّ، قال اللهُ عز وجل[1]: ﴿إنَّ الإنسان خُلقَ هَلُوعًا * إذا مَسَّهُ الشرُّ جَزُوعًا * وإذا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعًا﴾[2]. وقال الشاعر:

ولِى قَلْبٌ سقيمٌ ليس يَصْحُو ونفسٌ ما تُفِيقُ من الهُلاعِ

وقوله:

* إما صَميمٌ وَإمَّا فَقْعَةُ القَاعِ *

الصميم: الخالصُ من كل شىء، يقال: فلانٌ من صميم قومه، أى من خالصهم. وقال جريرٌ لهشام بن عبد الملك:

وتَنْزلُ من أُمَيَّةَ حيثُ تَلْقَى شُئونَ الرأس مُجْتَمِعَ الصَّميم

وقوله: «وإمَّا فَقْعَةُ القَاع» يقال لمن لا أصلَ له: هو فَقْعة بقَاع، وذلك لأن الفقعةَ لا عُروقَ لها ولا أغصان. والفَقْعَةُ الكمأةُ البيضاءُ، ويقال: حمَامٌ فِقِّيعٌ لبياضه، ومن ذا قولُ الشاعر:

قومٌ إذا نسِبُوا يكونُ أبوهُمُ عند المَناسِبِ فُقْعَةً فى قَرْقَرِ[3]

وقال بعضُ القرشيين:

إذا ما كنتَ مُتَّخذًا خليلا فلا تَجْعَلْ خليلَكَ منْ تَميم
بَلَوْتُ صميمَهُمْ والعبدَ منهم فما أدْنَى العَبيدَ من الصَّميم!

---

(١) ر: «وهو أصدق القائلين». (٢) سورة المعارج ١٩ ـ ٢١.

(٣) القرقر: الأرض المطمئنة اللينة.

وقوله :

* نسَرُّ بما فيهِ منَ الإنْسِ والخَفَرْ *

فأصل الخَفَر شدَّةُ الحياءِ، يقال: امرأةٌ خَفِرَةٌ، إذا كانت مستترةً لاستيحائها، قال ابنُ نُمَيْرٍ الثَّقفيُّ :

تَضَوَّع مِسْكًا بطْنُ نَعْمانَ أن مَشَتْ ... به زينبٌ فى نسْوةٍ خَفِرات

وقوله :

* منَ الأزْدِ إنَّ الأزْدَ أكْرَمُ أُسْرَةٍ *

يقولُ: عصابة وقبيلة، ويقالُ للرجل: من أىِّ أُسْرَةٍ أنتَ؟ وأصلُ هذا من الاجتماع ، يقال للقَتَب: مأسُورٌ، وقد مضى تفسيره.

ويُنْشَدُ :

* يَمَانِيَةٌ قَرْبُوا إذا نُسِبَ البَشرْ *

يريدُ «قَرُبُوا»، وهذا جائزٌ فى كلِّ شىءٍ مضمومٍ أو مكسور إذا لم يكن من حركات الإعراب، تقولُ فى الأسماء فى فَخِذٍ، فَخْذٌ، وفى عَضُد، عَضْدٌ. وتقولُ فى الأفعال: كَرْمَ عبدُ الله، أى كَرُمَ، وقد عَلْمَ اللهُ ، أى عَلِمَ اللهُ، قال الأخْطَلُ(١) :

فإن أهْجُهُ يَضْجَرْ كما ضَجْرَ بَازِلٌ ... من الإبْل دَبْرَتْ صَفْحَتَاهُ وكاهلُه(٢)

وقال آخرُ:

عَجِبتُ لمولودٍ وليس له أبٌ ... وذى وَلْدٍ لم يَلْدَهُ أبَوَانِ

ولا يجوز فى «ضَرَبَ» ولا فى «حَمَلٍ» أن يُسكّنَ، لخفة الفتحة.

وقوله:

* أتَوْنى فقالُوا من ربيعةَ أو مُضَرْ *

يقول: أمِنْ رَبيعةَ أم من مُضَرَ؟ ويجوزُ فى الشعر حذفُ ألف الاستفهامِ، لأن «أم» التى جاءتْ بعدَها تدلُّ عليها، قال ابنُ أبى ربيعةَ:

---

(١) يهجو كعب بن جعيل .

(٢) البازل من الإبل : ما دخل فى التاسعة. ودبرت. من الدبر؛ وهو الجرح فى ظهر الدابة. والصفحتان: الجانبان.

لعَمْرُك ما أدْرِى كنتُ دَارِيًا   بسَبْعٍ رَمَيْنَ الجمْرَ أمْ بثمان

يريدُ: أبِسبْعٍ؟ وقال التَّميمىُّ:

لعَمَرُكَ ما أدرى وإنْ كنتُ داريًا   شُعَيْثُ بن سَهْمٍ أم شَعَيْثُ بن مِنْقَر!

الروايةُ على وجهين: أحدُهما: أمِن رَبيعة أم مُضَرْ، أم الحىِّ قَحطان، يريدُ أذا أم ذا؟ والأملح[1] فى الرواية: من ربيعَة أو مضرْ، أم الحىِّ قَحطان، لأن ربيعةَ أخو مُضَرَ، فأرادَ من أحد هذين أم الحىِّ قَحْطانَ؟ لأنَّهُ إذا قال: أزيدُ عندك أم عمرٌو؟ فالجوابُ: نَعَمْ أو لا، لأن المعنى أحد هذين[2] عندَك، ومعنى الأولِ: أيُّهما عندك؟

ويُروَى ـ وحدَّثنيه المازنىُّ ـ أنَّ صَفيَّةَ بنتَ عبد المُطَّلب أتاها رجلٌ، فقال لها: أينَ الزُّبَيْرُ؟ قالت: وما تُريدُ إليه؟ قالَ: أُريد أنْ أُباطشَهُ! فقالت: ها هو ذاك. فصار إلى الزبير فباطشه. فغلبه الزبيرُ، فمرَّ بها مَفْلُولا[3] فقالت صفيةُ:

كيف رأيتَ زَبْرَا   أأقِطًا أو تَمْرًا

أم قُرَشيًّا صَقْرا

لم تَشْكُكْ بينَ الأقط والتَّمر فتقول: أيُّهما هو؟ ولكنها أرادتْ: أرأيتهُ طعامًا أم قُرشيًّا صقرًا؟ أى أأحدَ هذين رأيتهُ أم صقرًا؟ ولو قالت: أأقطًا أم تمرًا؟ لكَان[4] محالا على هذا الوجه.

وقوله: * وما منهما إلا يُسَرُّ بنسْبةٍ *

معناه وما منهما واحدٌ فَحَذَفَ لعلم المخاطَب. قال الله جل اسْمُه: ﴿**وإن من أهْلِ الكتَاب إلا لَيُؤْمنَنَّ به قَبْل موْته**﴾[5]. أى وإن أحدٌ، ومعنى: «إنْ» معنى «ما» قال الشاعر[6]:

ومـا الدَّهْرُ إلا تارَتَانِ فمنهما   أموتُ وأُخرى أبْتَغِى العيشَ أكْدَحُ

يريدُ فمنهما تارةٌ.

---

(١) ر: «والأصلح».

(٢) ر: «لأن أحد هذين عندك».

(٣) مفلولا: مهزوما.

(٤) ر: «كان».

(٥) سورة النساء ١٥٩.

(٦) هو تميم بن أبى بن مقبل.

وقوله :

فَنَحْنُ بَنُو الإسلامِ واللهُ واحدٌ وأَوْلَى عِبادِ اللهِ باللهِ مَنْ شكَرْ

يقول: انقطعت الوَلايةُ إلا وَلايةَ الإسلام، لأن وَلايةَ الإسلام قد قاربتْ بين الغُرَباء. وقال الله عَزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(١). وقال عزَّ وجلَّ ـ فباعد به بين القرابة: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾(٢). وقال نَهَارُ بن تَوْسِعَةَ اليَشْكُرِيُّ :

دعِيُّ القومِ يَنْصُرُ مُدَّعِيه لِيُلْحِقَهُ بِذِي الحسَبِ الصَّمِيمِ

أبِى الإسلامُ لا أبَ لِي سِوَاهُ إذا افتخَرُوا بقيسٍ أو تَمِيمِ

[أول من حكم من الخوارج]

ويقالُ فيما يُرْوَى من الأخبارِ أنَّ أوَّلَ مَنْ حكَّمَ عُرْوةُ بن أُدَيَّةَ ـ وأُدَيَّة جَدَّةٌ له فى الجاهلية(٣) ـ وهو عروةُ بن حُدَيرٍ أحدُ بنى ربيعة بن حنظلة. وقال قومٌ: بل أولُ مَنْ حكَّمَ رجلٌ يقال له سَعيدٌ من بنى مُحارِب بن خَصَفَةَ بن قَيْس بن عَيْلان ابن مُضَرَ. ولم يختلفوا فى إجماعهم على عبد الله بن وَهب الراسبيِّ، وأنه امتنع عليهم، وأومأ إلى غيره. فلم يَقْتَنعُوا إلا به، فكان إمامَ القوم، وكان يوصَف بالرَّأْى.

[أول سيف سل من سيوفهم]

فأما أولُ سيف سُلَّ من سيوف الخوارج فسيفُ عُرْوَةَ بن أُدَيَّةَ. وذلك أنه أقبل على الأشْعَث فقال: ما هذه الدنيَّة(٤) يا أشعثُ! وما هذا التحكيمُ؟ أشرطٌ أوْثَقُ من شَرْط الله عزَّ وجلَّ! ثم شَهَرَ عليه السيفَ، والأشعثُ مُولٍّ، فضربَ به عَجُزَ البغلة، فَشَبَّت البغلة فَنَفَرَت اليَمَانيَةُ ـ وكانوا جُلَّ أصحاب عليٍّ صلوات الله عليه ـ فلما رأى ذلك الأحْنَفُ قَصَدَ هو وجاريةُ بن قدامة ومسعود بن فَدَكيّ بن أعْبَدَ، وشَبَثُ بن رِبعيٍّ الرِيَاحيُّ إلى الأشْعثِ. فسألوه الصَّفْحَ، ففعلَ.

* * *

(١) سورة الحجرات ١٥ . (٢) سورة هود ٤٦ .

(٣) ر : «جدة له جاهلية». (٤) ر : «الدنيئة».

وكان عروة بن أُدَيَّة نَجَا من حرب النَّهْرَوان، فلم يَزَلْ باقيًا مدة من خلافة معاوية، ثم أتىَ به زيادٌ ومعه مولًى له، فسأله عن أبى بكرٍ وعمرَ، فقال خيراً، ثم سأله فقال: ما تقولُ فى أميرِ المؤمنين عثمانَ بن عَفَّان وأبى تُرَاب علىِّ بن أبى طالب؟ فَتولَّى عثمان ستَّ سنينَ من خلافته، ثم شَهِد عليه بالكفر! وفصّل فى أمر علىٍّ مثلَ ذلك إلى أن حَكَّمَ، ثم شهد عليه بالكفر! ثم سأله عن معاويةَ. فسبَّه سبًّا قبيحا! ثم سأله عن نفْسه؟ فقال: أوَّلُكَ لزِنْيَة وآخِرُكَ لدعْوَة. وأنت بعد عاصٍ لربك! ثم أمرَ به فضربَتْ عنقه، ثم دعا مولاه فقال: صِفْ لى أمورَه؟ فقال: أأطْنِبُ أم أختصرُ؟ فقال: بل اختَصِرْ، فقال: ما أتيتُه بطعامٍ بنهار قطُّ، ولا فرشتُ له فِراشًا بليل قطُّ.

[مناظرة على بن أبى طالب لهم]

وكان سببُ تسميتهم الحرُورِيةُ أن عليًّا رضوان الله عليه، لمَّا ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس رحمه الله إياهم، كان فيما[(١)] قال لهم: ألا تعلمون أنَّ هؤلاء القوم لمَّا رفعوا المصاحفَ قلتُ لكم: إن هذه مكيدةٌ ووَهْنٌ، وأنهم لو قَصَدُوا إلى حُكْمِ المصاحف لم يأتونى، ثم سألونى التحكيمَ، أفَعَلِمْتُمْ أنه كان منكم أحدٌ أكْرَهَ لذلك منِّى؟ قالوا: اللهمَّ نَعَمْ، قال: فهل علمتُمْ أنكم استكرهتُمونى على ذلك حتى أجبتُكم إليه، فاشترطتُ أنَّ حُكْمَهُما نافذٌ ما حَكما بحُكْم الله عزَّ وجلَّ. فمتى[(٢)] خالفاه فأنا وأنتم من ذلك بُرَءاء، وأَنتُم[(٣)] تَعلمون أنَّ حكم الله لا يعدونى؟ قالوا: اللهم نعم - وفيهم فى ذلك الوقت ابن الكَوَّاء، وهذا من قَبْلِ أن يَذبحوا عبدَ الله بن خَبَّاب؟ فإنما ذَبَحوه بكَسْكَر فى الفرْقة الثالثة - فقالوا: حكَّمْتَ فى دين الله برأينا، ونحن مُقرُّون بأنَّا قد كفَرنا، ونحن تائبون! فَأقْرِرْ بمثل ما أقررنا وتبْ نَنْهَضْ معك إلى الشام. فقال: أما تعلمون أن الله جلَّ ثناؤه قد أمَرَ بالتحكيم فى شقاق بين رجلٍ وامرأته[(٤)]. فقال تبارك وتعالى: ﴿**فابعثُوا حَكَمًا من أهْله وحكَمًا من أهْلِهَا**﴾[(٥)]. وفى صيد أصيبَ فى الحرَم، كأرنب تساوى رُبْعَ درهم[(٦)]، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿**يَحْكُمُ به ذَوا عَدْلٍ منْكُم**﴾[(٧)]؟ فقالوا: إن عمرًا لَمَّا أبى عليكَ

---

(١) ر: «فكان مما».
(٢) ر: «فإن».
(٣) ر: «أو أنتم».
(٤) ر: «وامرأة».
(٥) سورة النساء ٣٥.
(٦) ر: «يساوى ربع دينار».
(٧) سورة المائدة ٩٥.

أن تقولَ فى كتابك: «هذا مـا كتبه عبدُ الله علىٌّ أميـرُ المؤمنين» محَوْتَ اسمكَ من الخلافة، وكتبتَ «علـىّ بنُ أبى طالب». فقال لهم رضى الله عنه: لى برسول الله ﷺ أُسْوَةٌ، حيثُ أبَى عليـه سُهَيْلُ بن عمرو أن يكتبَ: «هذا كـتابٌ كتبه مـحمدٌ رسول الله وسهيلُ بن عمرو» فقال: لو أقررتُ(١) بأنك رسول الله ما خالفْتُك(٢)، ولكنى أُقدِّمـك لفضْلـك. ثـم قال: اكْتُب: «محمـدُ بن عـبد الله»، فقال لى: «يا علىُّ، امْحُ رسَولَ الله»، فقلتُ: يارسول الله، لا تَسْخو نفسى بمَحْوِ اسمك من النبوَّة، فقال عليـه السلام: «فقفنى(٣) عليه» فـمحـاهُ بيده ﷺ، ثم قـال: «اكْتُبْ محمد بن عبد الله». ثم تَبسَّم إلىَّ فقال: «يا علىُّ، أمَا إنكَ ستَسامُ مثْلها فتُعْطى». فَرَجَعَ مـعه منهم ألفـان من حَرُوراَء(٤). وقد كـانوا تجَمَّعـوا بها، فـقال لهم علىٌّ صلواتُ الله عليه: مَا نسَمِّيكُمْ؟ ثم قال: أنتم الحرورِيةُ، لاجتماعكم بحرُوراَءَ.

وَالنَّسَبُ إلى مثلِ «حَـرُوراَءَ» «حَرَوْرَاوِىٌّ»، فاعلَم، وكذلك كلُّ مـا كان فى آخره ألفُ التأنيث الممْدُوَدَة لكنَّهُ نسِبَ إلى البلد بحذف الزوائد، فقيل: الحرورِىٌّ.

[للصلتان العبدى]

وقال الصَّلَتَانُ العَبْدِىُّ فى كلمة له :

أرَى أمَّـة شـهَـرَتْ سيـفـهَـا	وقد زيدَ فى سَوْطِها الأصْبَحى
بنَـجْـــدِيَـة وحَــــرُورِيَّة	وأزْرَقَ يَدْعُــــو إلـى أزرَقى
فَـــمِلَّـتُناَ أنَّـنَا المسلمـــون	علـى دين صِـدِّيـقنَا والنَّـبِى

وفى هذا الشعرِ مما يُسْتَحْسَنُ قوله :

أشـابَ الصـغيـرَ وأفْنى الكبيـرَ	مـرّ الغـداة وكَـرُّ العَـشِى(٥)
إذا ليـلَةٌ هَـرَّمَتْ يومَــهــا	أتى بـعـــدَ ذلـك يومٌ فَـــتِى
نَروحُ ونَـغْــدُو لحـاجَــاتـنا	وحـاجـةَ من عـاشَ لا تَنْقـضِى
تموتُ مـع المرْءِ حـــاجـــاتُه	وتبـقى لـه حـاجـة مَـا بقى

---

(١) ر : «أقررنا».

(٢) ر : «ما خلفناك».

(٣) ر : «قفنى».

(٤) حروراء : قرية من الكوفة.

(٥) ر :

* مُرُورُ الليالى وكَرُّ العَشى *

قوله :

* وقد زيد في سوطها الأصْبَحى *

فإنه تُسمّى هذه السياط التى يُعَاقبُ بها السلطانُ الأصْبَحِيَّةَ، وتُنْسَبُ إلى ذى أصَبَح الْحِميَرى، وكان ملكا من مـلوك حِمْيَر، وهو أوَّلُ من اتخـذها، وهو جدُّ مالك بن أنسٍ الفقيه رضى الله عنه.

والنَّجْدِيةُ تُنسَبُ إلى نَجْدة بن عُوَيمر، وهو عامرٌ الحنفىّ، وكان رأسًا ذا مَقالة مفردة(١) من مَقالات الخـوارجِ، وقد بَقِىَ من أهلها قومٌ كثيـرٌ. وكان نَجْدةُ يصلى بمكةَ بحذاء عبد الله بن الزُّبَيْر فى جمْعـهِ فى كل جمْعَةٍ، وعبد الله يَطْلُبُ الخلافة، فيُمسِكانِ عَن القتالِ من أَجْل الحرم.

[للراعي في عبد الملك بن مروان]

قال الراعى يخاطب عبدَ الملكِ :

إنـى حَـلـفْتُ عـلـى يمـين بَـرَّة ... لا أكـذبُ اليـومَ الخليـفـةَ قـيـلا
مـا إنْ أَتيـتُ أبا خُـبَـيْـب وافـدًا ... يومًـا أريد بَبَـيْـعـتى تبـديلا
ولا أَتَيْت نجَـيْـدةَ بن عُـوَيمرٍ ... أبْغِى الهُـدى فـيـزيـدنى تَضْليـلا
من نِعْمـة الرحمن لا من حـيلتى ... إنى أعُـدُّ له علىَّ فُـضـولا

وفى هذه القصيدة :

أَخَذوا العـريف فقطعُـوا حَيْـزُومَهُ ... بالأصـبَـحـيَّة قـائمًـا مَـغْلُولا(٢)

قوله :

* وأَزْرَق يدعُو إلى أزْرَقىّ *

يريدُ من كان من أصحاب نافع بن الأزرقِ الحنفىّ، وكان نافعٌ شجاعًا مُقدمًا فى فقْه الخوارج، وله ولعـبد الله بن عباس مسائلُ كثيـرة، وسنذكر جملةً منها فى هذا الكتاب، إن شاء الله .

* * *

(١) ر : «منفردة».

(٢) العريف : القيم بأمور القبيلة .

وقوله :

* على دين صدِّيقنا والنبىّ *

فالعرب تفعلُ هذا، وهو فى الواو جائز، أن تَبدأ بالشىء والمقدَّمُ غيره[١]، قال الله عزَّ اسمُه: ﴿هو الَّذى خَلَقَكم فمنكم كافرٌ ومَنكم مؤمنٌ﴾[٢]، وقال: ﴿يامَعْشَر الجنِّ والإنس﴾[٣]، وقال: ﴿واسْجُدى وارْكَعى مَعَ الرَّاكعينَ﴾[٤]. وقال حَسَّانُ بن ثابت :

بهاليلُ منهم جعفرٌ وابنُ أمِّهِ … علىٌّ ومنهم أحمدُ المُتَخَيَّرُ

يعنى بنى هاشم .

* * *

ومن كلام العرب : رَبيعةُ ومُضَرُ وَقيْسٌ وخنْدف وسُلَيْمٌ وعامر، وأصحابُ نافع بن الأزرق هم ذَوُو الحَدِّ والجِدِّ[٥]. وهم الذين أحاطوا بالبصرةَ حتى تَرَحَّلَ أكثرُ أهلها منها، وكان الباقون على الرحلة[٦]، فَقلَّدَ المُهَلَّبُ حَرْبَهم، فهزَمهم إلى الفرات، ثم هزمهم إلى الأهْواز، ثم أخرجهم عنها إلى فارسَ، ثم أخرجهم إلى كَرْمَان، وفى ذلك يقول شاعرٌ منهم فى هذه الحرب التى صاحبُها الزَّنج[٧] بالبَصرَة، يَرْثى البلد، ويذكر المنقبة التى كانتْ لهم :

[قال الأخْفشُ : أنشدَنيه يَزيدُ المَهَلَّبىُّ لنفسه].

سَقَى الله مصْراً خفَّ أهلوهُ من مصْر … وماذا الذى يَبْقَى على عُقَب الدَّهْر![٨]
ولو كنتُ فيه إذْ أُبيحَ حَرِيمُهُ … لَمُتُّ كَريمًا أو صَدَرْتُ على عُذْرِ
أنيح فلم أَمْلِكْ له غيرَ عَبْرَةَ … تُهيبُ بها أَنْ حاردَتَ لوعةُ الصَّدْرِ[٩]

---

(١) ر : «وغيره المقدم».
(٢) سورة التغابن ٢ .
(٣) سورة الرحمن ٣٣ .
(٤) سورة آل عمران ٤٣ .
(٥) الحد، بفتح الحاء: البأس والنفاذ فى النجدة، والجد بالكسر: الاجتهاد والسرعة فى الأمر، قاله المرصفى.
(٦) ر : «الترحل».
(٧) صاحب الزنج: رجل ظهر أيام المهتدى بالله؛ زعم أنه من ولد على بن الحسين بن على بن أبى طالب، ودعا الناس إلى طاعته، واستمال عددا كبيرا من الزنوج، يستعين بهم على العبث والفساد، سنة ٢٧ .
(٨) عقب الدهر : نوبه وأرزاؤه .
(٩) العبرة : الدمعة .

ونحـن رَدَدْنا أهلَـهـــا إذْ تَرحَّـلُوا • وقـد نظمَتْ خَـيْلُ الأزَارقِ بالجَسْـرِ
ومن يَـخْشَ أَطْرَافَ المَنـابا فـإنَّـنَا لَبِـسْنَا لهَنَّ السـابغَـات من الصَّـبْـرِ
فـإنَّ كَـريه المَوْت عَـذْبٌ مَـذَاقـهُ إذا مـا مَـزجْناهُ بطيبٍ مـن الذِّكْـرِ
ومـا رزق الإنسـانُ مـثل مَنِيَّـةٍ أراحتْ من الدنيا ولم تُخْـزِ فى القبرِ

وفى هذا الشعر :

لِيَشْكُرْ بنـو العباسِ نُعْـمَى تَجَدَّدَتْ فـقـد وَعَـدَ اللهُ المَزِيدَ عـلى الشُّكر
لَقـد جَنَّـبتْكُم أُسْـرُ إذ حَسَـدتْكُمُ فسَلَّتْ على الإسلام سَيْفًا من الكُفْرْ
وقـد نغَّصَـتْـهُمْ جَوْلَـةٌ بَعْدَ جَـوْلَةٍ يُبِـيتـون فـيهـا المسلمينَ على ذُعـر

* * *

وقال عبدُ الله بن قَيْسِ الرُّقَيَّات :

ألا طَرَقتْ مِنْ أهلِ بـثنة طارقـهْ[(١)] على أنَّهـا معْـشـوقةُ الدَّلِّ عـاشقَـهْ
تبـيتُ وأرض السُّـوسِ بَيْنَى وبَينهـا وسُولافُ رُسْـتاقٌ حَمَتْـهُ الأزَارقَهْ[(٢)]
إذا نحنُ شِـئنا صـادَفَـتْنَا عـصـابةٌ حَـرُورِيَّةٌ أَضْحَتْ مِـن الدِّين مارِقَـهْ

[من أخبارهم يوم النهروان]

وكان مقدارُ مَنْ أصابَ علىٌّ صـلواتُ الله عليه منهم بالنَّهْرَوانِ ألفين وثمانىَ مائة، فى أصحِّ الأقاويلِ، وكان عَدَدُهُمْ ستةَ آلاف، وكان منهم بالكوفة زُهاءُ ألفين مما يُسِرُّ أمْـرَهُ ولـم يَشْهَد الحربَ، فـخرج منهم رجلٌ بعدَ أنْ قـال علىٌّ رضوان الله عليه: ارْجعُوا وادْفَـعُوا إلينا قاتلَ عبدالله بن خَبَّاب، فـقالوا: كُلُّنَا قَتَلَهُ وشَرِكَ فى دَمه! ثم حَـمَلَ منهم رجلٌ على صَفِّ علىٍّ، وقد قـال علىٌّ: لا تَبْدَءوهم بقـتالٍ، فَقَتَلَ من أصحاب علىٍّ ثلاثةٌ وهو يقولُ:

أقْـتُـلُهُـمْ ولا أرَى عَلِـيّـا ولو بَـدَا أَوْجَـرْتُهُ الخَـطِيّـا

فخرج إليه علىٌّ صـلوات الله عليه فقتله، فلما خالطه السـيف، قال: حَبَّذا الرَّوْحَةُ إلى الجنةِ! فقال عبـد الله بنُ وهْبٍ: ما أَدْرِى أَإلى الجنةِ أم إلى النار! فقال

(١) ر : «بيبة».
(٢) سولاف : قرية من أرض خوزستان. والرستاق اسم للسواد والقرى.

رجل من سعد: إنما حَضَرْتُ اغتراراً بهذا، وأراه قد شَكَّ! فانخزَل بجماعة من أصحابه، ومال أَلْفٌ إلى ناحية أبى أيوب الأنصارىِّ، وكان رحمه الله على مَيْمنة علىٍّ، وجعلَ الناسُ يتسلَّلُونَ، وقد قال علىٌّ وقيلَ له: إنهم يريدونَ الجسْرَ؟ فقال: لن يبلغوا النُّطْفَة، وجَعَلَ الناسُ يقولون له فى ذلك، حى كادوا يَشكُّونَ، ثم قالوا: قد رَجَعُوا يا أمير المؤمنين، فقال: والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ، ثم خرج إليهم فى أصحابه، وقد قال لهم: إنه والله ما يُقْتَلُ منكم عَشَرَةٌ ولا يفلت منكم عشرة، فَقُتِلَ من أصحابه تسعة، وأفلَت منهم ثمانيةٌ.

* * *

وقال أبو العباس: وقيل أولُ مَنْ حكَّمَ ولَفَظ بالحكومة ولم يُشدْ بها رجل من بنى سَعْد بن زيد مَنَاة بن تميم بن مُرّ، ثم[1] من بنى صَريم، يقال له الحجَّاجُ ابن عبد الله، ويُعْرَفُ بالبُرَك، وهو الذى ضَرَبَ معاوية على أَلْيَتِه، فإنه لمَّا سَمعَ بذكر الحكمَيْن قال: أَيُحكَّم فى دِينِ الله! لا حُكمَ إلا للهِ! فسمعه سامعٌ فقال: طَعَنَ والله فأنْفَذ.

وأوَّلُ مَنْ حكَّمَ بين الصَّفَّين رجلٌ من بنى يَشْكُرَ بنِ بكر بن وائلٍ، فإنه كان فى أصحاب علىّ، فَحَمَل على رجلٍ منهم فقتله غِيلةً، ثم مَرَقَ بين الصفَّين فَحكَّمَ، وحَمَلَ على أصحاب معاوية، فكَثَروهُ، فرجَعَ إلى ناحية علىّ صلوات الله عليه، فحَملَ على رجل منهم، فخرج إليه رجلٌ من هَمْدَانَ فقتله، فقال شاعرُ هَمْدانَ:

مـا كـا أغْنَى اليَشْكُرِىَّ عن التى	تَصَلَّى بها جَمْراً من النار حاميا
غَـداةَ يُنَادِى والرماحُ تَنوشُـهُ	خَلَعْتُ عَلِيًّا بادِيًا ومُعَاوِيَا[2]

وجاء فى الحديث، أن عليًّا رضى الله عنه تُلِىَ بحضرته: ﴿قُلْ هل نُنبِّئُكُمْ بالأخْسَرِينَ أَعْمَالا * الذين ضَلَّ سَعْيُهُم فى الحياة الدُّنيا وهم يَحْسَبُونَ أنهم يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[3]، فقال علىٌّ: أهلُ حَرُوراءَ منهم.

* * *

(١) كلمة «ثم» ساقطة من ر.

(٢) تنوشه: تناله.

(٣) سورة الكهف ١٠٣، ١٠٤.

ورُوى عن عليّ صلوات الله عليه أنه خَرَج فى غَدَاة يُوقظُ الناسَ للصلاة فى المسجد، فمرَّ بجماعة تتحدثُ، فَسَلَّمَ وسَلَّموا عليه، فقال وقَبَضَ على لحيته: ظننتُ أنَّ فيكم أشقَّاها، الذى يَخْضِبُ هذه من هذه. وأَوْمأَ بيده إلى هامَتِه ولحيتِه.

[من شعر علىّ بن أبى طالب]

ومن شعر علىٍّ بن أبى طالب رحمه الله الذى لا اختلافَ فيه أنه قاله، وأنه كان يُرَدِّدُه؛ أَنَّهُمْ لَمَّا سَامُوهُ أن يُقِرَّ بالكفر ويتوبَ حتى يَسيرُوا معه إلى الشامِ، فقال: أَبَعْدَ صُحبة رسول الله ﷺ والرِّفقة فى الدِّين أَرْجعُ كافرًا!

يا شاهدَ اللهِ علىَّ فاشْهَدِ أنى على دِينِ النبىِّ أحْمَدِ

* مَنْ شَكَّ فى الله فإنى مُهْتَدِى *

ويُروَى : * أنى توَلَّيْتُ وَلِىَّ أحمدِ *

[فى تقسيم غنائم خيبر]

ويُروى أن رجلا أسودَ شديدَ بياض الثيابِ وقفَ على رسول الله ﷺ وهو يَقسمُ غَنائم خَيْبَر - ولم تكُن إلا لِمَنْ شهد الحُدَيبية - فأقبلَ ذلك الأسود على رسول الله ﷺ، فقال: ما عَدَلْتَ مُنْذ اليوم! فغضبَ رسولُ الله ﷺ حتى رُئِىَ الغضبُ فى وجهه. فقال عمرُ بن الخطاب: ألا أقتلُه يا رسولَ الله ؟ فقال رسول الله: إنه سيكونُ لهذا ولأصحابه نَبَأ.

وفى حديثِ آخرَ أنَّ رسول الله ﷺ قال له: «وَيْحَكَ! فمنْ يَعْدلُ إذا لم أَعدلْ؟» ثم قال لأبى بكرٍ: «اقْتُلْه»، فمضَى ثم رجَع، فقال: يا رسول الله رأيتُهُ ساجدًا، ثم قال لعلىٍّ: «اقْتُلْه»، فمضى ثم رجَع، فقال: يا رسول الله لم أَرَهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لو قُتِلَ هذا ما اختلفَ اثنان فى دِينِ الله».

قال أبو العباس: وحدثنى إبراهيمُ بن محمد التَّيْمِىُّ قاضى البَصْرَة فى إسْنَاد ذكره، أن عليًّا رضى الله عنه وَجَّه إلى رسول الله ﷺ بذهَبة من اليمن، فَقَسَّمها أرْبَاعًا فأعْطَى رُبعًا للأقْرَع بن حَابسٍ المجاشعىِّ، ورُبْعًا لزيْد الخيلِ الطائىِّ، ورُبعًا لعُيَيْنَة بن حِصْنٍ الفَزارىِّ، ورُبْعًا لعَلْقَمةَ بن عُلاثَة الكلابى. فقام إليه رجلٌ

مُضْطَرِبُ الخلقِ غائرُ العينين، ناتئُ الجبهة، فقال: رأيتُ قسمةً ما أريدَ بها وَجْهُ الله!، فَغَضبَ رسولُ الله ﷺ حتى تَوَرَّدَ خَدَّاه، ثم قال: «أيأمَنُنى الله عزَّ وجلَّ على أهل الأرض ولا تأمَنُونى»! فقام إليه عمرُ فقال: ألا أقتله يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «إنه سيكونُ من ضِئْضِئ هذا قومٌ يَمْرُقون من الدِّين كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ، تَنْظُرُ فى النَّصْلِ[1] فلا تَرَى شيئًا، وتنظرُ فى الرصافِ[2] فلا تَرَى شيئًا، وتَتَمارَى فى الفُوقِ[3]» .

قوله ﷺ: «منْ ضِئْضِئِ هذا» أى من جنْس هذا. يقال: فلانٌ من ضِئْضِئِ صدْق. فى مَحْتِد صِدْق[4]. وفى مُرَكَّبِ صِدْق. وقال جَرير للحكَمِ بن أَيُّوبَ بن الحَكَمِ بْن أبى عقيلٍ، وهو ابنُ عم الحجاج، وكان عاملُه على البصرة:

أَقْبَلْنَ منْ ثَهْلان أو وَادى خِيَمْ ... على قِلاص مثل خيطانَ السَّلَمْ[5]

إذا قطَعْنَ عَلَمًا بَدَا عَلَمْ ... حتى أنَخناها إلى باب الحكمْ

خَلِيفَةِ الحجَّاجِ غيرِ المتَّهَمْ ... فى ضِئْضِئِ المجد وبُحبُوحِ الكرَمْ

ويقال: مَرَقَ السهمُ من الرميَّة، إذا نفذَ منها، وأكثر ما يكونُ ذلك ألا يعْلَقَ به من دَمِها شىء، وأقطعُ ما يكون السيفُ إذا سَبقَ الدَّمَ، قال امرؤ القيس بن عابسٍ الكنْدى:

وقد أخْتَلِسُ الضَّرْبَـ ... ـةَ لا يَدْمَى لها نصلى

فأمَّا ما وضعه الأصمعىُّ فى كتاب « الاختيار ». فعلى غلط وُضِعَ.

[من أخبار واصل بن عطاء]

وذكر الأصمعىُّ أن الشِّعْرَ لإسحاق بن سُوَيْد الفقيه، وهو لأعرابىٍّ لا يَعْرِفُ المقالات التى يميلُ إليها أهلُ الأهْواء، أنشدَ الأصمعىُّ :

---

(١) النصل: حديدة السهم والسيف .

(٢) الرصاف : عصب يشد على سنخ النصل .

(٣) الفوق: مشق رأس السهم .

(٤) ر : «ومن مجتد».

(٥) الخيطان : جمع خوط؛ وهى الأغصان.

برئت من الخوارجِ لستُ منهم ... منَ الغزَّال منهم وابن بَاب
ومنْ قوم إذا ذكروا عَليّا ... يَرُدُّون السَّلامَ على السَّحابِ
ولكنِّى أُحبُّ بكلّ قلبى ... وأعْلمُ أنَّ ذاك من الصَّوابِ
رسولَ الله والصديق حُبًّا ... به أرجُو غدًا حُسْنَ الثَّوابِ

فإنَّ قوله: « منَ الغَزَّال منهم » يعنى واصلَ بن عطاء، وكان يُكْنى أبا حُذيْفَة، وكان معتزليًّا، ولم يكن غزَّالا، ولكنه كان يُلقَّب بذلك، لأنه كان يَلْزَمُ الغزَّالين، ليعْرفَ المُتعَفِّفات من النساء، فيجعل صَدَقَتَه لهن، وكان طويلَ العُنُق. ويُروى عن عمرو بن عُبَيْد، أنه نظرَ إليه من قَبْلِ أن يُكلّمَه، فقال: لا يُفْلحُ هذا ما دامتْ عليه هذه العُنُق!

* * *

وقال بَشارُ بن بُرَدٍ يهجُو واصلَ بن عَطاء:

مـاذا مُنيتُ بغَزَّال له عنُقٌ ... كَنِقْنِق الدَّوِّ إنْ وَلّى وَإنْ مَثلا(١)
عُنْقَ الزَّرافةِ ما بَالى وبالُكُمُ ... تُكَفِّرُون رجالا أكفروا رَجُلا!

ويُرْوَى: لا بَلْ(٢). كأنه لا يَشُكُّ فيه أنَّ بشَّارًا كان يَتَعَصَّبُ للنَّار على الأرضِ. و يصَوِّبُ رَأىَ إبليسَ ـ لعنه الله ـ فى امتناعه من السجودِ لآدمَ عليه السلام. ويُرْوَى له:

الأرض مظلمة والنارُ مُشْرقةٌ ... والنارُ مَعْبودة مُذْ كانتِ النَّارُ

فهذا ما يَرْويه المتكلمون.

* * *

وقَتلُه المَهْدِىُّ على الإلحاد. وقد رَوَى قومٌ أنَّ كُتُبَهُ فُتِّشَتْ فلم يُصَبْ فيها شىءٌ مما كان يرْمَى به وأُصيب له كتاب فيه: إنِّى أردتُ هِجاء آل سُلْيْمان بن علىٍّ،

---

(١) النقنق: الظليم. والدو: الفلاة الواسعة. ومثل: أى أيام.

(٢) قال المرصفى: هذه عبارة سخيفة، يريد أن السبب فى هجائه ليس ما ذكره بشار من نسبه الكفر إلى أصحابه، إذ نسبوه إلى واصل، وإنما السبب ما بلغه من إنكار واصل قوله يفضل النار وبصوب رأى إبليس. وكلمة « كأنه لا شك فيه » معترضة.

فذكرت قرابتَهم من رسول الله ﷺ فأَمْسَكْتُ عنهم[1]. [إلا أَنّى قلْت :

دينارُ آل سُلَيْمـــان وَدِرْهَمُــهمْ	كَبَـابِلَّـيـيْنِ حُـفَّـا بالـعَـفـاريت
لا يُرْجيـانِ ولا يُرْجَى نوالهُـمـا	كما سَمِعْتَ بِهارُوتٍ ومَارورت][2]

وحدثنى المازنىُّ قال: قال رجلٌ لبَـشَّار: أتأكلُ اللَّحْمَ وهو مُبَاينٌ لديانَتِكَ! ـ يَذْهَبُ به[3] إلى أنه ثَنَوِىّ ـ قال: فـقال بَشَّارٌ: ليـسوا يَدْرُونَ أنَّ هذا[4] لحم يَدْفع عنِّى شَرَ هذه الظُّلْمة.

* * *

وكان واصلُ بنُ عطاء أحدَ الأعـاجيب، وذلك أنه كان أَلْثَغَ قَبِـيحَ اللثْغة فى الراء. فكان يُخلِّصُ كلامَه من الراء. ولا يُفْطَنُ بذلك[5] لاقتدارِه وسهولةِ ألفاظِه، ففى ذلك يقولُ شاعرٌ من المعتزلة. يمدحُه بإطالته الخُطبِ واجتنابه الراء، على كثرة ترددُّها فى الكلام. حتى كأنها ليسْت فيه :

عَلِيـمٌ بإبدالِ الُحـــروفِ وقــامِع	لكل خَـطِيب يَغْـلِبُ الحقَّ باطِـلُهْ

* * *

وقال آخر :

ويَجْـعَلُ البرَّ قَـمحًـا فى تَصَرُّفـه	وخالَفَ الراءَ حـتى احتالَ للشِّـعَرِ
ولم يطقْ «مطرًا» والقــولُ يُعْـجِلُهُ	فـعاذَ بالغَـيْث إشـفـاقًـا من المَطَرِ

ومما حكى[6] عنه قولُه: وذَكَرَ بَشَّارًا : أَما لهذا الأعمى المُكْتَنى بأبى معاذ مَن يقتُلُه! أَمَـا والله لولا أنَّ الغيلة خَلُقٌ من أَخْلاق الغـالية لَبَعْثُت إليـه منْ يَبْعَجَ بطنَه على مضْجَعِه، ثم لا يكونُ إلا سدُوسياًّ أو عُقَيْلياًّ.

فقـال : «هذا الأعمى» ولم يقل بَشَّارًا، ولا ابن بُرْد، ولا الضَّـرير. وقال: «من أخلاق الغـالية» ولم يقل المغيريَّـة ولا المنصوريَّة. وقال: «لبعـثت إليه». ولم

---

(١) د : «منهم» .

(٢) ما بين العلامتين من زيادات ر .

(٣) كلمة «به» ساقطة من ر .

(٤) كلمة «هذا» ساقطة من ر .

(٥) ر . «بذاك».

(٦) ر : «يحكى».

يقل: لأرسلتُ إليه. وقال: «على مَضْجَعه». ولم يقل: على فِراشه، ولا مرْقَده. وقال: «يَنْبَعِجُ». ولم يقل: يَبْقُرُ. وذكَر «بنى عقيل». لأنَّ بشارا كان يَتَوالَى إليهم وذكر «بنى سَدُوسٍ». لأنه كان نازلا فيهم.

واجْتِنابُ الحروفِ شديدٌ.

* * *

قال : ولمَّا سقطت ثَنايا عبد المِلك (١بن مروان فى الطّسْتِ١) قال: والله لولا الخُطْبة والنساءُ ما حَفَلْتُ بها.

* * *

قال: وخطب الجُمَحِيُّ، وكان مَنْزوعَ إحدى الثَّنِيَّتَيْن، وكان يَصْفِرُ إذا تكلَّم، وأجاد[٢] الخُطْبَة، وكانت لنكاحٍ، فردَّ عليه زيدُ بن علىٍّ بن الحسين كلامًا جيِّدا. إلا أنه فَضَلَهُ بتمكين[٣] الحروف وحُسْن مَخارج الكلام.

فقال عبد الله بن معاويةَ بن عبد الله بن جعفر يذكر ذلك:

صَحَّتْ مَخارجُها وتَمَّ حُروفُها … فلهُ بذاكَ مَزِيَّةٌ لا تُنْكَرُ

المزية : الفضيلة .

وأمَّا قوله: «ابن باب» فهو[٤] عمرو بن عُبَيْد بن بَابٍ، وهو[٥] مَوْلَى بنى العدويَّة، من بنى مالك بن حَنْظلَة، فهذان مُعْتَزليَّان وليسا من الخوارجِ، ولكن قَصَدَ إسحاق بن سُوَيدٍ إلى أهل البِدَع والأهْواءِ ألا تَراه ذَكَر الرافضةَ معهما، فقال:

ومِنْ قَومٍ إذا ذَكَروا عَلِيًّا … أشاروا بالسَّلام على السَّحاب

ويُرْوى : * يردُّونَ السَّلام على السَّحابِ *

[مقتل على بن أبى طالب رضى الله عنه]

ثم نرجعُ إلى ذكر الخوارجِ .

(١-١) سافط من ر

(٢) ر : «فأجاد» .

(٣) ر : «يتمكن» .

(٤) ر : «فإنه».

(٥) ر : «وكان»

قال أبو العباس: فلما قـتلَ عليٌّ بن أبى طالبٍ أهل النَّهْرَوَان، وكان بالكوفة زُهاءُ ألفين من الخوارِجِ؛ ممن لم يَخْـرُجْ مع عبد الله بن وهبٍ، وقومٌ ممن اسْـتأْمَنَ إلى أبى أيوبَ الأنصاريِّ، فـتجمعوا وأمّـروا عليهم رجلا من طَيِّئ. فَوَجّـه إليهم عليٌّ رجلا، وهم بالنُّخَـيْلَة. فدعاهم ورَفَقَ بهم. فـأَبَوْا. فَعَاوَدَهم فأَبَوْا. فَـقَتَلُوا جميعًا، فخدجت طائفةٌ منهم نحوَ مكة. ووجّه[1] معاويةُ مَنْ يُقيمُ للناسِ حَجَّهم. فَنَاوَشَهُ هؤلاء الخوارجُ، فبَلَغَ ذلك معاويةَ فوجّه بُسْرَ بن أرْطاةَ، أحدَ بنى عامر بن لؤَىّ، فتـوافقُوا وتَراضَوْا بعـدَ الحرب بأن يصلّىَ بالناس رجلٌ من بنى شَيْبَـة؛ لئلا يفـوتَ الناسَ الحجُّ. فلمّـا انقضى نَظَـرَت الخَوارجُ فى أمـرها، فـقالوا: إن عليًّـا ومعاويةَ قد أفسدَا أمرَ هذه الأمة، فلو قتلناهما لعادَ الأمرُ إلى حَقِّه! وقال رجلٌ من أَشْجَعَ: والله ما عَـمرٌو دونهما، وإنه لأصْلُ هذا الفـساد. فقال عـبدُ الرحمن بن مُلْجَم: أنا أقـتلُ عليًّا. فقـالوا: وكيفَ لكَ به؟ قـال: أغْتالُهُ. فـقال الحـجَّاجُ بنُ عبدالله الصريمىُّ - وهو البُرَك: وأنا أقتلُ مـعاويةَ، وقال زاذويَه مَوْلَى بنى العنبر بن عَـمرِو بن تميمٍ: وأنا أقـتلُ عـمرًا. فـأَجْـمَعَ رأيُهم على أن يكونَ قـتلُهم فى ليلة واحدة. فـجعلوا تلك الليلةَ ليلةَ إحـدى وعشرينَ من شهـر رمضانَ، فـخرج كلٌّ واحدٍ منهم إلى ناحية، فأتى ابن مُلْجَمٍ الكوفة. فأخْفى نفسَه وتزوَّجَ امرأةً يقال لها قطام بنتُ عَلْقمةَ من تَيْمِ الرِّبَاب، وكانتْ تَرَى رأْىَ الخوارج - والأحاديثُ تختلفُ وإنما يُؤثَرُ صحيحُـها - ويُرْوَى فى بعضِ الحديث[2] أنها قـالتْ: لا أقْتَنِعُ منكَ إلا بصَدَاق أُسَـمِّيه لَكَ، وهو ثلاثةُ آلافِ درهمٍ. وعبـدٌ وأَمَةٌ، وأن تقْتُلَ عليًّا. فـقال لها: لَكِ ما سألت، وكيف[3] لى به؟ قالت: تَرُومُ ذلك غيلَةً، فإنْ سَلمْتَ أرحتَ الناسَ منْ شَـرٍّ، وأقمتَ مع أهلكَ، وإنْ أُصـبتَ خرجتَ[4] إلى الجنةِ ونعـيمٍ لا يزول، فأنْعَمَ لها[5]، وفى ذلك يقولُ[6]:

ثلاثـةُ آلافٍ وعـبــدٌ وقَـيـنةٌ ... وَضربُ علىٍّ بالحُسام المُصَمِّم[7]

(١) ر : «فوجه».
(٢) ر : «الأحاديث».
(٣) ر : «فكيف».
(٤) ر : «سرت».
(٥) أى قال لها نعم.
(٦) قال المرصفى : بل قائله ابن أبى مياس المرادى.
(٧) قبله :

وَلَمْ أرَ مَـهْـرًا سَـاقَـهُ ذُو سَـمَـاحـةٍ ... كـمـهـر قطَام من فَـصِـيحٍ وَأعْـجَم

فلا مَــهْر أغْلَى من عــلى وإن غَلا ولا فَتْكَ إلا دُونَ فَــتْك ابْنِ مُلجَم

وقد ذكروا أنَّ القاصدَ إلى معــاويةَ يزيدُ بن مُلْجَم، والقاصدَ إلى عمرو آخرُ من بَنى مُلْجَم، وأنَّ أباهم نهاهم، فلمَّا عصوهُ قــال: استعَدوا للموت، وأنَّ أمَّهُمْ حضَّتْهُمْ على ذلك. والخبرُ الصَحيحُ ما ذكرتُ لك أولَ مرَّة.

فــأقَامَ ابنُ مُلجم، فيــقالُ: إنَّ امــرأتَه قَطام لامَــتْهُ، وقــالت: ألا تمضِى لما قَصَدْتَ له[1]! لَشَدَّ ما أحْــبَبْتَ أهلكَ! قال: إنِّى قــد وَعَدْتُ صاحبَىَّ وقتًــا بعينه ـ وكان هناك رجلٌ من أَشْجعَ، يقال له شَبيبٌ ، فَواطأَهُ عبدُ الرَّحمن.

* * *

ويُرْوَى أنَّ الأشْعَثَ نظَر إلى عبد الرحمن متقلدًا سيفًا فى بنى كِنْدَةَ، فقال: يا عبَد الرَّحمن، أرِنى سيفك، فأراهُ إياه[2]، فَرَأَى سيفًا حديدًا، فقال: ما تقَلُّدُك هـذا[3] السيـفَ وليـس بأوَانِ حَــرْب! فقال: إنى أردتُ أن أنحرَ به جَــزُورَ القَرْيَة! فَرَكِبَ الأشْعَثُ بغلتَــه، وأتى عليًّا صلوات الله عليه فَخَبَّرهُ، وقــال له: قد عرفتَ بَسَالَة ابن مُلجمٍ وَفَتْكه، فقال علىٌّ : ما قَتلنى بَعْدُ.

ويُرْوَى أن عليًّــا رضوان الله عليــه كان يخطبُ مَــرَّةً وَيُذَكِّرُ أصْحــابَهُ، وابن مُلجم تلْقَــاء المنْبَر، فَــسُمع وهو يقــولُ: والله لأريحنَّهُمْ منكَ! فلمَّا انصــرفَ علىٌّ صلوات الله عليــه إلى بيته أُتِىَ بــه مُلَبَّبًا، فــأشْرَفَ عليــهم ، فقــال: ما تريدونَ؟ فخبَّروهُ بما سمعوا، فقال: ما قتلنى بَعْدُ؛ فَخَلَّوْا عنه.

ويُرْوَى أن عليًّا كان يَتــمَثَّل إذا رآه ببيت عَمرِو بن مَعْــدى كرب فى قَيْس بن مكْشُوحٍ المُرادِىِّ ـ والمكشوحُ هُبَيْرَةُ، وإنما سُمِّى بذلك لأنه ضُرِب على كَشْحِه:

أُريدُ حِــــبَـــاءه ويُــريدُ قَــتْــلى عَـــذِيرَكَ مِنْ خَلِـيلكَ من مُـــرَادِ

---

(١) كلمة «له» ساقطة من ر .

(٢) كلمة «إياه» ساقطة من ر

(٣) كلمة « هذا» ساقطة من ر .

فيَنْتَفِى من ذلك، حتى أكثرَعليه، فقال له المَرادىُّ: إنْ قضىَ شَىءٌ كانَ، فقيل لعلىٍّ: كأنك قد عرفته وعرفتَ ما يُريدُ بك، أفَلاَ تقتلُه؟ فقال: كيف أقْتلُ قاتلِى.

فلمَّا كان ليلَة إحدَى وعشرين من شهر رمضانَ، خَرجَ ابنُ مُلْجَم وشبيبٌ الأشْجَعِىُّ، فاعْتَوَرَا البابَ الذى يَدخلُ منه علىٌّ رضى الله عنه، وكان(1 علىٌّ يَخْرُجُ1) مُغَلِّسًا، ويوقظ الناسَ للصلاة، فخرج كما كان يفعلُ، فضربه شَبيبٌ فأخطأه، وأصابَ سيفُهُ البابَ، وضربه ابنُ مُلْجَم على صَلْعَته، فقال علىٌّ: فُزْت ورَبِّ الكَعبة! شأنَكُمْ بالرَّجُلِ. عن بعض مَن كان فى المسجد(2) من الأنصار قال: سمعت كلمة علىٍّ، ورأيتُ بريقَ السيف، فأمَّا ابن مُلجم فحمل على الناس بسيفه فأفرَجُوا له، وتلقَّاهُ المغيرةُ بن نوْفَل بن الحارث بن عبد المطلب بقطيفة، فرمى بها عليه، واحتَمَلَه فضرب به الأرضَ، وكان المغيرة أَيِّدًا، فقَعَدَ على صَدره، وأمَّا شبيبٌ فانتزع السيفَ منه رجلٌ من حَضْرَمَوْتَ، وصَرَعَهُ وقعد على صدره. وكَثر الناسُ، فجعلوا يصيحون: عليكم صاحبَ السيف، فخاف الحَضْرَمى أن يُكبُّوا عليه ولا يَسمعوا عُذْرَهُ فَرَمى بالسيف، وانْسَلَّ شبيبٌ بين الناس فدخَل(3 بابن مُلْجَمٍ3). على علىٍّ رضوان الله عليه، فأُومرَ فيه، فاختلفَ الناسُ فى جوابه، فقال علىٌّ: إن أَعش فالأمْرُ لى(4)، وإن أُصَب فالأمرُ لكم، فإن آثرْتمْ أن تقْتَصُّوا فضَرْبَة بضربة، وأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ للتَّقْوَى. وقال قومٌ: بل قال: وإن(5 أصَبْ فاقتلوه فى مقْتَله5). فأقام علىٌّ يومين، فسَمع ابنُ مُلْجَم الرَّنَّةَ من الدار، فقال له مَنْ حَضَره: أىْ عَدَوَّ الله! إنه لا بأس على أمير المؤمنين، فقال: أعَلى مَنْ تبْكى أمُّ كلْثوم(6)؟ أعَلَىَّ؟ أمَا والله لقد اشتريتُ سيفى بألف درهم، ومازلْتُ أعْرضهُ، فما يَعيبُه أحدٌ إلا أصلَحْتُ ذلك العيب، ولقد سقيته(7) السُّمَّ حتى لفظَهُ، ولقد ضربتهُ ضَرْبَةً لو قُسمتْ على مَنْ بالمشرق لأتَتْ عليهم.

ومات علىٌّ صَلَوُاتُ الله ورضوانُه عليه ورحمته فى آخر اليوم الثالث(8 فدعا عبد الرحمن بالحسن8) رضى الله عنه. فقال: إنَّ لك عندى سِرًّا. فقال الحسنُ

(1-1) ساقط من ر .

(2) ر : «بالمسحد».

(3-3) ساقط من ر .

(4) ر : «إلى».

(5-5) «وإن أصبت فاضربوه ضربة فى مقتله».

(6) هى أم كلثوم بنت على بن أبى طالب، روج عمر بن الخطاب.

(7) ر : «أسقيته».

(8-8) ر : «فدعا به الحسن».

رضوان الله عليه: أتَدْرون ما يريدُ؟ يريدُ أن يَقْرُبَ من وجهى فيَعَضّ أُذُنى فيقطَعَها، فقال: أمَا والله لو أمْكَنَنى منها لاقتلعتُها من أصلها! فقال الحسنُ: كلا والله، لأضربَنَّكَ ضربةً تُؤَدِّيك إلى النار. فقال: لو علمتُ أن هذا فى يدك[1] ما اتخذتُ إلهًا غيرك، فقال عبدُ الله بن جعفر: يا أبا محمد. ادْفَعْهُ إلىَّ أشْفِ نفسى منه. فاختلفوا فى قتله، فقال قومٌ: أحْمَى له ميلَيْن وكَحَلَهُ بهما. فجعل يقول: إنك يابنَ أخى لتَكْحَلُ عمكَ بمُلْمولَيْن[2] مَضَّاضَيْن[3]، وقال قومٌ: بل قَطَعَ يديه ورجليه، وقال قومٌ: بل قطع رجليه، وهو فى ذلك يَذْكر الله عزَّ وجلَّ. ثم عَمَدَ إلى لسانه فشَقَّ ذلك عليه. فقيل له: لم تَجْزَع من قطع يديك ورجليك ونَرَاك قد جَزِعْتَ من قطع لسانِك! فقال: نعم أحببتُ أن لا يزالَ فمى بذكر الله رَطْبًا، ثم قتَله.

* * *

ويُرْوَى أنَّ عليًّا رضى الله عنه أُتِى بابن مُلْجَم وقيل له: إنَّا قد سمعنا من هذا كلامًا ولا[4] نأمنُ قتله لك؟ فقال: ما أصنع به؟ ثم قال علىٌّ رضوان الله عليه:

اشْدُدْ حَيَازِيمَكَ للموتِ … فإنَّ الموتَ لاقِيكَا[5]
ولا تجزَعْ من الموتِ … إذا حَلَّ بِوادِيكَا

والشعرُ إنما يَصِحُّ بأن تحذف «اشْدُدْ» فتقولَ:

حَيازِيمَك للموتِ … فإن الموت لاقِيكَا

ولكنَّ الفصحاءَ من العرب يزيدون ما عليه المعنى. ولا يَعْتَدُّونَ به فى الوزنِ. ويحذفون من الوزن، عِلْمًا بأنَّ المخاطَبَ يعلم ما يُريدونه، فهو إذا قال: «حيازيمك للموتِ»، فقد أضمر «اشددْ»، فأظهرَه، ولم يَعْتَدَّ به.

قال: وحدثنى أبو عثمان المازِنىُّ قال: فصحاءُ العرب يُنشِدون كثيرًا:

---

(١) ر: «فى يديك».
(٢) الملمول: الحبل يكتحل به.
(٣) أى جارين. (٤) ر: «فلا».
(٥) الحيزوم: ما اشتمل عليه الصدر؛ يقال للرجل: اشدد حيازيمك، أى وطن نفسك على الأمر.

لسَعْـدُ بنُ الضِّبَـابِ إذا غَـدَا   أحَبُّ إلينا منِك َفافرَس حَـمِرْ[1]

وإنما الشِّعْر :

* لَعَمْرى لَسَعْد بنُ الضِّبَاب إذا غَدَا *

* * *

وأما الحجَّاج بن عبد الله الصُّرَيْمى ـ وهو البُرَكُ ـ فإنه ضَرَبَ معاويةَ مُصَلِّيًا، فأصاب مَأكَمتَه[2]، وكان معاويةُ عظيمَ الأوْراك، فـقطع منه عِرْقًا يقالُ له[3] عِرْقُ النِّكاح، فلم يُولَدْ لمعـاويةَ بعد ذلك ولد. فلماَ أخـذ قال: الأمَانُ والبشَـارةُ، قَتلَ علىٌّ فى هذه الصَّبيحـة، فاستُؤنىَ به حتى جاء الخَبـرُ، فقَطع معاويةُ يَدَهُ ورجلَه، فأقام بالبصرة، ثم بلـغ[4] زياداً أنـه قـد وُلـد له، فقال: أيُـولَـد له وأميرُ المؤمنـين لا يُولد له! فقتله. هذا أحدُ الخبرين.

ويُرْوَى أن معـاويةَ قطع يديه ورجليه، وأمَـرَ باتِّخاذ المقـصورة، فـقيل لابنِ عباسٍ بعد ذلك: ما تأويلُ المقصورة؟ فقال: يخافون أن يَبْهَظَهُم[5] الناسُ.

وأمَّا زَاذَوَيه، فإنه أرْصَد لعَمْرو، واشـتكى عَمرٌو بطنه، فلم يخرج للصلاة. فخرج[6] خارجةُ[7]، وهو رجلٌ من بنى سَهْم بن عَمْـرو بن هُصَيْص، رَهْط عَمرو ابن العاص، فـضربه زَاذَوَيْه فـقتله، فلمـا دُخِلَ به على عَمْـرو فرآهم يخـاطبونه بالإمْرَة قال: أوَ مَا قـتَلْتُ عَمْرًا! قيل: لا، إنما قتلتَ خارجةَ، فـقال: أردتُ عمرًا وأراد الله خارجة[8].

[لأبى زبيد الطائى يرثى على بن أبى طالب]

وقال أبو زُبَيْد الطائىُّ يَرْثى علىَّ بن أبى طالب صلواتُ الله عليه :

إن الكرامَ عَلَى مـا كـان من خُلق   رَهْطُ امْـرئ خارَهُ للدِّين مُـخْتَـارُ

صَبٌّ بصِيـرٌ بأضْغَـان الرجالِ ولَمْ   يُعْـدَلْ بَخَـبْرِ رسولِ الله أخْبـارُ

(١) لامرئ القيس بن حجر. ديوانه ١٣٩ .

(٢) المأكمة: واحدة المأكمتين، وهمااللحمتان اللتان على رءوس الوركين.

(٣) كلمة «له» ساقطة من ر .

(٤) ر : «فبلغ».

(٥) يبهظهم : يغلبهم.

(٦) ر : «دخرج».

(٧) هو خارجة بن حذافة؛ له صحبة .

(٨) ر : «والله أراد».

وَقَطْرَة قطَرَتْ إذْ حَانَ مَوْعِدهَا — وكل شىء لـه وقتٌ ومـقْـدارُ
حتى تَنَصَّلها فى مسجد طُهُر — على إمامٍ هُدًى إنْ معْشَر جاروا
حُمَّتْ لِيَدْخُلَ جنَّات أبو حَسَنٍ — وأوجَبتْ بعده للقاتِل النارُ

قوله: «خارَهُ» يعنى[1]: اختاره، وهو «فعَلَهُ» و «اختاره» «افتعَلَهُ» كما تقول: قدر عليه، واقتَدَرَ عليه.

وقوله: «بَصيرٌ بأضْغَان الرِّجال»، فهى أسرارُها ومُخَبَّآتُها، قال الله تعالى: ﴿فَيحْفكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أضغَانَكم﴾[2]. والحَبْرُ العالِمُ.

ويُرْوَى أن عليًّا رضوان الله عليه مَرَّ بيهوديٍّ يسأل مُسْلمًا عن شىء من أمرِ الدِّين، فقال له عليٌّ: اسألنى ودَعِ الرجلَ، فقال له: يا أمير المؤمنين، أنتَ حَبْرٌ. أى عالمٌ، قال علىٌّ عليه السلام: أنْ تَسْأَلَ عالِمًا أجدَى عليك[3].

وقوله: «حتَّى تَنَصَّلها»، يريدُ استخرَجَها.

وقوله «حُمَّتْ»، معناه قُدرَتْ.

[للكميت فى رثائه أيضا]

قال الكُمَيْتُ:

والوَصىُّ الذى أمالَ التَّجوِيـ — ـىُّ به عَرْشَ أُمَّة لانهدامِ
قَتلُوا يومَ ذاكَ إذْ قَتَلوه — حكَمًا لا كَغَابر الحكَّامِ
الإمامَ الزَّكِىَّ والفارسَ المُعْلـ — ـمَ تحتَ العَجَاجِ غيرَ الكَهَامِ
راعيًا كان مُسجِحًا ففقَدْنَا — هُ وفقْدُ المُسيمِ هُلْكُ السَّوامِ[4]

* * *

قول: «الوَصِىُّ» فهذا شىءٌ كانوا يقولونه ويكثرون فيه قال ابنُ قيْس الرُّقَيَّات:

نحنُ منا النبىُّ أحمدُ والصِّدِّيـ — ـقُ منَّا التقىُّ والحُكَماءُ

(١) ر: «إنما هو».
(٢) سورة محمد ٧٣.
(٣) ر: «أجدى لك».
(٤) مسجحا: سهلا.

وعلىّ وجعفرٌ ذو الجَناحَيـنِ هُناكَ الوَصِىُّ والشُّهداءُ

وقال كثيرٌ لمَّا حَبَسَ عبدُ الله بن الزبير محمد بن الحَنَفِيَّةِ فى خمسةَ عشر رجلا من أهله فى سِجنِ عارِمٍ:

تُخبِّرُ مَن لاقيتَ أنك عائذٌ بَل العائذُ المحبوس فى سِجْنِ عارِمِ
وصِىُّ النَّبىِّ المصطفى وابنُ عمه وفكّاكُ أعناقٍ وقاضِى مَغارم

أرادَ ابن وَصِىِّ النبىِّ. والعربُ تُقيمُ المضافَ إليه فى هذا الباب مقامَ المضاف، كما قال الآخَرُ:

صَبَّحْنَ منْ كاظِمَةَ الحُصَّ الخرِبْ يحْمِلنَ عَبَّاسَ بنَ عبدِ المطلبْ

يريدُ ابن عباس رضى الله عنه.

وقال الفرزدقُ لسليمانَ بن عبد الملك:

ورِثْتُمْ ثيابَ المجد فهىَ لَبوسُكُمْ عن ابنىْ مَناف عبدِ شمْسٍ وهاشم

يريد ابنْى عبدِ منافٍ.

[لأبى الأسود الدؤلى فى آل البيت]

وقال أبو الأسود:

أحبُّ مُحَمَّدًا حبًّا شديدًا وعَبَّاسًا وحمزةَ والوَصِيَّا
أحبُّهمُ لحُبِّ الله حتى أجِىءَ إذا بُعِثتُ عَلى هَوِيَّا
هوًى أعْطِيتُهُ منذ اسْتدارَتْ رَحَى الإسْلام لَمْ يَعْدِلْ سَوِيَّا(١)
يقول الأرْذلون بنو قُشَيْر: طوَالَ الدَّهر ما تَنْسَى علِيَّا!
بنو عمِّ النبىِّ وأَقْرَبوهُ أَحَبُّ الناسِ كلِّهمُ إلَيَّا
فإن يك حبُّهُمْ رُشدا أُصِبْهُ وليس بمُخْطِئٍ إن كان غَيَّا(٢)

(١) زيادات ر: «السوى والسواء: الذى قد سوى الله خلقه، لازمانة به ولاداء؛ وفى القرآن: ﴿بشرا سويا﴾، وتقول: ساويت ذاك بهذا الأمر، أى جعلته مثلا له.

(٢) زيادات ر: «ويروى: وليست».

وكان بنو قُشَير عُثمانيَّة، وكان أبو الأسودِ نازلا فيهم، فكانوا يَرْمُون بالليلِ، فإذا أصبح شكا ذلك، فشكاهم مرة، فقالوا له[1]: ما نحنُ نرْميك ولكنَّ الله يرميك! فقال: كذبتم والله، لو كان الله يَرمينى لما أَخْطأنى.

قال: وكان نَقشُ خاتمه:

يا غالِبى حَسْبُكَ مَن غالبِ ارْحَمْ علىَّ بن أبى طالبِ

وقوله: «غيرَ الكهَامِ» فالكهامُ: الكَليلُ من الرجال والسيوفِ، يقال: سيفٌ كَهامٌ. وقوله:

راعِيًا كان مُسجِحًا فقدنا ه وفقْدُ المُسِيمِ هُلْكُ السَّوامِ

فالمسيمُ الذى يُسيمُ إبله أو غنمه ترْعى، وكذلك كلُّ شىء من الماشيةِ، فجَعَل الراعِيَ للناس كصاحب الماشية الذى يُسيمها ويَسوسُها ويُصْلحها، ومتى لم يَرْجعْ أمر النَاس إلى واحد فلا نظامَ لهم، ولا اجتماعَ لأمورهم.

قال ابنُ قيس الرُّقيَّات:

أيها المشْتَهِى فَناءَ قُرَيْشٍ بيد الله عُمْرُها والفَنَاءُ
إن تُودِّع من البلاد قُرَيْشٌ لا يكنْ بَعْدَهم لحىٍّ بقَاءُ
لو تُقفِّى ويُتْرَكُ الناسُ كانوا غنَم الذِّئبِ غابَ عنها الرِّعَاءُ

وقال الْحِميْرَىُّ يعنى عليًّا رضوانُ الله عليه:

كان المسيمَ ولم يكن إلا لِمنْ لزِمَ الطريقة واستقامَ مُسيما

ولمَّا سمع علىٌّ صلواتُ الله عليه نداءَهم «لا حُكمَ إلا لله» قال: كلمة عادِلة يُرادُ بها جَوْرٌ، إنما يقولون: لا إمارة، ولابُدّ مِن إمارة برَّة أو فاجرة.

* * *

ورَوَوْا أن عليًّا عليه السَّلامُ لمَّا أوصى إلى الحسن فى وَقف أمواله وأن يَجعلَ فيها ثلاثة من مواليه وَقفَ فيها عينَ أبى نيْزَرَ[2] والبُغَيْبغَة فهذا[3] غلطٌ. لأن وَقفهُ هذين[4] الموضعين لسَنَتيْن من خلافته.

(١) كلمة «له» ساقطة من ر
(٢) كذا ضبط فى الأصل. بفتح النون، وفى حاشيته عن الصحاح: «نيزر» بكسر النون.
(٣) ر «وهذا». (٤) ر: «لهذين».

[وقف عين أبي نيزر]

حدثنا أبو مُحلّمٍ محمدُ بن هشَام في إسناد ذكره أخوهُ أبو نَيْزَرَ، وكان أبو نَيْزَرَ من أبناء بعضِ ملوك الأعاجِمِ، قال: وصَحَّ عندى بعدُ أنه منْ وَلَد النجَاشيَّ ـ(١ يعنى أبا نَيْزَرَ١) ـ فَرَغبَ في الإسلامِ صغيرًا، فأتى رسولَ الله ﷺ فأسلم، وكان معه في بيوته، فلما تُوُفيَ رسولُ الله ﷺ صار مع فاطمةَ وولدها عليهم السلامِ، قال أبو نَيْزَرَ: جاءنى عليٌّ بن أبى طالب وأنا أَقُومُ بالضَّيْعَتَيْنِ: عَيْنِ أبى نَيْزَرَ والبُغَيْبغة(٢). فقال لى: هل عندَكَ من طعامٍ؟ فقلتُ: طعامٌ لا أَرضاه لأمير المؤمنين، قَرْع من قَرْعِ الضَّيْعَةِ صنعته بإهالة سَنِخَةٍ(٣)، فقال: عَلَيَّ به، فقام إلى الربيع وهو جدول ـ فغسل يده، ثم أصابَ من ذَلك شيئا، ثم رجع إلى الرَّبيع، فغسل يديه بالرَّمل حتى أنقاهما، ثم ضم يديه، كلَّ واحدة منهما إلى أختها، وشرب بهما حُسًا(٤) من ماء الرَّبيع، ثم قال: يا أبا نيْزَرَ، إن الأَكُفَّ أنظفُ الآنية، ثم مَسَح نَدَى ذلك الماء على بطنه، وقال: مَنْ أدخله بطنُهُ النارَ فأبعده اللهُ، ثم أَخذ المعْوَلَ(٥) وانحدَرَ في العَيْنِ، فجعل يضربُ، وأبطأَ عليه الماءُ، فخرجَ وقد تَفَضَّجَ جبينهُ عَرَقًا(٦). فانْتكفَ العَرَقَ عن جَبينه، ثم أخذ المعْوَلَ وعادَ إلى العين، فأقبلَ يضربُ فيها، وجعل يُهَمْهِم(٧) فانْثَالَتْ كأنها عُنُق(٨) جَزُور، فخرجَ مُسْرعًا، فقال: أشْهدُ اللهَ أنها صَدَقَةٌ، عليَّ بدواة وصحيفة، قال: فَعَجَّلْتُ بهما إليه، فكتبَ: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تَصَدَّقَ به عبد الله عليٌّ أميرُ المؤمنين، تَصَدَّقَ بالضَّيْعَتَين المعروفتين بعَيْنِ أبى نَيْزَرَ والبُغَيْبغة، على فقراء أهل المدينة وابنِ السَّبيل، ليَقِيَ اللهُ بها وجْهَه حَرَّ النار يومَ القيامة، لا تُباعَا ولا تُوهَبَا حتى يَرِثَهُمَا الله وهو خيرُ الوارثينَ، إلا أن يحتاجَ إليهما الحَسَنُ أو الحسينُ فهما طِلْقٌ(٩) لهما، وليس لأحدٍ غيرهما.

(١-١) ساقط من ر.

(٢) البغيبغة: عين لآل رسول الله ﷺ غزيرة الماء كثيرة النخل.

(٣) الإهالة: ما أذيب من الشحم والسنخة: المتغيرة الريح.

(٤) حسا: جمع حسوة؛ وهى الشربة ملء الفم.

(٥) المعول: الفأس العظيمة ينقر بها فى الصخور.

(٦) تفضج جبينه عرقا: سال.

(٧) يهمهم، من الهمهمة، وهى ترديد الصوت فى الصدر.

(٨) يقال انثال الرمل انثيالا، إذا تبع بعضه بعضا؛ وهو هنا على الاستعارة.

(٩) طلق: أى حلال.

قال محمدُ بن هشام: فركبَ الحسينَ رضى الله عنه دَيْنٌ، فحملَ إليه معاويةُ بعَيْن أبى نيْزَرَ مائتى ألف دينار، فأبى أن يَبِيعَ، وقال: إنما تَصَدَق بها أبى لِيَقىَ اللهُ بها وجهه حَرَّ النار، ولستُ بائعهَا بشىء.

[كتاب معاوية إلى مروان بن الحكم]

وتَحَدَّثَ الزُّبَيْريُّونَ أَنَّ معاوية كَتَبَ إلى مروانَ بن الحكم، وهو وَالى المدينة: أمَّا بعدُ، فإن أميرَ المؤمنين أحَبَّ أن يَرُدَّ الألْفَةَ، ويَسُلَّ السَّخيمة، ويَصِلَ الرَّحِمَ، فإذا ورد عليك[1] كتابى هذا[2] فاخْطَبْ إلى عبدِ الله بن جعفر ابْنَته أمَّ كُلْثُومٍ عَلى يَزيدَ بنِ أميرالمؤمنين، وارغَبْ لهُ فى الصَّدَاقِ.

فوجَّهَ مروانُ إلى عبد الله بن جعفر، فقرأ عليه كتاب معاوية[3]، وأعلمه بما فى رَدِّ الألفة من صَلاحِ ذات البَيْن، واجتماعِ الدَّعْوة، فقال عبدُ الله: إن خالها الحسينَ بَيَنْبُعَ، وليس ممن يُفْتَاتُ عليه بأمر، فأَنْظِرنى إلى أن يقْدم، وكانت أمُّها زينب بنت علىٍّ بن أبى طالب صلواتُ الله عليه، فلما قَدِمَ الحسين ذكر ذلك له عبدُ الله بنُ جعفرٍ. فقامَ من عنده فدخَل إلى الجارية، فقال: يا بُنَيَّة، إن ابنَ عَمِّك القاسمَ بن محمد بن جعفر بن أبى طالب أحق بك، ولعلك ترْغبين فى كثْرَةَ الصَّدَاق وقد نحَلْتك البُغَيبغات، فلمَّا حضرَ القومُ للإمْلاك[4] تكلم مروانُ بن الحكَم، فذكر معاويةَ وما قصَدَه من صِلة الرَّحِمِ وجَمْع الكلمة، فتكلم الحسينُ فزوَّجَها من القاسمِ بن محمد. فقال له مروانُ: أغدرًا يا حُسَيْنُ. فقال: أنتَ بَدَأْتَ، خطَبَ أبو محمد الحسنُ بن على عليه السلام عائشةَ بنتَ عثمانَ بن عَفَّانَ، واجتمعنا لذلك، فتكلمتَ أنتَ فزوَّجتَها من عبد الله بن الزُّبَيْر، فقال مروانُ: ما كان ذلك، فالتفتَ الحسين إلى محمد بن حاطب فقال: أنْشُدُكَ اللهَ، أكان ذاك؟ قال: اللهم نَعَم، فلم تَزَلْ هذه الضَّيْعَةُ فى أيدى[5] بَنى عبد الله بن جعفر، من ناحية أمِّ كلثوم، يتوارثونها، حتي مَلَكَ أميرُ المؤمنين المأمونُ، فَذُكِرَ ذلك له، فقال: كلا. هذا وَقْفُ علىٍّ بن أبى طالب صلواتُ الله عليه، فانتزَعها من أيديهم، وعوَّضهم عنها، وردها إلى ما كانتْ عليه.

---

(١) ر : «وصل إليك».
(٢) كلمة «هذا» ساقطة من ر .
(٣) فى الأصل : «أمير المؤمنين»، وما أثبته عن ر .
(٤) الإملاك : عقد النكاح .
(٥) ر : «يدى».

[حديث على مع الخوارج فى أول خروجهم عليه]

قال أبو العباس: رَجَعَ الحديثُ إلى ذكر الخوارج وأمرِ عليٍّ بن أبى طالب رحمه الله .

قال: ويُرْوَى[1] أن عليًّا فى أوَّل خروجِ القومِ عليه دَعَا صَعْصَعَة بن صوحَانَ العبدىَّ، وقد كانَ وَجَّهَهُ إليهم، وزيادَ بنَ النَّضْرِ الحارثى مع عبد الله بن العباس، فقال لصعصعةَ: بأى القومِ رأيتهم أشدّ إطاقةً؟ فقال: بيزيدَ بن قيسٍ الأرْحَبىِّ، فركب علىٌّ إليهم إلى حَرُوراء، فجعل يَتَخلَّلُهم حتى صار إلى مَضْرِبِ يزيدَ بن قيسٍ. فصلَّى فيه ركعتين. ثم خرج فاتَّكأ على قوسه وأقبلَ على الناس، ثم قال: هذا مقامٌ مَنْ فَلَجَ[2] فيه فَلَجَ يومَ القيامة، أَنْشُدُكُم الله، أعَلِمْتُمْ أحدًا منكم كان أكرَهَ للحكومة منِّى! قالوا: اللهم لا. قال: أفعلمتم أنكم أكرهتُمونى حتى قَبِلتُها؟ قالوا: اللهم نَعَمْ. قال: فَعَلام خالفتمونى ونَابَذْتُمونى؟ قالوا: إنَّا أتينا ذَنْبًا عظيمًا، فَتُبْنا إلى الله، فتب إلى الله منه واستغفره نَعُدْ لكَ. فقال علىٌّ: إنى أستغفرُ اللهَ من كل ذَنْب . فرجعوا معه، وهم ستةُ آلاف. فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أنَّ عليًّا رجَع عن التحكيم ورآه ضلالا، وقالوا: إنما يَنْتظرُ أميرُ المؤمنين أن يَسْمَنَ الكُراعُ[3]، ويُجْبَى المالُ، فينْهَضَ إلى الشام. فأتى الأشعثُ بن قيس عليًّا عليه السلامُ فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ الناسَ قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضلالا والإقامة عليها كُفْرا. فخطَب علىٌّ الناسَ فقال: مَنْ زَعَمَ أنِّى رَجعْتُ عن الحكومة فقد كَذَب، ومن رآها ضلالا فهو أضَلّ. فخرجت الخوارجُ من المسجد فَحكَّمَتْ . فقيلَ لعَلىٍّ: إنهم خارجون عليك، فقال: لا أقاتلُهم حتى يقاتلونى وسيفعلون، فَوجَّهَ إليهم عبد الله بن العباس، فلما صار إليهم رَحَّبوا به وأكرموه، فرأى منهم جباهًا قرِحَةً[4] لطُول السُّجود. وأيْديًا كَثفنات الإبل[5]، وعليهم[6] قمُصٌ مُرَحَّضَةٌ[7]. وهم مُشَمِّرُونَ، فقالوا: ما جاء بكَ يا أبا العباس؟ فقال: جئتكم من

---

(١) ر : «يروى».

(٢) فلج : انتصر.

(٣) الكراع : اسم لجماعة الخيل .

(٤) قرحة : بها قروح.

(٥) ثفنات الإبل : ما يصيب الأرض منها إذا بركت.

(٦) ر : «عليهم».

(٧) قمص مرحضة مغسولة، من أرحض الثوب ، غسله.

عند صهْر رسول الله ﷺ وابن عمّه، وأعْلمنا بربِّه وسُنَّة نبيه، ومن عند المهاجرين والأنصار. قالوا: إنَّا أتَيـنا عظيمًا حين حكَّمْنا الرجال فى دين الله، فـإنْ تابَ كما تُبنَا ونَهَضَ لمجاهدة عَـدُوِّنَا رجعنا. فقال ابنُ عـباس: نَشَدْتُكُم اللهُ إلا ما صَـدَقْتُمْ أنفُسكُمْ! أمَا علمتُم أنَّ اللهُ أمرَ بتـحكيم الرجال فى أرْنَب تُساوى رُبْعَ درهمٍ تَصادُ فى الحَرَم، وفى شـقاق رجل وامـرأته؟ فقالوا: اللهم نَعَمْ، فـقال: فـأَنْشُدُكُمُ الله فهل[1] علمْتمُ أنَّ رسولَ الله ﷺ أَمْسكَ عن القتـال للهُدْنَة بينه وبين أهل الحُدَيْبيَة؟ قالوا: نعَمْ، ولكنَّ عليًّا مَحَا نفسـه من إمارة المسلمين، قال ابنُ عباس: ليسَ ذلك بمزيلها عنه وقد مَحَا رسولُ الله ﷺ اسمه من النُّبُوَّة، وقد أَخذَ عليٌّ على الحكَمْين ألاَ يَجُورَا، وإن يَجُورَا فعليٌّ أولى من معاوية وغيره، قالوا: إن معاويةَ يَدَّعى مثل دَعْوَى على، قال: فأيُّهـما رأَيْتُموه أَوْلى فَوَلُّوه، قالوا: صـدقت، قال ابنُ عباس: ومتى[2] جَارَ الحكمان فلا طاعـةَ لهما ولا قبول لقَوْلهما. قال: فـاتبعه منهم ألفان وبَقىَ أربعـةُ آلاف، فَصلى بهم صَلَـواتهم ابنُ الكَوَّاء، وقال: مَـتى كانَتْ حَـرْبٌ فرئيسكم شَبَثُ بن رِبْعىّ الرِّيَاحى، فلم يَزَالُوا على ذلك يومين، حتى أجْمَعوا على البَيْـعة لعبد الله بن وَهْب الرَّاسـبىِّ، قال: ومَضَى القـومُ إلى النَّهروَان[3]، وكانوا أرادوا المضى إلى المدائن.

[خبرهم مع عبد الله بن خباب وقتلهم له]

قال أبو العباس: فمن طَرِيف أخبارهم أنهم أصابوا مسلمًا ونصرانيًّا، فَقَتَلوا المسلمَ وَأَوصَوْا بالنصرانىّ، فقالوا: احفظوا ذمَّةَ نبيِّكم[4].

ولقيهم عبـدُ اللهَ بن خَبَّاب وفى عُنقه مصحفٌ، ومـعه امرأته وهى حاملٌ، فقالوا له[5]: إنَّ هذا الذى فى عُنَقكَ ليأمُرُنا أن نقـتُلَك، فقال[6]: ما أَحْيَا القرآنُ فأَحْـيُوه، و ما أمـاتَه فأَميـتوه. فَوَثَبَ رجلٌ منهـم على رُطبةٍ فوضَـعها فى فـيه، فصـاحوا به، فَلَفَظَهَـا تورُّعًا، وعَرَض لرجلٍ منهم خنزيرٌ فـضربه الرجلُ فـقتلَه،

---

(١) ر : «هل». (٢) ر : «متى».

(٣) زيادات ر : «قال الأخـفش: كذا كـان يقول المبرد: «النـهروان. بكسر النون والراء، وإنمـا هو النهروان» بالفتح، وأنشد للطرماح: «قل فى شط نهروان» بفتح النون.

(٤) س : «احفظوا ذمة بينكم».

(٥) كلمة «له» ساقطة من ر ، وهى فى الأصل، س .

(٦) ر ، س : «قال».

فقالوا: هذا فَسادٌ فى الأرضِ، فقــال عبدُ الله بن خَبَّاب: ما علىَّ منكم بأسٌ، إنى لَمُسْلِمٌ، قالوا له: حَـدِّثْنا عن أبيك؟ قال: سمعتُ أبى يقول: ســمعت رسول الله ﷺ يقول: «تكون فـتنةٌ يموتُ فيــها قَلبُ الرجلِ كَمــا يَموتُ بَدَنُه، يُمْــسى مؤمنًا ويُصْبِحُ كافرًا، فكُنْ عبدَ الله المقتولَ، ولا تكنِ القاتلَ».

قالوا: فما تقــولُ فى أبى بكرٍ وعَمر؟ فأَثْنَى خيــرًا، فقالوا: ما[1] تقولُ فى علىٍّ أميرِ المؤمنين قبلَ التَّحْكيمِ، وفى عثمــانَ ستّ سنينَ؟ فأَثْنَى خيرًا، قالوا: فما تقولُ فى الحُكومة والتَّحْكيمِ؟ قال: أقول إنَّ علــيًّا أَعْلَمُ بالله منكم[2]، وأشَدُّ توَقِّيًا على دينِه، وأبعد[3] بصيرةً، قالوا: إنك لستَ تَتَّــبعُ الهُدَى، إنما تتبعُ الرجالَ على أسمائها.

ثم قرَّبوه إلى شاطـئ النهر فذَبحوه، فامْــذَقَرَّ دَمُهُ، أى جَرَى مســتطيلا على دِقَّة.

وساموا رجلا نصــرانيًّا بنخلة له، فقال: هيَ لكم، فقــالوا: ما كنا لنأخذها إلا بثمنٍ. قــال: ما أَعجَبَ هذا؟ أَتَقْتلونَ مـثلَ عبد الله بن خَبَّــاب ولا تقبُلون منَّا جَنَى نخْلَةٍ؟

[غيلان بن خرشة ونيله منهم]

ومن طريف أخبارِهم أن غَـيْلانَ بن خَرَشةَ الضَّبِّىَّ سَمَـرَ ليلة عند زيادٍ ومعه جماعةٌ، فَذُكِرَ أمرُ الخوارجِ، فأَنحى عليهم غيلانُ، ثم انصرف بعد ليْلٍ إلى مَنزله، فلقيه أبو بلالٍ مـرْدَاسُ بن أُدَيَّةَ، فقال له: يا غَيْلانُ، قد بَـلغنى ما كانَ منك الليلةَ عندَ هذا الفــاسقِ، من ذكر هؤلاء القــوم الذين شرَوْا أنفـسَهم وابتــاعوا آخــرتهم بدنيــاهم! مـا يُؤَمِّنُكَ أن يلقــاكَ رجلٌ منهم، أَحْـرَصُ والله على الموتِ منكَ على الحياة، فيُنْفِذَ حِضْنَيْكَ[4] برُمْحِه؟ فقال غَيْلانُ: لن يَبْلُغَكَ أَنِّى ذكرتُهم بعدَ الليْلةِ.

[مرداس بن أدية وزياد]

ومرْدَاسٌ تنتحلُهُ جماعةٌ من أَهلِ الأهواء، لقَشَـفه وبَصيرته، وصحة عبادته، وظهورِ ديانته وبيانِه؛ تنتحلهُ المعتــزلةُ، وتزْعُم أنه خَرجَ منكرًا لجَوْرِ السلطانِ، داعيًا

(١) ر : «فما تقول».
(٢) ر : «أعلم بكتاب الله».
(٣) ر : «وأنفذ».
(٤) الحضنان : ناحيتا الإنسان. والجمع أحضان.

إلى الحَقِّ، وتحتجُّ له بقوله لزياد حيثُ قـال على المِنْبَر: والله لآخذَنَّ المحسنَ منكم بالمسيء، والحاضـرَ منكم بالغائب، والصَّحيحَ بالسَّـقيم، (١والمطيع بالعاصى١).

فقام إليـه مرداسٌ فقال: قد سـمعنا ما قلت أيُّها الإنسانُ، ومـا هكذا ذكر اللهُ عزَّ وجلَّ عن نبيـه إبراهيمَ عليه السـلام، إذ يقولُ: ﴿وإبراهـيمَ الَّذى وَفَّـى * ألا تزر وازرةٌ وزْرَ أُخْرَى * وأن لَيْسَ للإنسان إلا مَا سَـعَى * وأنَّ سَعْيَهُ سَوْف يُرَى * ثم يُجْزاه الجَزاءَ الأَوْفى﴾(٢) وأنتَ تزعمُ أنك تأخـذُ المطيع بالعـاصى. ثم خـرجَ فى عَقِبِ هذا اليومِ.

والشِّيَعُ تنتحله، وتزعمُ أنه كَتَبَ إلى الحسين بن علىّ صلواتُ الله عليه: إنِّى لَسْتُ أَرى رَأْىَ الخوارج، وما أنا إلا عَلَى دِين أبيكَ.

[آراء الفقهاء فى مذهب الخوارج]

وهذا رأىٌ قد استَهْوَى جماعة من الأشراف. يُرْوَى أنَّ المُنْذِرَ بنَ الجارُودِ كان يَرى رأى الخوارجِ. وكان يزيدُ بن أبى مسلمٍ مـولى الحَجَّاج بن يوسفَ يراه، وكان صالح بنُ عبد الرحمنِ صاحب ديوان العِراق يراه، وكـان عِدَّةٌ من الفقهاء يُنْسَبون إليه(٣ ولعل هذا يكون باطلا٣)، منهم عِكْرِمةُ مولى ابن عـباس. وكان يقالُ ذلك فى مالكِ بن أَنَسٍ.

ويَرْوِى الزُّبَيْـرِيُّونَ: أنَّ مـالكَ بـن أنسٍ المَدينى(٤) كان يَذْكـرُ عثمـانَ وعليًّا وطَلْحَةَ والزُّبَيْر فيقولُ: والله ما اقْتَتلوا إلا على الثَّرِيد الأعْفر(٥).

(١-١) ساقط من ر.

(٢) سورة النجم ٣٧ - ٤١.

(٣-٣) ساقط من ر.

(٤) حاشية س: « قد يتوهم من هذا الكلام من لا معرفة له بالأخبار والتواريخ أن المذكور هنا مالك بن أنس الفقيه المدنى المشهور صاحب المذهب. وليس الأمركذلك. وهذا تقصير أو قصور من أبى العباس، حيث أبهم فى مـوضع البـيان، لأن مـالكا المذكـور هنا هومالك بـن أنس بن مالك بن مـسـمع البكرى. ثم البصرى. أحد رؤسـاء أهل البصرة. وأعظم فقهائهـا فى زمانه. لشرف بيته وتقدمـه فى معرفة كل فن، وشهرة زهده وكثرة تهجده؛ لكنه كان متهما برأى الخوارج. ولم يوقف لأمره على حقيقة، الله أعلم أى ذلك كان. وأما الإمـام مالك بن أنس المدنى الأصبحى الحمـيرى فهو الذهب الإبريز صـماء. والكبريت الأحمر عزة».

(٥) الثريد الأعفر: الأبيض. ليس بالشديد البياض. يريد الثريد الممتلئ بالإدام، قاله المرصفى.

فأمَّا أبو سَعيد الحسن البَصْرىُّ فإنه كان يُنكِرُ الحكومةَ، ولا يَرَى رأيَهم، وكان إذا جَلَسَ فتمكَّن فى مجلسه ذَكَرَ عثمانَ فَتَرحَّم عليه ثلاثًا، ولعن قَتَلَته ثلاثًا، ويقولُ: لو لم نَلْعنهم لَلُعنَّا، ثم يَذكر عليًّا فيقول: لم يَزَلْ أميرُ المؤمنين علىٌّ رحمه الله يَتَعَرَّفه[1] النصْرُ، ويساعدهُ الظَّفَرُ، حتى حكَّمَ، فلِمَ تحكِّم والحقُّ معكَ! ألا تمضى قُدُمًا لا أبالك وأنت علَى الحقِّ!

* * *

قال أبو العباس: وهذه كلمة فيها جفاءٌ، والعربُ تستعملها عند الحثِّ على أخذ الحقِّ والإغراء، وربما استعملتها الجُفاةُ من الأعْراب عندَ المسألة والطّلب، فيقولُ القائلُ للأميرِ والخليفةِ: انظر فى أمر رعيتك لا أبالَكَ! وسَمِعَ سليمانُ بن عبد الملكِ رجلا من الأعراب فى سَنَة جدبة[2] يقولُ:

رَبَّ العِبادِ مَا لنَا ومَالَكَا ... قد كنتَ تسْقينَا فما بَدَا لكَا

* أنْزل علينا الغيْثَ لا أبَالكَا *

فأخرجه سليمان أحسن مخرج، فقال: أشهدُ أنه لا أبَا له ولا وَلَدَ ولا صاحبة [وأشهد أن الخلق جميعًا عباده][3].

وقال رجلٌ من بنى عامر بن صَعْصَعَةَ أبْعَد من هذه الكلمة لبعض قومه:

أبَنى عُقَيْلٍ لا أبَا لأبيكُم ... أيُّ وأىُّ بَنى كِلابٍ أكْرَمُ

وقال رجلٌ من طَيِّئ، أنشده أبو زيد الأنصارىُّ:

يا قُرْطَ قُرْطَ حُيَىٍّ لا أبَالكم ... يا قُرْطُ إنِّى عليكم خائفٌ حَذِرُ
أأَنْ رَوَى مرقَسٌ واصْطافَ أعنُزَهُ ... منَ التِّلاعِ التى قد جادها المطُر
قلتم له اهْجُ تميمًا لا أبَالكم ... فى كَفٍّ عبدكُم عن ذاكمُ قِصَرُ
فإنَّ بيتَ تميمٍ ذِو سَمِعْتَ به ... فيه تَنَمَّتْ وأرْسَتْ عِزَّها مُضَرُ

(١) س: «يتعرفه».
(٢) ر: «جديبة».
(٣) تكملة من ر.

قوله : «يا قُرْطَ قُرْطَ حُيَيٍّ» نَصبُهمـا معا أكثُر على ألسنة العربِ، وتأويلها: أنهم أردوا «يا قُرْطَ حُيى» فأقحموا «قرطًا» توكيدًا، وكذلك لجرير[1]:

يا تَـيْمَ تَيْـمَ عَـــدِيٍّ لا أَبَا لـكمُ　　　لا يُلْقِـيَنَّكمُ فى سَـــوْءَة عُـمَـــرُ

ومثلُه لعُمَر بن لَجَإ[2]:

يا زَيْدَ زَيْدَ الـيَـعْـمـــلاتِ الذُّبَّلِ　　　تطـاوَلَ الليلُ عـليكَ فـــانزلِ[3]

فإن لم تُرِد التوكيدَ والتكريرَ لم يَجُزْ إلا رفع الأول: «يا زَيْدُ زَيْدَ اليعملات» و «يا تَيْمُ تَيْمَ عَدِيٍّ»، كما تقولُ: «يا زيد أخَا عمرو» على النعت. ومثلُ الأول فى التوكيد « يا بُؤْسَ للحربِ» أراد يا بؤسَ الحـرب فأقْحَم اللامَ توكيدًا، لأنها توجب الإضـافةَ. وعلى هذا جـاء «لا أبَالك» و «لا أبا لزيد»، ولولا الإضـافةُ لم تثبت الألف فى الأب، لأنك تقول رأيتُ أباك، فإذا أفردتَ قلت: هذا أبٌ صالحٌ، وإنما كانت «لا أَبَاكَ» كما قال الشاعرُ:

أبـالْمــــوتِ الـذى لابُدَّ أنِّـى　　　مُـــلاقٍ لا أَبَاكِ تُخَـــوِّفِـيـنى

وقال آخر:

وقـد مات شَـمَّـاخٌ وماتَ مُـزَرِّدٌ　　　وأىُّ كــــريم لا أبَاكِ يُـخَلَّـدُ!

وقوله: «أأَن رَوَى مـرقَسٌ» «مرْقس» رجلٌ. وروى: استَـقى لأهله، يقال: فلانٌ رَاوِيَة أَهْله، إذا كان يسـتقى لأهله، والتى على البعير والحـمار مَزادَة[4] فإذا كَبُرتْ وَعُظَمْتَ وكـانت من ثلاثة آدمَة[5] فهى الْمُثَلَّثة. وأصغَـرُ منها السَّطيحةُ[6]، وأصغُرهنَّ الطَّبْعُ[7]:

---

(١) قال المرصفى: «يهجو عمر بن لجأ التيمى»، وقبله كما فى الديوان ٢٨٥ :

أتبـتغِى الـتَّيْمُ عـذرًا بعـد ما غَـدَرُوا　　　لا يقْـبلَ اللهُ من تيْـم إذا اعْـتَـذرُوا
لا تمْنَعُـون لكُمْ عـرْسـا ومــا لكمُ　　　إلا بغــــيْــــركُـم وِردٌ ولا صَـــدَرُ

(٢) قال المرصفى : هذا غلط، صوابه: لعبد الله بن رواحة الخزرجى يقوله لزيد بن أرقم.

(٣) اليعملات : جمع يعملة؛ وهى الناقة السريعة. والذبل: الضوامر.

(٤) المزادة: هى التى تكون من جلدين يزاد بينهما نصف جلد.

(٥) آدمة: جمع أديم، وهو الجلد.

(٦) السطيحة: التى تكون من جلدين، يقابل أحدهما بالآخر.

(٧) الطبع، قال المرصفى: لم أر أحدا من أهل اللغة ذكره إلا فى الأسقية، وإنما هو لملء السقاء.

وقوله: «واصْطافَ أعنُزُه»، يريدُ «افْتَعـلَتْ»، من الصَّيْف، أى أصابت البقلَ فيه.

والتَّلعةُ: ما ارتَفعَ من الأرضِ فى مُـسْتَقرِّ المَسِيلِ إذا تجـافى السَّيلُ عن مَتْنِه، وجمعُه تِلاعُ.

وقوله: «ذَو سَـمِعْتَ به» يريد الذى، وكذلك تفـعلُ طَيِّئٌ. تجعل «ذو» فى معنى «الذى»، قال زَيْدُ الخيْلِ لبنى فَزَارَةَ، وذكر عامرَ بن الطُّفيل فقال:

* إنِّى أرَى فى عامرٍ ذُو تَرَوْنْ *

وقال عارِقٌ الطائىُّ:

فإن لم يُـغَيِّرْ بعـضُ ما قد فـعَلْتُمُ لأنْتَـجِينْ للعَظْم ذُو أنَا عـارِقـهُ(١)

يريد الذى.

* * *

ومن ظُرَفاءِ الْمُحدثين اليمَانيَّةِ منْ يَعملُ هذا اعتمادًا لإيثارِ لغةِ قومِه.

قال الحسنُ بن هانئ الحكمىُّ:

حُبُّ المُدامَـةِ ذُو سَـمـعتَ به لم يُبْـقِ فىَّ لغـيـرهـا فَـضْـلا

وقال حَبيبُ بن أَوْس الطَّائىُّ:

أنا ذُو عَرَفْتِ فـإن عَرَتْكِ جَـهالةٌ فـأنـا المقـيمُ قِـيـامةَ الـعُـذَّال

وقال الحسنُ بنُ وهْبٍ الحارثىُّ:

عَلـلانى بـذكـرها عَـللانـى واسْـقِـيانـى أوْلا فَمنْ تَـسْقيَـانِ
أنا ذُو لم يَـزَل يَهُـونُ علـى النَّدْ مَـانَ إنَ عَـزَّ جـانب النَّدْمَـانِ
ويكونُ العـزيـز فى سـاعـة الرَّوْ ع بِصَـدْق الطِّعـانِ يومَ الطِّـعـانِ

* * *

(١) لأنتجين: لأفصدن. وعارقه، من عرق العظم يعرقه؛ بالضم عرقا؛ أخذ اللحم عنه بأسنانه نهشا؛ وبهذا البيت سمى عارقا.

ثم نرجع إلى ذكر الخوارجِ[1]:

قال أبو العباس: وكان في جملة الخوارج لدَدٌ واحتجاجٌ، علَى كثرة خُطبائهم وشُعَرائهم، ونفاذ بَصيرتهم، وتَوْطين أنفُسهم على الموت، فمنهم الذى طُعِنَ فأنْفَذَهُ الرُّمْحُ فجعل يَسْعَى فيه إلى قاتله وهو يقول: ﴿وعَجِلْتُ إليكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[2].

* * *

ويُروَى عن النبى ﷺ أنه لمَّا وصفَهم قال: «سيماهم التَّحْليقُ[3]، يقرءُونَ القرآن لا يُجَاوزُ تَرَاقِيَهُمْ، عَلامَتُهُمْ رَجلٌ مخْدَجُ اليدِ»[4].

وفى حديث عبد الله بنِ عَمرو: «رجلٌ يُقالُ له عَمْرٌو ذو الخَويصِرةِ»، أو «الخُنَيْصِرةِ».

* * *

ورُوِيَ عن النبى ﷺ: أنه نَظَرَ إلى رجلٍ ساجدٍ، إلى أنْ صَلَّى النبىُّ عليه السلام، فقال: «ألا رجلٌ يقتله»؟ فحَسَرَ أبو بَكرٍ عن ذراعه وانْتَضَى السيفَ وصَمَدَ نحَوه، ثم رجع إلى النبى ﷺ فقال: أأقتلُ رجلاً يقولُ: لا إله إلا اللهُ؟ فقال النبىُّ عليه السلام: «ألا رجلٌ يفعلُ»؟ ففعلَ عمرُ مثلَ ذلك، فلما كان فى الثالثة قصدَ له علىُّ بن أبى طالب عليه السلام فلم يَرَه، فقال رسول الله ﷺ: «لو قُتِلَ لكان أولَ فتْنَة وآخِرَها».

[حديث المخدج]

ويروى عن أبى مَرْيَمَ عن علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه أنه ذكرَ المُخْدَجُ عندَ النبى عليه السلام، فقال أبو مريم: واللهِ إنْ كان معنا لفى المسجد وكان فقيرًا، وكان يَحْضُرُ طعامَ علِّيٍّ إذا وضعه للمسلمين، ولقد كسوتُه تُرْسًا لى، فلمَّا خَرج القومُ إلى حَروراءَ قلتُ: واللهِ لأنظَرن إلى عسكرهم، فجعلتُ أتَخللهُم حتى

(١) ر: «عاد الحديث إلى ذكر الخوارج».
(٢) سورة طه ٨٤.
(٣) سيماهم التحليق، أى علامتهم حلق الرءوس.
(٤) محدج اليد: ناقصها.

صِرْتُ إلى ابن الكَواءِ وشَبَثِ بن ربعىّ، ورسلُ على تُناشِـدهم، حتى وثَب رجلٌ من الخوارجِ على رسول لعلى، فضرب دابَّتَه بـالسيف، فحمل الرجل سَرْجَه وهو يقولُ: إنَّا لله وإنا إليه راجـعون! ثم انصرفَ القومُ إلى الكوفـة، فجعلتُ أنظُر إلى كثرتهم كأنما ينصـرفون من عِيدٍ، فرأيتُ المُخْدَجَ، وكان مِـنى قريبًا، فقلتُ: أكنتَ مع القومِ؟ فقال: أخذتُ سلاحِى أُريدُهم، فإذا بجماعةٍ من الصبيانِ قد عَرَضُوا لى فأخذوا سِـلاحِى، وجعلـوا يتلاعـبونَ بى فلما كان يـومُ النَّهر قـال علىٌّ: اطلُبوا المُخـدَج. فطلبـوه فلم يجـدوه، حتى ساء ذلك عـليًّا، وحتـى قال رجلٌ: لا والله يا أمير المؤمنين، ما هوَ فيهم، فقال علىٌّ: والله ما كَذبتُ ولا كُذِبْتُ، فجاء رجلٌ فقال: قد أصـبناه يا أمير المؤمنينَ، فخَرَّ علىٌّ ساجـدًا، وكان إذا أتاه ما يُسَرُّ به من الفتـوح سَجَد، وقال: لو أعلمُ شـيئًا أفضلَ منه لفـعلْتُه، ثم قال: سيـماهُ أنَّ يَده كالثَّدْى، عليها شعراتٌ كشارب السِّنْور، إيتونى بيده المُخدجَة، فأتوْهُ بها فنَصَبَها.

[من أخبار نافع بن الأزرق]

ويرْوَى عن أبى الجَلْد أنه نظَرَ إلى نافع بن الأزْرَق الحنَفىِّ وإلى نظره وتوَغّله وتعَمُّقه، فقال: إنى لأجِدُ لجهنم سَبعةَ أبوابٍ، وإنَّ أشدَّها حَرًّا للخوارج، فاحْذَرْ أن تكونَ منهم.

قال: وكـان نافعُ بن الأزرق يَنْتَجعُ عـبدَ الله بن العبـاسِ فيسـأله، فله عنه مسائلُ من القـرآن وغيرِه، قد رَجَع إليـه فى تفسيرِها، فقَـبلَه وانْتَحَلهُ، ثم غلبتْ عليه الشِّقْوَةُ، ونحن ذاكرون منها صَدْرًا إن شاء الله.

* * *

حَدَّثَ أبو عُبـيدةَ مَعْمَـرُ بن المُثَنى التَّيْمِىُّ النَّسَّابة، عن أُسـامةَ بن زيدٍ، عن عكْرمـةَ، قال: رأيتُ عـبد الله بن العـباسِ وعندَه نافعُ بن الأزْرَق وهو يسـأله، ويطلبُ منه الاحـتجـاجَ باللغة، فـسأله عن قـول الله جلَّ ثناؤه: ﴿والليل وَمَا وَسَقَ﴾(١)، فقـال ابنُ عباسٍ: ومـا جَمَعَ، فقـال: أتعرفُ ذلك العـربُ؟ قال ابن عباس: أمَا سمعتَ قول الراجزِ:

---

(١) سورة الانشقاق ١٧ .

إن لنا قــلائصــا حــقــائقّــا ... مُـسْتَـوْسقـات لو يَجـدْنَ سائقـا

هذا قولُ ابن عـباسٍ، وهو الحقُّ الذى لا يَقْدَحُ فـيه قادحٌ. ويَعْـرِضُ القول فيحتاجُ المبتدئ إلى أنْ يَزْدَادَ فى التفسير.

قوله: «حقَائقا» إنما بَنَى الحقَّـةَ من الإبل ـ وهي التى قد استحَقَّتْ أن يُحْمَلَ عليـها ـ عَلَى «فَـعِيلة» مـثلَ «حقـيقة» ولـذلك جَمَـعها علـى «حقائِقَ» ويـقال: «استَوْسَقَ» القومُ، إذاً اجتمعوا.

ورَوَى أبو عبـيدة فى هذا الإسناد ـ ورَوَى ذلك غـيُره، و سـمعناه من غـير وجه ـ أنه سـأله عن قولـه عزَّ وجلَّ: ﴿قد جَعَلَ رَبُّكِ تحْـتَك سَرِيًّا﴾[1] فقال ابنُ عباس: الْجَدوَلُ، فسأله عن الشواهد، فأنشدَه:

سلْمٌـا تَرَى الـدَّالِجَ منهـا أزْوَرَا ... إذا يَعـجُّ فى الـسَّـرىِّ هَـرْهَرَا

السَّلْمْ: الدَّلْوُ الذى له عُـرْوةٌ واحدة، وهو دلْوُ السَّـقَّائيَن، وهو الـذى ذكره طَرَفةُ فقال:

لهـا مِـرْفَـقـانِ أفْـتـلانِ كـأنما ... أمِـرَّا بسَـلْمَى دَالجٍ مُـتَـشَـدِّدِ[2]

والدَّالجُ: الذى يمشى بـالدَّلْو بين البِـئـر والْحَـوْضِ، وأصـحـابُ الحـديث يُنْشِدونَ: «تَرَى الدَّالِيَ منه أزْوَرَا» وهذا خطأ لا وجهَ له.

ورَوَى أبوعُبيدةَ وغيْرُه: أن نافعًا سألَ ابنَ عباسٍ عن قوله: ﴿عتُلٍّ بعدَ ذلكَ زَنيم﴾[3]: ما الزنيمُ؟ قال: هو الدَّعيُّ الملزَقُ، أمَا سمعتَ قولَ حَسَّانَ بن ثابت:

زَنيـمٌ تداعَـــاهُ الرجـــالُ زيادةً ... كما زِيدَ فى عَرْضِ الأديمِ الأكارِعُ

يزْعُمُ أهلُ اللغة أنَّ اشتقـاقَ ذلك من الزَّنمة التى بحَلْق الشاة، كما يقولون لمن دَخَل فى قـومٍ ليس منهم: زَعْنَفَـةٌ[4]، وللجـمع زعانِف، والزعْنَفَـة: الجَناحُ من أجنحة السَّمك.

---

(١) سورة مريم ٢٤ .

(٢) أفتلان، من الفتل؛ وهواندماج مرفق الناقة.

(٣) سورة القلم ٣ .

(٤) زيادات ر : «الأم : زعنفة بالكسر».

قال أبو الحسن الأخفش: كذا قال «زَعنَفة»، والناسُ كلهم يقولون: «زِعنفة» بكسر الزاي. وهو الوجه.

* * *

ويُرْوَي عن غير أبي عُـبيدةَ أنه سأله عن قـوله جلَّ اسمُه: ﴿**والْتَفَّت السَّاقُ بالسَّاق**﴾(١)، قال: الشِّدَّةُ بالشدة، فسأله عن الشاهد فأنشدَه :

أخو الحَرْبِ إنْ عَضت به الحرب عَضَّهَا ... وإن شمَّرت عن سَاقِـهَا الحربُ شمَّرَا

* * *

قال أبو العـباس: وقرأتُ على عُـمارةَ بن عقـيل بن بلال بن جريرٍ قصـيدة جرير التى يهـجو فيـها آل المَهَلَّب بن أبى صُفْـرَة، ويمدحُ هلال بن أحْوَزَ المازنىَّ، ويَذكر الوَقْعَةَ التى كانت لهم عليـهم بالسِّنْدِ فى سُلْطانِ يزيدِ بن عبد المَلِكِ، بسبب خروجِ يزيدَ بن المهلَّبِ عليه :

أفـولُ لهـا من ليلـة ليس طُولهـا ... كطُّوُل الليـالى لَيْت صبْـحَك نَّورَا
أخافُ على نفسِ ابنِ أحْوزَ(٢) إنّه ... جَلا حُـمَمًا فـوقَ الوجوه فأسْـفَرَا
جَـعلتَ لقَـبْـرِ للخَـيـارِ ومَـالك ... وقـبـر عدىٍّ فى المـقَابر أقـبْـرًا(٣)
وأطفَــأتَ نيـران المَزُون وأهلـهـا ... وقـد حاولوها فـتْنةً أن تسعَّـرا(٤)
فلم تُبْق مـنهم رايةً يَعْـرفُــونَهـا ... ولـم تُبق مـن آلِ المُهَلَّب عَـسكَرَا
ألا رُبَّ سَامِى الطَّرْفِ من آلِ مازن ... إذا شَمَّرتْ عن سَاقِها الحربُ شَمَّرَا

فهذا نظيرُ ذلك. والمَزُون: عُمانُ، قال الكُمَيْتُ:

---

(١) سورة القيامة ٢٩ .

(٢) زيادات ر : «قال الشيخ أبو يعقوب: الذى رويت فى شعر جرير :

حَــذارًا عـلى نفس ابن أحْــوزَ إنَّهُ ... جَـلا كلَّ وجـهِ من مـعـدٍّ فـأسـفـرا

(٣) زيادات ر عن الشيخ أبى يعقـوب: «وقوله: «عدى» يعنى عدى بن أرطاة الفزارى. قـتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط. وكان عامل عمـر بن عبد العزيز رحمه الله». وفيهـا أيضا «ويروى: للخيار بواسط. الخيار: موضع بعمان فيه قبر الخيار بن سبرة المحاشعى. وواسط بها قبر عدى بن أرطاة الفزارى».

(٤) زيادات ر : «المزون عمان بالفارسية».

فأمَّا الأزْدُ أزدُ أبى سعيد ... فأكرهُ أن أُسَمِّيَهَا المَزُونَا

وقال آخرُ يعنى الحربَ:

فإن شمَّرتْ لكَ عن ساقِها ... فويهًا حُذَيْفَ ولا تسْأَمِ[1]

* * *

ويُرْوَى عن أبى عُبيدة من غير وجه أن نافعَ بن الأزرق سأل ابنَ عباسٍ فقال: أرأيتَ نبىَّ الله سليمانَ ﷺ، مع ما خَوَّله الله وأعطاه، كيف عُنِىَ بالهُدْهُد على قلَّته وضُئولته؟ فقال له ابنُ عباسٍ: إنه احتاجَ إلى الماء. والهدهدُ قنَّاءٌ[2]. والأرضُ له كالزُّجاجة، يَرَى باطنَها من ظاهرها، فسأل عنه لذلك. قال ابنُ الأزرق: قف يا وقافُ. كيف يُبْصِرُ ما تحت الأرض والفخُّ يُغطَّى له بمقدار إصْبَعٍ من تراب فلا يُبصرُه حتى يقعَ فيه! فقال ابنُ عباس: ويحَكَ يابنَ الأزرقِ! أمَا علمتَ أنه إذا جاء القَدَرُ عَشِىَ البصرُ.

* * *

ومما سأله عنه: ﴿الٓمٓ ۞ ذلكَ الكتابُ﴾[3]، فقال ابنُ عباسٍ: تأويلُه: هذا القرآنُ.

هكذا جاء، ولا أحفظُ عليه شاهدًا عن ابن عباس، وأنا أحْسُبه أنه لم يَقْبله إلا بشاهد، وتقديرُه عند النحويين: إذا قال: «ذلك الكتابُ» أنهم قد كانوا وُعدوا كتابًا؛ هكذا التفسيرُ، كما قال جلَّ ثناؤُه: ﴿فلمَّا جاءهم ما عَرَفُوا كَفَرُوا به﴾[4]، ويعنى بذاك اليهودَ، وقال: ﴿يَعْرِفُونَه كما يَعرفونَ أبناءَهم﴾[4]، فمعناه: هذا الكتابُ الذى كنتم تَتَوَقَّعونه، وبيتُ خُفَاف بن ندْبَةَ على ذلك يَصِحُّ معناه. وكان من خبره أنه غَزَا مع معاوية بن عمرو - أخى خَنْساءَ - مُرَّةَ وفَزارَةَ، فَعَمَدَ ابْنَا حَرْملةَ: دُرَيْدٌ وهاشمٌ المُرِّيَّانِ عَمْدَ مُعاوية، فاستَطْرَدَ له أحدُهما، فحَمَلَ عليه

---

(١) زيادات ر: «تقول: «ويها لزيد» إذا زجرته عن الشيء فأغريته به. وواها له، إذا تعجبت منه. وحذيف. يريد «حذيفة» فرخم».

(٢) قناء: عالم بمواضع الماء من الأرض، مأخوذ من القناة. وهى كطيمة تحفر تحت الأرض. قاله المرصفى.

(٣) سورة البقرة ١. (٤) سورة البقرة ٨٩.

(٥) سورة البقرة ١٤٦.

معاوية، فطعنَه، وحملَ الآخرُ على معاويةَ فطعنَه مُتَمكِّنًا، وكان صَمِيمَ الخَيْلِ[١]. ، فلما تَنادَوا: قتل معاويةُ .

قال خفافُ بنُ ندْبة ـ وهى أمُّهُ ، وكانت حبشيةً، وأبوه عُمَيْرٌ، وهو[٢] أحدُ بنى سُلَيْمِ بن منصورٍ ـ: قَتَلنى اللهُ إنْ رِمْتُ[٣] حتى أثأرَ به، فَحَمل على مالكِ بن حمارٍ ـ وهو سيد بنى شمْخ بن فَزَارَةَ ـ فطعنه فقتله ، فقال خُفافُ بن نَدْبَةَ:

إنْ تَكُ خَيْلى قد أُصيبَ صَميمها ... فَعَمْدًا على عَيْنى تَيمَّمْتُ هالكَا
وَقَفْتُ له عَلْوَى وقد خامَ صُحْبَتى ... لأبنىَ مَجْدًا أو لأثأرَ هالكا[٤]
أقول له والرُّمحُ يأطِرُ مَتْنَهُ ... تَأَمَّلْ خُفَافًا إننى أنا ذَلِكا

يريدُ: أنا ذلك الذى سمعتَ به. هذا تأويلُ هذا.

وقوله: «يَأْطِرُ مَتْنَهُ» أى يَثْنِى. يقال: أطَرْتُ القوس آطِرُها أطْرًا، وهى مأطورة . وعَلْوَى فَرَسُه.

ومما سأله عنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**لهم أجْرٌ غَيْرُ مَمْنون**﴾[٥]، فقال ابنُ عباسٍ: غيرُ مقطوعٍ، فقال: هل تعرفُ ذلك العربُ؟ فقال: قدْ عَرَفَه أخو بنى يَشْكُرَ حيثُ يقولُ:

وتَرَى خَلْفَهُنَّ مِنْ سُرْعَة الرَّجْـ ... ـعَ مَنِينًا كأنه إهْبَاءُ[٦]

قال أبو العباس: مَنِينٌ، يعنى الغُبَارَ، وذلك أنها تُقَطِّعُهُ قِطَعًا وراءَها. والمنِينُ: الضعيفُ المؤْذِنُ بانقطاعٍ، أنشدنى التَّوَّزِىُّ عن أبى زيدٍ :

يا رِيَّها إنْ سَلِمَت يَمينِى ... وسَلِمَ السَّاقِى الذى يَلِينِى

* ولم تَخُنِّى عُقَدُ المَنِين *

---

(١) صميم الخيل: قال المرصفى: «يريد بالخيل الفرسان ، وصميمها: عميدها الذى تعتمد عليه، من الصميم، وهو العظم الذى به قوام العضو».

(٢) لفظ «هو» ساقط من ر .

(٣) رمت: برحت.

(٤) خام : جبن وضعف .

(٥) سورة فصلت ٨ .

(٦) يصف خيلا . والرجع: رد الدابة يديها فى السير. وأهباء: جمع هبوة؛ يريد كأنه أهباء الزوبعة ترتفع فى الجو قاله المرصفى .

يريد الحبلَ الضعيفَ فهذا هو المعروفُ، ويقال: منينٌ ومَمْنون، كقَتيلٍ ومقتول، وجَريحٍ ومَجْروحٍ، وذَكر التَّوَّزىُّ فى كتاب الأضدادِ أن «المنينَ» يكونُ القوىَّ، فجعله(١) «فَعيلا» من «المنَّة»، والمعروفُ هو الأول.

وقال غيرُ ابن عباس: ﴿لهم أجرٌ غيرُ مَمْنونٍ﴾ لا يَمُنُّ عليهم فَيَكْدَر عندهم.

* * *

ويُروى من غير وجه أنَّ ابنَ الأزرق أتَى ابنَ عباسٍ يومًا(٢) فجعلَ يسأله(٣) حتى أمَلَّهُ، فجعلَ ابنُ عباسٍ يُظْهِرُ الضَّجَرَ، وطَلَعَ عمرُ بنُ عبد الله بن أبى رَبيعةَ على ابن عباسٍ، وهو يومئذ غلامٌ. فسلَّم وجلسَ، فقال له ابنُ عباس: ألا تُنْشِدُنا شيئًا من شِعْرِكَ؟ فأنشدَه:

أمِنْ آل نعْمٍ أنت غادٍ فمُبْكِرُ ... غَداةَ غَدٍ أمْ رائحٌ فَمُهَجِّرُ!
بحَاجَة نَفْسٍ لم تَقُلْ فى جَوابِها ... فَتُبْلِغَ عُذْرًا والمقالة تُعْذِرُ
تَهيمُ إلى نُعْمٍ فلا الشَّمْلُ جَامعٌ ... ولا الحبْلُ موصولٌ ولا القَلْبُ مُقْصِرُ
ولا قُرْبُ نُعْمٍ إنْ دَنتْ لك نافعٌ ... ولا نأْيُها يُسْلى ولا أنتَ تصْبِرُ
وأُخْرى أتَتْ منْ دُون نعْمٍ ومثْلُها ... نَهَى ذا النُّهَى لو يرْعَوى أو يُفكِّرُ
إذا زُرْتُ نُعْمًا لم يَزَلْ ذُو قرابة ... لها كلَّما لاقَيْتُه يتَنَمَّرُ
عزيز عليه أن أمر ببابها ... فُيسرٌّ لىَ الشَّحْنَاءَ والبُغْضَ مُظْهِرُ
ألكنى إليها بالسلام فإنه ... يُشَهَّرُ إلمامى بها ويَنَكَّرُ
بآية ما قالت غداة لقيتها ... بمَدْفع أكْنَان أهذا المُشَهَّرُ!
قفى فانظرى يا أسم هل تعرفينه ... أهذا المُغيرىُّ الذى كان يُذْكَرُ!
أهذا الذى أطريت نعتا فلم أكن ... وعَيْشك أنْسَاهُ إلى يَوْم أُقْبَرُ
فقالت: نعم. لا شك غيَّر لونه ... سُرَى الليل يُحْيى نَصَّهُ والتَّهَجُّرُ(٤)
لئن كان إياه لقد حل بعدنا ... عن العَهْد، والإنسانُ قد يَتَغَيَّرُ
رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت ... فَيضْحَى وأمَّا بالعَشِىِّ فيَخْصَرُ

(١) ر . « يجعله » .   (٢) ساقطة من ر .
(٣) ر . « يسائله » .
(٤) النص : ضرب من السير؛ والتهجر : السير فى الهاجرة .

حتى أتمها، وهى ثمانون بيتًا، فقال له ابنُ الأزرق: لله أنتَ يابن عباسٍ! أنضربُ إليك أكبادَ الإبل نسألُك عن الدِّين فتُعرِض، ويأتيك غلامٌ من قريشٍ فيُنشدُك سَفَهًا فتسمعه! فقال: تالله ما سمعتُ سفهًا، فقال ابنُ الأزرق: أمَا أنشدكَ:

رأتْ رجُلا أمَّا إذا الشمسُ عارضتْ فَيَخْزَى وأمَّا بالعَشىِّ فَيخسَرُ

فقال: ما هكذا قال، إنما قال: «فَيَضْحَى وأمَّا بالعَشىِّ فَيَخصَرُ» قال: أوَ تحْفَظ الذى قال؟ قال: والله ما سمعتُها إلا ساعتى هذه، ولو شئتُ أن أردَّها لَرَدَدتُها، قال: فارْدُدْهَا، فأنشَدَهُ إيَّاها كلَّها[1].

* * *

ورَوى الزُّبَيْرِيُّونَ أنَّ نافعا قال له: ما رأيتُ أرْوَى منك قَطُّ. فقال له ابنُ عباس: ما رأيتُ أرْوَى من عُمَر، ولا أعْلَمَ من عَلىٍّ.

وقوله: «فيَضْحَى» يقولُ: يَظْهَرُ للشمسِ، ويخْصَر، يقولُ: فى البَرْدَين[2]، فاذا ذكر العشىَّ فقد دلَّ على عَقيب العشىِّ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وأنَّكَ لا تظْمَأُ فيها ولا تَضْحَى**﴾[3]، والضِّحُّ: الشمسُ، وليس مِنْ: «ضَحِيَتْ»، يقالُ: «جاء فلانٌ بالضحِّ والرِّيح» يُرادُ به الكثرة، قال عَلْقمة:

أَغَرُّ أبْرَزه لِلضِّحِّ رَاقِبُه مُقَلَّدٌ قُضُبَ الرَّيْحَان مَفْغُومُ

له فَغْمةٌ، أى رائحةٌ طيبةٌ، يعنى إبريقًا فيه شرابٌ. وفى الحديث أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا توجَّهَ إلى تَبُوكَ جاء أبو خَيْثَمَة، وكانت له امرأتان، وقد أعَدَّتْ كلُّ واحدة منهما من طَيبِ ثمَر بستانه، ومَهَّدَتْ له فى ظلٍّ، فقال: أظلٍّ ممدود، وثمرةٌ طيِّبةٌ، وماءٌ باردٌ، وامرأةٌ حسناءُ، ورسولُ الله فى الضِّحِّ والرِّيحِ! ما هذا بخير! فركب ناقَته ومضَى فى أثره، وقد قيلَ لرسول الله ﷺ فى نَفَر تخلَّفوا، أبو خَيْثَمَةَ أحدُهم، فجعل لا يُذْكَرُ له أحدٌ منهم إلا قال: دَعُوهُ فإن يُرد اللهُ به خيرًا يُلْحِقْهُ بكم، فقيل ذاتَ يوم: يارسول الله، نرَى رجلا يَرْفَعُهُ الآلُ، فقال رسول الله ﷺ: «كنْ أبا خيثمةَ»، فكانه.

(١) ساقطة من ر.
(٢) البردان: الغداة والعشى.
(٣) سورة طه ١١٩.

وإذا انبسطت الشمسُ فهو «الضُّحَى» مقصورٌ، فإذا امتدَّ النهارُ وبينهما مقدارُ ساعةٍ أو نحوُ ذلك فذلك «الضَحاءُ»، ممدود مفتوحُ الأولِ.

[الحجاج وامرأة من الخوارج]

وذكرت الرواةُ أن الحـجَّاجَ أتىَ بامرأة من الخوارج، ويحـضرته يزيدُ بن أبى مسلمٍ مـولاه، وكان يَسْتَـسرُّ برأى الخوارجِ، فكـلَّمَ الحجاجُ المرأةَ فـأعرضت عنه، فقال لهـا يزيدُ بن أبى مسلَمٍ: الأميرُ وَيْلَكِ يكلِّمُكِ! فـقالت: بل الويلُ واللهِ لك يافاسقُ الرَّدِّىُّ.

والرِّدِّىُّ عندَ الخوارج: هو الذى يَعلمُ الحقَّ من قولهم ويكتمُه.

[عبد الملك بن مروان ورجل من الخوارج]

وذكروا أنَّ عبدَ الملك بن مرْوانَ أُتىَ برجلٍ منهم فَبحَثَهُ فرأى منه ما شاءَ فهمًا ثم بحثَه، فرأى مـا شاء إرْبًا ودَهْيًا[1]، فرَغبَ فيه. فاستدعاه[2] إلى الرجوع عن مذهبه، فرآه مُـستَبْصِرًا مُحَـقِّقًا، فزاده فى الاستدعاء فـقال له: لتُغْنكَ الأُولى عن الثانيةِ، وقد قلتَ فـسمعتُ، فاسمَعْ أقُلْ، قال له: قُلْ. فـجعل يَبْسُطُ له من قولِ الخوارج ويُزَيّن له مذهبَهم بلـسانٍ طَلَقٍ وألفاظٍ بَيِّنَة ومعانٍ قَريبة، فـقال عبدُ الملكَ بعدَ ذلك على مـعرفتـه: لقد كادَ يُوقَعُ فى خـاطرى أن الجنة خُلقَتْ لهم، وأنَّا[3] أولَى بالجهاد منهم. ثم رَجَعْتُ إلى مـا ثَبَّت الله علىَّ من الحجة وقَرَّ فى قلبى من الحق. فقلتُ له: لله الآخرة والدنيا، وقد سَلَّطنا[4] الله فى الدنيا، ومكَّنَ لَنا فيها، وأراك لَسْتَ تجيب بالقبول[5]، واللهِ لأقْتلَنَّك إن لم تطعْ.

فأنا فى ذلك إذْ دُخلَ علىَّ بابْنى مروانَ.

قال أبو العـباس: كان مـروان أخَا يزيدَ لأمِّه، أُمُّـهُمَا عـاتكة بنت يَزيدَ بن معـاويةَ، وكان أبيًّا عَزيزَ النَّفس، فَـدُخل به فى هذا الوقت على عبد الملك باكـيًا لضرب المؤَدِّب إياهُ، فشَق ذلك على عـبد الملك، فأقبلَ الخارجىُّ، فـقال له: دَعْهُ يبكى[6]؛ فإنه أرَحبُ لشِـدقِهِ، وأصَحُّ لدماغه، وَأذْهَبُ لِصَـوْته، وأحْرَى ألا تأبَى

---

(١) الأرب: البصر بالأمور، والدهى، مصدر دهى، كرضى؛ إذ كان صاحبه عاقلا مجربا.
(٢) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «واستدعاء».
(٣) ر: «وأبى»
(٤) ر: «سلطنى».
(٥) ر: «بالقول».
(٦) ر: «يبك» وكلاهما جائز.

عليه عينُه إذا حضرتْه طاعةُ الله[1]، فاستدْعَى عبْرَتَهَا، فأعْجَب ذلك من قوله عبدَ الملك، فقال متعجبًا: أما يَشغَلُكَ ما أنت فيه وبعرَضه عن هذا! فقال ما ينبغى أن يَشْغَلَ المؤمنَ عن قول الحقِّ شىءٌ، فأمر عبد الملك بحبسه، وصَفَحَ عن قتله، وَقال بعدُ يعتذرُ إليه: لولا أن تُفْسد بألفاظك أكثر رعيتى ما حَبَسْتُك.

ثم قال عبدُ الملك: من شكَّكَنِى وَوَهَّمَنِى حتى مالتْ بى عصمة الله فغيرُ بعيدٍ أن يَسْتَهْوِىَ مَنْ بَعْدِى. وكان عبد الملك من الرأىِ والعلمِ بموضعٍ.

وفود رجل من أهل الكتاب على معاوية

وتَزْعُم الرواةُ أنَّ رجلا من أهل الكتاب وفدَ على معاويةَ، وكا موصوفًا بقراءة الكُتب. فقال له معاويةُ: أتجدُ نعتى فى شىء من كتبِ الله؟ قال: إى والله، لو كنتَ فى أُمَّة لوضعتُ يَدى عليكَ من بينهم. قال: فكيفَ تجدنى؟ قال: أجدُك أولَ مَنْ يَحَوِّلُ الخلافةَ مُلْكًا، والخُشْنَةَ لينًا، ثم إن ربَّك من بعدها لغفورٌ رحيمٌ، قال معاوية: فَسُرِّى عنىِّ، ثم قال: لا تَقْبَلْ هذا منِّى، ولكن من نفسك، فاجْتَب[2] هذا الخبرَ. قال: ثم يكونُ ماذا؟ قال: ثم يكونُ منك رجلٌ شَرَّابٌ للخمرِ، سَفَّاكٌ للدماء، يَحتَجن الأموال[3]، ويَصْطَنِعُ الرجالَ، ويَجْنُب[4] الخيولَ، ويُبيحُ حُرْمَةَ الرسول[4]، قال: ثم ماذا؟ قال: ثم تكونُ فتنة[6] تَتَشَعَّبُ بأقوامٍ حتى يُفْضَى الأمرُ بها إلَى رجلٍ[7] أعرفُ نعتُه، يبيع الآخرةَ الدائمَةَ بحظٍّ من الدنيا مخْسُوسٍ، فيجتمع عليه من آلك وليس منك، لا يزالُ لعَدُوِّه قاهرًا، وعلى مَنْ ناوَأه[8] ظاهرًا، ويكون له قَرينٌ[9] مبير[10] لَعين. قال: أفتعرفه إن رأيته؟ قال:

---

(١) ر: «طاعة ربه».

(٢) ر: فاختبر، ويقال: اجتبيت الخراج اجتباء، أى جمعته.

(٣) احتجن الشىء أخذه وحبسه.

(٤) يجنب الخيل: يقودها إلى ما يركب منها اختيالا وعجبا بها.

(٥) قال المرصفى: «ذلك ما كان من قتل الحسين ومن معه من فتيان بنى هاشم وإهانة آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا».

(٦) هى الفتنة التى وقعت بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية؛ وافتراق الناس فرقتين، فريق يدعو إلى ابن الزبير. وفريق يدعو إلى بنى أمية.

(٧) قال المرصفى: «يريد به عبد الملك بن مروان: ولم يذكر معاوية بن يزيد ولا مروان لقصر مدتهما».

(٨) ناوأه: عاداه.

(٩) يريد به الحجاج بن يوسف، قاله المرصفى.

(١٠) مبير: مهلك، وفى س: «مبين».

شَدما، فأراه من بالشام من بنى أُمية، فقال: ما أراه هاهنا، فوَجَّه به إلى المدينة مع ثقات من رُسُله، فإذا عبدُ الملك بن مروان يَسعَى مُؤتزِرًا فى يده طائرٌ، فقال للرُّسلِ: هاهوذا! ثم صاح به: إلىَّ أبو من؟ قال: أبو الوليد. قال: يا أبا الوليد، إنْ بَشَّرْتكَ ببِشارَة تَسرُّك ما تَجْعَلُ لى؟ قال: وما مقدارُها من السرور حتى نَعْلَمَ مقدارَها من الجُعلِ؟ قال: أنْ تَمْلكَ الأرضَ، قال: ما لى من مالٍ، ولكن أرأيت(١) إن تكلَّفْتُ لك جُعلا، أأنَالُ ذلك قبلَ وقته؟ قال: لا، قال: فإن حَرَمْتُكَ، أتؤخِّرُه عن وقته؟ قال: لا، قال: فحسبُك ما سمعتَ.

فذكروا أنَّ معاوية كان يُكرِمُ عبد الملك ليجعلها يَدًا عندَه يُجَازيه بها فى مخلَّفته(٢) فى وقته.

وكان عبد الملك من أكثر الناس علمًا، وأبرَعهم أدبًا، وأحسنهم فى شَبِيبَته ديانة، فقَتَلَ عمْرَو بن سعيد، وتَسمَّى بالخلافة، فَسُلِّمَ عليه بها أول تَسليمة، والْمُصْحَفُ فى حِجْرِه، فأطبقَه وقال: ﴿هذا فِرَاقُ بيْنى وبَيْنك﴾.

[صديق عبد الملك بن مروان]

قال أبو العباس: وحدثنى ابنُ عائشَ عن حَمَّاد بن سَلَمة فى إسناد ذكره: أن عبدَ الملك كان له صَديقٌ، وكان من أهل الكتاب، يقال له يوسفُ، فأَسْلمَ، فقال له عبد الملك يومًا، وهو فى عُنْفوَان نسكه، وقد مضت جيوشُ يزيد بن معاويةَ مع مسلمِ بن عُقْبَةَ المُرِّىِّ، من مُرَّة غَطَفَانَ، تريدُ المدينة ـ ألا تَرَى خَيْلَ عَدُوِّ الله قاصدةً لحَرَمِ رسول الله ﷺ؟ فقال له يوسفُ: جيشُكَ والله إلى حَرَمِ رسول الله أعظمُ مِن جيشه. فَنَفَضَ عبد الملك ثوبَه ثم قال: مَعَاذَ الله! قال له يوسفُ: ما قلتُ شاكًّا ولا مُرْتَابًا، وإنى لأجدُكَ بجميع أوصافك، قال له عبد الملك: ثم ماذا؟ قال: ثمَّ يَتَدَاوَلها رَهْطُك، قال: إلى متى؟ قال: إلى أن تَخرج الراياتُ السُّود من خُراسانَ.

[حديث ابن جعدبة للمنصور]

قال: وَحُدِّثْت عن ابن جُعْدُبة، قال: كنتُ عندَ أميرِ المؤمنين المنصور، فى اليوم الذى أتاه فيه خروجُ محمد بنِ عبد الله بن حَسن بن حَسن، قال: فَغَمَّه

(١) ر: « أرأيتك ».

ذلك، حتى امتنع من الغَدَاء فى وقته، وطال عليه فكْرُهُ، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، أُحَدِّثُكَ حديثًا: كُنْتُ مع مروانَ بن محمد وقد قَصَدَه عبد الله بن علىٍّ، [قال][1]: فإنَّا لكذلك إذ نظَر إلى الأعلامِ السُّودِ من بعْد، فقال: ما هذه البخُتُ المجَلَّلة[2]؟ قلت: هذه أعلامُ القوم. قال: فَمَنْ تحتَها؟ قلت: عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس، قال: وأَيُّهُمْ عبد الله؟ قلت[3]: الفتى المعْرُوقُ[4] الطويلُ، الخفيفُ العارِضَيْنِ، الذى رأيتَه فى وَليمة كذا يأكلُ فيُجِدُ، فسألْتَنى عنه فنسَبْتُهُ لكَ، فقلت: إنَّ هذا الفتَى لَتلقَّامَة[5]، قال: قد عرفْتُه؛ والله لوَدِدْتُ أَنَّ عليَّ بن أبى طالب مكانَه، قال: فقال لى المنصورُ: آللهِ لسمعتَ هذا مِن مروانَ بن محمدٍ؟ قلت: واللهِ لقد سمعتُهُ منه. قال: يا غلامُ، هاتِ الغَدَاء.

[قتال أهل النخيلة]

قال أبو العباس: وكان أهل النُّخَيْلَة جَماعةٌ بعدَ أهل النَّهْرَوَان، ممن فارق عبد الله بن وَهْبٍ، وممن لَجَأَ إلى رايةِ أبى أيوبَ، وممن كان أقامَ بالكوفة، فقال: لا أُقاتلُ عليًّا، ولا أقاتلُ معه. فتَوَاصَوْا فيما بينَهم وتعاضدُوا، وتأَسَّفُوا علي خذْلاتهمْ أصحابَهُمْ. فقام منهم قائمٌ يقال له المسْتَوْردُ، من بنى سعد بن زيد مَنَاة، فحمدَ الله وأثنى عليه وصلَّى على محمد، ثم قال: إنَّ رسول الله ﷺ أتانا بالعدل تَخْفِقُ راياتُه. معليًا مقالتَه. مبَلِّغًا عن ربِّه، ناصحًا لأُمَّته، حتى قبضَه الله مُخَيَّرًا مُخْتَارًا، ثم قام الصِّدِّيقُ فَصَدَقَ عن نبيِّه، وقاتَلَ من ارْتَدَّ عن دين ربِّه، وَذكَرَ أَنَّ الله عزَّ وجلَّ قَرَنَ الصلاةَ بالزكاة، (6فَرَأَى تعطيل إحداهما طعنًا6) على الأخرى، لا بل على جميع منازلِ الدين ثم قبَضه الله إليه موفورًا، ثم قام بعده[7] الفاروقُ، فَفَرَّقَ بين الحقِّ والباطلِ، مُسَوِّيًا بينَ الناسِ فى إعطائه، لا مُؤْثِرًا لأقاربه،

---

(1) تكملة من س.

(2) البخت: جمع بختى؛ وهى الإبل الطويلة الأعناق. والمحللة: المغطاة بما يزينها.

(3) ر: «فقلت».

(4) المعروق: القليل اللحم.

(5) التلقامة: الكثير الأكل.

(6-6) ر: «فرأى أن تعطيل إحداهما طعن على الأخرى». وما أثبته عن الأصل. س.

(7) ساقطة من ر.

ولا مُحكِّمًا فى دين ربّه. وها أنتم تعلمون ما حَدَثَ ، والله يقول: ﴿وَفَضَّلَ الله المُجَاهدينَ عَلَى القَاعدينَ أجْرًا عَظيما﴾[1]، فكلٌّ أجاب وبَايَعَ.

فوَجَّهَ إليهم عليٌّ بن أبى طالب عبدَ الله بن العباسِ داعيًا، فأبْوا فسارَ إليهم، فقال له عَفيفُ بن قَيْسٍ: يا أميرَ المؤمنين، لا تَخْرُجْ فى هذه الساعة؛ فإنها ساعة نَحْسٍ لعدوّك عليك؛ فقال له علىٌّ: توكلتُ على الله وحده، وعَصَيْتُ رأْىَ كلِّ مُتَكهِّنٍ. أنتَ تزعم أنك تعرف وقتَ الظَّفَرِ من وقت الخذْلان، ﴿إنِّي توكلت عَلى الله رَبِّى وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّة إلا هُوَ آخذٌ بنَاصِيتهَا إن رَبِّى عَلَى صرَاط مُسْتَقيم﴾[2]، ثم سار إليهم فطَحَنهم جميعًا، لم يُفْلَتَ منهم إلا خَمْسَةٌ، منهم المسْتَوْرِدُ، وابنُ جُوَينٍ الطائىُّ، وفَرْوَةُ بن شَرِيك الأشْجَعِىُّ، وهُمُ الذين ذكَرهُمُ الحسنُ البصرىُّ، فقال: دعاهُمْ إلى دينِ الله فجعلوا أصابعهم فى آذانهم واسْتَغْشَوْا ثيابَهم وأصَرُّوا واستكبرُوا استكبارًا، فسار إليهم أبو حَسَنٍ فطَحَنَهم طَحْنًا.

* * *

وفيهم يقول عمْرانُ بن حطَّانَ:

إنى أُدينُ بما دانَ الشُّرَاةُ به … يومَ النُّخَيْلةِ عندَ الجَوْسَقِ الخرِبِ[3]

وقال الحِمْيَرىُّ يعارضُ هذا المذهبَ:

إنى أَدينُ بما دانَ الوصىُّ به … يوم النُّخَيْلَة من قَتْلِ المُحلينَا
وبالذى دانَ يومَ النَّهْرِدنْتُ به … وشاركت كَفَّهُ كفِّى بصفِّينَا
تلك الدّماءُ مَعًا يا ربِّ فى عُنُقِى … ومِثْلَها فاسْقِنى آمين آمِينَا

[مناظرة أهل النخيلة لابن عباس]

وكان أصحابُ النُّخَيْلة قالوا لابن عباسٍ: إن كان[4] عَلِيٌّ عَلَى حَقٍّ لم يَشُكَّ فيه. وحَكَّمَ مُضْطَرًّا! فما بَالُهُ حيث ظَفِرَ لم يَسْبِ! فقال لهم ابن عباس: قد سمعتم الجوابَ فى التحكيم، فأمَّا قولكم فى السِّبَاءِ، أفكُنْتُمْ سَابينَ أُمَّكُم

(١) سورة النساء ٩٥ . (٢) سورة هود ٥٦ .
(٣) الجوسق الخرب: بظاهر الكوفة عند النخيلة، والبيت فى معجم البلدان (٣ : ١٧) من أبيات نسبها إلى قيس بن الأصم الضّبى .
(٤) ر . « إذ كان » .

عائشــةَ! فوضــعوا أصابعَــهُمْ فى آذانهم، وقالــوا: أَمْسك عَنّا غَرْبَ لسَــانكَ يا بن عباسٍ! فإنــه طَلُقٌ ذُلَقٌ، غَوّاصٌ علَى موضعِ الحجَّة. ثمَّ خَرَجَ المسْــتَوْردُ بعدَ ذلك بمُدّةٍ على المغيرَة بن شُعْبَةَ، وهو والى الكوفة، فوَجَّهَ إليه مَعْقلَ بن قَيْس الرِّياحىّ، فدعــاه المســتوردُ إلى المبارزة، وقــال له: عَلاَمَ يُقــتَلُ الناس بينى وبينكَ؟ فــقال له مَعْقلٌ: النَّصَفَ سألت. فــأَقْسَم عليه أصحابُه. فقال: مــا كنتُ لآبى عليه، فخرج إليه فاختلفَا ضَرْبَتَيْن، فخرَّ كلٌّ واحدٍ منهما مَيتًا.

[المستورد التيمى]

وكا المسْــتَوْرِدُ كــثير الصــلاةِ شديد الاجــتهادِ، وله آدابٌ يُوصِــى بها، وهى محفوظةٌ عنه .

كان يقول: إذا أَفْضَيْتُ بسِّــرى إلى صَديقى فأفشاه لم أَلُمْهُ، لأنى كنتُ أَوْلى بحفظه.

وكــان يقولُ: لا تُفْش إلى أَحــدٍ سِراًّ، وإن كــان مُخْلصًــا، إلا على جهــة المشاورة.

وكان يقولُ: كُنْ أَحْرَصَ على حفظ سرٍّ صاحبك منك على حَقْنِ دمك.

وكان يقول : أوَّلُ ما يَدُلُّ عليه عائبُ الناس مَعْرفتُهُ بالعيُوب، ولا يَعيب إلا مَعيب.

وكان يقول: المالُ غيرُ بَاقٍ عليك فاشْتَرِ من الحَمْد مَا يَبْقى عليك.

وكان يقول: بَذْلُ المال فىٍّ حَقّه استدعاءٌ للمَزيد مَن الجَواد.

وكان يكْثُر أن يقولَ: لَو مُلِّكْتُ الأرضَ بحذافيرها، ثم دُعيتُ إلى أن أَسْتَفِيدَ بها خَطيئةً ما فعلتُ.

[الخوارج ومعاوية]

قال: وخَرَجت الخوارجُ، واتَّصَلَ خُرُوجُها، وإنما نَذْكر منهم مَن كان ذا خبر طرِيفٍ، واتَّصَلَتْ به حِكَمٌ من كلامٍ وأشعار.

فأَوَّلُ مَنْ خَرَج بعــد قتل على بن أبى طالب عليه الســلام حَوْثَرَةُ الأسَدىُّ. فإنه كان مُتنحــيًا بالْبَنْدَنيجَيْن(١)، فكتب إلى حــابسٍ الطائىِّ يســأله أن يَتوَلَّى أمــرَ

(١) البندنيجين . بلفظ المثنى · بلد فى طرف النهروان من أعمال بغداد .

الخوارج حتى يسير إليه بجمْعه، فَيَتعَاضدا على مجاهدة معاوية، فأجابه فرَجَعَا إلى موضع أصحاب النُّخَيْلة، ومعاوية بالكوفة حيثُ دَخلها مع الحسن بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، بعدَ أنْ بايَعَه الحسنُ والحسينُ عليهما السلام وقَيْسُ ابن سَعْد بن عُبَادة.

ثم خَرج الحسنُ يريدُ المدينةَ، فوَجَّه إليه معاويةُ وقد تَجَاوَزَ فى طريقه يسأله أن يكون المتَولِّىَ لمحاربتهم، فقال الحسنُ: والله لقد كَفَفْتُ عنك لحقن دماء المسلمينَ، ولا أَحْسبُ ذلك يَسعُنى، أَفأُقَاتلُ عنك قومًا أنتَ والله أَوْلى بالقتال منهم! فلمَّا رَجَعَ الجَوابُ إليه وجّه إليهم جيشًا(١ أكثُره أهل الكوفة١). ثم قال لأبيه أبى حَوْثَرَة: قم فاكفنى[٢] أَمرَ ابنكَ فصار إليه أبوه فدعاه إلى الرجوع، فأَبى فأَدَارَه، فَصَمَّمَ، فقال له: يا بُنَىَّ أَجيئُك بابْنكَ فلعلك تراه فَتحنُّ إليه؟ فقال: يا أبت، أنَا والله إلى طَعْنَة نافذة أَتَقلَّبُ فيها على كُعوب الرُّمح أَشْوَق منِّى إلى ابنى! فرجَع إلى معاويةَ فأَخْبَرَه الخَبرَ[٣]، فقال: يا أبا حَوْثَرَة، عتَا[٤] هذا جداًّ!

فلما نَظَرَ حَوْثَرة إلى أهلِ الكوفة قال: يا أعداءَ الله، أنتم بالأمس تُقاتلون مُعاويةَ لتَهُدُّوا سلطانَه، واليومَ تقاتلون مع معاوية لتشُدُّوا سلطانه!

فخرج إليه أبوه فدعاه إلى البرَاز، فقال: يا أبتِ، لك فى غيرى مَنْدوحةٌ، ولى فى غيرك عنك مَذْهَبٌ، ثم حَمَل على القوم وهو يقولُ:

أُكْرُرْ على هذِى الجموعِ حَوْثَرَهْ ... فعَن قليلٍ مَا تُنَالُ المَغْفِرَهْ

فَحَمَل عليه رجلٌ من طَيِّئٍ[٥] فقتَله، فرأى أَثَر السجود قد لوَّحَ جبهتَه، فندِمَ على قتله، ثم انهزم القومُ جميعًا.

* * *

وأنا أحسبُ أَنَّ قولَ القائل:

وأَجْرأُ مَنْ رأَيْتُ بظَهْرِ غَيْبٍ ... على عَيْبِ الرجالِ ذوُو العُيوبِ

(١-١) ر: جيشا أكثرهم من أهل الكوفة.

(٢) ر «اكفنى أمر ابنك».

(٣) ساقطة من ر.

(٤) عتا: استكبر.

(٥) نقل المرصفى عن ابن الأثير أنه عبد الله بن عوف قائد ذلك الجيش

إنما أخذه من كلام المستوردِ، قال رجلٌ للمستورد: أُريدُ أن أرَى رجلا عَيَّابًا، قال: الْتَمِسْهُ بِفَضْلِ مَعايبَ فيه.

* * *

وقال العباسُ بن الأحْنَف يعاتبُ من اتهمه بإفشاءِ سِرِّه:

تَعَتَّبْتَ تَطلُبُ ما أسْتَحقُّ ... به الهجرَ منك ولا تَقْدِرُ
وماذا يضيرُكَ من شُهْرَتي[1] ... إذا كانَ سِرُّك لا يُشْهَرُ
أَمِنِّي تَخَافُ انتشارَ الحديث ... وحَظِّيَ في سَتْرِه أوْفَرُ
ولَو لم تَكُن فِيَّ بقْيَا عليكَ ... نَظَرْتُ لِنَفْسِي كما تَنْظُرُ

[من أخبار مقتل الإمام على، ووصيته لأبنائه]

ويُرْوَى عن حديث محمد بن كعب القرظى قال: قال عَمَّارُ بن ياسرٍ: خَرَجْنَا مع رسول الله ﷺ فى غزوة ذات العُشَيْرَة فلما قَفلْنَا نزلنا مَنْزلا، فخرجتُ أنا وعليٌّ بن أبى طالب صلواتُ الله عليه نَنْظُرُ إلى قومٍ يَعْتَمِلُونَ، فَنَعَسْنَا فَنمْنَا، فَسَفَتْ علينا الريحُ التُّرَابَ، فما نَبَّهَنَا إلا كلامُ رسول الله ﷺ، فقال لعَلِيٍّ: «يا أبا تَراب - لما عليه من التراب - أتَعلَمُ مَنْ أَشْقَى الناسِ؟» فقال: خَبِّرْنِى يا رسول الله؟ فقال: «أشْقَى الناسِ اثنان: أحْمَرُ ثَمُودَ الذى عَقَرَ الناقةَ، وأشقاها الذى يَخْضِبُ هذه» - وَوَضَعَ يدَه على لحيته - «مِنْ هذا»، ووضع يدَه على قَرْنِه.

* * *

ويُرْوَى عن عيَاضِ بن خَليفةَ الخزاعى قال: تَلَقَّانى عليٌّ صلواتُ الله فى الغلَسِ، فقال لى: مَنْ أَنْتَ؟ قلتُ: عياضُ بن خليفةَ الخزاعيُّ، فقال: ظننتك أشقاها الذى يَخْضِبُ هذه مِن هذا - وَوَضَعَ يده على لحيتِه وعلى قَرْنِه.

* * *

ويُرْوَى: أنه كان يقول كثيرًا - قال أبو العباسِ: أحسبُه عند الضَّجَرِ بأصحابه -: ما يَمْنَعُ أشقاها أنْ يُخَضِّبَ هذه مِن هذا!

* * *

---

(١) ر «يصرك» بتشديد الراء.

ويُرْوَى عن رجلٍ من ثَقِيف أنه خَرَجَ الناسُ يَعْلِفونَ دوابَّهم بالمدائنِ وأرادَ عليٌّ أمير المؤمنين المسيرَ إلى الشام، فَوجَّه معْقلَ بن قيس الرِّياحِيّ ليُرْجِعَهُمْ إليه - وكان ابنُ عَمٍّ لي في آخرِ من خَرَجَ - فأتيتُ الحسن بن عليٍّ عليه السلام ذاتَ عَشِيَّة، فسألتُه أن يأخُذَ لي كتابَ أمير المؤمنين إلى مَعْقلِ بن قَيْسٍ في التَّرْفيه[1] عن ابن عَمِّي، فإنه في آخرِ مَنْ خَرجَ، فقال: تَغدُو علينا والكتابُ مختومٌ إن شاء الله تعالى. فبتُّ ليلتي ثم أصبحتُ الناسُ يقولون: قُتِلَ أميرُ المؤمنين الليلةَ. فأتيتُ الحسنَ، وإذا به في دار عليٍّ عليه السلام، فقال: لولا ما حَدَثَ لَقَضَيْنَا حَاجَتَكَ، ثم قال: حدّثني أَبي عليه السلام البارحةَ في هذا المسجد فقال: يا بُنَيَّ إني صَلَّيتُ مَا رَزَقَ الله. ثم نمتُ نومة، فرأيتُ رسول الله ﷺ، فَشكَوْتُ إليه ما أنا فيه من مخالفة أصحابي وَقِلَّة رغبتهم في الجهاد، فقال: ادْعُ الله أن يُريحك منهم. فدعوتُ الله، قال الحَسَنُ: ثم خرج إلى الصلاة فكان ما قد علمتَ.

* * *

وَحُدِّثْتُ من غير وَجْه أن عليًّا لمَّا ضُرِبَ ثم دَخَل منزله اعترته غَشْيَةٌ ثم أَفاقَ، فدعا الحسنَ والحسَيْنَ فقال: أوصيكُما بتَقْوَى الله والرَّغْبَة في الآخرة، والزُّهْد في الدنيا، ولا تأسَفَا على شيء فاتَكُما منها، اعْمَلا الخيرَ، وكونا للظالم خَصمًا. وللمظلوم عَوْنًا. ثم دَعا محمدًا فقال: أما سمعتَ ما أوْصَيْت به أَخَوَيْكَ؟ قال: بَلَى، قال: فإني أوصيك به، وعليك ببِر أخَوَيْك وتوْقيرهما ومعرفة فَضْلهمَا، ولا تَقْطَعْ أَمْرًا دُونَهُمَا، ثم أَقبَلَ عليهما فقال: أوصيكما به خيرًا، فإنه شَقِيقُكما وابنُ أبيكما، وأنتما تَعْلَمَان أَنَّ أَباكُما كان يُحِبُّهُ، فأحِبَّاه، فلمَّا قَضَى عليٌّ كرم الله وجهه، قالتْ أُمُّ الْعُرْيَان:

وَكنَّا قَبْلَ مَهْلَكه زمانًا نَرَى نَجْوَى رسول الله فينَا
قَتلْتُمْ خَيْرَ من رَكَبَ المطايا وَأَكرمَهُمْ وَمَنْ ركبَ السَّفينَا
أَلا أَبْلغ مُعاوية بن حَرْبٍ فلا قَرَّتْ عُيونُ الشَّامتِينَا

* * *

(١) الترفيه التنفيس

وَيُرْوَى أَنَّ عبد الرحمن بن مُلْجَم باتَ تلك الليلة عند الأشْعَث بن قَيْسٍ بن مَعْدى كَرِبَ، وأَنَّ حُجْرَ بن عَدىٍّ سـمعَ الأشعثَ يقولُ له: فَضَحَكَ الصُّبْحُ، فلمَّا قالوا: قُتِلَ أَميرُ المومنين، قال حُجْر بن عَدىٍّ للأشعث: أنت قتلتَه يا أعورُ!

وَيُرْوَى أَنَّ الذى سمع ذاكَ أَخُو الأشعثِ، عَفِيفٌ بن قيسٍ، وأنه قال لأخيه: عَنْ أَمرِكَ كانَ هذا يا أعورُ!

* * *

وأخبارُ الخوارجِ كثيرةٌ طويلةٌ، وليس كتابُنا هذا[1] مفردًا لهم، ولكنَّا[2] نذكر من أمورهم ما فـيه معنًى وأدبٌ، أو شعرٌ مُـسْتَطْرَفٌ، أو كلامٌ من خُطبَةٍ مـعروفةٍ مختارةٍ.

[الخوارج وزياد]

خَرَجَ قُرَيْبُ بن مُـرَّةَ الأزْدىُّ وَرحَّافٌ الطائىُّ ـ وكانا مجتهـدِيْن بالبصرةِ فى أيام زيادٍ، واختلفَ الناسُ فى أُمـورهما: أيُّهمـا كان الرئيس ـ فاعتـرضًا الناسَ، فَلَقِيَا شيخًا ناسكا من بنى ضُبَيْعَةَ بن ربيعة بن نِزَارٍ، فقتلاهُ، وكان يقالُ له: رُؤْبَةُ الضَّبَعِىُّ، وتَنَادَى الناسُ، فخرج رجلٌ من بَنى قُطَيعة من الأزد وفى يده السيفُ، فناداه الناسُ من ظُهـور البُيُـوت: الحُروريَّةَ الحـروريَّةَ! انجُ بنفـسك. فَنَادَوْهُ: لسنا حَرُوريَّةً، نَحْنُ الشَرَّطُ، فـوقف فقتلوهُ. وَبَلَـغَ أبا بـلال خَبَرُهُمَا، فـقال: قُرَيْـبٌ، لا قَرَّبَهُ الله من الخـير، وَزَحَّافٌ، لا عَـفَا الله عنه، ركبـاها عَشْوَاءَ مُـظْلِمَةَ ـ يريد اعتراضـهما الناسَ ـ ثم جعَلا لا يَمُـرَّانِ بقبيلة إلا قتلا مَنْ وَجَـدَا، حتى مَرَّا ببنى علىٍّ بن سُودٍ من الأزْدِ، وكـان فيهم مـائةٌ يجيدُون الرمْىَ، فَـرَمَوْهُ رَمْيًـا شديدًا، فصاحوا: يا بنى علىٍّ! البُقْيا، لا رِمَاءَ بَيْنَنَا، فقال رجلٌ من بنى علىٍّ:

لا شىء لِلْقَـوْمِ سِـوَى السِّـهـامِ مَـشْـحَـوذة فـى غَلَس الظّلامِ[3]

فَعَرَّدَ عنهم[4] الخوارجُ، وَخافُـوا الطَّلبَ، فاشْتَقُّوا مقـبَرَة بنى يَشكرَ، حتى نَفذُوا إلى مُـزَيْنةَ، ينتظرون من يَلْحَقُ بهم من مُـضَرَ وغيـرها، فجـاءهُم ثمانون،

---

(١) ساقطة من ر.

(٢) « لكنا ».

(٣) شحذ السيف: إجلاؤه.

(٤) عرد الرجل تعريدا، إذا عدا فزعا.

وخرجت إليهم بنو طاحيَةَ بن سُودٍ وقبائلُ مُزَيْنَةَ وغيرها، فاستَقْتَلَ الخوارجُ فقتلوا عن آخرِهِم.

ثم غدَا الناسُ إلى زياد فقال: ألا يَنْهَى كلُّ قومٍ سُفهاءَهُمْ! يا معشرَ الأزد، لولا أنكم أطفأتم هذه النارَ لقلتُ: إنَّكُمْ أَرَّثْتُموهَا. فكانت القبائل إذا أحَسَّتْ بخارِجيَّةٍ فيهم شدَّتهُمْ وَثَاقًا[1]، وأَتَتْ بهم زيادًا، فكان هذا أحَدَ ما يذْكَرُ من صحة تدبيره.

* * *

وله أُخْرَى في الخوارج. أَخْرَجُوا معه امرأة، فَظَفَرَ بها فقتلها، ثم عَرَّاها. فلم تَخْرُجِ النساءُ بعد علي زيادٍ، وكنَّ إذا دُعِينَ إلى الخروج قُلْنَ: لولا التعريةُ لسارعْنَا.

[قتل مصعب لامرأة المختار]

ولَمَّا قَتَلَ مصْعَبُ بن الزُّبَيْرِ بنت النُّعْمَان بن بشيرِ الأنصارية، امرأة المختَار ـ وليس هذا من أخبارِ الخوارج ـ أنكره الخوارجُ غايةَ الإنكارِ، ورَأَوْه قد أتى بقتل النساء أمرًا عظيما، لأنَّه أتى ما نَهَى عنه رسول الله ﷺ في سائر نساء المشركين. وللْخَواصِّ منهنّ أخبارٌ، فقال عمرُ بن عبدِ الله بن أبي رَبيعةَ:

إنَّ منْ أَعْظَمِ الكبائرِ عندي ... قتلَ حَسْنَاءَ غادة عطْبُولِ[2]
قُتِلَتْ باطلا على غيرِ ذَنْب ... إن لله دَرَّهَا من قتيلِ!
كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا ... وعلى المحْصَنَاتِ جَرُّ الذُّيولِ[3]

* * *

قال: وكان[4] الخوارجُ أيامَ ابن عَامرٍ أخرجوا معهم امرأتين، يقال لإحداهما كُحَيْلَةُ، والأخرى قطَامِ، فجعل أصحابُ ابن عامرٍ يُعيِّرونَهم ويصيحون بهم: يا أصحابَ كُحَيْلَة وقطامِ! يُعَرِّضون لهم بالفجورِ، فتناديهم الخوارجُ بالدَّفْعِ والرَّدْعِ، ويقولُ قائلهم: لا تَقْفُ ما ليس لك به علمٌ.

* * *

(١) ساقطه من ر.
(٢) العطبول: المرأة التامة الخلق.
(٣) المحصنات العفيفات.
(٤) ر: « وكانت ».

ويُرْوَى عن ابن عبّاس فى هذه الآية: ﴿والَّذينَ لا يَشْهدُونَ الزُّور وَإذا مَرُّوا باللَّغْوا مَرُّوا كرَامًا﴾[١]، قال: أعيادُ المشركين، وقال ابن مسعود: الزُّورُ: الغنَاءُ، فقيلَ لابن عباس: أوَ ما هذا فى الشـهادَة بالزُّور! فقال: لا، إنما آية شهادة الزُّور: ﴿وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ به علْمٌ إنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفؤَادَ كلُّ أُولئكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا﴾[٢].

[عبيد الله بن زياد والخوارج]

عاد الحديث إلى أمرِ الخوارجِ.

وكانت[٣] من المجتهدات من الخوارج ـ ولو قُلت: من المجتهدين. وأنت تعْنى امرأةً كان أفصحَ، لأنك تريدُ رجالات ونساءً هى إحداهم، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَصَدَّقَتْ بكَلمَات ربِّهَا وكُتبه وكانَت منَ الْقَانتينَ﴾[٤] وقال جَلَّ ثناؤُه: ﴿إلا عَجُوزًا فى الْغَابرَين﴾[٥] ـ منهما اَلبَلْجاءُ وَهى امرَأةٌ من بنى حَرامِ بن يَربوعِ ابن حَنْظلةَ بن مالك بن زيدِ منَاةَ بن تميمٍ، منَ رَهَط سجاحٍ، التى كانت تـنَبّأت وسنذكُر خبرها فى موضعه إن شاء الله. وكان مِرْداس بن حُدَيْر أبو بلال، وهو أحدُ بنى ربيعةَ بن حَنْظَلَةَ تُعْظمُه الخوارجُ، وكان مجتهدًا كثيرَ الصواب فى لفظه، فلَقيه غَيْلانُ بن خَرَشَةَ الضَّبِّىُّ، فقال: يا أبا بلال! إنّى سَمعْتُ الأميرَ البارحةَ عُبَيْدَ الله بن زياد يذكر البلجاءَ، وأحْسبُها ستؤخذ، فمضَى إليها أبو بلال، فقال لها: إنَّ الله قدْ وَسَّعَ على المؤمنين فى التَقيَّة[٦] فاسْتَتِرى؛ فإنَّ هذا المسْرِفَ على نفسه، الجبارَ العنيد قد ذكركِ، قالت: إن يأخذْنى فهو شقَى بى، فأمّا أنا فما أُحبُّ أن يُعَنّتَ إنْسَانٌ بسببى.

فوَجَّه إليها عبيدُ الله بن زياد، فـأُتى بها فَقَطعَ يديها ورجْلَيْها، ورمَى بها فى السُّوق، فمرَّ أبو بلال والناسُ مجتمعون، فقال: ما هذا؟ فقالوا: البَلجَاءُ، فَعَرَّجَ إليها فَنَظَرَ، ثمَّ عَضَّ على لحيَته، وقال لنفسه: لَهذه أطيبُ نفسًا عن بقية الدنيا منكَ يامرداسُ.

* * *

(١) سورة الفرقان ٢٢ .
(٢) سورة الإسراء ٣٦ .
(٣) ر : « وكان » .
(٤) سورة التحريم ١٢ .
(٥) سورة الشعراء ١٧١ .
(٦) التقية : حفظ النفس بما يستطاع من المكروه.

ثمَّ إنَّ عبيد الله تتبع الخوارجَ فحبسهم، وحبس مِرْدَاسًا، فرأى صاحب السجن شدَّة اجتهاده وحلاوة منطقه فقال له: إنى أرى لك مذهبا حسنا، وإنى لأُحبُّ أنْ أُوليَكَ معروفا؛ إنْ تركْتُكَ تَنْصرفُ ليلا إلى بيتكَ، أتَدَّلِجُ[١] إلىَّ؟ قال نعمْ. فكان يفعلُ ذلك به.

ولجَّ عُبيدُ الله فى حبس الخوارج وقتلهمْ، فكُلِّم فى بعض الخوارج فلَج وأبى، وقال: أَقْمَع النِّفاقُ قَبْلَ أن يَنْجُمَ[٢]. لكَلامُ هؤلاء أَسرعُ إلى القلوبِ من النار إلى اليراعِ[٣].

فلما كان ذات يوم قَتَلَ رجلٌ من الخوارج رجلا من الشُّرَط، فقال ابنُ زياد ما أدْرِى ما أصنعُ بهؤلاء! كلما أمرتُ رجلا بقتل رجلٍ منهم فَتَكُوا بقاتله! لأَقْتُلَنَّ من فى حَبْسِى منهم. فأخْرَجَ السجَّانُ مرداسًا إلى منزله كما كان يفعلُ، وأتى مرداسًا الخبرُ، فلما كان السَّحَرُ تهيَّأ للرجوع، فقال له أهلُه: اتَّقِ الله فى نفسك فإنك إن رَجَعْتَ قُتِلْتَ. فقال: إنى ما كنْتُ لألْقَى الله غادرًا. فرجعَ إلى السَّجن فقال: إنى قد علمتُ ما عَزَم عليه صاحِبُكُ، فقال: أعلمتَ ورَجَعْتَ!

[من أخبار مرداس أبى بلال]

ويُرْوَى أنَّ مرداسًا مَرَّ بأعرابىّ يَهْنَأُ[٤] بعيرًا له، فَهَرَجَ[٥] البعير، فسقط مِرْداسٌ مغشيًّا عليه، فظنَّ الأعرابىُّ أنه قد صُرِعَ، فقرأ فى أُذُنه، فلمَّا أفاق قال الأعرابىُّ: قرأتُ فى أذنكَ، فقال له مِرداس: ليس بى ما خفْتَهُ علىَّ، ولكن رأيتُ بعيرَكَ هَرِجَ من القَطِران، فذكرت به قطِران جهنم، فأصابنى ما رأيت. فقال: لا جَرَمَ والله لا فارَقْتُكَ أبدًا!

* * *

وكان مرداسٌ قد شَهِدَ صِفِّين مع علىٍّ بن أبى طالب صلوات الله عليه. وأنكر التَّحكيمَ، وشهد النَّهْر، ونجا فيمن نجا، فلمَّا خرج من حبس ابن زياد

(١) الإدلاج . السير من آخر الليل .
(٢) ينجم يطلع . (٣) اليراع : القصب الفارسى .
(٤) يهنأ بعيرا يطليه بالهناء ؛ وهو القطران.
(٥) هرج تعب وتحير

ورأى جدَّ ابن زيادٍ فى طلب الشُّرَاة عَزَمَ على الخروج، فقال لأصحابه: إنه والله ما يَسَعُنا المقام بين هؤلاء الظالمين، تجرى علينا أحكامُهــم، مُجَانِبين للعدل، مفارقِين للفَصْلِ[١] ، والله إنَّ الصبــرَ على هذا لعظيمٌ، وإن تجْريد السـيف وإخافَة السـبيل لعظيمٌ، ولكنَّا نَنْتَبِذُ عنهم، ولا نجرِّدُ سيفًــا، ولا نقاتلُ إلا مَنْ قاتلنا. فاجتَمع إليه أصحابه زُهاء ثلاثينَ رجلا، منهم حُرَيْثُ بــن حَجْلٍ، وكَهْمَس بن طَلْقٍ الصَّرِيمىُّ، فأرادوا أن يُوَلُّوا أمرَهم حُرَيْثًــا، فأبى، فوَلَّوا أَمَرهم مِرْداسًا، فلمَّــا مضى بأصحابه لَقِيــه عبدُ الله بن رَبَاحٍ الأنصارىُّ ـ وكــان له صديقا ـ فـقال له : يا أخى[٢]، أين تريد؟ قال: أريد أن أَهْرِبَ بدينى وأديانِ أصحــابى من أحكامِ هؤلاء الجَوَرَة. فقال له: أعَلِمَ بكم أحدٌ؟ قال: لا، قال: فارجع، قال: أو تَخاف على مكروهًا؟ قال: نعم، وأن يُؤْتى بك! قال: فلا تَخَفْ، فإنى لا أجَرِّدُ سيفًا، ولا أُخيفُ أحدًا، ولا أقاتلُ إلا مَن قاتلنى. ثــم مَضَى حتى نزلَ آسكَ ـ وهو ما بين رامَهُــرْمُزَ وأَرَّجانَ ـ فمَــر به مالٌ يُحْـمَلُ لابن زياد، وقد قــاربَ أصحابهُ الأربعينَ، فَـحَطَّ ذلك المال، فــأخذَ منه عَطَـاءَهُ وأَعْطيَات أَصـحــابه، وردَّ الباقىَ علــى الرُّسلِ، وقالَ: قــولوا لصاحبكم: إنما قَـبضْنَا أَعْطياتنا، فقــالَ بعضُ أصحابه: فعلامَ تَدَعُ البــاقِىَ! فقال: إنهم يَقْسِمونَ هذا الفىءَ كما يُقِيمون الصلاة فلا نقاتلهم.

* * *

ولأبى بلالٍ أشعار فى الخروج اخترتُ منها قوله:

أَبَعْــدَ ابن وَهْبٍ ذى النَّزَاهة والتُّــقَى ... وَمَن خاضَ فى تلك الحروب المهَالكا[٣]
أحِبُّ بَـقَــاءً أوْ أرجِّــى ســـلامــــة ... وقَــد قــتلوا زيدَ بن حـصْنٍ ومــــالكا
فـــيارَب سَلـمْ نِيَّــتى وبَـصِيـــرتى ... وَهَبْ لى التُّــقَى حَــتَّى ألاقــى أولئكا

قوله: « وقد قـتَلُوا » ولم يذكر أحدًا، فإنمــا فعل ذلك لعلْمِ الناس أنه يَعْنى مُخالفيه، وإنما يَحْـتاجُ الضميرُ إلى ذكْرٍ قبله ليُعْــرَفَ، فلو قال رجلٌ: ضربتُه، لم يَجزْ، لأنه لم يذكر أحدًا قــبل ذكْره الهاءَ، ولو رأيتَ قومًا يلتمســون الهلالَ فقال قائلٌ[٤]: هذا هو، لم يحْتَجْ إلى تقَدمِ الذكرِ؛ لأن المطلوبَ معلومٌ، وعلى هذا قال

(١)الفصل : قول الحق. (٢) لفظ : « يا أخى » من ر
(٣) ابن وهب : هوعبد الله بن وهب الراسبى . (٤) ر : « قوم » .

عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ فى افتتاح قصيدته:

هل مَا عَلِمْتَ وما استُودِعْتَ مَكتومُ ... أم حَـبْلُهَا إذ نَأَتْكَ اليـومَ مَصـرومُ

لأنه قد عُلِمَ أنه يريدُ حبيبةٌ له.

وقوله: « حَتَّى ألاقى » ولم يُحَرِّكِ الياءَ، فقد مضى شرحهُ مستقصًى.

* * *

ويُروى أن رجلا من أصحاب ابن زيادٍ قال: خرجنا فى جيش نُريدُ خُرَاسانَ، فمررنا بِآسك، فـإذا نحن بهم ستةٌ وثلاثين رجلا، فصـاح بنا أبو بلال: أقاصدون لقتالنا أنتم؟ - وكنت أنا وأخى قد دخلنا - زَرْبًا -، فـوقف أخى ببابه فقال: السلام عليكم، فقال مِرْدَاس: وعليكم السلام، فقال لأخى: أجئتُم لقتالنا؟ فقال له: لا، إنما نريد خُراسانَ، قـال: فأبْلغوا مَن لَقِيكُمْ أنا لم نَخْـرُجْ لِنُفْسدَ فى الأرض، ولا لِنُرَوِّعَ أَحـدًا، ولكن هَرَبًا من الظُّلم، ولسنا نـقاتلُ إلامن يُقَـاتلنا، ولا نأخُـذُ من الفىء إلا أعْطِيَاتنا، ثم قال: أندبَ إلينا أحدٌ؟ قلنا: نعم، أسْلَم بن زُرْعَةَ الكلابىَّ، قال: فمتى تَرَوْنَه يَصِلُ إلينا؟ قلنا: يومَ كذا وكذا، فقال أبو بلال: حسبنا اللهُ ونعم الوكيلُ!

* * *

وَجَهزَ عُبَيْدُ الله أَسْلَمَ بن زُرْعَةَ فى أسرع وقت ووجَّهه إليهم فى ألفين، وقد تتامَّ أصحابُ مِرْدَاسٍ أربعين رجـلا، فلما صار إليهمْ أَسْلَمُ صاح به أبو بلال: اتق الله يا أسلم؛ فإنَّا لا نريدُ قتـالا، ولا نَحْتَجن فَيْئًا. فـما الذى تريدُ؟ قالَ: أريد أن أرُدَّكُمْ إلى ابن زياد، قال مرداسٌ: إذن يَقْتُلنا، قـال: وإنْ قَتَلَكُمْ! قال: تَشْركهُ فى دمائنا، قـال: إنِّى أَدينُ اللهَ[1] بأنه مُـحقٌّ وأنكم مبطلون، فـصاح به حُـرَيْثُ بن حَـجْلٍ: أهو مُحقٌّ وهـو يُطيعُ الفَجَـرَةَ، وهو أحـدُهم، ويَقـتلُ بالظِّنَّة، ويَخص بالفىء، ويَجُورُ فـى الحكم! أما علمت أنه قَتلَ بابـنِ سُعَاد أربعـة برآءَ، وأنَا أَحَدُ قَتلـته، ولقد وَضَـعْتُ فى بَطْنه دراهمَ كانـت معه! ثم حـملوا عليه حَـمْلة رجلٍ واحد، فـانهزم هو وأصحابُـه من غير قتـالٍ. وكان مَعْـبَدٌ أحد الخوارجِ، قـد كادَ

(١) ر . « أدس بأنه محق ».

يَأخذُه. فلما وَرَدَ على ابن زياد غضب عليه غـضبًا شديدًا، وقال: وَيْلَكَ! أتَمْضي فى ألفين فتهـزمُ لحملة أربعين! وكان أَسْلم يقولُ: لأَنْ يَذمَّنـى ابن زيادٍ حَيًّا أحبُّ إلىَّ من أن يَمْدَحنَى ميِّتا!

وكان إذاخرج إلى السـوق أو مَرَّ بصبيـان صاحوا به: أبو بلال وراءَكَ! وربما صاحوا به: يا مَـعْبدُ خذْهُ، حتى شكا ذلك إلى ابن زياد، فـأمرابنُ زياد الشُّرَطَ أن يكُفُّوا الناسَ عنه، ففى ذلك يقولُ عيسى بنُ فاتكٍ؛ من بنى تَيْمِ اللاتِ بن ثعْلَبَةَ، فى كلمة له:

فلمَّـا أصـبـحـوا صَلُّوا وقـامـوا ... إلى الجُرْدِ العـتَاق مُـسَـوَّمـينَا[1]
فلمـا اسْتَجْـمَعُـوا حَملُوا عليـهم ... فَظلَّ ذوُو الجَـعَـائلِ يُـقْـتَـلُونَا
بَقـيَّـة يومـهم حـتـى أتاهم ... سـوادُ الليْلِ فـيـه يرَاوِغـونا
يقَـولُ بَصيـرهم لَمَّـا أتاهُمْ ... بـأَنْ القـومَ وَلُّـوا هاربـينا
أألفـا مـؤمن فـيـمـا زَعـمْـتُم ... ويهْـزمُـهُمْ بآسَكَ أرْبَـعُـونا!
كـذَبْتُمْ لَيْسَ ذَاكَ كـمـا زَعَـمْـتَمْ ... ولكـنَّ الخـوارج مـؤْمنـونا
هُمُ الفـئـة القليلة غَـيْـرَ شَكٍّ ... على الفِـئـة الكثيـرةِ يُنْصَـرُونا

ثم نَدَبَ لهم عبيدُ الله بن زياد الناسَ، فاختـارَ عَبَّادَ بن أَخْضَرَ - وليس بابن أَخْضَرَ - هو عَبَّادُ بنُ عَلْقَمَةَ المازنيُّ، وكان أخْـضَرُ زوج أمِّه، فَغَلَبَ عليه، فوجَّهه فى أربعـة آلاف، فَنَهَـدَ لهم. ويزعم أهلُ العلمِ أنَّ الـقومَ قـد كـانوا تَنَحَّـوْا عن دَرَابَجرْدِ مـن أرضِ فارسَ، فصـار إليهـم عَبَّـادٌ، وكانَ التقاؤُهُم فـى يـوم جمعـةٍ، فناداه أبو بلال: اخرجْ إلى يا عَبَّادُ، فإنى أريد أن أحاورَكَ. فَخَرَجَ إليه، فقال: ما الذى تَبْغِى؟ قال: أن آخـذ بأقفائكم فأرُدَّكُمْ إلى الأمير عُـبيد الله بنَ زياد قال: أو غيرَ ذلكَ! قال: وما هُوَ؟ قال: أن ترْجعَ، فإنَّا لا نخيف سَبيلا، ولا نذْعَرُ مسلمًا، ولا نحارب إلا مَنْ حَارَبَنَا، ولا نَجْنى إلا ما حمينَا، فـقال له عبَّادٌ: الأمْر ما قُلْتُ لك، فقال له حُـرَيْثُ بن حَجْلٍ: أتحاولُ أن تُردَّ فئَةً من المسلمين إلى جَـبَّار عَنيد! قال لهم: أنتم أوْلى بالضلال منه، وما من ذاك بُدٌّ !

* * *

(١) مسومين: معلمين بعلامات يعرفون بها فى الحرب.

وقدمَ الْقعْقَـاعَ بن عَطيَّةَ الباهليُّ من خراسانَ يريد الحجّ، فلمـا رأى الجمْيعن قال: مـا هذا؟ قالوا: الشُّرَاة، فَـحَمل عليـهم. ونشبت الحربُ، فـأخذَ القعـقاعُ أسيرًا، فـأتىَ به أبو بلال، فقال: ما أنتَ؟ قال: لـستُ من أعدائكَ، وإنما قدمتُ للحجِّ فَجَـهلْتُ وَغُررْتُ، فأَطْلَقَه ، فَـرَجَعَ إلى عبَّادٍ فأَصلح من شَـأنه. ثم حَمَلَ عليهم ثانية ، وهو يقولُ :

أقَـــاتلهُـمْ وليـس عليّ بَـعْثٌ ... نَشَــــاطًا لـيس هذا بـالنشــــاط
أكُـــر عَلى الحُـــروريّينَ مُـهْــرى ... لأحْـمـلَهُمْ على وَضَح الـصِّرَاط

فَحَملَ عليه حُرَيثُ بنُ حَجَلٍ السَّدُوسيُّ وَكَهْمَسُ بن طَلْقِ الصَّريميُّ، فأسَراهُ فَقَتَلاه ولم يأتيا أبا بلال، فلم يزل القـومُ يَجْتَلدُونَ حتى جاء وقتُ الصلاة، صلاة يوم الجمعـة، فناداهُمْ أبو بلال: يا قومُ، هذا وَقتُ الصلاة، فوادِعُـونا حتى نُصَلِّيَ وَتُصَلُّوا، قَـالوا: لك ذاك ، فرمى القـومُ أجمعـون أسلحتـهم وعَمَـدوا للصلاة، فأسـرع عَبَّادٌ ومن معـه والحرورية مُبْطئـونَ، فهم من بين راكعٍ وقائمٍ وسـاجدٍ في الصلاة وقاعـدٍ، حتى مال عليهم عَبَّادٌ ومـن معه، فقتلوهُمْ جمـيعًا ، وأُتى برأس أبي بلالٍ.

* * *

وتَروى الشُّراة أن مرداسًا أبا بلال لـمَّا عقدَ على أصحابه وعَزَمَ على الخروج رفع يديه وقال: اللّهم إن كان ما نحن فيـه حقًّا فأرنا آية. قال[1]: فَرَجَفَ البيتُ. وقال آخرون: فارتفع السقفُ.

فَـرَوَى أهلُ العلم أن رجـلا من الخوارجِ ذكَـر ذلك لأبي العـاليـة الرِّياحيّ يُعَجِّبُـهُ من الآية ، ويَرَغبه في مذهب القـوم، فقال أبو العاليـة: كاد الخسفُ يَنْزِلُ بهم. ثم أدركتهم نَظْرَةَ اللهِ.

فلما فَـرغ من أولئك الجماعة أقَـبلَ بهم فَصُلبت رُءوسُهُمْ، وفـيهم داود بن شَبَث. وكان ناسكا، وفيه حبيبةُ البَصْريُّ من قَيْسٍ ، وكان مجتهدًا.

* * *

(١) ساقطة من ر .

فيُرْوَى عن عِمْرانَ بن حطَّان أنه قال: قال لى حَبيبةُ: لما عزمتُ على الخروج فكّرْتُ فى بناتى، فقلتُ ذاتَ ليلة: لأَمْسكنّ عن تفقّدهن حتى أنْظُرَ، فلما كان فى جوف الليل استسقتْ بُنيّةٌ لى، فقالت: يا أبة اسقنى، فلم أُجبها، فأعادتْ، فقامت أُخَيّةٌ لها أَسَنُّ منها، فَسَقتها، فعلمتُ أنّ الله عزّ وجلّ غيرُ مُضَيّعهنّ، فأتْممْتُ عزمى.

* * *

وكان فى القوم كَهْمَسٌ، وكان من أبَرِّ الناسِ بأُمّه، فقال لها: يا أمّهْ! لولا مكانُك لخرجتُ، فقالت: يا بُنىّ، قد وهبتُكَ لله، ففى ذلك يقولُ عيسى بنُ فَاتِكٍ الحبَطىُّ:

ألا فى الله لا فى النَّاسِ شَالتْ ... بداود وإخْوته الجذُوع
مَضَوْا قَتْلا وتمزيقًا وصلْبا ... تحُومُ عليهمْ طيرٌ وُقُوع
إذا ما الليلُ أظلمَ كابَدُوهُ ... فَيُسْفِر عنهمُ وهُمُ رُكُوع
أطارَ الخوفُ نومَهمُ فقاموا ... وأهلُ الأمن فى الدنيا هُجُوع

* * *

وقال عِمْرانُ بن حِطَّانَ:

يا عَين بَكّى لِمرداسٍ وَمَصْرَعِه ... يا رَبّ مرداسٍ اجْعَلْنى كمِرْداس
تركتنى هائما أبكى لِمَرْزئتى ... فى منزل مُوحشٍ من بعد إيناسِ
أنكرتُ بعدكَ من قد كُنتُ أعرفُه ... ما الناسُ بعدكَ يا مِرْداسُ بالناسِ
إمَّا شَرِبْتَ بكأسٍ دارَ أوّلُها ... على القُرون فذَاقُوا جرْعةَ الكاس
فكلُّ مَنْ لم يذُقها شاربٌ عَجِلا ... منها بأنفاسٍ ورْدٍ بَعْدَ أنفاس

[عباد بن أخضر المازنى]

قال أبو العباس: ثم إنَّ عَبَّاد بن أخْضَرَ المازنىّ لبثَ دهرًا فى المصْر، موصوفًا بما كان منه، فلم يَزَلْ على ذلك حتى ائْتَمَرَ به جماعة من الخوارج أن يَفْتكُوا به، فذَمَرَ بعضُهم بعضًا على ذلك[1]، فجلسوا له فى يومِ جمعةٍ، وقد أقبل على بغلةٍ

(١) دمره: لامه.

له، وابنهُ رَديفه. فقام إليه رجلٌ منهم، فقال: أسألُك عن مسألة، قال: قل. قال: أرأيتَ رجلاً قتَلَ رجلا بغير حقٍّ، وللقـاتلِ جاهٌ وقَدْرٌ وناحيةٌ من السلطان، ألولِّيِّ ذلك المقتـول أن يَفْتُكَ به إنْ قـدَرَ عليه؟ قـال: بل يَرْفَعُه إلى السـلطان، قال: إنَّ السلطانَ لا يُعْدى عليه لمكانه منه وعظم جاهه عـنده. قال: أخافُ عليه إنْ فَتكَ به فَتَكَ به السلطانُ، قال: دَعْ مـا تخافُه من ناَحية الـسلطان، أتَلْحقهُ تَبِعةٌ فـيما بينَه وبيَن الله؟ قال: لا. قال: فَحكَّمَ هو وأصحابُه وخَبَطوه بأسيافهم. ورَمَى عبَّادٌ ابنَهُ فَنَجا، وتنادى الناسُ: قُتِلَ عبادٌ! فاجتَـمعَ الناسُ فأخَذُوا أفواهَ الطُّرُق، وكان مَقْتَلُ عبَّاد فى سكة بنى مازن عند مسجد بنى كُلَيْب ـ فجاء مَعْبَد بن أخْضَرَ ـ أخو عبَّاد وهوً معبدُ بن عَلْقمـة، وأخضرُ زوجُ أمهما، فى جماعـة من بنى مازن، فصاحُوا بالناس: دَعُونـا وثَأْرَنَا. فأحْجَمَ الناس وتـقَدَّمَ المازنيُّون، فـحاربوا الخَـوارجَ حتى قتلوهم جمـيعًا، لم يُفْلِتْ منهم أحدٌ إلا عُـبيدة بن هلالٍ. فإنه خَرَقَ خُـصًّا ونَفذ منه. ففى ذلك يقول الفرزدق:

لقـد أدْرَكَ الأوْتَارَ غـيـرَ ذَمـيـمـة ... إذا ذُمَّ طُلابُ التـراث الأخَـاضـر
هُمُ جَرَّدُوا الأسْياف يومَ ابنِ أخْضَرَ ... فنالوا التـى مـا فَـوْقَـهـا نَالَ ثَائرُ
أقَادُوا بـه أُسْدًا لهـا فى اقْتِـحَامِـهاَ ... إذا بَرَزَتْ نحو الحـروبِ بَصائرُ(١)

ثم ذَكر بنى كُلَـيْبٍ، لأنه قُتِلَ بحضـرةِ مسجـدهم ولم ينصروه، فـقال فى كلمته هذه:

كـفـعل كُلَيْب إذْ أَخَلَّتْ بجـارهَا ... ونَصْرُ اللئيم مُـعْتمٌ وهو حَاضر(٢)
ومـَـا لـكُلَيْبٍ حين تُـذْكَــر أوَّلٌ ... ومــا لكلَيْب حين تُـذكـرُ آخِــرُ

وقال معبد بن أخْضَر:

سـأحْـمِى دِمـاءَ الأخْـضَـرِيِّينَ إنه ... أبى النَّاسُ إلا أن يقولوا ابنُ أخْضَرَا

[عروة بن أدية]

وكان مقتلُ عبَّاد وعبيدُ الله بن زياد بالكوفـة، وخليفتُهُ على البصرة عُبَيدُ الله ابن أبى بَكْرةَ. فكتبَ إليه يأمره ألا يَدَعَ أحدًا يُعْرَفُ بهذا الرأى إلا حَبَسه وجَدَّ فى

(١) أقادوا أسدا. قتلوهم به.

(٢) يقال: اعتم الرجل فى الشىء؛ إذا أبطأ فيه.

طلبه. ممن تَغَيَّبَ منهم. فجعل عُبيد الله بن أبى بَكْرَةَ يَتتبَّعهُمْ فيأخذُهم، فإذا شُفِعَ إليه فى أحدٍ منهم كَفَّلَه إلى أن يَقْدَمَ ابنُ زياد، حتى أُتِىَ بعُروَةَ بن أُدَيَّةَ فأطلقه، وقال: أنا كَفِيلُك، فلما قَدِمَ عبيدُ الله بن زيادٍ أخذ مَنْ فى الحبس[1] منهم فقتلَهم جميعًا، وطلب الكُفلاء بمن كَفَلوا به منهم، فكلُّ مَنْ جاءه بصاحبه أطلقه، وقتَلَ الخارجىَّ، ومن لم يأت بمن كفَلَ به منهم قَتَلَهُ، ثم قال لعُبيْد الله بن أبى بكْرَةَ: هات عرْوَةَ بنَ أُدَيَّةَ، قال: لا أَقْدرُ عليه. قال: إذا والله أَقْتُلُكَ فإنك كفيلُه، فلم يَزَل يطْلُبُهُ حتى دُلَّ عليه فى سَرَبَ[2] العلاء بن سُوَيَّةَ المِنْقَرِىِّ، فكتب بذلك إلى عُبيد الله بن زِيادٍ، فقرأ عليه الكاتب: إنا أصبْنَاهُ فى شَرْبٍ.

فَتَهانَفَ به عُبيدُ الله بن زياد، وكان كثير المحاورة، عاشقًا للكلام الجيِّد، مستحسنًا للصوابِ منه؛ لا يزال يبحثُ عن عُذْرِه، فإذا سَمع الكلمةَ الجيِّدَةَ عَرَجَ عليها. ويُرْوَى أنه قال فى عَقَب مقتل الحسين بن علىٍّ عليه السلامُ لزينبَ بنت علىٍّ رحمهما الله - وكانت أسنَّ مَنْ حُمِل إليه منهنَّ، وقد كلَّمَتْه فأفصحتْ وأبلغتْ، وأخذتْ من الحجّة حاجتها - فقال لها: إنْ تكونى بلغتِ من الحجة حاجتَكَ فقد كان أبوكِ خطيبًا شاعرًا. فقالت: ما للنساء والشعر[3]! وكان مع هذا ألْكَنَ يَرْتَضِخُ[4] لغة فارسية. وقال لرجلٍ مَرَّةً واتهمَه برأى الخوارج: أهَرُورِىٌّ مُنْذُ اليومِ!

رجع الحديث:

فقال للكاتب: صَحَّفتَ والله ولَؤُمْتَ، إنما هو «فى سَرَبِ العَلاء بن سُوَيَّةَ». ولَوَدِدْتُ أنه كان ممن يشربُ النبيذَ.

فلمَّا أقيمَ عُرْوَةَ بن أُدَيَّةَ بين يديه حاوَرَه. وقد اخْتُلف فى خبره[5]، وأصَحُّه عندنا أنه قال له: لقد[6] جَهَّزْتَ أخاكَ علَىَّ. فقال: والله لقد كنت به ضنينًا. وكان لى عِزًّا، ولقد أردت له ما أُرِيدُ[7] لنفسى، فعزم عَزْمًا فمَضَى عليه، وما

(1) ر: «السجن».
(2) السرب: الطريق والمسلك.
(3) س: «وللشعر».
(4) يرتضخ: يميل إليها فى نطقه.
(5) ر: «وقد اختلف الناس فى خبره».
(6) كلمة «لقد» ساقطة من ر.
(7) ر: «ما أريده».

أحبُّ لنفسي إلا المقامَ وتركَ الخروج، قال له: أفأنتَ على رأيه؟ قال: كنَّا[1] نعبدُ ربًّا واحدًا، قال: أمَا لأَمثِّلَنَّ بك! قال له: اخترْ لنفسك من القصاص ما شئتَ. فأمر به فقَطعوا يديه ورجليه، ثم قال له: كيف ترَى؟ قال: أفسدتَ عليَّ دنْياىَ وأفسدتُ عليكَ آخرتك، ثم أمر به فقتلَ، ثم صلب على باب داره، ثم دعَا مولاه فسأله عنه، فأجابه جوابًا قد[2] مضى ذكْرُه.

* * *

قوله: «فَتَهانَفَ». حقيقته تَضاحَكَ به ضَحِكَ هُزْءٍ. وقال ابنْ أبى رَبيعةَ المخزوميُّ:

لقد قالتْ لجارات لها	وتَعَرَّتْ ذات يوم تبْترد
أكَمَّا يَنْعتُنى تُبْصِرْننى	عَمْرَكُن اللهَ أم لا يَقْتصدْ!
فتهانفْنَ وقد قُلْنَ لهَا	حَسَنٌ فىْ كلِّ عينٍ مَنْ توَدْ
حَسَدٌ حُمِّلْنَهُ من أجلها	وقَديمًا كان فى الناسِ الحسَدْ

[أمر زياد مع الخوارج]

وكان عُبيد الله لا يُلبثُ الخوارج، يحبسهم تارةً وَيقْتُلهم تارةً، وأكثرُ ذلك يَقْتُلهم، ولا يتغافلُ عن أحدٍ منهم، وسببُ ذلك أنه كان أطلقهم من حبس زيادٍ لـمَّا وُلِّى بعدَه، فخرجوا عليه.

فأما زيادٌ فكان يقتل المُعْلنَ ويَسْتَصْلحُ المُسرَّ، ولا يُجَرِّدُ السيف حتى تزول التّهْمَة. ووَجَّهَ يوما بُحَيْنَةَ بنَ كُبَيْشٍ الأعْرَجِىَّ إلى رجل من بنى سعدٍ يَرى رأْىَ الخوارجِ، فجاءه بُحَيْنَةُ فأخذه. فقال: إنى أريد أن أُحْدثَ وضوءًا للصلاة، فدَعْنى أدخلْ منزلى[3]. قال: ومَنْ لى بخروجك؟ قال: اللهُ عز وجل. فتركه. فدخل فأحدث وُضوءًا ثم خرج، فأتى به بُجَيْمَنَةُ زيادًا، فلما مَثَلَ بين يديه ذكر اللهَ زيادٌ، ثم صلّى على نبيه، ثم ذكرَ أبا بكر وعمرَ وعثمانَ بخير، ثم قال: قعدت عنِّى فأنكرتْ ذلك، فذكرَ الرجلُ ربَّه فَحَمدَهُ، ثم ذكَرَ النبىَّ عليه السلام، ثم ذكَرَ

---

(١) ر « كلنا ». (٢) ساقطة من ر.

(٣) ر: « أدخل إلى منزلى ».

أبا بكر وعمرَ بخير، ولم يذكر عثمان، ثم أقبلَ على زياد فقال: إنك قد قلتَ قولا فَصَدَّقْهُ بفعلك، وكان من قولك: ومَنْ قَعَد عنَّا لم نَهِجْهُ. فقعدتُ. فأمر له بصلة وكسوةَ وحملان، فخرج الرجلُ من عند زيادٍ وتلقاه الناسُ يسألونه، فقال: ما كُلُّكم أستطيعُ أن أخبره، ولكنى دخلتُ على رجلٍ لا يملك ضرًّا ولا نفعًا لنفسه، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فَرزقَ اللهُ منه ما تَرَوْنَ.

* * *

وكان زيادٌ يبعثُ إلى الجماعة منهم فيقول: أأحسبُ الذى يمنعكم من إتيانى إلا الرُّجْلَة(١). فيقولون: أجَل، فيحملهم، ويقول: اغْشَوْنى الآن واسْمُرُوا عندى. فبلغَ ذلك عمرَ بن عبد العزيز، فقال: قاتل اللهُ زيادًا! جَمعَ لهم كما تَجْمَعُ الذَّرَّةُ(٢)، وحاطَهم كما تَحُوط الأمُّ البَرَّة، وأصلَح العِرَاقَ بأهل العراق، وتَرَك أهلَ الشام بشأمِهم(٣)، وجَبَى العراقَ مائةَ ألفِ ألفٍ وثمانيَة عشَرَ ألفِ ألفٍ.

* * *

قال أبو العباس: وبلغَ زيادًا عن رجل يُكْنَى أبا الخير، من أهل البأس والنَّجْدة، أنه يَرَى رأى الخوارج، فدعاه فولاهُ جُنْدَىْ سابور وما يَلِيها، ورزَقَه أربعةَ آلافِ درهمٍ فى كل شهر، وجعل عُمالَتَهُ فى كل سنةٍ مائة ألف، فكان أبو الخير يقولَ: ما رأيتُ شيئًا خيرًا من لزوم الطاعةِ والتقلُّبِ بين أظهُر الجماعة! فلم يزل واليًا حتى أنكر منه زيادٌ شيئًا. فَتَنَمَّر لزيادٍ فحبسه، فلم يَخرجه من حبسه حتى مات.

[الرهين المرادى وشعره]

وقال الرُّهَيْنَ ـ وكان رجلا من مُرَاد، وكان لا يَرَى القعودَ عن الحرب، وكان فى الدُّهاء والمعرفةِ والشعرِ والفقه بقول الخوارج، بمنزلة عِمْرَانَ بن حِطَّانَ، وكان عمرانُ بنَ حطانَ فى وقته شاعرَ قَعَدِ الصُّفْرِيَّة ورئيسَهم ومفتيَهُم.

(١) الرجلة : المشى على الرجلين .

(٢) الذرة : واحدة الذر ؛ وهو النمل الصغار .

(٣) ر : « فى شأمهم » .

وللزُّهَيْن المرادىِّ ،ولعمرانَ بن حطَّانَ مسائلُ كثيرة من أبواب العلم فى القرآن والآثار، وفى السِّيَر والسُّنَن، وفى الغَريب، وفى(١) الشعر، نذكر طَريفَها إن شاء الله . قال المرادىُّ :

يا نَفْس قدْ طال فى الدنيا مُرَاوَغَتى لا تأمَنَنَّ لصَرْف الدهْرِ تنقيصَا(٢)
إنِّى لَبائعُ ما يَفْنَى لباقية إن لَمْ يَعُقْنى رجاءُ العيشِ تَرْبيصَا(٣)
وأسألُ الله بَيْعَ النفس محْتَسِبًا حتى ألاقِىَ فى الفِرْدَوْسِ حرقوصَا

ـ [قال الأخْفَشُ : حرقوصٌ : ذو الثُّدَيَّة] .

وابن المَنيح ومِرْداسًا وإخْوَتَهُ إذ فارقوا زَهْرة الدنيا مَخاميصَا(٤)

قال أبو العباس : وهذه كلمة له ، وله أشعارٌ كثيرةٌ فى مذاهبهم.

* * *

وكان زيادُ ولَّى شَيْبانَ بن عبد الله الأشعرىَّ صاحبَ مَقْبُرَة بنى شيبان باب عثمانَ وما يليه، فجَدَّ فى طلب الخوارج وأخافَهم، وكانوا قد(٥) كَثُروا، فلم يَزَلْ كذلك حتى أتاه ليلةً ـ و هو متكئٌ بباب داره ـ رجلان من الخوارج، فضرباه بأسيافهما فقتلاه، وخرَج بَنُون له للإغاثة فقُتلوا، ثم قَتَلهما الناسُ. فأُتِىَ زيادٌ بعدَ ذلك برجل من الخوارج. فقال: اقتلوهُ مُتَّكِئًا كما قُتِل شيبانُ متكئًا. فصاح الخارجىُّ: يا عَدْلاهُ! يَهْزَأُ به.

فأمَّا قولُ جرير :

ومِنَّا فَتَى الفِتْيانِ والبأسِ مَغْفَلٌ ومنَّا الذى لاقى بدِجْلَةَ مَعْقلا

فإنه أراد مَعْقِلَ بن قَيسٍ الرِّيَاحِى، ورِياحٌ بن يربوعٍ، وجريرٌ من كُلَيْبِ بن يربوعٍ.

وقولُه:

* ومنَّا الذى لاقى بِدِجلة مَعْقِلا *

(١) ر · « والشعر » .
(٢) ر . س : « تنعبصا » .
(٣) التربيص . الانتظار .
(٤) المخاميص : جمع مخماص ، وهو الضامر البطن .
(٥) ساقطة من ر .

يريدُ المسْتَوْرِدَ التَّيمِىَّ، وهو من بنى تَيْمِ[1] بن عبد مَنَاةَ بن أدٍّ، وتميمُ بنُ مُرةَ ابن أدٍّ .

وأمّا قولُ ابن الرُّقيات :

والذى نَغّصَ ابنَ دَوْمَةَ ماتُو حى الشياطين والسيوف ظماء
فأباحَ العراقَ يَضْربُهم بالسَّيفِ صَلْتاً وفى الضِّرَابِ غِلاءُ[2]

فإنما يريدُ بابنِ دَوْمَةَ المختار بنَ أبى عُبيد الثَّقفىَّ، والذى نَغّصَهُ مصْعَب بن الزبير، وكان المختارُ لا يُوقَفُ له على مذهبٍ. كان خارجيًّا، ثم صار زُبَيْرِيًّا، ثم صار رافضيا فى ظاهره.

وقوله: « ما تُوحى الشَّياطينُ»، فإنَّ المختارَ كان يَدَّعى أنه يُلْهَمُ ضرباً من السِّجَاعة[3] لأمورٍ تكونُ، ثم يحتالُ فيوقعُها، فيقولُ الناس: هذا من عند الله عزَّ وجَلَّ.

فمن ذلك قوله ذات يومٍ: لَتَنْزِلَنَّ من السماء نارٌ دَهْمَاءُ، فَلَتُحْرِقَنَّ دارَ أسماء. فَذكرَ ذلك لأسماءَ بن خارجةَ، فقال: أقد سَجَعَ بى أبو إسحاقَ! هو والله مُحْرِقٌ دارِى! فتركه والدار وهربَ من الكوفة.

وقال فى بعض سجعه: أمَا والذى شَرَعَ الأديان، وجَنَّبَ الأوثانَ، وكَرَّهَ العصْيان، لأقتلنَّ أزْدَ عُمانَ، وجُلَّ قيسِ عَيْلانَ، وتميما أولياءَ الشيطان، حاشا النَّجيبَ ظَبْيَان! فكان ظبيانُ النجيبُ يقول: لم أزَلْ فى عُمْرِ المختار أتقلَّبُ آمِناً.

[المختار بن أبى عبيد وبعض أخباره]

ويُروى أن المختارَ بن أبى عُبيد ـ حيث كان والياً لابن الزبير على الكوفة ـ اتَّهمَه ابنُ الزبير، فولى رجلا من قريش الكوفة، فلما أطَلَّ قال لجماعة من أهلها: اخرُجُوا إلى هذا المغرور فُردُّوه، فخرجوا إليه، فقالوا: أين تُريد؟ والله لئن دخلتَ الكوفةَ ليقتلنَّكَ المختار، فرجع.

---

(١) ر : « من تميم » .

(٢) الصلت : الماضى فى الشىء . والغلاء : مجاوزة القدر فى كل شىء .

(٣) السجاعة : صناعة السجع .

وكتب المختارُ إلى ابن الزبير: إن صاحبَك جاءنا فلما قاربَنا رجع، فما أدْرى ما الذى ردَّهُ! فغضب ابن ُالزبير على القُرشىّ وعَجَّزهُ وردَّه إلى الكوفة، فلَما شارفها قال المختارُ: اخرجوا إلى هذا المغرور فردوه، فخرجوا إليه، فقالوا: إنه والله قاتلك فرجع، وكتب المختار إلى ابن الزبير بمثل كتابه الأول، فلامَ القرشىَّ، فلما كان فى الثالثة فَطِنَ ابنُ الزبير، وعَلمَ بذلك المختارُ، وكان ابنُ الزبير قد حَبَسَ محمدَ بن الحَنفية مع خمسةَ عشرَ رجلا من بنى هاشم، فقال: لَتُبَايِعُنَّ أو لأحْرِقَنَّكم، فأَبَوْا بَيْعَتَه، وكان السجنُ الذى حبسهم فيه يُدْعَى سجن عارِمٍ، ففى ذلك يقول كُثَيِّرٌ:

تُخَبِّرُ مَن لاقيتَ أنك عائذٌ ... بل العائذُ المظلومُ فى سجن عارِمِ
ومَنْ يَلْقَ هذا الشيخَ بالَخْيفِ من منى ... منَ الناس يَعْلَمْ أنه غيرُ ظالمِ
سَمِىُّ النبى المصطفى وابن عمه ... وفكّاكُ أغلال وقاضى مَغارمِ

وكان عبدُ الله بن الزبير يُدْعَى العائذ، لأنه عاذ بالبيت، ففى ذلك يقولُ ابن الرُّقَيَّات يَذْكُرُ مُصْعَباً:

بَلَدٌ تأمن الحمامةُ فيه ... حيثُ عاذَ الخليفةُ المظلومُ

وكان عبدُ الله يُدْعى المُحِل، لإحلاله القتالَ فى الحَرَمِ، وفى ذلك يقولُ رجلٌ فى رَمْلَة بنت الزبير:

ألا مَنْ لِقَلْبٍ مُعَنَّى غَزِلْ ... بِذِكْرِ المُحِلَةِ أُخْتِ المْحِلْ

وكان عبدُ الله بن الزبير يُظْهِرُ البغض لابن الحنفيّة إلى بُغْضِ أهله، وكان يَحْسُدُهُ على أَيْدِه(١)، ويقال: إن عليًّا استطال درْعاً فقال: لِيُنْقَصْ منها كذا وكذا حَلْقةً، فقَبَض محمدُ بن الحنفية بإحدى يديه على ذيلها، وبالأخرى على فَضلها، ثم جَذَبها فقَطعه من الموضع الذى حَدَّه أبوه، فكان ابنُ الزبير إذا حُدِّثَ بهذا الحديث غضب واعتراه له أَفْكَلٌ(٢).

فلما رأى المختارُ أن ابنَ الزبير قد فَطِن لما أراد كتب إليه: من المختار بن أبى عُبيدٍ الثّقفىّ خليفة الوصى محمد بن علىٍّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن أسماءَ. ثم

---

(١) الأيد : القوة . (٢) الأفكل : اسم للرعدة تعلو الإنسان .

ملأ الكتاب بسبِّه وسبِّ أبيه. وكان قَبْلَ ذلك فى وقت إظهاره طاعةَ ابن الزبير يَدُسُّ إلى الشّيعة، ويُعْلمهُم مُوالاتَه إياهم، ويُخبرُهم أنه على رأيهم وحَمْد مذاهبِهم، وأنه سيُظهر ذلك عمَّا قليلٍ، ثم وَجَّهَ جماعة تسيرُ الليل وتكْمُنُ النهارَ، حتى كسروا سجنَ عارمٍ واستخرجوا منه بنى هاشمٍ، ثم ساروا بهم إلى مأمَنِهِمْ.

وكان من عجائب المختار أنه كتب إلى إبراهيم بن مالك الأشْتَر يسأله الخروجَ إلى الطَّلَبِ بدم الحَسين بن على رضى الله عنهما، فأبى عليه إبراهيمُ إلاَّ أن يستأذن محمدَ بن على بن أبى طالب، فكتب إليه يستأذنه(١ فى ذلك١)، فعلم محمد أن المختار لا عقد له. فكَتَب محمدٌ إلى إبراهيمَ بن الأشْتَر: إنه ما يَسوءُنى أن يأخُذَ اللهُ بحقِّنا على يَدَىْ مَنْ شاء(٢) من خلقه. فخرج معه إبراهيمُ بن الأشترِ، فوجهه(٣) نحوَ عُبيد الله بن زياد. وخرج يُشَيِّعهُ ماشياً، فقال له إبراهيمُ: اركبْ يا أبا إسحاقَ! فقال: إنى أحِبُّ أن تغبَرَّ قَدَمایَ فى نصرة آلِ محمد ﷺ.

فشيَّعه فرسخين، ودَفَعَ إلى قومٍ من خاصَّته حَماماً بيضاً ضِخاماً، وقال: إن رأيتم الأمرَ لنا فَدَعُوها، وإن رأيتم الأمرَ علينا فأرْسِلُوها، وقال للناس: إن استقمتم فَبنَصْرِ الله، وإن حصتُمْ حَيْصة(٤) فإنِّى أجِدُ فى محكمِ الكتابِ، وفى اليقين والصوابِ، أنَّ اللهَ مُؤَيِّدُكم بملائكةٍ غِضَابٍ، تأتى فى صورِ الحَمَامِ دُوَين السحاب.

فلما صار ابنُ الأشتر بخَازِرَ(٥) وبها عُبَيْدُ الله بن زياد. قال: من صاحبُ الجيشِ؟ قيل له: ابنُ الأشترِ، قال: أليس الغلامَ الذى كان يُطيرُ الحمامَ بالكوفة؟ قالوا: بلى، قال: ليس بشىء، وعلى مَيْمنة ابن زياد، حُصَيْنُ(٦) بن نُمَيرٍ السكُونىُّ من كِنْدةَ ـ ويقال السَّكُونىُّ السُّكُونِىُّ، والسَّدُوسىُّ والسُّدُوسىُّ، كذا كانَ أبو عبيدة يقول.

[قال أبو الحسن : السُّكْوبُّى أكثر](٧) ، وعلى ميسرته عُمير بن الحباب فارسُ الإسلام .

(١-١) ساقط من ر .
(٢) ر : « من يشاء » .
(٣) ر . « فتوجه » .
(٤) حصتم حيصة : ذهبتم تطلبون الفرار .
(٥) خارر : نهر بين إربل والموصل .
(٦) ر : « حضين » ، وما أثبته عن الأصل .
(٧) ما بين العلامتين من زيادات ر .

فقال حُصَيْنُ بنُ نُمَيْرٍ لابن زياد: إنَّ عميرَ بنَ الحبَاب غيرُ ناسٍ قَتْلَى المَرْج(١). وإنى لا أثِقُ لك به. فقال ابْنُ زياد: أنتَ لى عدوٌّ، قال حُصَيْنٌ: ستعلمُ.

قال ابنُ الحُبَاب: فلما كان الليلة التى يُريد أن نَوَاقِعَ ابنَ الأشْتَرِ فى صبيحتها خرجتُ إليه، وكان لى صديقاً، ومعى رجلٌ من قومى، فصرتُ إلى عسكره. فرأيته وعليه قميصٌ هَرَوِىٌّ(٢) ومُلاءَةٌ، وهو متوشح(٣) السيف يَجُوسُ عسكره فيأمر فيه وينْهى، فالْتزَمْتُه من ورائه، فوالله ما الْتَفتَ إلىّ ولكن قال: مَنْ هذا؟ فقلتُ: عُمير بن الُحبَاب، فقال: مرحباً بأبى المُغلِّسِ، كُنْ بهذا الموضع حتى أعودَ إليك، فقلت لصاحبى: أرأيتَ أشْجَعَ من هذا قط! يحتضنه رجلٌ من عسكر عدوِّه، ولا يدرى من هو؟ فلا يلتفتُ إليه! ثم عاد إلىَّ وهو فى أربعة آلاف، فقال: ما الخبرُ؟ فلت: القومُ كثيرٌ، والرأىُ أن تُناجزَهم، فإنه لا صبرَ بهذه العصابة القليلة على مُطاولة هذا الجمع الكثير، فقال: نصبحُ إن شاء الله ثم نحاكمهم إلى ظُبَات السيوف وأطراف القَنَا، فقلت: أنا مُنْخَزِلٌ عنكَ بثُلُث الناس غداً.

فلما الْتَقوا كانت على أصحاب إبراهيمَ فى أول النهار، فأرسلَ أصحابُ المختار الطير، فتصايحَ الناسُ: الملائكة! فتراجعوا، ونكَّسَ عميرُ بن الحُبَاب رايَتَهُ، ونَادَى: يا لَثَأرَات المَرْج! وانخزَل بالَميْسَرَة كلِّها، وفيها قَيْسٌ فلم يَعْصُوهُ، واقتتل الناسُ حتى اختلَطَ الظلامُ وأسرع القتلُ فى أصحاب عُبيد الله بن زياد. ثم انكشفوا ووُضعَ السيفُ فيهم حتى أفنوا، فقال ابنُ الأشْتَر: لقد ضربتُ رجلًا على شاطئ هذا النهرِ فرجع إلىَّ سيفى، فيه(٤) رائحةُ المسك. ورأيتُ إقْدَاماً وجُرْأةً، فصرعتُه فذهبتْ يداه قِبلَ المشرق، ورجلاه قِبَلَ المغرب، فانظُرُوا.

فأتوْه بالنِّيران، فإذا هو عُبيد الله بن زيادٍ.

***

وقد كان عند المختار كُرسىٌّ قديمُ العهد. فَغَشَّاهُ بالدِّيباج، وقال: هذا الكرسى من ذخائر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه . فضعوه فى

---

(١) قتلى المرج، يريد مرج راهط، وقد قتلت يوم ذلك قبائل قيس مقتلة لم تر مثلها .قاله المرصفى .
(٢) هروىٌّ . منسوب إلى هراة إحدى مدن خراسان .
(٣) ر : «متشح » . (٤) ر : « ومنه » .

بَرَاكاء الحـربِ، وقاتلوا عليه، فـإنَّ مَحلَّه فيكـم مَحَلُّ السَّكينة فى بنـى إسرائيل. ويقال إنه اشترى ذلك الكرسىَّ من نجَّارٍ بدرهمين[1].

وقوله: « فى بَرَاكاءِ القتال » ويقـال: بَرَاكاءُ وبَرُوكاءُ، وهو موضعُ اصطِدَامِ القومِ، وقال الشاعرُ[2]:

ولـيـس بمُنْـفِـــذٍ لك مـنـه إلا بَـراكـــاءُ القـتـــالِ أو الـفِـــرَارُ

وهذا بابـ[3] اللام التى للاستغاثة والتى للإضافة

إذا استـغـثـتَ بواحـد أو بجـماعةٍ فـاللامُ مفتـوحـةٌ. تقول: يا لَلِّـرجالِ، ويالَلقوم، ولَزَيد! إذا كانتَ تدعوهم.

وإنما فتحـتَها لتَفْصِل بـين المَدْعُوِّ والمدعو له، ووجب أن تَفْتَـحَها لأن أصلَ اللامِ الخافضَة إنما كـان الفتحَ، فكُسِرَت مع الُمظْهَرِ ليفصَلَ بينهـا وبين لامِ التوكيد، تقول: إنّ هذَا لزَيْدٌ. إذا أردت: إنَّ هذا زَيْدٌ. وتقول: إنّ هذا لزيدٍ. إذا أردتَ أنه فى مِلْكِه. ولو فَتَحْتَ لالتَبَسا[4].

فإن وقعت اللام على مضمر فتحتها على أصلها، فقلتَ: إن هذا لَكَ. وإن هذا لأنْتَ، إذا أردتَ لام التوكيد ليس هاهنا لَبْسٌ. وذاك أنَّ الأسماء المضمرةَ على غير لفظ الُمظْهَـرةِ. فلهذا أجْرَيْتَها على الأرضِ، والاستغـاثةُ تَرُدُّها إلى أصلها من أجل اللَّبْسِ.

والمدعـوُّ له فى بابه. فـاللامُ مـعه مكـسورة. تقـولُ: يا لِلـرِّجَالِ للمـاء ! ويالِلرِّجالِ للعَجَبِ ويا لزَيد للخَطْبِ الجليلِ ! قال الشاعرُ:

يا لِـلرجَـالِ لِـيَـومِ الأربـعـاء أمـا يَنْفَك يبـعث لى بعد الـنبّى طربَا[5]

---

(١) ر: «بدرهمين من بخار».

(٢) حاشية الأصل: « البيت لبشر بن خازم » ويروى:

* ولا ينجى من الغمرات إلا *

(٣) ر: « هذا ».

(٤) ر: « لالتبستا ».

(٥) لعبد الله بن مسلم بن جندب الهذلى.

وقال آخر :

تَكَنَّفَنى الوشاةُ فَأزعجونى فيا لِلنّاس للواشى المطاعِ[1]

وفى الحديث لَمَّا طَعَنَ العِلْجُ ـ أو العبدُ ـ عمرَ بن الخطاب رضوان الله عليه صاح: يالله يا لَلْمسلمين !

وتقولُ : يا لَلْعَجَبِ، إذا كنتَ تدعو إليه، و «يا» لِغَيْرِ العَجَبِ، كأنكَ قلتَ: يا لَلنَّاس للعَجَب. ويُنْشَدُ هذا البيتُ :

يا لَعْنةُ اللهِ والأقوامِ كلِّهِمِ والصالحينَ على سِمْعانَ من جارِ[2]

فيَا لغير اللعنة، كأنه قال: يا قوم لعنةُ اللهِ والأقوامِ كلِّهم.

وزَعَمَ سيبويه أنَّ هذه اللامَ التى للاستغاثة دليل، بمنزلة الألف التى تَبين بالهاء فى الوقف إذا أردتَ أن تُسمِع بعيداً. فإنما هى للاستغاثة بمنزلة هذه اللامِ. وذلك قولك : يا قَوْماهْ! على غيرِ النُدْبَة، ولكن للاستغاثة ومَدِّ الصوت.

والقولُ كما قال. محلّهما عند العرب محلٌّ واحدٌ. فإذا وصلتَ حذفتَ الهاءَ، لأنها زيدَتْ فى الوقف لخفاء الألف. كما تَزادُ لبيان الحركة، فإذا وصلتَ أغْنَى ما بعدَها عنها. تقولُ: يا قَوْمَا تعالَوْا . ويا زيدا لا تفْعلُ. ولا يجوزُ أن تقولَ: يا لَزَيْد وهومُقْبلٌ عليكَ. وكذلك لا يجوزُ أن تقول: يا زَيْداه وهو معك، إنما يقال ذلكَ للبعيد أو يُنَبَّه به النائمُ.

فإن قلتَ: يا لَزَيد ولعمرو، كسرتَ اللامَ فى «عمرو» وهو مَدْعُوٌّ، لأنك إنما فتحت اللامَ فى «زيد» لتفصل بين المَدْعُوِّ والمدعو إليه، فلما عطفت على «زيدٍ» استغنيت عن الفصل، لأنك إذا عطفت عليه شيئاً صار فى مِثْل حاله.

ونظيرُ ذلك الحكايةُ ، يقول الرجلُ: رأيتُ زيداً، فتقولُ: مَنْ «زيداً»؟ وإنما حكيتَ قولَه ليَعْلَمَ أنك إنما تستفهمُهُ عن الذى ذكَرَ بعينه، ولا تسألُه عن زيد غيره، والموضعُ موضعُ رفعٍ، لأنه ابتداءٌ وخبرٌ، فإن قلت: ومَنْ زيدٌ؟ أو فمنْ زيدٌ؟ لم يكن إلا رفعاً ، لأنك عطفتَ على كلامه، فاستغنيتَ عن الحكاية، لأن العطفَ لا يكونُ مستأنَفاً.

---

(١) نسبه المرصفى إلى قيس بن ذريح وقبله :

فواكبدى وعاودنى رداعى وكان فراق لبنى كالخداع

(٢) سمعان . بفتح السين وكسرها. وكلاهما صحيح.

ونَظِيرُ هذا الذى ذكرتُ لك فى اللام قولُ الشاعرِ :

يَبْكِيكَ نَاءٍ بَعِيدُ الدَّارِ مُغْتَرِبٌ ... يَا لَلْكُهُولِ وَلِلشُّبَّانِ لِلعَجَبِ !

فقد أحْكَمْتُ كلَّ ما فى هذا الباب.

ثم نعود إلى ذكر الخوارج

[خالد بن عباد السدوسى]

قال أبو العباس : وذُكِرَ لعُبَيْدِ الله بن زيادٍ رجلٌ من بنى سَدُوسٍ، يقال له خالدُ بن عَبَّاد ـ أو ابن عُبادة ـ وكانَ من نُسَّاكهم، فَوجَّهَ إليه فأخذَه. فأتاه رجلٌ من آل ثَوْر، فكَذَّبَ عنه. وقال: هو صِهرِى وهو فى ضِمْنِى. فَخَلَّى عنه. فلم يَزَل الرجلُ يَتَفَقَّدُه حتى تَغَيَّب، فأتى ابنَ زيادٍ فأخبره ، فَبَعَثَ إلى خالد بن عَبادٍ فأُخذَ، فقال عُبيد الله بن زياد: أين كنتَ فى غَيْبَتِك هذه؟ قال: كنتُ عند قوم يَذْكُرونَ اللهَ ويذكرون أئمةَ الْجَورِ فيَتَبَرَّءونَ منهم! قال: ادللنى عليهم[1]، قال: إذَنْ يَسْعَدُوا وتَشْقَى. ولم أكُن لأُرَوِّعهُمْ!

قال: فما تقولُ فى أبى بكرٍ وعمرَ؟ قال: خيراً. قال: فما تقولُ فى أمير المؤمنين عثمانَ، أتَتَولاَّه وأمير المؤمنين معاوية؟ قال: إن كانا وليَّيْنِ لله فلستُ أُعاديهما ، فأَرَاغَهُ مراتٍ فلم يرجع، فعزَمَ على قتله، فأمر بإخراجه إلى رَحْبَةٍ[2] تُعرف برَحْبَة الزَّيْنَبى.

فجعل الشُّرَط يتَفَادَوْنَ منْ قتله، ويَرُوغُونَ عنه توَقِّياً، لأنه كان شَاسفاً[3] عليه أثَرُ العبَادَة، حتى أتى الْمُثَلَّمُ بنُ مَسْرُوح الباهلىُّ، وكان من الشُّرطِ، فتقدَّم فقتله، فأتمَر به الخوارجُ ليقتلوه، وكا مُغْرماً باللِّقاح[4] يَتَتَبَّعُها[5] فيشتريها من مَظَانِّها. وهم فى تَفَقُّدِه فدسُّوا إليه رجلا فى هيئة الفتْيان. عليه رَدْعُ زعفرانٍ[6].

---

(١) ر : « دلنى عليهم » .

(٢) الرحبة : الفجوة الواسعة بين الدور .

(٣) الشاسف : اليابس من الهزال .

(٤) اللقحة : الناقة التى لها لبن .

(٥) ر : « يتتبعها » .

(٦) الودع : اللطخ بالطيب والزعفران.

فلَقيه بالمِرْبَد[1] وهو يسأل عن لقْحة صفى[2]، فقال له الفـتى : إنْ كنُتَ تبْلُغُ [3] فعندى ما يُغْنيك عن غيره. فامضٍ معى .

فمضَى المثلَّمُ على فرسهِ والفتى أمامَهُ، حتى أتى به بنى سَعْد، فدخل داراً، وقال له: ادخلْ على فرسك ، فلمَّا دخل وتوغَّل فى الدار أغلق البَاب، وثارتْ به الخوارجُ، فاعْتَورَهُ خُـرَيْثُ بن جَحْل، وكَهْمَسُ بن طَلْق الصَّريمىُّ فـقتلاه، وجعلا دراهم كانت معه فى بطنه. ودفناه فى ناحـية الدار، وحكَّا آثارَ الدَّم، وخَلَّيا فرسَه فى الليل، فـأصِيبَ من الغدِ فى المِـربد، وتجسَّس[4] عنه الباهِلـيُّون فلم يَرَوْا له أثراً. فاتهـموا به بنى سدوسٍ، فـاستَعْدَوْا عليـهم السلطان، وجعل السَّـدوسيُّون يحلفون، وتحامل[5] ابن زيادٍ مع الـباهليين. فـأخذ مـن السدوسـيين أربعَ ديات. وقال: ما أدرِى مـا أصنعُ بهؤلاء الخوارجِ! كلما أمـرت بقتل أحدهم اغتـالوا قاتلَه فلم يُعْلَمْ بمكانه. حتى خرج مِرْدَاسٌ، فلما وافَقهم ابن زرعةَ صاح بهم جُريث ابن جحْلٍ: أهاهنا من باهلَة أحدٌ؟ قالوا: نعم، قال: يا أعداء الله، أخذتُم بالمُثَلَّم أربع ديات وأنا قتلته[6] ، وجعلـت دراهم كانتْ معـه فى بطنِه، وهو فى مـوضع كذا مدفونٌ، فلما انهزمُوا صارُوا إلى الدارِ، فَصابُوا أَشْلاءه والدراهمَ، ففى ذلك يقولُ أبو الأسْوَدِ الدؤلىُّ :

آليـتُ لا أغـدُو إلى رَبِّ لِقْـحـةٍ ... أسَـاوِمُـهُ حـتـى يَعُـودَ المثـلَّمُ[7]

ثم خَـرَجَتْ خوارجُ لا ذِكَـر لهـم، كلُّهـم قُـتِلَ، حتـى انتَهـى الأمـرُ إلى الأزارقَـة.

---

(١) المربد : المكان الذى تحبس فيه الإبل وتصان . ومنه سمى مربد البصرة. وكان موضع سوق الإبل.
(٢) الصفى : الناقة الغزيرة اللبن ؛ والجمع صفايا .
(٣) تبلغ : يريد إن كنت تبلغ بها ثمنا جيدا . قاله المرصفى .
(٤) ر : « وتحسن » .
(٥) ر : « فتحامل » .
(٦) ر « وأنا قاتله » .
(٧) بعده كما ذكره المرصفى :

وقـالَ لـهُ كـومـاءُ حَـمْـرَاءُ جَلْـدَةٌ ... وَقَـارِبَـهُ فى السَّـوْم والْقـتْـلَ يكـتمُ
فـأصْبَح قـدْ عُمِّـىَ عَلى النَّاس أمْـره ... وَقَـدْ بات يَـجْـرى فَـوق أثوَابـه الدَّمُ
وقَـد كـانَ فـيـمـا كـانَ منْـهُ بمعـزل ... ولكـنَّ حَـيْنَ الْمَـرء لـلْمَـرء مُـسْلِمُ

[تفرق الخوارج]

ومن هاهنا افترقت الخوارجُ فصارت على أربعةِ أضربٍ :

الإباضيَّةُ : وهم أصحابُ عبد الله بن إبَاض .

والصُّفْرِيَّةُ : واختلفوا فى تسميتـهم، فقال قومٌ: سمُّوا بابنِ صَفَّار[1]، وقال آخَرْون ـ وأكثر المتكلمين عليه ـ هم قومٌ نَهكتْهُمْ العبادة فاصفَرَّت وجوهُهم.

ومنهم البَيْهَسيَّةُ ،وهم أصحابُ بَيْهَس[2].

ومنهم الأزارِقة ، وهم أصحاب نافع بن الأزْرقِ الحنَفِىّ .

وكانوا قبلُ عـلى رأى واحد، لا يختلفون إلاَّ فى الشىء الـشاذِّ من الفروع، كمـا قال صَـخْرُ بن عُرْوَةَ: إنـى كرهت قتـال علىٍّ بن أبى طالـب رضى الله عنه لسابقَته وقَرابَته، فأمّا الآنَ فـلا يَسَعُنى إلاّ الخروجُ. وكان اعتزَلَ عبدُ الله بن وَهْبٍ يومَ النَّهرِ، فَضَلّلَتهُ[3] الخوارجُ بامتناعه من قتال علىٍّ.

[الخوارج وابن الزبير]

فكان أولُ أمرهم الذى نَستَاقُه: أَنَّ جماعةً من الخوارج، منهم نَجْدَةُ بنُ عامر الحنفىُّ عَزَمُـوا على أن يقصدوا مكة، لَمَّا تَوَجَّهَ مُـسْلِمُ بن عُقْبَةَ يريدُ المديـنةَ لوقعة الحَرَّة؛ فقـالوا: هذا ينصرف عن المدينة إلى مكة، ويجب علـينا أن نَمْنَعَ حَرَمَ الله منه. ونمتحنَ ابن الزُّبير، فإن كان على رأينا بايعْناهُ، فَمضَوْا لذلك.

فكان أولَ أمرهم أنَّ أبا الوَازِع الرَّاسِبىَّ ـ وكان من مـجتهدى الخوارج ـ كان يَذْمُرُ نَفْسَه ويلومُـها على القعود، وكان شاعراً، وكان يفـعلُ ذلك بأصحابه. فأَتى نَافع بن الأزرقِ وهو فى جماعةٍ من أصحابه، يَصفُ لهم جَوْرَ السلطان ـ وكان ذا لسان عَضْب، واحتـجاجٍ وصَبْرٍ على المنازعة ـ فأتـاه أبو الوَازِعِ، فقال : يا نافعُ، لَقد أُعْطيتَ لساناً صارماً. وقلباً كَلـيلاً، فَلَوَددْت أن صَرَامةَ لسَانكَ كانت لقلبك، وكلاَلَ قلبك كـان للسَانك، أَتحُضُّ على الحقِّ وتَقْـعُدُ عنه، وتُقَبِّحُ البـاطلَ وتُقيمُ عليه! فقال: إلى أن يَجْتَمع[4] من أصحابِك من تَنْكِى به عدوَّك، فقال أبو الوازع:

---

(١) هو عبد الله بن الصفا .

(٢) هو هيصم بن جابر .

(٣) ضللته : نسبته إلى الضلال .

(٤) ر : « تجمع » .

لســانكَ لا يُـنْكى بـه القــومُ إنما تَنـالُ بكَفَّـيْكَ الـنّجَـاةَ من الـكَرْبِ
فَجـاهِدْ أُناساً حاربُوا الله واصْـطَبرْ. عسى الله أن يُخْزى غَوىَّ بنى حَرْبِ

ثم قال: والله لا ألومك ونفسى أَلُومُ، وَلأغْـدُونَّ غَدْوة لا أَنْثَنى بعدَها أبداً. ثم مضى فاشترى سيفاً، وأتى صيْقَلاً [1] كان يذمُّ الخوارج ويَدُلُّ علي عوراتهم، فشاوره فى السيف فحمدهَ، فقال: اشْـحَذْهُ، فَشَحَذَهُ. حتى إذا رَضيهُ حكَّمَ وَخَبَطَ به الصقيل وحملَ عليَ الناس فَتهارَبُوا منه، حتى أتى مَقْبَرَةَ بنى يَشْكرَ، فَدَفعَ عليه رجلٌ حائطَ السُّتْرةِ فكرهتْ ذلك بنو يَشْكرَ. خوفاً أن تَجْعَل الخوارجُ قبره مُهاجَراً، فلما رأى ذلك نـافعٌ وأصحابُه جَدُّوا، وخَـرج فى ذلك جماعـةٌ، فكان ممن خَرَج عيـسى بن فَاتِك الشـاعرُ الخَطىُّ، من تيْـمِ اللاَّتِ بن ثَعْلبةَ، ومَـقْتَلُه بعـدَ خروج الأزارقَة.

فمضى نافعٌ وأصـحابُه من الحُروريَّة قبل الاختلاف إلى مكة، لـيَمْنَعُو الحَرَمَ من جيش مُسْلم بن عُقْبَةَ، فلما صاروا إلى ابـن الزبير عَرَّفوه أنفسهم، فأَظهر لهم أنه على رأيهم، حتى أتاهم مـسلم بن عُقْبةَ وأهلُ الشاْم، فـدافعُوهم إلى أن يأتىَ رأىُ يزيدَ بن معاويةَ، ولم يبايعوا ابنَ الزبير.

ثم تناظروا فيـما بينهم فقـالوا: نَدْخُل إلى هذا الرجل فننظُر مـا عندَه، فإن قَدَّمَ أبا بكر وعمرَ، وبَرِئ من عثمـانَ وعلىٍّ، وكفَّر أباه وطلحةَ، بايَعْنَاه، وإن تكنِ الأخْرَى ظهرَ لنا ما عندَه. فَتَشَاغلنا بما يُجْدى علينا. فدخلوا على ابن الزبير. وهو مُتَبَذِّلٌ. وأصحابُـه متفرقون عنه. فقالوا: إنَّا جئناك لِتـخْبرنا رأيَك، فإن كنتَ على الصوابِ بايعناك، وإن كنتَ على غيره دَعَـوْنَاكَ إلى الحقِّ، ما تقولُ فى الشَّيخين؟ قال: خيراً، قالوا: فما تقولُ فى عثمان الذى أَحْمَى الحمَى، وآوى الطَّريدَ، وأظهر لأهل مصرَ شـيئاً وكَتبَ بخـلافه. وأَوْطَأَ آل أبى مُعَيْط رِقـابَ الناسِ وآثَرَهُمْ بفَىْء المسلمين؟ وفى الذى بعـدَه الذى حكَّم فى دينِ الله الرِّجالَ. وأقام علـى ذلك غير تَائب ولا نادم؟ وفى أَبيكَ وصاحـبه، وقد بايَعا عليًّا وهو إمـامٌ عادلٌ مَرْضىٌّ، لـم يَظْهَرْ منه كـفْرٌ، ثم نَكثَا بعَرَض من أعـراض الدنيا، وأخرجا عائشـةَ تُقَاتلُ، وقد أَمَرها الله وصواحِبهَا أن يَقَرْنَ[2] فى بُيُوتِهنَّ؟ و كان لـك فى ذلك ما يَدعُوكَ إلى

(١) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها .
(٢) يشير إلى قوله تعالى فى سورة الأحزاب ٣٣ : ﴿ **وقرن فى بيوتكن** ﴾ .

التوبة! فإن أنت قلت كما نقولُ فلك الزُّلْفةُ عندَ الله والنَّصْرُ على أيدينا، ونسألُ اللهَ لك التوفيقَ وإن(١ أَبْيتَ خَذَلَكَ الله وانْتَصَرَ منك بأيدينا١).

فقال ابن الزبير : إنَّ الله أمر - وله العزَّةَ والقُدْرَةُ - فى مخاطبة أكْفَر الكافرين وأعْتى العُتاة بأرفه(٢) من هذا القولَ، فقالَ لموسى ولأخيه - صلى الله عليهما - فى فرعونَ: ﴿فقُولا له قَوْلاً لَيِّنَا لعلَّهُ يتذكَّرُ أَوْ يخْشَى﴾(٣) وقال رسول الله ﷺ : «لا تُؤْذُوا الأحياءَ بسَبِّ الْموتَى» فَنَهَى عن سَبِّ أبى جهلٍ من أجل عكْرِمةَ ابنه، وأبو جهلٍ عدوُّ الله وعدوُّ الرّسول، والمقيم على الشِّرْك، والجادُّ فى المحاربة، وَالْمُتَبَغِّضُ إلى رسول الله ﷺ قبلَ الهجرة، والمحاربُ له بعدَها، وكفَى بالشِّرْك ذنباً! وقد كان يُغْنيكم عن هذا القول الذى سَمَّيْتُمْ فيه طلحةَ. وأبى أن تقولوا: أَتَبرَأ من الظالمين؟ فإن كانا منهم، دخَلاَ فى غِمار(٤) الناس، وإن لم يكونَا منهم لم تُحفظُونى(٥) بسَبِّ أبي وصاحبه. وأنتم تعلمون أنَّ الله جلَّ وعزَّ قال للمؤمن فى أبَوَيْه: ﴿وإنْ جاهَدَاكَ علَى أَنْ تُشْرِكَ بى ما لَيْسَ لَكَ به علمٌ فلا تُطعهما وصاحبْهُما في الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾(٦)، وقال جَلَّ ثناؤه: ﴿وقُولُوا لِلنّاس حُسْنًا﴾(٧). وهذا الذى دَعَوْتم إليه أمرٌ له ما بعدَه، وليس يُقْنعُكم إلاَّ التوقفُ والتَّصْريح، ولَعَمْرى إنّ ذلكَ لأحْرَى بقَطْعِ الْحُجج، وأوضحُ لمنْهاجِ الحقِّ، وأوْلَى بأن يَعْرِفَ كلٌّ صاحبَه من عدوِّه، فُروحُوا إلىَّ من عَشيَّتكم هذه أكْشِفْ لكم ما أنا عليه إن شاء الله .

فلماكان العَشىُّ راحُوا إليه، فخرج إليهم وقد لَبِسَ سلاحه، فلما رأَى ذلك نجدة قَال: هذا خروجُ مُنابذ لكم، فجلس عَلَى رَفْعٍ من الأرض فحَمدَ اللهَ وأثنى عليه، وصلَّى على نبيه ﷺ . ثم ذكَرَ أبا بكر وعمر أحسن ذكر، ثم ذَكَرَ عثمانَ فى السِّنينَ الأوائلِ من خلافته، ثم وَصَلَهُنَّ بالسِّنينَ التى أنْكَرُوا سيرتَه فيها. فجعلها كالماضية، وخبَّرَ أنه آوى الحكَمَ بن أبي العاص بإذنِ رسول الله ﷺ ،

(١-١) كذا وردت العبارة فى الأصل . س . وفى ر : « وإن أبيت إلا نصر رأيك الأول. وتصويب أبيك وصاحبه. والتحقيق بعثمان، والتولى على السنين الست التى أحلت دمه. ونقضت. . . وأفدت إمامته، خذلك الله وانتصر منك بأيدينا » .

(٢) فى ر : «بأرأف» .

(٣) سورة طه ٤٤ .

(٤) غمار الناس : جماعاتهم .

(٥) لم تحفظونى : لم تغضبونى .

(٦) سورة لقمان ١٥ .

(٧) سورة البقرة ٨٣ .

وذكر الحمى وما كان فيه من الصَّلاحَ، وأنَّ القومَ استَعْتَبُوهُ من أُمور، وكان له أن يفعلَها أُوَّلا مُصيباً، ثم أَعْتَبُهم بعدَ مُحْسناً، وأَنَّ أَهلَ مصرَ لَمَّا أتوْه بكتاب ذَكَرُوا أنه منه بعدَ أَنْ ضَمِنَ لهم العُتْبَى؛ ثم كُتبَ لهم ذلك الكتابُ بِقَتْلِهم، فَدَفَعُوا الكتابَ إليه، فحلف أنه لم يكْتُبْهُ ولم يَأمُرْ به، وقد أُمرَ بقبولِ اليمين ممَّن ليس له مثلُ سَابِقته، معَ ما اجْتَمَع له من صِهْرِ رسول الله ﷺ ومكانه من الإمامة، وأن بَيْعةَ الرِّضْوان تحتَ الشَّجرة إنما كانت بسببه، وعثمانُ الرجل الذى لَزِمَتْه يمينٌ لو حَلَفَ عليها لَحَلَفَ على حقٍّ فافتداها بمائة ألف ولم يَحْلفْ، وقد قال رسول الله ﷺ : «مَنْ حَلَف بِالله فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِالله فَلْيَرْضَ» .

فعثمانُ أميرُ المؤمنين كَصَاحِبَيْه، وأنا وليُّ وَلِّيه، وعَدُوُّ عَدُوِّه، وأبى وصاحبُه صَاحِبَا رسول الله ﷺ ، ورسولُ الله يقولُ عن الله تعالى يومَ أحد لَمَّا قُطعَتْ إصْبَعُ طلحةَ : « سَبَقَتْه إلى الجنة » ، وقال: «أَوْجَب طلحةُ»، وكان الصدِّيقُ إذا ذَكَرَ يوم أحُد، قال: ذاك يوم كَلُّه أو جُلُّهُ لطلحةَ ، والزبيرُ حَوَارِيُّ رسول الله وَصفوتُهُ، وقدْ ذَكَرَ أنهما في الجنة، وقال جلَّ وعزَّ: ﴿**لَقَدْ رضى اللهُ عَنِ المُؤْمِنينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تحتَ الشَّجَرَةِ**﴾(١)، وما أَخبَرَنَا بعدُ أنه سَخطَ عليهم، فإنْ يكنْ ما سَعَوْا فيه حقًّا فأَهْلُ ذلك هُمْ ، وإن يكنْ زَلَّة فَفِى عفو الله تَمْحيصُها، وَفيما وفقهم له من السابقة مع نَبِيِّهم ﷺ. ومهما ذَكَرْتُمُوهَا به فقد بَدَأْتُم بأُمِّكُمْ عائشةَ رضى الله عنها. فإنْ أَبِى آب أن تكونَ له أُمًّا نَبَذَ اسمَ الإيمان عنه، قال اللهُ جلَّ وعزَّ - وقولُهُ الحقُّ: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالمُؤْمِنينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾(٢).

فَنَظر بعضُهم إلى بعضٍ ، ثم انصرفوا عنه .

* * *

وكان سببُ وضعِ الحربِ بينَ ابنِ الزبير وبين أهلِ الشام - بعدَ إذ كان(٣) حُصَيْن بن نُمَيْرٍ قد حَصَرَ ابنَ الزبير أنه أتاهم موتُ يَزيدَ بن معاوية فتوادَعَ الناسُ، وقد كان أهلُ الشام ضَجِرُوا من الْمقامِ على ابن الزبير ، وحَنِقَتِ الخوارجُ فى قتالهم، ففى ذلك يقول رَجلٌ من قُضاعَةَ :

(١) سورة الفتح ١ (٢) سورة الأحزاب ٦ .

(٣) ر : « أن كان » .

يا صاحبيَّ ارْتَحِلاَ ثم املُسَا ... لا تحْبسَا لَدَى الُحصْين مَحْبَسَا

إنَّ لَدَى الأركانِ ناساً بُؤَّساَ

ـ [قال الأخفشُ : حِفْظِى « بَأْساً أَبؤُسَا »] ـ

وبارقاتٍ يَخْتَلسْنَ الأَنْفُسَا ... إذا الفتى حَكَّم يوماً كلَّسَا

قوله : «ثم امْلسَا» يريد: تَخَلَّصَا تَخَلُّصاً سهلا ، وَكَلَّسَ، أى حَمَلَ وَجَد.

* * *

ولما سمَّحَ ابن الزبير للخوارج فى القولِ وأظهر أنه منهم قال رجل يقال له فلان بن هَمَّامٍ(١) من رَهْط الفَرَزْدَق :

يَا بنَ الزبير أتَهْوَى عُصْبَةً قَتَلُوا ... ظلماً أباك ولَّما تُنْزَع الشِّكَكُ

ضحَّوْا بعثمانَ يومَ النحر ضاحيةً ... ما أَعْظَمَ الحرمةَ العُظْمَى التى انْتَهكُوا!

فقال ابنُ الزبير : لو شايعتْنى التُّرْكُ والدَّيْلَمُ على قتال أهل الشأم لشَايَعْتُها.

الشِّكَك : جمعُ شِكَّةٍ ، وهى السلاحُ . قال الشاعر :

ومُدَجِّجاً يَسْعَى بِشِكَّتِهِ ... مُحْمَرَّةً عيناهُ كالكَلْبِ

* * *

فتفرقت الخوارجُ عن ابن الزبير لما تَولَّى عثمانَ ، فصارت طائفة إلى البصرة، وطائفَة إلى اليمامَة، وكان رجاءٌ النصرىّ (٢) وهو الذى كان جَمَعهم للمدافعة عن الحرَم، فكان فيمن صار إلى البصرة نافعُ بن الأزرق الحنفىُّ، وبنو الماحُوزِ السليطُّيونَ، ورئيسُهم حسَّانُ بن بحدج(٣). فلما صاروا إلى البصرة نظروا فى أمورهم فأَمَّروا عليهم نافعاً.

[خروج نافع بن الأزرق بقومه إلى الأهواز]

ويُرْوَى أن أبا الجَلْد اليشْكرىَّ قال لنافع يوماً : يا نافعْ إنّ لجهنم سبعةَ أبوابٍ، وإن أشدَّها حَراًّ لَلْبابُ الذى أُعدَّ للخوارج، فإن قَدَرْتَ ألا تكون منهم

(١) ر : « قيس بن همام » .

(٢) كذا فى الأصل . وفى ر : « النمبرى » . (٣) ر : « محرج » .

فافعلْ، فأجمع القومُ عَـلَى الخروج، فمضى بهم نافعٌ إلى الأهْواز[1] فى سنة أربع وستين، فأقاموا بها، لا يَهيجون أحداً، ويُناظرهم الناسُ.

وكان سببُ خروجهم إلى الأهواز أنه لمَّا مات يزيدُ بايعَ أهلُ البصرة عُبَيْدَ الله ابنَ زياد، وكان فى السجن يومئذ أربعمائة رجلٍ من الخوارج، وضَعُفَ أمْر ابنِ زياد، فَكُلِّمَ فيهم فأطلقهم، فأفسدوا البَيْعَة عليه، وفَشَوْا فى الناس، يَدْعُونَ إلى محاربة السلطان ويُظْهرون ما هم عليه، حتى اضْطَرَبَ عَلى عُبيد الله أمره. فتحوَّل عن دار الإمارة إلى الأزْد، ونَشَأَتِ الحرب بسببه بين الأزدِ وربيعةَ وبين بنى تميم، فاعتزلهم الخوارجُ إلاَّ نفراً منهم من بنى تميم. معهم عَبْسُ بن طَلْق الصَّريمىُّ أخو كَهْمَسٍ، فإنهم أعانوا قومَهم، فكان عبسُ الطعانِ فى سعد، والرِّبَابُ فى القلب بحذاء الأزد.

وكان حارثة بن بَدْرٍ اليربوعىُّ فى حَنْظلة بحذاء بَكْر بن وائل، وفي ذلك يقول حارثة بن بدرٍ للأحْنفِ؛ وهو صَخْرُ بن قيس :

سيكفيك عبسٌ أخو كَهْمس مُواقَفَةَ الأزْد بالْمرْبَد
وتكفيكَ عَمْرٌو على رسْلِها لُكَيْزَ بن أفْصَى وما عَدَّدُوا

ـ لُكَيزٌ هو عبدُ القَيْس ـ

وتَكفيكَ بَكْراً إذا أقبلت بضربٍ يَشيبُ له الأمْرَد

فما قُتل مسعودُ بن عَمْرو الـمَعْنىُّ، وتكافَّ الناس، أقام نافعُ بن الأزْرق بموضعه بالأهوازِ، ولم يَعُدْ إلى البصرة، وطردوا عُمَّالَ السلطانِ عنها، وجَبَوُا الْفَىْءَ.

[خروج نجدة بن عامر على نافع بن الأزرق، والرسائل التى دارت بينهما]

ولم يزالوا على رأيٍ واحد، يَتَوَلَّوْنَ أهلَ النهر ومرْداساً ومن خرج معه، حتى جاء مَوْلًى لبنى هاشمٍ إلى نافعٍ، فقال له: إنّ أطفالَ المشركين فى النار، وإن مَن خالَفنا مشركٌ، فدماءُ هؤلاء الأطفالِ لنا حلالٌ. قال له نافعٌ: كفرتَ وأحللت بنفسك[2]، قال له : إن لم آتِكَ بهذا من كتاب الله فاقْتُلْنى ، ﴿قال نوحٌ رَبِّ لا

(١) الأهواز سبع كور بين البصرة وفارس (٢) ر س . « وأدللت » .

تَذَرْ على الأرض من الكافرين دَيَاراً * إنَّكَ إنْ تَـذَرْهُمْ يُضِلّوا عبادَك ولا يَلدُوا إلاَّ فاجراً كَفَّاراً﴾[١]، فهذا أمرُ الكافـرين وأمرُ أطفالهم، فشهدَ نافعٌ أنهم جـميعاً فى النارِ، ورأى قـتلهم. وقـال: الدار دار كُـفر إلا منْ أظـهر إيمانه، ولا يـحلُّ أكلُ ذبائحهم[٢]، ولا تَناكُحُهمْ ، ولا تَـوارُثُهُمْ، ومتى جاءَ منهم جاء فعـلينا أن نمْتَحنَهُ وهم ككُفَّار العرب، لا نَقبلُ منهم إلا الإسلامَ أو السيـف والقَعَدُ بمنزلتهم، والتَّقيَّةُ لا تحلُّ، فإن الله تعالى يقول: ﴿إذا فريقٌ منهم يَخْشَوْنَ النـاسَ كخشيةِ الله أو أشَدَّ خَشْيَةً﴾[٣]. وقال عزّ وَجلَّ فيمـن كان على خلافهم: ﴿يُجاهدُونَ فى سبيل الله ولا يَخافونَ لَوْمَةَ لائم﴾[٤]. فَنَفَرَ جماعةٌ من الخوارجِ عنه، منهم نَجْدَةُ بن عامرٍ، واحتـجَّ بقول الله عـز وجلَّ: ﴿إلا أن تَتَّقُـوا منهم تُقاةً﴾[٥]، وبقولـه عز وجلَ: ﴿وقال رجلٌ مُؤْمنٌ منْ آل فـرْعَوْنَ يَكْتُمُ إيمانَهُ﴾[٦]. فالقَعَدُ منَّا، والجهادُ إذا أمكنَ أفضلُ، لقوله جلَّ وعَزَّ: ﴿وفَضلَ اللهُ المجَاهدينَ على القاعدينَ أجْراً عظيما﴾[٧].

ثم مضى نَجْدَةُ بأصحابه إلى اليمامة وتفرَّقوا فى البُلْدان.

فلما تَتَابعَ[٨] نافعٌ فى رأيه وخـالَف أصحابَه، وكان أبو طـالوتَ سالمُ بن مَطَر بالخَضَارم[٩] فى جمـاعة قد بايـعوه، فلما انْخَـزَل نَجْدة خَلَعـوا أبا طالوتَ، وصاروا إلى نجدةَ فبـايعوه، ولَقى نجدةُ وأصحابهُ قوماً مـن الخوارج بالعَرِمَة[١٠] ـ والعرمة كالسِّكر[١١] ـ وجمعُها عَـرِمٌ ، وفى القرآن المجيد: ﴿فأرْسَلْنَا عليهم سَيْلَ الْعَرم﴾[١٢] وقال النابغة الجَعْدىُّ :

منْ سَبـأ الحـاضِـرين مَـأربَ إذ   يبْـنُون مـن دُون سَـيْلـه العَـرِمَـا

فقال لهم أصحابُ نَجْـدةَ: إن نافعاً قد أكفر[١٣] القَعَد ورأى الاستعراضَ، وقتل الأطفالِ، فانصرفوا مع نجدةَ . فلما صار باليمامة كتبَ إلى نافع.

---

(١) سورة نوح ٢٦ ، ٢٧ .   (٢) س : « لا تحل » .
(٣) سورة النساء ٧٧ .   (٤) سورة المائدة ٥٤ .
(٥) سورة آل عمران ٢٨ .   (٦) سورة غافر ٢٨ .
(٧) سورة النساء ٩٥ .
(٨) التتابع فى الشر وهو التهافت عليه .   (٩) خضارم : اسم واد باليمامة .
(١٠) العرمة : أرض صلبة تتاخم الدهناء .
(١١) السكر ، بكسر فسكون : اسم لما سد به فم النهر .
(١٢) سورة سبأ ١٦ .   (١٣) ر : « كفر » .

بسم الله الرحمن الرحيم. أمَّا بعدُ: فإنّ عَهْدى بك وأنتَ لليَتيم كالأَب الرحيم. وللضعيف كالأخ البَرِّ، لا تأخذكَ فى الله لومةُ لائم. ولا تَرَى مَعونة ظالم، كذلك كنتَ أنتَ وأصحابُك، أمَا تَذْكُرُ قولَكَ: لولا أنِّى أعلم أن للإمام العادل مثلَ أجرِ جميع رعيَّته ما توليتُ أمر رجلين من المسلمين؟ فلما شَرَيْت نَفْسَكَ فى طاعة ربك ابتغاء رضوانه، وأصبتَ من الحقِّ فصَّهُ، وركبت مُرَّهُ. تَجرَّدَ لك الشيطانُ، ولم يكن أحدٌ أثقلَ عليه وَطْأة منك ومن أصحابك. فاستمالَكَ واستهواكَ واستغواك وأغواكَ، فَغَوَيْتَ فأكفرتَ الذين عَذَرهم اللهُ فى كتابه من قَعَد المسلمين وضَعَفَتِهمْ، فقال جل ثناؤُه، وقولهُ الحق ووَعْدُهُ الصِّدْقُ: ﴿**لَيْسَ عَلَى الضُّعَفاء ولا عَلَى المَرْضَى ولا عَلى الَّذينَ لا يَجدُونَ ما يُنْفقُونَ حَرَجٌ إذا نَصَحُوا لله ورَسُوله**﴾[1]. ثم سَماهم أحسن الأسماء، فقال: ﴿**ما عَلى المحْسنينَ من سَبيل**﴾[2]. ثم استَحْلَلْت قتلَ الأطفال، وقد نَهَى رسول اللهُ ﷺ عن قتلهم، وقال الله عز ذكره: ﴿**ولا تَزرُ وَازرةٌ وِزْرَ أُخْرى**﴾[3]، وقال فى القَعَد خيراً، وَفَضلَ اللهُ من جاهَدَ عليهم، ولايَدفَعُ مَنْزلةُ أكثر النَّاس عملا منزلَةَ مَنْ هودُونَه، أوَ مَا سمعتَ قولَه عز وجل: ﴿**لا يَسْتَوى القَاعدُونَ من المؤمنينَ غيْرُ أولى الضَّرر**﴾[4]، فجعلهم اللهُ من المؤمنين، وفضلَ عليهم المجاهدين بأعمالهم، ورأيتَ ألا تُؤدِّىَ الأمانة إلى مَنْ خالفَك، والله يأمُر أن تؤدَّى الأماناتُ إلى أهلها، فاتق الله وانظرْ لنفسك، واتق يوماً ﴿**لا يجْزى والدٌ عن وَلَده ولا مَوْلُودٌ هو جَازٍ عن وَالده شَيْئاً**﴾[5]، فإن اللهُ عزَّ ذكرُه بالمرْصاَد، وحُكْمُهُ العَدْلُ، وقوله الفَصْلُ، والسلامُ.

* * *

فكتب إليه نافعٌ :

بسم الله الرحيم الرحيم . أما بعد : فقد أتانى كتابُكَ تعظُنى فيه وتذكِّرْنى، وتَنْصَحُ لى وتَزْجرُنى، وتَصفُ ما كنتُ عليه من الحقِّ، وما كنتُ أوثرُه من الصواب، وأنا أسأل الله جلَّ وعز أن يجعلنى من الذين يستمعون القول

(١) سورة التوبة ٩١

(٢) سورة التوبة ٩١ .

(٣) سورة الأنعام ١٦٤ .

(٤) سورة النساء ٩٥ .

(٥) سوره لقمان ٣٣ .

فيتّبعُونَ أحسنَهُ، وعبْتَ عليَّ ما دنْـتُ به من إكفار القعد وقَتْلِ الأطْفالِ واستحلال الأمانة، فسأفَسِّرُ لكم ذلك إن شاء الله .

أمَّا هؤلاء القُعَّدُ فليسوا كَـمنْ ذكَرْتَ ممن كان بعَهْدِ رسول الله ﷺ . لأنهم كانوا بمكَّة مَقْهُـورين محصورين، لا يَجدون إلى الهَرَب سَـبيلاً، ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقة، وهؤلاء قد فَقُهـوا في الدِّين، وقَرءوا القرآن، والطريق لَهم نَهْجٌ واضحٌ، وقـد عرفتَ مـا قال اللهُ عـز وجل فيـمن كان مـثْلهم، إذ قـالوا: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ في الأَرْضِ﴾[1]. فقيل لهم: ﴿أَلَمْ تكنْ أَرْضُ الله وَاسـعةً فَتُهـاجروا فيها﴾[2]. وقَالَ: ﴿فَرِحَ المُخَلَّفُونَ بمَقْعَدهمْ خلافَ رسُول الله﴾[3]، وقال ﴿وَجَاءَ المُعَذِّرونَ من الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾[4]. فَخَبَّر بتعذيرهمْ، وأنهمْ كَذَبُوا الله ورسولهُ وقال: ﴿سَيُصِيبُ الذين كَـفَرُوا مـنهم عـذابٌ أَليمٌ﴾[5]. فانْـظُرْ إلى أسمـائهم وسِماتهمْ.

وأمَّا أَمْرُ الأطفال فإنَّ نبيَّ الله نوحاً عـليه السلامُ كان أعلمَ بالله - يا نَجْدَةَ - منى ومنكم فقال: ﴿رَبِّ لا تذَرْ علَى الأَرْضِ منَ الكافرين ديَّاراً * إنَّكَ إنْ تَذَرْهُمْ يَضلُّوا عبادكَ ولا يَلدوا إلا فَاجراً كفَاراً﴾[6]. فسَمَّاهم بالكُفْرِ وهم أطفالٌ. وقبلَ أنْ يولدوا. فكيفَ كَان ذلك في قوم نوح ولا نَكـونُ نَقُولُه في قومنا! واللهُ يقولُ: ﴿أكفَارُكُمْ خيرٌ منْ أولئكُمْ أَمْ لكمْ بَرَاءَةٌ في الزُّبُرِ﴾[7]، وهؤلاءِ كمُشْرِكي العربِ، لا نَقْبَلُ منهم جزيَة، وليس بيننا وبينهم إلا السيفُ أو الإسلامُ.

وأما استحـلالُ أمانات مَنْ خالَفَنَا فإن الله عز وجل أَحَلَّ لنا أمـوالَهم، كما أحلَّ لنا دمَاءَهم ، فـدماؤهُم حلالٌ طِلْقٌ[8]، وأموالُهم فيءٌ للمـسلمين. فاتّقِ اللهَ وراَجعْ نفسَك، فإنه لا عُـذْرَ لك إلاَّ بالتوبة، ولن يَسَعَكَ خذْلانُنَـا، والقعودُ عنَّا، وتَرْكُ مَا نَهجْنَاه لكَ من طريقَتِنا ومَقالَتنا ، والسلامُ على مَنْ أَقَرَّ بالحقَّ وعَمِلَ به .

[كتاب نافع إلى ابن الزبير]

وكَتَبَ نافعٌ إلى عبد الله بن الزُّبير يَدعوه إلى أمرِه :

---

(١) سورة النساء ٩٧ .

(٢) سورة النساء ٩٧ .

(٣) سورة التوبة ٨١ .

(٤) سورة التوبة ٩٠

(٥) سورة التوبة ٩٠ .

(٦) سورة نوح ٢٦ ، ٢٧ .

(٧) سورة القمر ٤٣ .

(٨) الطلق : الحلال .

أمَّا بـعدُ : فإني أحَـذِّرُكَ من الله ﴿يومَ تَجِـد كلُّ نَفْس مَا عـملَتْ من خَيْر مُـحْضَـراً ومَا عَـملَتْ منْ سـوء تَوَدُّ لو أَنَّ بـيْنَهَـا وبيْنَه أمَـداً بَعيـداً ويُحـذِّرُكُمْ اللهُ نَفْسَهُ﴾(١). فاتَّق اللهُ ربَّـكَ ولا تَتَولَّ الظالمين، فـإن الله يقولُ: ﴿لاَ يتَّخذ المؤمنونَ الكافرينَ أوْليَاءَ منْ دُون المؤْمنينَ وَمَنْ يفْعَل ذلك فَلَيْسَ منَ الله فى شَيْءٍ﴾(٢). وقد حَضَرْتَ عثمانَ يـوم قُتلَ فَلَعَمْري لئن قُتلَ مظلوماً لقد كَـفَرَ قاتلوه وخاذلوه، ولئن كان قاتلوه مُهْتَـدينَ ـ وإنهم لَمُهْتَدونَ ـ لقد كفرَ منْ يتولاّه وينـصرُه ويَعْضُدُه. ولقد علمتَ أن أباك وطلحةَ وعليًا كانوا أشدَّ الـناسِ عليه، وكانوا فى أمره منْ بَيْنَ قاتلٍ وخاذلٍ ، وأنت تتولى أباكَ وطلحـةَ وعثمان، فكيف(٣) وَلاَيَةُ قاتلٍ مُتعمِّد ومقتول فى دينٍ واحـدٍ! ولقد مَلَكَ عـليٌّ بعدَه فَنَفَـى الشُّبُهَـات، وأقامَ الحـدودَ، وأَجْرى الأحكامَ مَجارِيها، وأَعْطَى الأمورَ حقائقها، فـيما عليه وله، فبايعه أبوك وطلحة، ثُمَّ خَلَعَاهُ ظالمَيْن له، وإنَّ القول فيك وفيـهما لَكَمَا قال ابنُ عباس: إنْ يكنْ عليٌّ فى وقت معصيتكم ومُحَارَبَتكم له كان مـؤمنا؛ أَمَا لقد كفرتم بقتالِ المؤمنين وأئمة العدل، ولئن كان كافراً كما زعـمتم، وفى الحُكْم جائراً، لقد بُؤْتُمْ بغضبٍ من الله لفرارِكم من الزَّحْف، ولقد كنتَ له عدواً، ولسيرته عائباً، فكيف تَوليْتَهُ بعدَ موته! فاتَّق اللهُ فإنه يقولُ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ منْكُمْ فإنَّه منْهُمْ﴾(٤).

[كتاب نافع إلى المحكمة من أهل البصرة]

وكتب نافعٌ إلى مَنْ بالبَصْرَة من المُحكِّمة :

بسم اللهُ الرحمن الرحيم . أمَّا بعدْ : فإن الله اصطفَى لكمُ الدينَ فلا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون، والله إنكم لتَعلمونَ أن الشـريعةَ واحدةٌ ، والدينَ واحدٌ، ففيم المُقَامُ بين أظْهُرِ الكفَّار، تَرَوْنَ الظُّلم ليلا ونـهاراً، وقد نَدَبَكم الله إلي الجهاد فقال: ﴿وقاتلُوا المشركينَ كافَّة﴾(٥)، ولم يجـعل لكم فى التَّـخَلُّف عذراً فى حـال من الحالِ، فقال: ﴿انفروا خفافاً وثقالا﴾(٦)! وإنما عـذَرَ الضُّعـفـاءَ والمَرضَى والذيـنَ لا يجـدُون ما يُـنفقـونَ ومَنْ كـانت إقـامتُـه لعِلَّة . ثُـمَّ فضل عـليهـم مع ذلك

(١) سورة ال عمران ٣٠

(٢) سورة آل عمران ٢٨ .

(٣) ر « وكيف »

(٤) سورة المائدة ٥١ .

(٥) سورة التوبة ٣٦

(٦) سورة التوبة ٤١

المجاهدين. فقال: ﴿**لا يَسْتَوِى القَاعِدُونَ مِنَ المؤمنين غَيْرُ أُولى الضرر والمجاهدُونَ فى سبيلِ الله**﴾[١]؛ فلا تغترّوا ولا تطمئنُّوا إلى الدنيا، فإنها مرّارة مكّارة. لذّتها نافدةٌ، ونعمتُها بائدةٌ. حُفَّتْ بالشّهوات اغتراراً. وأظهرتْ حَبْرَة[٢]. وأضمرتْ عَبْرة، فليس آكلٌ منها أكلة تسرُّه. ولا شاربٌ شُرْبَةً تُؤْنِقُه[٣]. إلاّ دَنَا بها درجةً إلى أجله، وتَبَاعد بها مسافةً من أمَله، وإنما جعلَها الله داراً لمن تَزَوَّد منها إلى النعيم المقيم، والعيش السليم، فلن يَرْضَى بها حازمٌ داراً، ولاحليمٌ بها قراراً، فاتقوا الله ﴿**وتَزَوَّدُوا فإنَّ خَيْرَ الزَّادِ التقْوَى**﴾[٤]. والسلام على من اتَّبع الهدَى.

* * *

فوَرَدَ كتابُه عليهم، وفى القوم يومئذ أبو بَيْهَس هيْصَمُ بن جابر الضُّبَعِىُّ، وعبدُ الله بن إباضٍ المُرِّىُّ، من بنى مُرَّة بن عُبَيد، فأقبلَ أبو بَيْهَس على ابن إباضٍ فقال: إن نافعاً غلاَ فَكَفَرَ، وإنك قصَّرْتَ فَكَفَرْتَ، تَزْعُمُ أنَّ مَن خالفَنا ليس بمشرك. وإنما هم كُفَّارُ النِّعَم؛ لتمسُّكهم بالكتاب، وإقرارهم بالرَّسول، وتَزْعُمُ أن مَنَاكحَهُمْ ومَواريثهم والإقامةَ فيهم حِلٌّ طلْق[٥]؟ وأنا أقولُ: إن أعداءَنا كأعداء رسول الله ﷺ، تَحلُّ لنا الإقامةُ فيهم. كما فعل المسلمون فى إقامتهم بمكة. وأحكام المشركين تجْرِى فيهم[٦]، وأَزْعُمُ أنَّ مَنَاكحَهم ومواريثهم تجوزُ لأنهم منافقونَ يظهرون الإسلامَ. وأنَّ حكمَهم عندَ الله حكمُ المشركين.

فصاروا فى هذا الوقت على ثلاثة أقاويلَ: قولِ نافعٍ فى البَرَاءة والاستعراضِ واستحلال الأمانة وقتلِ الأطفال. وقولِ أبى بَيْهَسٍ الذى ذكرناه، وقولِ عبد الله بن إباضٍ. وهو أقربُ الأقاويلِ إلى السُّنَّة من أقاويل الضُّلاَّل. والصُّفْرِيَّةُ والنَّجْدِيَّةُ فى ذلك الوقتِ يقولون بقولِ ابن إباضٍ. وقد قال ابن إباضٍ ما ذكرنا من مقالته.

وأنا أقول: إنَّ عَدُوَّنا كعدوِّ رسول الله ﷺ، ولكنى لا أُحرِّمُ مناكحتهم ومَوَارِيثَهم، لأن معهم التوحيدَ والإقرارَ بالكتاب والرسول عليه السلام، فأَرَى معهم دَعْوَةَ المسلمين تَجْمَعُهُمْ، وأَرَاهُمْ كُفاراً للنِّعَم، وقَالَتْ الصُّفْرِيَّةُ أَلْيَنَ من هذا القول فى أمرِ القَعَدِ. حتى صار عَامَّتُهُمْ وَاخْتَلَفُوا فيهم، وقد ذكرنا ذلك فقال قوم:

---

(١) سورة النساء ٩٥ .
(٢) الحبرة . النعمة وسعة العيش .
(٣) تؤنقه : تعجبه .
(٤) سورة البقرة ١٩٧ .
(٥) طلق . حلال .
(٦) ر . « فيها » .

سمُّوا صُفْرِيَّةَ لأنهم أصحاب ابن صَفَّار، وقال قومٌ: إنما سُموا بِصُفْرة عَلَتْهُمْ. وتصديقُ ذَلكَ قولُ ابن عاصمٍ اللَّيثىِّ. و كان يَرَى رأىَ الخوارجِ، فتركه وصار مُرْجِئاً :

فارقت نَجْدَةَ والذين تَزرَّقُوا وَابْنَ الزُّبَيْر وشيعةَ الكَذَّاب[1]!
وَالصُّفْرَ الاذانِ الذين تَخَيَّرُوا ديناً بلا ثِقَةٍ ولا بكتاب

ـ خَفَّفَ الهمزة من « الآذَان » ولولا ذلك لانكسر الشِّعْرُ ـ

وَقَالَ أُبو بَيْهَسٍ : الدارُ دارُ كفْرٍ . والاستعراضُ فيها جائزٌ، وإن أصيبَ من الأطفال فلا حَرَجٌ.

إلى هاهنا انتهت المقالة .

[مقتل نافع بالأهواز]

وَتَفَرَّقَت الخوارجُ على الأَضْرُبِ الأربعةِ التى ذكرنا، وأقام نافع بالأهوازِ يعترضُ الناسَ ويَقتلُ الأطفال، فإذا أجيبَ إلى المَقالةِ جَبا الخراجَ. وفَشَا عُمَّالهُ فى السَّوادِ[2]. فارتاعَ لذلك أهلُ البصرة، فاجتمعوا إلى الأحْنَف بن قيس، فشكَوْا ذلك إليه، وقالوا: ليس بيننا وبين العدوِّ إلا ليلتان، وسيرتُهُمْ ما تَرَى. فقال الأحنفُ: إن فعلهم فى مصرِكم ـ إنْ ظَفِروا به ـ كَفعْلِهمْ فى سَوادِكم ، فَجِدُّوا فى جهادِ عدوِّكم. فاجتَمع إليه عشرةُ آلاف، فأتى عبدَ الله بن الحارث بن نَوفَل بن الحارث بن عبد المطلبِ ـ وهو بَبَّةُ[3] ـ فسألَه أن يُؤَمِّرَ عليهم، فاختار لهم ابنَ عُبَيْس[4] بن كُرَيْزٍ، وكان دَيِّناً شجاعاً، فأَمَّره عليهم وشَيَّعهُ، فلما نَفَذَ من جسْرِ البصرِة أقبلَ علي الناس فقال: إنى ما خرجتُ لامْتِيَارِ[5] ذَهبٍ ولا فضةٍ وإنى

---

(١) يعنى بالكذاب هنا المختار بن أبى عبيد الثقفى .

(٢) يريد بالسواد أرض العراق وضياعه .

(٣) البه فى الأصل : كثرة اللحم وتراكبه . لقب به عبد الله بن الحارث؛ وكانت أمه ترقصه وتقول:

لأُنكحنَّ بَبَّهْ جارية كالقُبَّهْ
مكرمة محبَّهْ تحب أهل الكعبَهْ

(٤) هو مسلم بن عبيس .

(٥) الامتيار هنا جلب الطعام

لأحاربُ قوماً إن ظفـرتُ بهم فما وراءَهم إلاّ سيوفُهم ورماحُـهم، فمن كانَ شأنه الجهادَ فَـلْيَنْهَضْ. ومَنْ أحَبَّ الحياةَ فـليرجعْ . فرجع نَفـرٌ يسيرٌ، ومضى الـباقون معه، فلـما صاروا بدُولاب[١] خرج إليـهم نافعٌ. فاقـتتلوا قـتالا شديـداً، حتى تكسَّرت الرماحُ، وعُقِرَت الخيل، وكَثُرَت الجِراحُ، والقتلى[٢]، وتضاربوا بالسيوف والعَمَدِ، فقُتِلَ فى المَعْرَكَة ابنُ عُبَيْسٍ ونافعُ بن الأزرق.

وكان ابْنُ عُبَيْسٍ قـد تَقَدَّمَ إلى أصحابه فقال: إنْ أُصِبْتُ فـأميركَم الرَّبيعُ بن عمرو الأجْذَمُ الغُـدانىُّ، فلما أُصيبَ ابْنُ عُبَيس أخَذَ الربـيع الرايةَ. وكان نافعٌ قد استـخلفَ عُبَيْـدَ الله بن المَاحُوز السَّلِيطىَّ. فـكان الرئيسان من بـنى يربوع: رئيس المسلمـين من بنى غُدَانـة بن يربوع، ورئيسُ الخـوارج من بنى سَلِيـط بن يربوعٍ، فاقتتلوا قتالاً شديداً.

وادَّعى قـتلَ نافع سَـلاَمَةُ البـاهلىُّ، وقال: لَـمَّا قَتَـلْتُهُ وكنـتُ على بِرْذَون وَرْد[٣]، إذَا برَجُلٍ على فـرسٍ ـ وأنا واقفٌ فى خُمْسِ قَيْس ـ يُـنَادى :يا صاحبَ الوَرْد! هَلُمَّ إلى المـبارزة. فوقـفتُ فى خُمْسِ بـنى تميم، فإذا به يَـعْرِضُهَـا علىَّ. وجعلتُ أتنـقَّلُ من خُمْسٍ إلى خُمْسٍ إلـى خُمْسٍ . وليس يُزايلُنى. فَـصِرْتُ إلى رَحْلى، ثُمَّ رَجَعْتُ . فرآنى فـدعانى إلى المبارزة، فلما أكْثَرَ خَرَجْتُ إلَيْـه فاخْتلفْنَا ضَرْبَتَيْنِ، فضـربتهُ فصرعته، فَـنَزَلْتُ لسلبه وأَخْذ رأسه، فَإذَا امـْرَأَةٌ قد رَأَتْنى حين قلتُ نافعا، فخرجتْ لتَثْأَرَ به، فلم يَزَلِ الرَّبيعُ الأَجْذَمُ يقاتلهم نَيِّفاً وعشرين يَوْماً. حتى قال يوما: أنا مَقْتَولٌ لاَ مَحَالَة. قالُوا: وكيف؟ قَالَ: لأنى رَأَيْتُ البارحةَ كَأَنَّ يَدى التى أصيبَت بكابُلَ انـحَطتْ من السماء فاسْتشلَتْنى، فلمـا كان الغَدُ قَاتَلَ إلى اللَيل، ثم غاداهُمْ فقتلَ. فتدافعَ أهلُ البصرة الرايَة حتى خافوا العَطَبَ، إذْ لم يكن لهم رئيسٌ، ثم أجمعوا على الحجَّاج بن باب الْـحِمْيرَىِّ فأباها، فقيل له: ألاَ ترَى أنْ رؤساءَ العرب بالحَضْـرة. وقد اختاروك من بينهم! فقال: مَشْـؤُومَةٌ، ما يأخذها أحدٌ إلا قتلَ، ثم أخذها، فلم يزل يقاتلُ الخوارج بدْولابَ، والخوارجُ أعَدُّ بالآلات والدُّروع والجواشنِ[٤]، فالْتَقَى الحجاجُ بن باب وعِمْرانُ بن الحارث الرَّاسبىُّ وذلك بعد

(١) دولاب : قرية بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ.

(٢) ر : « والقتلى » .

(٣) الورد : لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة فى كل شىء .

(٤) الحواشن : جمع جوشن ؛ وهو الدرع .

أن اقتتلوا زهاءَ شهر، فاختَلَفَا ضربتين، فسقطا ميتين، فقالت أمُّ عمرانَ ترثيه:

اللهُ أيَّدَ عــمْــرَانــاً وطَهَّــرَهُ وكان عمرانُ يدعُــو اللهُ فى السَّحر
يدَعــوه سَــرّاً وإعْـلاناً لـيــرزُقَــهُ شــهــادةَ بــيــدَىْ ملْــحَــادة غُــدَر
وَلَّى صَـحَابتُــهُ عن حَــرِّ ملحَمَـةٍ وشدَّ عمــرانُ كالضِرْغامــةِ الهصر

* * *

قولُ الرَّبيع: «اسْتَشْلتنى»، أى أخذَتْنى إليهـا واستَنْقذتنى. يقال: اسْتَشلاَه واشْتَـلاه. وفي الحـديث: «إن السارقَ إذا قُـطعَ سبـقتْـهُ يده إلى النار، فـإن تاب اسْتَشْلاَهَا». قال رُؤْبَة:

* إنَّ سلمانَ اشْتَلاَنَا ابنَ عَلى *

وقولُ الناس: «أَشْلَيْتُ كَلْـبِى» أى أغريتُهُ بالصيد، خطـأ، إنما يقال: آسدته، وأَشْلَيتُهُ: دعوتُه.

وقولُهـا: «بِيَدَىْ ملْحَادَة» «مـفْعَال» من الإلْحـاد، كما تقول: رجـل معطاءٌ يافتى، ومحسانٌ، ومكْرَامٌ، وأدْخلَت الهاءُ للمـبالغة، كما تُدْخَل فى راوية وعَلاَّمَة ونسَّابة.

«وغُدَر» «فعَلٌ» من الغَدْر. ولـ «فعل» بابٌ نذكره فى عقبِ هذه القصة. إذا فرغنا من خبر هذه الوقعة.

والضِرْغَامةُ: من أسماء الأسد.

والهصرُ: الذى يَهْصر كلَّ شىء، أى يَثْنيه، قال امرؤ القيس:

فلمَّا تـنَازعنا الحديثَ وأَسْـمَحتُ هصَرْت بغصنٍ ذى شَـمَاريخَ ميَّالِ

* * *

ولذكرنَا الصُّفْـريةَ والأزارقةَ والبَيْهَسِـيَّةَ والإباضيَّةَ تفسـيرٌ، لِمَ نسبَ إلى ابن الأزرق بالأزارقة، وإلى أبى بَـيْهَسٍ بالكُنْيَة المضـاف إليها. ونسبَ إلي صُـفْر ولـم يَنْسَبْ إلى واحدهم، ونـسِبَ إلى ابن إباضٍ فَجُعِلَ النسبُ إلى أبـيه؟ وهذا نذكره بعد باب « فُعَلِ » .

[لقطري يوم دولاب]

قال أبو العباس: ومما قيل من الشعر في يوم دُولاب قولُ قطريٍّ :

لَعَمْرُكَ إني في الحياة لَزاهدٌ ... وفي العَيْشِ ما لم ألقَ أمَّ حَكِيمِ(١)
منَ الخَفِرات البِيضِ لم يُرَ مثلُها ... شِفاءٌ لذي بَثٍّ ولا لِسَقِيمِ
لَعَمْرُكَ إني يَوْمَ أَلْطِمُ وَجْهَهَا ... على نائباتِ الدَّهرِ جِدُّ لئيمِ
ولو شَهِدَتني يومَ دولابَ أبصرَتْ ... طِعانَ فَتًى في الحربِ غيرَ ذَمِيمِ
غداةَ طَفَت عَلْمَاء بَكْرُ بنُ وَائلٍ ... وعُجْنا صُدورَ الخيلِ نحوَ تَمِيمِ
وكان لعَبْد القَيْسِ أولُ جَدِّها ... وأَحْلافِهَا من يحصُبٍ وسَلِيمِ(٢)
وظَلَّتْ شُيوخُ الأزْدِ في حَوْمةِ الوَغَى ... تَعُومُ وظَلْنَا في الجِلادَ نَعُومُ(٣)
فلم أرَ يوماً كان أكثرَ مُقْعَصاً ... يَمُجُّ دماً من فائظٍ وكَلِيمِ(٤)
وضارِبَةٍ خَدًّا كريماً على فَتًى ... أغرَّ نَجِيبِ الأُمَّهَاتِ كَرِيمِ
أصيبَ بِدُولابٍ ولم تَكُ مَوْطِناً ... له أرضُ دُولابَ ودَيْرُ حَمِيمِ(٥)
فلو شَهِدَتْنَا يومَ ذاكَ وخَيْلُنا ... تُبِيحُ من الكُفَّارِ كل حَرِيمِ
رأتْ فِتْيَةً باعُوا الإلَهَ نفوسَهم ... بِجَنَّاتِ عَدْنٍ عِنْدَهُ ونَعِيمِ

قوله: «ولو شهدَتْنَا يومَ دُولابَ» فلم يَنْصَرفْ «دُولابُ» فإنما ذاك لأنه أرادَ البَلْدَة، ودُولابُ: أعجميٌّ، مُعْرَّبٌ، وكلُّ ما كان من الأسماء الأعجميةِ نكرة بغير

---

(١) أم حكيم امرأة من الخوارج كانت مع قطرى. وكانت من أجمل النساء وجها، وأحسنهم بدينهم تمسكا. كانت تحمل على الناس وترتجز :

أَحْمِلُ رَأْساً قَدْ سَئِمْتُ حَمْلَهْ ... وقَدْ مَلَلْتُ دَهْنَه وغَسْلَهْ

ألا فتى يحمل عنى ثقله

(٢) يحصب بن مالك بن حمير؛ وسليم بن منصور. من قيس عيلان، وأصله مصغر وكبر للوزن.

(٣) فى البيت إقواء.

(٤) المقعص : المطعون .والفائظ. من قولهم: فاظ الرجل إذا مات.

(٥) دير حميم : موضع بالأهواز

الألفُ واللّامِ، فـإذا دخَلتْـه الألفُ واللامُ فقـد صار مُـعَرَباً، وصـار على قـياس الأسماء العربيـة، لا يمنعه من الصرف إلاّ ما يمنعُ العربيَّ، فـدولابُ «فُوعالٌ» مثلُ طومارٍ وسولاف. وكلُّ شيء لايَخُصُّ واحداً من الجنس من غـيره فهو نكرةٌ، نحوُ رجلٍ، لأن هذا الاسم يَلْحقُ كل ماكان على بِنْيَتـه، وكذلك حَمَلٌ وجَبَلٌ وما أشبه ذلك، فإن وقع الاسمُ فى كلام الـعجمِ معرفةً فلا سبـيلَ إلى إدخال الألف واللام عليه، لأنه معرفةٌ، فلا معنى لتعريفٍ آخـرَ فيه، فذلك غيرُ منصرفٍ، نحو فرْعَونَ وقارونَ. وكذلك إسحاق، وإبراهيمْ، ويَعْقُوب.

وقوله :

* غَدَاةَ طَفَتْ عَلْمَاءِ بَكْرُ بنُ وائلٍ *

وهو يريـدُ على الماءِ، فـإن العربَ إذا الْتَـقَتْ فى مـثل هذا الموضع لامَـان استجازُوا حذفَ إحـداهما استثقالا للتضعيف، لأنَّ مـا بَقِىَ دليلٌ على ماحُذِفَ، يقولون: «عَلْمَاء بَنُو فلان» كما قالَ الفَرَزْدَقُ :

وما سُبِق القَيْسِىُّ مِنْ ضَعْفِ حِيلةٍ ... ولكنْ طَـفتْ عَلْمَـاءِ قُلْفَـةُ خَـالِدِ

وكذلك كلُّ اسمٍ من أسماءِ القبائل تظهُر فـيه لامُ المعرفة فإنهم يُجبزون معه حذفَ النونِ التى فى قـولك «بَنو» لقرْبِ مَخْرَجِ الـنون من اللامِ، وذلك قولك : فلانٌ من «بَلْحارِثِ» و «بَلْعَنْبرِ» ، «بَلْهجَيْم».

وقال آخرُ من الخوارجِ :

يَرَى مَـنْ جـاءَ يَنْظُر مِـن دُجَـيْلٍ ... شَـيـوخَ الأزدِ طافـيـةً لَحـاهاَ(1)

وقال رجلٌ منهم :

شَـمِتَ ابنُ بَدْرٍ والحـوادثُ جَمَّـةٌ ... والحـائـزُونَ بِـنَافِـعِ بـن الأزْرَقِ
والموتُ حَـتْـمٌ لا مَـحَـالَـة واقعٌ ... مَنْ لا يـصـبِّـحُـه نَهَـاراً يَـطْرُقِ
فلـئن أمـيـرَ المـؤمنـينَ أصـابَـهُ ... رَيْبُ المـنونِ فـمن يُصِـبْـهُ يَغْـلقِ

(1) دجيل نهر بالأهواز

نَصَبَ بعـدَ « إنْ » لأنَّ حرفَ الجـزاء للفعـلِ، فإنما أرادَ: فَلَئنْ أصابَ أمـيرَ المؤمنين، فلماحذَف هذا الفعلَ وأضمَر ذَكَرَ «أصـاَبه» ليَدُلَّ عليه ، ومثلُه قولُ النَّمرِ ابن تولَب:

لا تَجْـزَعِى إنْ مُـنْفِـساً أَهْـلكتُـه ... وإذا هَلَكْتُ فـعندَ ذلكِ فَاجْـزَعى

وقال ذو الرُّمَّة :

إذا ابنَ أَبــى مُوسَــى بلاَلاً بَلَغْـتِــهِ ... فقــامَ بفأسٍ بين وِصْلَـيكَ جاَزِرُ[1]

لأنّ «إذا» لاّ يليها إل الفعلُ، وهى به أولَى.

(١) الوصل : واحد الأوصال ، وهى المفاصل .

هذا باب « فُعَل »

اعلم أن كلَّ اسمٍ علىَ مثالِ « فُعَل » فهـو مصروفٌ فى المعـرفة والنكرة إذا كان اسمـاً أصليًّا أو نعتـاً، فالأسماءُ نحـو، صُرَدٍ ونُغَرٍ وجُعَلٍ، وكـذلك إن كان جَمْعاً، نحـو: ظلم وغُرَف. وإن سَمَّيْتَ بشىء من هذا رجلا انصـرفَ فى المعرفة والنكرةِ. وأما النَّعْتُ فنحوُ رجلٍ حُطَمٍ ، كما قال :

* قد لَفَّهَا اللَّيلُ بسَوَّاق حُطَمْ *

وكذلـك مالٌ لُبَـدٌ، وهو الكَثـيرُ، من قـوله جلَّ جـلالُه : ﴿أَهْلَكتُ مَالا لُبَدًا﴾(١).

فإن كـان الاسمُ على «فُعَلَ» مَعْـدُولا عن «فَاعِلٍ» لم ينصـرفْ إذا كان اسمَ رجلٍ فى المعرفة، وينصرفُ فى النكرةِ، وذلك نحـوُ: عُمَرَ وقُثَمَ، لأنه معدولٌ عن عامر، وهو الاسمُ الجارى علـى الفعلِ، فهذا ممَّا معرفتُـه قبل نكرتِه، فإذا أُريدَ به مذهبُ المعرفة جاز أن تبْنيَه فى الـنداء من كل فعْلٍ، لأن المنادَى مُشَارٌ إليه، وذلك قولُك : يا فُسَقُ، ويا خُبَثُ ، تريدُ : يا فاسقُ ويا خبيثُ .

وإنما قالت : « بِيَدَىْ ملْحَـادَةِ غُدَرٍ » فى غير النداء للضرورة، فنقلتْـهُ معرفةً من النداء، ثم جـعلَتْه نكرة لخـروجه عنِ الإشارةِ، فنعـتَتْ به «ملْحَادَةٍ» كمـا قال الحُطَيْئَةُ :

أجَـوِّلُ مــا أُجَــوِّلُ ثـم آوِى ... إلـى بيـتٍ قَــعِـيــدتـهُ لكَـاعِ

وهذا لا يقعُ إلاَّ فى النداء ، ولكنْ للشاعرِ نقلُه نكرةً ونقلُه معرفةً. على حدِّ ما كـان له فى النداء. فُيلْحَقُ قـولُها «غُدَرٌ» بقـوله: رجلٌ حُطَمٌ، ومالٌ لُبـدٌ، وما أشْبَهَهُ، و «فَـعَال» فى المؤَنَّث بمنزلة «فُعَلٍ» فى المذكَّرِ، ولو سمـيتَ رجلاً «حُطَماً» لصَرَفْتَهُ، من قـولك: هذا سائقٌ حُطَمٌ، لأنه قد وقع نكرة غير مـعدولٍ، فهو فى النعوت بمنزلة «صُرَدٍ» فى الأسماءِ .

(١) سورة البلد .

هذا باب النسب إلى المضاف

[النسب إلى العلم المضاف]

اعلمْ أنك إذا نَسَبْتَ إلى عَلَمٍ مضاف فالوجهُ أن تَنْسُبَ إلى الاسم الأول، وذلك قولُك في عَبْد القَيْس: عَبْدِيٌّ، وكذلك في عبد الله بن دارم، فإن كان الاسمُ الثاني أشْهَرَ من الأول جاز النَّسَبُ إليه، لئلا يَقَعَ في النَّسب التباسٌ من اسمٍ باسم، وذلك قولُك في النَّسبِ إلى عَبْدِ مَنَافٍ مَنافيٌّ، وإلى أبي بَكْرِ بن كلابٍ بكْرِيٌّ.

وقد يجوزُ، وهو قليلٌ، أن تَبْنِي له من الاسمين اسماً على مثال الأربعة لِيَنْتَظِمَ النَّسَبُ، وذلك قولك في النسب إلى عبدِ الدار بن قُصَيٍّ عَبْدَرِيٌّ، وفي النسب إلى عبد القَيْس عَبْقَسِيٌّ.

[النسب إلى المضاف غير العلم]

فإن كان المضافُ غير عَلَمٍ فالنَّسبُ إلى الثاني على كل حال، وذلك قولُك في النسب إلى ابن الزُّبير زُبَيْرِيٌّ، لأن ابنَ الزبير إنما صارَ معرفةً بالزُّبير، وكذلك النَّسبُ إلى ابن رَأْلانَ رَأْلانِيٌّ، فلذلك قالوا في النَّسب إلى ابن الأزْرَقِ أزْرَقِيٌّ، وإلى أبي بَيْهَسٍ، بَيْهَسِيٌّ.

[النسب إلى الجماعة]

فأما قولهم: «صُفْرِيٌّ» فإنما أرادوا الصُّفْرَ الألوان، فَنَسَبُوا إلى الجماعة. وحَقُّ الجماعة إذا نُسِبَ إليها أن يَقَعَ النسبُ إلى واحدها، كقولك: مُهَلَّبِيٌّ. ومِسْمَعِيٌّ، ولكن جعلوا «صُفْراً» اسماً للجماعة، ثم نسبوا إليه، ولم يقولوا: أصْفَرِيّ، فيُنسَبُ إلى وحَدها، وإنما كان ذلك لأنهم جعلوا الصُّفْرَ اسماً للجماعة، كما تُسَمَّى القَبِيلةُ بالاسمِ الواحد، ألاَ تَرَى أن النسب إلى الأنْصار، أنْصَارِيٌّ لأنه كان عَلَماً للقبيلة، وكذلك مَدَائِنيّ. وتقولُ في النسبِ إلى الأبْناء من بني سَعْد أبناوي، لأنه اسمٌ للجماعة.

فأما قولهم: «الأزَارِقةُ»، فهذا بابٌ من النَّسَب آخرُ، وهو أن يُسَمَّى كلُّ واحدٍ منهم باسمِ الأبِ، إذا كانوا يُنْسَبُونَ، ونظيره المهَالِبَةُ، والمَسامِعةُ، والمناذِرَةُ.

ويقولون: جاءنى النُّمَـيْرُونَ والأشعَرُونَ جَعَلَ كلَّ واحدٍ منهم نُمَيْـراً وأشْعَرَ، فهذا يَتَّصِلُ فى القبائل، على ما ذكرتُ لك.

وقد تُنْسَبِ الجماعـةُ إلى الواحد علـى رأى أو دينٍ، فيكونُ له مـثلُ نَسَبِ الولادَة، كما قالوا أزْرَقِىٌّ، لمن كان على رأى ابن الأزْرَق، كما تقول تميمى وقيسىّ لمن وَلَده تميمٌ وقَيْسٌ، ومن قرأ: ﴿سَلاَمٌ على إلْيَاسينَ﴾[1]، فإنما يريد إلْيَاس عليه السلامُ، ومَنْ كان على دِينه، كما قال:

* قَدْنِىَ من نَصْرِ الخبيبينَ قَدِ *

يريدُ أبَا خُبَيْبٍ ومن معه.

وقد يجتـمعُ الرجل مع الرجل فى التثنيـة إذا كان مَجازهما واحـداً فى أكثر الأمر على لفظ أحدهما، فمن ذلك قـولهم: «العُمَرَان» لأبى بكرٍ وعمرَ رضى الله عنهما، ومن ذلك قولهم : «الخُبَيْبَانِ» لعبد الله ومُصْعَبٍ، وقد مضى تفسيرُه.

---

(١) سورة الصافات ١٣٠ .

عاد القولُ فى الخوارج

قال : والأزارقةُ لا تُكَفِّرُ أحدًا من أهل مقالتها فى دار الهجْرَةِ إلاَّ القاتلَ رجلاً مسلماً، فإنهم يقولون: المسلمُ حجةُ الله، والقاتلُ قَصَدَ لقَطْعِ الحجة.

[الأزارقة وولاة البصرة]

ويُرْوَى أن نافعاً مَرَّ بمالك بن مسْمَع فى الحرب التى كانت بين الأزْد ورَبيعةَ وبنى تميم، ونافعٌ مُتَقَلِّدٌ سيفاً، فقام إليه مالكٌ فضربَ بيده إلى حمَالة سيفه وقال: ألاَ تَنصرنا فى حربنا هذه! فقال: لا يحلُّ لِى ، قال: فما بالُ مُؤْمِنى بني تميمٍ يَنصرون كُفَّارَهم في هذه الحرب! فأمْسَكَ عنه، وخَرج بعدَ ذلك بأيامٍ إلى الأهْواز، فلما قُتِلَ مَنْ قُتِلَ ممَّنْ بَخَازرَ من الخوارجِ فى أيامِ ابن المَاحُوزِ كَرِهَ بَبَّةُ القتالَ، وأقام حارثةُ بن بَدْرٍ الغُدَانىُّ بإزاء الخوارج، يناوشُهم على غير ولايةٍ، وكان يقولُ: ما عُذْرُنا عندَ إخواننا من أهل البصرة إنْ وَصَل إليهم الخوارجُ ونحن دونهم! فكتب أهلُ البصرة إلى ابن الزُّبير يخبرونه بقُعُود بَبَّةَ، ويسألُونَه أن يُوَلِّيَ والياً، فكتب إلى أنَس بن مالك أن يُصَلىَ بالناس، فصلَّى بهم أربعين يوماً، وكَتَب إلى عمرَ بن عُبَيْدِ الله بن مَعْمَرٍ فولاّه البصرةَ. فلقيَه الكتابُ وهو يريد الحجَّ، وهو فى بعضِ الطريقِ، فرجَعَ فأقام بالبصرة، وولّى أخاه عثمانَ محاربةَ الأزارقَة، فخرج إليهم فى اثنى عشرَ ألفاً، ولقيه حارثةُ فيمن كان معه، وعبيدُ الله بن الماحُوز فى الخوارج بسُوق الأهْواز، فلمَّا عَبَرُوا إليهم دُجَيْلاً نهضَ إليهم الخوارجُ، وذلك قُبيلَ الظُّهْر، فقال عثمانُ بن عُبيد الله لحارثةَ بن بَدْر: أمَّا الخوارجُ إلاَّ ما أَرى! فقال له حارثة: حَسْبُك بهؤلاء! فقال: لا جَرَمَ، واللهِ لا أتَغَدَّى حتى أناجزَهم! فقال له حارثةُ: إنَّ هؤلاء لا يُقاتَلُونَ بالتَّعَسُّف، فأَبْقِ على نفسك وجُنْدك، فقال: أَبَيْتُمْ يا[1] أهل العراق إلاَّ جُبْنًا! وأنتَ يا حارثةُ، ما علمكَ بالحرب؟ أنتَ والله بغير هذا أعلَمُ! يُعَرِّضُ له بالشراب. فغضبَ حارثةُ، فاعتزلَ، وحاربَهم عثمانُ يومَه إلى أنْ غابت الشمسُ، فأَجْلَت الحَربُ عنه قتيلاً، وانهزَمَ الناسُ، وأخذَ حارثةُ الرايةَ، وصاحَ بالناس: أنا حارثةُ بن بدر، فثاب إليه قومُهُ، فعَبَرَ بهم دُجَيْلا، وبَلغَ قَتلُ عثمانَ البصرة؛ وخاف الناسُ الخوارجَ خوفاً شديدًا.

---

(١) ر : « أهل العراق » ؛ بحذف النداء .

وعَزَل ابن الزُّبير عُمَرَ بنَ عبيد الله، ووَلَّى الحارث بن عبد الله بن أبى رَبيعةَ، المعروفَ بالقُبَاعِ، أحدَ بنى مَخزوم، وهو أخو عُمَرَ بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزوميِّ الشاعر، فقدم البصرةَ، فكتبَ إليه حارثةُ بن بدر يسأله الولايَةَ والمدَدَ، فأراد توليتَه[1]، فقال له رجلٌ من بكْرِ بن وائلٍ: إن حارثةَ لَيس بِذاك، إنما هو رجل شَرابٍ[2]، وفيه يقولُ رجلٌ من قومه[3]:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ حارثةَ بن بَدْرٍ ... يُصَلِّى وهو أكفَرُ من حِمَارِ
ألم تَرَ أنَّ لِلْفتيان حظاً ... وحَظُّك فى البَغايا والقِمَارِ

فكتب إليهِ القُبَاعُ: تكفينى[4] حَرْبَهم إن شاء الله.

فأقام حارثةُ يدافِعُهُم.

فقال شاعرٌ من بنى تميمٍ يَذْكر عثمانَ بن عُبيد الله بن مَعْمَرٍ ومُسْلِمَ بن عُبَيْس وحارثةَ بن بدرٍ:

مضَى ابنُ عُبَيْس صابراً غيرَ عاجزٍ ... وأعْقَبَنا هذا الحجازىُّ عثمانُ
فأرْعَدَ من قبْلِ اللقاء ابن مَعْمَرٍ ... وأبرَقَ والبَرْقُ اليمانىُّ خَوَّانُ
فَضَحْتَ قُرَيْشاً غَثَّها وسَمِينَها ... وقيلَ بنو تَيْمِ بن مُرَّةَ عُزْلانُ[5]
فلولا ابنُ بدر للعرَاقَيْنِ لم يَقُمْ ... بما قام فيه للعرَاقَيْنِ إنسانُ
إذا قيل مَنْ حَامِى الحقيقةِ أومأَتْ ... إليه مَعَدٌّ بالأنوفِ وقَحْطان

* * *

قوله: «فأَرْعَدَ»، زعمَ الأصمعىُّ أنه خَطَأ، وأن الكُمَيْتَ أخطأَ فى قوله:

أرْعِدْ وأَبْرِقْ يا يَزِيد ... فما وَعِيدُكَ لى بضائر

وزعمَ أن هذا البيتَ الذى يُرْوَى لمُهَلْهِلٍ مصنوعٌ مُحْدَثٌ وهو قولُه:

---

(١) ر «أن بوليه».

(٢) ر: «صاحب».

(٣) نسبه المرصفى إلى علقمة بن عبد المازنى.

(٤) ر «تكفى».

(٥) عزلان: جمع أعزل؛ وهو من لا سلاح معه.

أَنْبَضُوا مَعْجِس القِسِى وأبْرَقْناكما تُرْعِدُ الفُحولُ الفحولا(١)

وأنه لا يُقــال إلاَ «رَعَد وبَرَقَ» إذا أَوْعَد وتَهَــدَّدَ ، وهو «يَرْعُدُ ويَبْــرُقُ» وكذا يُقالُ: رعَدَت السماءُ وبَرَقَتْ، وأرْعَدنْا نحن وأبْرَقنا، إِذا دَخَلنا فى الرَّعْدِ والبَرْقِ، قال الشاعرُ :

* فقلْ لأبى قابوسَ ما شِئْتَ فارْعُدِ *

ورَوَى غيرُ الأصمعى «أرْعَدَ وأَبْرَقَ» على ضَعْفٍ.

قوله: «والبَرْقُ اليَمانىُّ خَوَّان»، يريد والـبرقُ اليمانىُّ يخونُ. وأجودُ النَّسَبِ إلى اليمنِ «يَمَنِىٌّ» ويجوزُ «يمَان» بتخفيف الياء،وهو حَسَنٌ، وهو فى أكثر الكلامِ، تكونُ الألفُ عَـوَضاً من إحدى الـياءَين، ويجـوزُ «يَمَانىٌّ» فاعـلم ، تكونُ الألفُ زَائدةً وتُشَدَّدُ اليَاءُ، قال العَبَّاسُ بن عبد المُطَّلِبِ :

ضَرَبْنَاهُمُ ضَــرْبَ الأحَامِسِ غُدْوَةً بكــلِّ يَمــانىٍّ إذا هزُّ صَــمَّــمَـا(٢)

[تولية المهلب لقتال الخوارج وأخباره معهم]

ثم إنّ حارثةَ لَمَّـا تفرَّق الناسُ عنه أقـام بنهر تِيرَى ،فـعَبَرَتْ إليــه الخوارجُ، فهربَ وأصحابَه يُرْكُضُ، حتى أَتى دُجَيْلاً، فـجلس فى سفينة، واتَّبعه جماعةٌ من أصحابه، فكانوا معه، وأتاه رجلٌ من بنى تميمٍ وعليه سلاحُه، والخوارجُ وراءَه وقد تَوَسَّطَ حارثةُ ، فـصاح به: يا حارث؛ ليس مـثلى ضُيِّعَ، فقال للـملاَّح: قرِّبْ. فقرَّبَ إلى جُرُفٍ، ولا فُرْضَةَ هناك(٣).

فطَفَرَ(٤) بسلاحه فى الـسفينة ، فساخَتْ بـالقوم جميعـاً، وأقامَ ابنُ المَاحُوز يَجْبى كُوَرَ الأهوازِ ثلاثةَ أشهرٍ، ثم وَجَّهَ الزُّبَيْرَ بن علىٍّ نحوَ البصرة. فضجَّ الناسُ إلى الأحنف، فأتى الـقُبَاعَ فقالَ: أصلــح اللّهُ الأميرَا! إن هذا العدوَّ قـد غَلَبنا على سَوادنا وفَيْـئنا، فلم يبق إلاَّ أن يحْصُرَنـا فى بلدنا حتى نموتَ هَزْلاً، قال: فـسَمُّوا رَجلاً، فقالَ الأحنفُ: الرأىُ لا يُخيل(٥)، ما أرى لها إلا المُهَلَّــبَ بن أبى صُفْرَةَ،

---

(١) الإنباض : جذب الوتر ليرن ، ومعجس القوس : مقبضها، أو موضع السهم منها .

(٢) الأحامس : جمع أحمس، وهو الشديد الصلب فى الدين والقتال.

(٣) الجرف : ما أكله السيل من أسفل شقى الوادى والنهر . والفرضة : ثلمة فى النهر يسقى منها .

(٤) طفر : وثب . (٥) لا يخيل : لا يشتبه .

فقال: أوَ هذا رأىُ جميعِ أهلِ البصرة! اجتمعوا إلىَّ فى غَد، وجاء الزبيرُ حتى نزل الفُراتَ، وعَقَدَ الجِسْرَ ليَعْبُر إلى ناحيةِ البصرةِ، فخرج أكثرُ أهلِ البصرةِ إليه.

وقد اجتَمع للخوارج أهلُ الأهوازِ وكُوَرها، رغبةً ورَهْبَةً، فأتاه البصريون فى السُّفنِ وعلى الدوابـخ ورَجَّالة. فاسْوَدَّتْ بهم الأرضُ، فقـال الزبيرُ لَمَّا رآهم: أَبَى قومُنا إلاّ كُفْراً، فقطع[١] الجسرَ، وأقـام الخوارجُ بالفرات بإزائهم، واجـتمعَ الناسُ عند القُبَاعِ، وخافوا الخوارجَ خوفاً شديداً، وكانوا ثلاثَ فِرَق، فَسَمَّى قومٌ المهَلَّبَ، وسَمَّى قـومٌ مالكَ بنَ مسْـمَع، وسَمَّى قومٌ زيادَ بـن عمرو بن الأشرفِ الـعَتَكىَّ، فصرفهم، ثم اخـتَبَر ما عند مالك وزياد، فوجدَهما مُـتَثاقلَيْنِ عن ذلك[٢]، وعاد إليه مَنْ أشـار بهما وقـالوا: قد رَجَعْنا عن رأينـا، ما نَرَى لها إلاّ المُهَلَّب، فـوجَّه الحارثُ إليه فأتاه، فقال له: يا أبا سعيد، قد تَرَى ما رَهِقَنَا[٣] من هذا العدوّ، وقد اجتمعَ أهـلُ مصْرِكَ عليك، وقال الأحـنـفُ: يا أبا سعيد، إنَّا والله مـا آثرناك بها ولكنَّا لم نَرَ مَنْ يقومُ مَقامك. فـقال الحارثُ ـ وأَوْمأ إلى الأحنَف ـ إن هذا الشيخ لم يُسَمِّكَ إلاّ إيثـاراً للدِّين، وكلُّ مَنْ فى مصْرِك مادٌّ عَـيْنَهُ إليك. راجٍ أن يكشفَ اللهُ عز وجل هذه الغـمَّةَ بك، فقال المهلَّبُ: لا حـولَ ولا قوةَ إلاَّ بالله، إنى عندَ نفسى لَدُونَ ما وَصَفْتُمْ، ولستُ آبياً ما دَعَوْتُم[٤] إليه، على شُروطٍ أشترطُها. قال الأحنفُ: قُلْ، قال: على أنْ أنْتَخبَ مَنْ أحـببتُ، قال: ذاك لَكَ، قال: ولى إمْرَةُ كلِّ بلد أَغْلِبُ عليه، قال: وذاك لكَ، قال: ولى فَىءُ كل بلد أَظْفَرُ به.

قال الأحنفُ: ليس ذاك لكَ ولا لنَا، إنما هو فَىْء المسلمين، فإن صلبتَهم إياه كنتَ عليهم كعدوّهم، ولكن لك أن تُعطـى أصحابَك من فَىْءِ كل بلدٍ تغْلِبُ عليه ما شئتَ. وتُنْفِق(٥ منه مـا شئت٥) على مـحاربة عدوّك، فـما فضَلَ عنـكم كان للمسلمـين. فقال المهلب: فمَنْ لى بذلـك؟ قال الأحنفُ: نحن وأميرُك وجـماعةُ أهلِ مصرك، قال: قد قبلْتُ.

(١) ر. « فقطعوا ».
(٢) ر: « عن ذاك ».
(٣) رهقنا. أتعبنا.
(٤) س: « مما دعوتم ».
(٥-٥) ساقط من ر.

فكتَبـوا بذلك كتاباً ووُضِعَ عـلى يَدَى الصَّلْت بن حُرَيْث بن جـابرِ الحنفى، وانَتخَبَ المهَلَّبُ من جميع الأخماسِ، فبلغت نخْبَتُهُ اثنى عَشَرَ ألفاً، ونظروا ما فى بيت المال، فلم يكن إلاَّ مائَـتى ألف درهم، فعَجَزَت، فبعثَ المـهلبُ إلى التُّجَار: إنّ تجارتكم مُذ حَوْلٍ قد كَسَدَتْ علـيكم بانْقطاعِ موادِّ الأهواز وفارسَ عنكم، فهَلُمَّ فبايعونى واخْرُجُوا معى أوْفكُمْ إن شاء الله حـقوقكم، فتاجَرُوه، فأخذ من المال ما يُصْلِحُ به عسكَره، واتخذ لأصحابه الخفَاتِينَ والرَّانات المَحْشُوَّةَ بالصُّوف.

ثم نَهَضَ وأكـثر أصـحابه رَجَّـالُة، حتى إذا صـار بحذاء القـوم أمر بسـفُنٍ فأحضِرتْ وأُصْلِحتْ، فـما ارتفَع النهارُحتي فُرِغَ منها، ثم أَمَـرَ الناسَ بالعُبور إلى الفُراتِ، وأمَّر عليهم ابْنهُ المغيرةَ، فخرج الناسُ، فلما قاربوا الشاطئَ خاضتْ إليهم الخوارجُ، فحاربهم المغيرةُ ونَضَحَهم[1] بالسهام حتى تنَحَّـوْا، فصار هو وأصحابُه على الشاطئ، فحارَبُوهم فكشَفوهم وشَغَلـوهمْ، حتى عَقَدَ المهلّبُ الجِسْرَ، وَعَبَرَ والخوارجُ منهزمون، فَنَهَى الناسَ عن اتّباعهم، ففى ذلك يقول شاعرٌ من الأزْد:

إنَّ العــراقَ وأهلـهُ لم يخْـبُـروا ... مثل المُـهَلَبِ فى الحروب فَسَـلَّمُوا
أَمْـضى وأَيْمَنُ فى اللـقَاء نَقِـيبَـة ... وأَقَلَّ تـهليـلاً إذا مـا أحْـجَـمُـوا

التهليلُ: التكذيبُ[2] والانهزام.

وأبْلَى مع المغيرة يومـئذٍ عَطِيَّةُ بن عَمْرٍو العَنْبرىُّ، وكـان من فُرْسان بنى تميمٍ وشجعانهم، فقال عطيةُ:

يـدْعى رجــالٌ لـلـعـطاءِ وإنمـا ... يُدْعَـى عَطِيَّــةُ للطعـانِ الأجْـرَدِ

وقال الشاعر:

ومـا فــارسٌ إلاّ عطـيــةُ فــوقَـه ... إذا الحربُ أَبْدَتْ عن نَواجذها الفَما
بـه هَـزَمَ اللهُ الأزَارِقَ بـعــدَمــا ... أباحُـوا من المِصْرَيْن حِـلاًّ ومحْـرَمَا

فأقام المـهلَّبُ أربعين يوماً يَجْبـى الخراجَ بِكُور دجْلَة، والخوارجُ بنهـر تيرَى والزبيـر بن علىٍّ منفردٌ بعـسكره عن عسـكر ابن الَماحُوزِ، فَـقَضى المهلَّب التُّـجَارَ

(١) نضحهم بالسهام: رماهم بها.

(٢) قال المرصفى: «التكذيب: مصدر كذب فى القتال إذا فر ونكس».

وأعطَى أصحَابَه، فـأسرع إليه الناسُ رغبةً فى مجـاهدة الخوارج، ولما فى الغنائم، وللتِّجارات، فكان فـيمن أتاه محمدُ بن واسعِ الأزدىُّ وعبـدُ الله بن رِيَاحٍ ومُعاويةُ ابن قُرَّةَ المَرىُّ ـ وكان يقـولُ ـ يعنى معاوية ـ: لو جاء الدَّيْلَـمُ من هاهنا والْحَرورية من هاهنا لحاربتُ الحـروريةَ ـ وأبو عمرانَ الجَوْنىُّ كان يقول: وكَـانَ كَعْبٌ يَقُولُ: قَتيلُ الحرورية يَفْضُلُ قَتيلَ غيرهم بَعَشَرة أَنْوارٍ.

ثم نَهَضَ المهلّبُ إليهم إلى نهر تِيرَى. فَتَنَحَّوْا عنه إلى الأهواز. وأقام المهلَّبُ يَجْبِى ماحَـواليهِ من الكُـور، وقد دَسَّ الجَـواسيسَ إلى عـسكر الخوارجِ، فـأتَوهُ بأخبارهم ومَنْ فى عسكرِهم، فإذا حُشْوةٌ[1]، ما بين قَصَّارٍ وصبَّاغٍ ودَاعرٍ وحَدَّاد.

فَخَطَبَ المهـلّبُ الناسَ فَذَكَرَ مَنْ هُناكَ وقـال للناس: أَمِثْلُ هؤلاء يَغـلبونكم على فَيْئكم! فلم يَزَلْ مـقيماً حتى فهمَهُمْ وأُحْكَمَ أَمْرَهُ، وقَـوَّى أصحابَه، وكثرتِ الفُرْسانُ فى عسكره، وتَتامَّ إليه زُهاءُ عشرينَ ألفاً.

ثم مَضَى يَؤُمُّ سُوقَ الأهوازِ، فاستَخْلَفَ أخاه المُعاركَ بنَ أبى صُفْرَةَ على نهر تيرَى ، وفى مُقَدَّمـته المغيرةُ بن المهلب، حتى قاربَهُمُ المغيـرةُ، فَنَاوَشوه، فانكشفَ عنه بعضُ أصحابِهِ، وثبتَ المغيرةُ بَقيَّةَ يومِهِ وليلته، يُوقدُ النيرانَ ثم غاداهم القتالَ، فإذا القومُ قد أوقدوا النِّيرَانَ فى ثِقْلة متاعهم، وارتَحُلوا عن سوق الأهواز، فدخلَها المغـيرة، وجاءت أوائـلُ خيلِ المهلَّب، فـأقام بسُـوق الأهواز، وكتـب بذلك إلى الحارث بن عبد الله بن أبى رَبيعة كتاباً يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ: فإنا منذُ خرجنا نَؤُمُّ هذا العدوَّ فى نعَمٍ من الله متصـلة علينا، ونقْمة من الله مـتتابعة علـيهم، نُقْدِمُ ويُحْجِـمونَ، ونَحُلُّ ويَرتحلونَ، إلى أن حَلَلْـنَا سُوقَ الأهوازِ، والحمدُ لله ربِّ العـالمين، الذى من عنده النصرُ، وهو العزيزُ الحكيمُ.

فكتب إليه الحـارثُ : هَنِيئاً لك أَخَا الأزْدِ، الشَّرَفُ فى الـدنيا، والذخرُ فى الآخرةِ، إن شاء الله !

فقال المهلّبُ لأصـحابه : ما أَجْفَىٰ أهلَ الحجـار ! أَمَا تَروْنَهُ عرف[2] اسمى واسمَ أبى وكُنْيَتِى !

---

(١) حشوة الناس: رذالهم .

(٢) ر : « يعرف » .

وكان المهلّبُ يَبُثُّ الأحراسَ فى الأمْنِ، كما يبثُّهم[1] فى الخوف، ويُذْكى العُيونَ فى الأمصار، كما يُذْكيها فى الصَّحَارَى، ويأمُر أصحابَه بالتَّحَرُّز، ويُخوفهم البيَاتَ [1]، وإن بَعُدَ منهم العدوُّ، ويقولُ: احْذَرُوا أن تُكادُوا كما تَكيدون، ولا تقولوا: هَزَمْنَا وغَلَبْنَا، فإنَّ القومَ خائفون وجِعُونَ، والضرورةُ تَفْتَحُ بابَ الْحِيلةِ، ثم قامَ فيهم خطيباً فقال :

يا أيُّها الناس؛ إنكم قد عَرفْتُم مذهبَ هؤلاء الخوارج، وأنهم إنْ قَدَرُوا عليكم فَتَنوكُمْ فى دينكم وسَفَكوا دماءَكم، فقاتلُوهم على ما قَاتَلَ عليه أولهم علىٌّ بن أبى طالب صلوات الله عليه، فقد لقيهُمْ قبلكم الصَّابُر المحتسبُ مُسْلِمْ بن عبيس، والعَجِلُ المفرط عثمان بن عبيد الله، والمعصى المخالف حارثة بن بدر، فقتلوا جميعاً وقتلوا. فالْقوهم بجدٍّ وحَدٍّ، فإنما هُمْ مَهَنَتُكُمْ وعبيدكم، وعارٌ عليكم، ونقصٌ فى أحسابكم وأديانكم أن يغلبكم هؤلاء على فَيْئِكُم، ويطئوا حريمَكُم.

ثمَّ سار يُريدُهُمْ، وهُمْ بمَنَاذرَ الصُّغْرَى، فَوجَّه عبيدُ الله بن بَشير بن الماحُوز رئيس الخوارج رجلاً يقال له واقدٌ، مَوْلًى لآل أبى صُفْرَةَ من سَبْىِ الجاهلية، فى خمسين رجلاً، فيهم صَالحُ بن مخْراق، إلى نهر تيرَى، وبها المعاركُ بن أبى صُفْرَةَ، فقتلوه وصلبوه، فَنَمى الخبرُ إلى المهلَّب. فَوَجَّهَ ابْنَهُ المغيرةَ فدخلَ نهر تيرَى وقد خرج وَاقدٌ منها، فاستنزلَه ودفنه، وَسكَّنَ الناسَ، وَاسْتَخْلفَ بها، ورجع إلى أبيه وقد حل بسُولاف[2]، والخوارجُ بها، فَواقعهُمْ، وجعل على بنى تميم الْحَرِيشَ بن هلال، فخرج رجلٌ من أصحاب المُهَلّب، يقال له عبدُ الرحمن الإسكافُ، فَجَعَلَ يَحُضُّ الناسَ وهوعلى فرس له صفراءَ، فَجَعَلَ يأتى الميمنةَ والْيَسَرة والقَلْبَ، فيَحُضُّ الناسَ ويُهَوّنُ أمرَ الخوارج، ويَخْتالُ بين الصَّفّين، فقال رجلٌ من الخوارج لأصحابه: يا معشر المهاجرين، هل لكم فى فتكة فيها أريحيةٌ؟

فحملَ جماعة منهم على الإسكاف فقاتَلهم وحدَه فارساً، ثم كبَا به فرسُهُ[3] فقاتلهم راجلاً، قائماً وباركا، ثم كَثُرتْ به الجَراحَاتُ، فَذَبَّبُ بسيفه، وَجَعلَ يحثُو

(١) البيات : الإيقاع بالقوم وهم غارون .

(٢) سولاف : قرية غربى دجيل .

(٣) كبا به الفرس : أى عثر .

الترابَ فى وجـوههم، والمهلَّبُ غيرحاضـر، ثم قُتلَ رحمه الله ، وحَـضَرَ المهلّب فأُخبر. فقال للحَريش وعطيَّةَ العنْبَرِىِّ : أأسْلَمتُمَا سيدَ أهل العسكر، لم تُعينَاه ولم تَسْتَنْقذَاهُ حسداً له، لأنه رجل من الموالى! ووبَّخَهُمَا وحَمَلَ رجلٌ من الخوارج على رجلٍ من أصحابه فقتله، فحمل عليه المهلَّبُ فطعنه وقتَله، ومالَ الخوارجُ بأجمعهم على العسكر، فانهزَم الناسُ، وقتلوا سبعين رجلاً وثَبتَ المهلّبُ وأَبْلَى المغيرةُ يومئذ وعُرِفَ مكانُهُ، ويقال: حاصَ المهلبُ يومئذ حَيْصَة(١). وتقولُ الأزْدُ: بل كان يَرُدُّ المنْهَزِمَةَ ويَحْمى أدبارَهم ، فقال رجلٌ من بَنِى منْقَر بن عُبَيْدِ بن الحارثِ بن كَعْبِ ابن سَعْد بن مَنَاةَ بن تميمٍ :

بسولافٍ أَضَعْتَ دماءَ قومى ... وطِرْتَ على مُوَاشِكَةٍ دَرُور

قوله : «مُوَاشِكَة» يريدُ سريعةً. ويقال: نحنُ على وشْكِ رحيلٍ. ويقال: ذَميلٌ مُواشِكٌ، إذا كان سريعاً، قال ذُو الرُّمَّة :

إذا مَا رَمَيْنَا رَمْيَةً فى مَفَازَةٍ ... عَرَاقِيبهَا بالشيَّظَمى المُواشكِ(٢)

ودَرُورٌ : «فعُولٌ» مِنْ دَرَّ الشَّىْءُ . إذَا تَتَابَعَ.

وقال رجلٌ من بنى تميمٍ آخَرُ :

تَبِعْنَا الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ طَوْعاً ... يُزَجِّى كُلُّ أربَعَةٍ حِمَاراَ(٣)

فيا نَدَمَى على تَرْكِى عطَائى ... مُعَايَنَةً وأَطلُبُهُ ضِمَاراَ

إذَا الرَّحْمنُ يَسَّر لى قُفُولاً ... فحَرَّقَ فى قُرَى سولاف نارا

قوله: «الأعورَ الكذَّابَ». يعنى المُهَلّبَ، ويقال: عارتْ عينه بسهمٍ كان أصابها، وقال: «الكذَّابَ» لأن المهلَّبَ كان فقيهاً. وكان يعلمُ ما جاء عن رسول الله ﷺ من قوله: «كُلُّ كَذِبٍ يُكْتَبُ كَذِباً إلاَّ ثلاثة: الكذبُ فى الصَّلح بين الرجلين، وكذبُ الرجلِ لامرأته يَعدُها، وكَذِبُ الرجلِ فى الحربِ يَتَوَعَّدُ ويَتَهَدَّدُ».

وجاء عنه ﷺ : «إنما أنتَ رجلٌ فَخَذِّلْ عَنَّا فإنما الحربُ خُدْعَةٌ».

---

(١) حاص حيصة : أى جال جولة يطلب بها الفرار .

(٢) الشيظمى : الطويل الجسم.

(٣) يزجى : يسوق .

وقال عليه السلام فى حرب الْخَنْدق لسعد بن عُبَادَة وسعد بن مُعاذ. وهما سَيدا الحيَّيْن. الْـخَزْرج والأوْس: «إيتيَا بَنى قُرَيْظَةَ. فإن كانوا علـى العهدِ فأعْلنَا بذلك وإن كَانوا قـد نَقضُوا ما بـيننا فَالْحَنَا لى لَحنًا أعْـرفه. ولا تَفُتَّا فـى أعْضَاد المسلمين. فرجَعَا بغَدْر القومِ فقالا: يارسول الله عَضَلٌ والقَارَةُ، قال: فقال رسولُ الله ﷺ للمسلمين: «أَبْشرِوا فإن الأمْرَ ما تحِبُّونَ».

* * *

[قال الأخـفشُ: سألتُ المَبَرِّدَ عـن قولهمـا: «عَضَلٌ والقَارَة» فـقال: هذان حَيَّانِ كانا فى نهاية العداوة لرسول الله ﷺ . فأرادَا أنهم فى الانحراف عنه والغدر به كهاتين القبيلتين] .

* * *

قال أبو العبـاس: فكان المهلّبُ ربما صَنَعَ الحديثَ ليَشُـدَّ به من أمرِ المسلمين ويُضَعِّفَ من أمـرِ الخوارج ،فكان حَىٌّ من الأزْدِ يقال لـهم النَّدَب إذا رَأَوُا المهلَّبَ رائحاً إليهم قالوا: قد راحَ المهلّبُ ليكذبَ! وفيه يقولُ رجلٌ منهم :

أنـتَ الـفـــتى كـلُّ الـفـــتـى ... لـو كُنْـتَ تَصْــدُقُ مـــا تَقُـــولُ

* * *

فبـات المهلبَ فى ألفَيْنِ، فلمـا أصبح رجَع بعضُ المنـهزِمة فصـارَ فى أربعة آلاف، فخطـب أصحابَه فـقال: والله ما بـكم من قلَّة،وما ذَهَـبَ عنكم إلاّ أهلُ الجُبْنِ والضَّعْـف والطَّمَعِ والطَّبَعِ، فإنَ يَمسَّـسْكُمْ قَرْحٌ فقد مَسَّ القـومَ قَرْحٌ مثلُهُ، فسيرُوا إلى عدوِّكم على بركةِ الله .

فقام إليه الحريـش بنُ هلاَل فقال: أَنْشدُكَ اللهَ (١) أيها الأميرُ أن تقاتلهم إلاَّ أن يُقاتلُوك! فإن بالقوم جراحاً وقد أثخنَتْهُمْ هذه الجَوْلةُ.

فقبِلَ منه ومَـضى المهلَّبُ فى عشَرة. فأشْرَفَ على عـسكر الخوارج. فلم يَرَ منهم أحـداً يتحَّـركُ. فقـال الحريشُ: ارتَحلُ عـن هذا الموضعِ، فارتَـحَلَ. فعَـبَرَ دُجَيْلا، وصار إلى عَاقُول (٢) لا يُؤْتى إلاّ مِن وجهٍ واحدٍ. فأقام به واستراحَ الناسُ ثلاثاً، وقال ابنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ :

---

(١) أنشدك الله : أى أذكرك الله .

(٢) العاقول : الأرض لا يهتدى لها .

ألا طرقتْ مـن آل بثنةَ طارقَـهْ[1] | على أنهـا مَعشُـوقةُ الدَّل عاشـقَهْ
تبيت وأرضُ السُّوسِ بَـيْنِي وبينها | وسُولافُ رُسْـتَاقٌ حَمَتْـهُ الأزَارِقَهْ
إذا نحن شِـئْنَا صَـادَفَتْـنَا عصـابةٌ | حُرُوريةٌ أَضْحَتْ مـن الدِّين مارقه
أجازَتْ إليـنا العسْكَرَيْـن كَلَيْهـمَا | فبـاتتْ لنا دُونَ اللحَـاف مُـعَانِـقهْ

وقد ذكرنا «الضّمارَ» ومعناه الـغائبُ، وأصلهُ من قولك: «أَضْمَرْتُ الشيءَ» أى أخفـيتُـهُ عنك، ويقال: مـالٌ عيْنٌ، لـلحاضـر، ومالٌ ضِمـارٌ للغائـب، قال الأعْشىَ:

ومَـن لا تَـضِـيـعُ لـه ذمَّـةٌ | فـيَجْـعَلـهَا بـعد عَـيْنٍ ضِـمـارَا

وقال أيضاً :

أبـانـا فَـلاَ رِمْـتَ مِـنْ عِنْـدنَـا | فـإنَّا بِـخَـيْـرٍ إذَا لَـمْ تَـرِمْ
أرانَـا إذا أضْـمَـرَتْـك الـبِـلا | دُ نُجْـفَـى وتقـطعُ مِـنَّـا الرَّحِـمْ

والفعـلُ من هذا أَضْمَـرَ يُضْمِرُ، والمفـعولُ به مُـضْمَرٌ، والفـاعل مُضْـمِرٌ، والضّـمارُ اسمٌ للفـعل فى معنـى الإضمار، وأسـماءُ الأفعـال تَشْرَكُ المصـادرَ فى معـانيها، تقـول: أعطيته عَطـاءً، فَيَشْرَكُ العَـطاءُ الإعْطاءَ فى معناه. ويُـسمَّى به المفعولُ، وتقول: كلَّمـتُه تكليماً وكلاَّماً، فى معناه، والمـصدرُ يُنْعتُ به الفاعلُ فى قولك: رجلٌ عدلٌ، ورجلٌ كرَمٌ، ورجلٌ نوْمٌ. ويومٌ غَـمٌّ وغَيْمٌ، وينعتُ به المفعولُ فى قـولك: رجـل رضىً. وهذا درهم ضَـرْبُ الأمـيـر. وجاءَنـى الخَلْقُ، تعـنى المخلوقين.

* * *

وقال رجلٌ من الخوارج في ذلك اليومِ :

وكـائنْ تركْنَا يـومَ سُولافَ مـنهمُ | أسارَى وقتْلَى فى الجحيم مَصِيرُها

وقوله : «وكائنْ» معناه «كمْ». وأصلُه كافُ التشبيه دخلتْ على «أيٍّ» فصارتا بمنزلةِ «كم». ونظيرُ ذلك له كذا وكذا درهـما. إنما هى «ذا» دخلت عليها الكاف، والمعنى له كهذا العـدد من الدراهم، فإذا قال: له كذا كذا درهمـاً، فهو كناية عن

(١) ر «ببية» . س . «مية» . وما أثبته رواية الأصل .

أحَدَ عَشَرَ درهماً إلى تسعةَ عَشَرَ، لأنه ضَمَّ العدَدَيْن، فإذا قال: كذا وكذا، فهوكناية عن أحد وعشرين إلى ما جازَ فيه العطفُ بعدهُ. ولكنْ كَثُرَتْ «كأىٍّ» فَخُفِّفَتْ والتثقيلُ الأصلُ، قال الله تعالى: ﴿وَكَأَىٍّ من قرْيَة أَمْلَيْتُ لهَا وهى ظالمةٌ﴾(١) ﴿وكَأَىٍّ مِنْ نبىٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيونَ كَثيرٌ﴾(٢)، وقد قرئ بالتَّخْفيفِ كما قالَ الشاعرُ :

وكَائن رَدَدْنَا عنكم مِن مدجّجٍ يَجِىءُ أَمامَ الألْف يرْدِى مُقَنّعا(٣)

وقال آخرُ :

وكائن تَرى يومَ الغُمَيْصاءِ مِن فتى أصيب ولم يجْرَحْ وقد كان جارِحًا(٤)

قال أبو العباس: وهذا أكثرُ على ألسنتهم، لطلب التخفيف. وذلك الأصلُ، وبعض العرب يَقْلِبُ فيقول: «كَيْءٍ» يافتى، فيؤخِّرُ الهمزة لكثرة الاستعمال، قال الشاعر:

وكَيْءٍ فى بنى دُودَانَ منهم غداةَ الرَّوْعِ معروفاً كَمىٌّ

قال أبو العباسِ: فأقام المهلبُ فى ذلك العَاقولِ ثلاثةَ أيامٍ ثم ارتحلَ. والخوارج بسلَّى وَسِلَّبْرَى.

* * *

[قال الأخفش : « سَلَّى » و « سَلَّبْرى » بفتح السين فيهما: موضعانِ بالأهواز، و « سِلَّى » بكسر السين موضعٌ بالبادية، وكذا يُنْشَدُ هذا البيت :

كَأَنَّ غَديرَهمْ بجنُوبِ سَلَّى نَعامٌ قاقَ فى بلدٍ قِفَار

* * *

فننزل قريباً منهم، فقال ابن الماحوزِ لأصحابه: ما تنتظرون بعدُوِّكم وقد هزَمتموهم بالأمس وكَسرْتمْ حَدَهم؟ فقال له وافدٌ مَوْلَى أبى صُفْرَةَ: يا أمير المؤمنين، إنما تَفَرَّقَ عنهم أهلُ الضعف وَالجُبْن، وبَقِى أهلُ النجُدةِ والقوَّةِ، فإن

---

(١) سورة الحج ٤٨ . (٢) سورة آل عمران ١٤٦ .

(٣) يردى : يعدو . والمقنع : المغطى بالسلاح .

(٤) الغميصاء : موضع بالبادية قرب مكة .

أصبتهم لم يكن ظفراً هنيئا، لأني أراهم لا يُصابون حتى يصيبوا، فإن غَلَبْوا ذهب الدِّينُ، فقال أصحابُهُ: نافقَ وافدٌ، فقال ابن الماحُوز: لا تَعْجَلُوا على أخيكم، فإنه إنما قال هذا نظراً لكم، ثم تَوَجَّهَ الزبير بن على إلى عسكر المهلَّب لِيَنْظرَ ما حالهم، فأَتَاهم في مائَتَين، فَحزَرَهمْ ورجَع وأَمَرَ المهلَّبُ أصحابَه بالتَّحارُس، حتى إذا أَصبح ركبَ إليهم على تَعْبِيَة صحيحة، فالْتقَوْا بسِلَّى وَسِلَّبْرَى فَتصَافُّوا، فخرج من الخوارج مائة فارس، فركَزوا رماحهم بين الصَّفَّين واتَّكئُوا عليها، وأخرج إليهم المهلَّب عدادَهم، ففعلوا مثلَ ما فعلوا، لا يَرِيمُونَ إلاَّ لِصلاةٍ حتى أَمْسَوْا، فرجع كلُّ قوم إلى مُعَسْكرِهِمْ، ففعلوا هذا ثلاثةَ أيامٍ.

ثم إن الخوارجَ تَطاردُوا لهم في اليوم الثالثِ، فحَمَلَ عليهم هؤلاء الفرسان يجولون ساعةً. ثم إن رجلاً من الخوارج حَمَلَ على رجل فطعنهُ، فحمل عليه المهلَّبُ فطعنه، فَحَمَلَ الخوارجُ بأجمعهم، كما صَنَعُوا يوم سُولافَ، فَضَعْضعوا الناسَ، وَفقدَ المهلَّبُ. وثبتَ المغيرةُ في جمعٍ أكثرُهم أهلُ عمانَ، ثم نجم المهلّبُ[1] في مائة فارسٍ. وقد انغمَسَتْ كفّاهُ في الدَّمِ، وعلى رأسه قَلَنْسُوَةٌ مُرَبَّعةٌ فوقَ الْمغفر[2] مَحْشُوَّةٌ قَزًّا. وقد تَمَزَّقَتْ، وإنّ حَشْوَها لَيَتطَايرُ، وهو يَلْهَثُ، وذلك فيَ وقت الظُّهْرِ، فلم يَزَل يحاربُهم إلى الليل، حتى كثُرَ القتلُ في الفريقين.

فلما كان الغَدُ غاداهم، وقد كان وَجَّهَ بالأمسِ رجلا من طاحية بن سودِ بن مالك بن فهْم بن الأزد يَردُّ المنهزمين، فمرَّ به عامرُ بن مسْمَعٍ فردَّه، فقال: إن الأميرَ أذنَ لي، فبعث إلى المهلَّب فأعلمه، فقال: دعْهَ فلا حاجةَ لي في مثله من أهلِ الجبنِ والضَّعْف، وقد تفرَّق أكثرُ الناسِ، فغاداَهم المهلّبُ في ثلاثة آلاف، وقال لأصحابه: ما بكُمْ من قلة، أيعجزُ أحدُكُمْ أن يَرْمي رمحه ثم يَتَقَدَّمٍ فيأخُذَه، ففعلَ ذلك رجلٌ من كنْدَةَ يقالُ له عيَّاشٌ، وقال المهلَّبُ لأصحابه: أعدُّوا مخاليَ فيها حجارةٌ وارمُوا بها في وقت الغَفْلة. فإنها تصدُّ الفارسَ وتصرَعُ الراجلَ، ففعَلوا، ثم أمر منادياً يُنادي في أصحابه، يَأمُرُهم بالجدِّ والصَّبْرِ، ويُطْمعُهُم في العدُوِّ، ففعَلَ، حتى مَرَّ ببني العدويَّة، من بني مالك بن حنْظلة فضَرَبُوهُ، فدعا

---

(١) نجم : ظهر .

(٢) المغفر : ما يقي الرأس : وهو حلق يتقنع بها المسلح .

المهلَّبُ بسيِّدهم، وهو معاوية بن عمْرو فَجَعَلَ يَرْكُلُه(١) برجْله، وهذا معروفٌ في الأزد، فقال: أصلَح الله الأمير! أَعْفني مِنْ أُمِّ كيْسَانَ - والرُّكْبَةُ تُسَمِّيهَا الأزْدُ «أمَّ كَيْسَانَ». ثم حمل المهلَّبُ وحَمَلُوا . فاقتتلوا قتَالاً شديداً. فجَهد الخوارجُ، فنادى مُناديهم: أَلا إنّ المهلَّبَ قد قُتِلَ! فركبَ المهلَّبُ برْذوْناً قصيرا أَشْهَبَ. وأَقبَلَ يركُضُ بين الصَّفَّيْنِ، وإنَّ إحْدَى يديه لَفِي القباء ومـا يَشْعُرُ بها. وهو يصـيحُ أنَا المهلَّبُ! فسكنَ الناسُ بعـدَ أَنْ كانوا قد ارتابُوا، وظنُّوا أنَّ أميرَهم قـد قُتل، وكَلَّ الناسُ مع العَصْـر، فصاحَ المهلبُ بابنـه المغيرة: تقَدَّمْ. فَـفَعَلَ. وصاحَ بذَكْـوانَ موْلاه. قدِّمْ رَايَتَكَ. فَفَعل. فقال له رجلٌ مِـن وَلَده: إنك تُغَـرِّر بنفسك، فَذَمَرَهُ(٢) ثم صاحَ: يا بني تميم، أآمُرُكُمْ فتعصونني! فَتـقدَّمَ وتقدم الناسُ، واجْتَلَدُوا أشدَّ جلاد ، حتى إذا كان مع المَسَاء قتلَ ابنُ المَاحُوز. وانصرفَ الخوارجُ ولم يَشْعُر المهلَّبُ بقتله، فقال لأصحابه: ابْغـوني رجلاً جَلْداً يطُوفُ في القَتْلَى، فأشاروا عـليه برجلٍ من جَرْمٍ، وقالوا: إنَّا لم نَر رجلا قَط أَشـدَّ منه، فَطَوَّفَ ومعه النِّيرَانُ، فَجَـعَلَ إذا مَرَّ بجريح من الخوارج قال: كافـر وربِّ الكعبة! فأَجْهَزَ عليه. وإذا مَـرَّ بجريحٍ من المسلمين أمَرَ بسَقْيِه وحَمْله.

وأقام المهلَّبُ في عسكره يأمُرهم بالاحتراسِ، حتى إذا كان نصفُ الليل وَجَّهَ رجلاً من الْيَحْمَد. في عَشَرة فصاروا إلى عسكرِ الخوارجِ، فإذا القوم قد تحَمَّلُوا إلى أرّجَانَ، فرجَع إلى المـهلبِ فأَعْلَمَهُ، فقال: أنـا لَهُم السَّاعَةَ أشدُّ خوفـاً. فاحْذَرُوا البَيَاتَ.

* * *

[قـال الأخْفَشُ: الْيـحْـمَدُ من الأزد. والخلـيلُ مِنْ بَطْنٍ مـنهم يقـال لهم الفَرَاهيد. والـفُرْهُودُ في الأصلِ الحملُ، فإنْ نَسَبْـتَ إلى الحيِّ قلتَ: «فَرَاهِدِي»، وإن نسبت إلى الحمْلاَنِ قلتَ: «فُرْهُودِيٌّ» لا غَيْرُه].

* * *

قال أبو العـباس : ويرْوَى عن شـعْبة بن الحجَّـاج أن المهلَّب قال لأصـحابه يوماً: إن هؤلاء الخوارج قد يئِسوا من ناحيتكم إلا من جهة البَيَاتِ. فإن كان ذلك

(١) الركل : الرفس بالرجل .
(٢) ذمره : حضه .

فاجْعلوا شعارَكُمْ «حَمّ لا يُنْصرُون» فإن رسولَ الله ﷺ كان يأمُرُ بها ،ويُرْوَى أنه كان شعارَ أصحابِ على بن أبى طالبِ صلوات الله عليه.

فلمَّا أصبحَ المهلب غَدَاً على القَتْلى، فأصاب ابنَ الماحُوزِ فيهم:

ففى ذلك يقول رجل من الخوارج:

بِسِلّى وَسِلْبرَّى مَصَارِعُ فِتْيَةٍ   كِرَامٍ وَجَرْحَى لم تُوَسَّدْ خُدُودها

وقال آخرُ:

بسِلَّى وسَلْبرَّى مصارِعُ فتيةٍ   كِرامٍ وعَقْرَى من كُمَيْت ومن وَرْدِ[1]

* * *

وقال رجلٌ من موالى المهلّب: لقد صرعتُ يومئذ بحَجرٍ واحد ثلاثة. رميتُ به رجلا فأصبتُ أصل أُذْنه فصرعْتهُ، ثم أخذتُ الحجرَ فضربتُ به آخَرَ على هامتِه فصرعْتُه، ثم صرعتُ به ثالثاً.

وقال رجل من الخوارج :

أتانَا بأحْجار ليقتلَنا بها   وهل تُقْتَلُ الأبطالُ وَيْحَك بالحجَرْ!

* * *

وقال رجلٌ من أصحاب المهلَّبِ فى يومِ سِلَّى وَسِلبْرَى وَقَتْل ابن المَاحُوز:

وَيَوم سلى وَسِلْبرَى أحاط بهم   منَّا صواعقُ ما تُبْقى وَلا تذَرُ
حتى تَرَكْنا عُبَيْدَ الله مُنْجدِلا   كَما تَجَدَّلَ جِذْعٌ مَالَ مُنْقعِرُ

قال أبو العباس : تقولُ العربُ: «صاعقةٌ وَصواعقُ»، وهو مذهبُ أهل الحجاز، وبهُ نزلَ القرآنُ، وبنو تميم يقولون: «صاقِعَةٌ وصَوَاقِعُ».

والمُنْقَعِرُ: المُنْقَطِعُ من أصلِه، قال الله أصدقُ القائلين: ﴿كأَنهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقعِر﴾[2].

---

(١) نسبه ابن برى إلى أبى المقدام بيهس بن صهيب بن عامر الجرمى، وهو فارس شاعر كان مع المهلب فى هذه الحرب، وله مواقف مشهورة وبلاء حسن. وعقرى : جمع عقير؛ بمعنى معقور ، من عقر الفرس، إذا قطع قوائمه. (رغبة الآمل).

(٢) سورة القمر ٢٠ .

ويرُوْىَ أن رجلاً من الخوارج يوم سِلَّى حَمَلَ على رجلٍ من أصحاب المهلّب فطَعَنَه، فلما خـالطَه الرمحُ صاح: يا أَمَّتَاه! فصاح به المـهلَّبُ: لا أكْثَرَ اللهُ بمثلكِ المسلمْين! فضَحِكَ الخارجيُّ وقال:

أمُّك خـيـرٌ لـك منى صَـاحِبَـا تَسْـقِـيكَ مَـحْـضـاً وتَعُـلُّ رائِبـا

* * *

وكان المغـيرة بنُ المهلب إذا نَظَرَ إلى الرمـاحِ قد تَشَاجَرَتْ فى و جـهه نَكَسَ على قَرْبوسِ سَرْجِـه، وحَمَلَ من تَحتها فَبَـراهَا بسيفه، وأثر فى أصحـابها، حتى تَخَرَّمَت المَيْمَنَةُ من أجـله، وكان أشدَّ ما تكونُ الحربُ أشدَّ ما يكونُ تَـبسُّمًا، فكان المهلبُ يقولُ: ما شهِد معى حرباً قط إلاّ رأيتُ البِشْر فى وَجْهه.

* * *

وقال رجلٌ من الخوارج فى هذا اليوم:

فإن تَكُ قَـتْلَى يومَ سلّى تتـابعتْ فكم غادَرت أسيافنا من قُماَقِم!(١)

غـدَاَةَ نَـكُرُّ المشـرفَّـيـة فـيـهم بسُـولاف يوم المـأزق المَتَـلاَحِم

المأزقُ: هو يومُ تَضَايُق الحرب. والمَتَلاحِمُ: نعتٌ لـه. وَالَمشْرَفَّيةُ: السُّيوف. نُسِـبْت إلى المشارف مِنْ أرضِ الـشَّامِ، وهو الموضعُ الملـقبُ «مُوتة» الذى قـتِل به جعفرْ بن أبى طالب وأصحابهُ.

* * *

[قال الأخْفَشُ: كان المَبردُ لا يَهْمِزُ «مُـؤْتَةَ» . ولم أَسْمَعْهاَ من علمائِنا إلا بالهمِز] .

* * *

قال أبـو العباس : فـكَتب المهلب إلى الحـارث بن عبـد الله بن أبى ربيـعة القِباع.

(١) القماقم : السيد الكثير الخير الواسع الفضل .

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعد : فإنا لقينا الأزارقةَ المارقةَ بحدٍّ وَجدٍّ، فكانتْ فى الناس جَوْلَةٌ، ثم ثابَ أهلُ الحفاظ والصبر، بنّيات صادقة، وأبدان شداد، وسيوف حداد، فأعقبَ اللهُ خيرَ عاقبة، وجاوزَ بالنعمة مقدارَ الأمل، فصاروا دَرِئةَ رماحنا، وضرائبَ سيوفنا[1]، وقَتَلَ اللهُ أميرَهم ابنَ الماحُوزِ. وأرجو أن يكونَ آخرُ هذه النعمة كأوَّلها، والسلام.

* * *

فكَتَبَ إليه القباعُ :

قد قرأتُ كتابَك يا أخا الأزْد. فرأيتكَ قد وَهَبَ اللهُ لك شرفَ الدنيا وعِزَّها. وذَخرَ لك ثوابَ الآخرة ـ إن شاء اللهُ ـ وأجْرها، ورأيتُك أوثقَ حصونِ المسلمين. وهادُّ أركانِ المشركين، وأخا السياسةِ وذا الرِّياسةِ، فاسْتَدِمِ اللهَ بشكره يتْمِمْ عليك نِعَمَهُ، والسلام .

* * *

وكتب إليه أهل البصرة يُهَنِّئُونَه، ولم يكتب إليه الأحنفُ، ولكن قال: اقرءْوا عليه السلام، وقولوا له: أنَا لَكَ على ما فارقْتُك عليه، فلم يزَلْ يقرأ الكتبَ ويَلْتَمسُ فى أَضْعافِها كتابَ الأحنف، فلمَّا لم يَرَهُ قال لأصحابه: أمَا كتَبَ إلينا؟ فقال له الرسول: حمَّلنى إليك رسالة . وأبْلَغُه. فقال: هذه أحبُّ إلىَّ من هذه الكتبِ.

* * *

واجتمعت الخوارجُ بأَرجَانَ، فبايعُوا الزُّبيرَ بن علىٍّ، وهو من بنى سَليطِ بن يَرْبُوعٍ، من رَهْط ابن الماحوز، فرأى فيهم انكسارًا شديدًا وضَعْفاً بَيِّناً، فقال لهم: اجْتَمِعُوا، فَحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه وصلى على محمد ﷺ، ثم أَقْبل عليهم فقال: إنْ البَلاءَ للمؤمنين تَمْحيصٌ وأجرٌ، وهو على الكافرين عُقوبةٌ وخزْىٌ، وَإنْ يُصَبْ منكم أميرُ المؤمنين فما صار إليه خيرٌ مما خَلَّفَ، وقد أصبتُم فيهم[2] مُسْلمَ بن عُبَيْس ورُبيعاً الأجْذَمَ والحجَّاج بنَ بابٍ وحارثَةَ بنَ بدرٍ. وأَشْجَيْتُمُ المهلبَ. وقتلتم

(١) الدرئة : الحلقة يتعلم فيها الرمى والطعن، والضرائب جمع ضريبة . وهى كل ما ضربت بسيفك .
(٢) ر : « منهم » .

أخَاهُ المُعَـارك، والله يقولُ لإخوانـك منَ المؤمنين: ﴿إن يَمْسَسْكَمْ قَرْحٌ فقدْ مَسَّ القوم قَرْحٌ مثْلُه وتلك الأيَّامُ نُدَاولُها بَيْنَ النَّاس﴾(١)، فيَوْمُ سلَّى كان لكم بلاءً وتمحيصاً، ويومُ سُولافَ كان لهم عُقوبة ونَكالاً، فلا تُغْلبُنَّ علَى الشُّكْرِ في حِينه، والصَّبْر في وقته، وثِقُوا بأنكم المستَخلَفون في الأرض، والعاقبةُ للمتَّقين.

ثم تَحَمَّل لمحاربة المُهَلَّب. فنفحَهُمُ(٢) المهلبُ نَفْحَةً. فرجعَوا فأكْمنَ للمهلَّب في غُمْضٍ من غُمُوض الأرض(٣)، يَقْرُبُ من عسكره، مائةَ فارس ليَغتالُوه، فسار المهلبُ يوماً يطوفُ بعسكره ويتفقد سَوَادَه، فوقَف على جبلٍ فقال: إن من التَّدْبير لهذه المارقة أن تكون قد أكْمنَتْ في سَفْحِ هذا الجبل كميناً، فبعثَ عَشَرة فوارس، فاطَّلعُوا على المائة، فلما عَلمُوا أنهم قد علموا بهم قَطَعُوا القَنْطَرة ونجَوا، وكَسفَت الشمسُ، فصاحوا بهم: يا أعداءَ الله! لو قامت القيامة لجَدَدْنَا في جهادكم. ثم يَئس الزُّبير من ناحية المهلّب، فَضَرَبَ إلى ناحية أَصْبَهَان، ثم كَرَّ راجعاً إلى أَرَّجَانَ، وقد جَمع جموعاً، وكان المهلّبُ يقول: كأَنِى بالزُّبير وقد جمع جموعاً، فلا تَرْهبَوُهُمْ فَتَخْبُثَ قلوبُكم، ولا تُغْفلُوا الاحتراسَ فيَطمَعُوا فيكم، فجاءوه من أرْجَانَ فألْفَوهُ مُستَعِدا آخذاً بأفواه الطرق. فحاربوه فظَهَرَ عليهم ظهوراً بيِّناً. ففى ذلك يقول رجلٌ من بني تميمٍ. أَحْسِبُهُ من بنى رِيَاحِ بن يَرْبُوع:

سَقى اللهُ المهلبَ كل غَيْثٍ ‌‌ ‌ من الوَسْمىِّ يَنْتَحِر انتحاراَ(٤)
فما وهَن المهلَّبُ يومَ جاءتْ ‌ ‌ عَوابُس خَيْلهم تَبْغى الغِوَارَا

وقال المهلَّبُ يومَئذ: ما وقعتُ في أمرٍ ضيِّقٍ من الحرب إلا رأيتُ أمامى رجالا من بنى الهجَيمِ بن عَمْرو بن تميمٍ يُجَالِدُونَ، وكأنَّ لحاهُمْ أذنابُ العقَاعِقِ(٥). وكانوا صَبَرُوا معه في غير مَوْطِن.

* * *

(١) سورة آل عمران ١٤٠ . ‌ ‌ ‌ (٢) فنفحهم : دفعهم .

(٣) ألغموض : جمع غمض؛ وهو المطمئن من الأرض .

(٤) ينتحر انتحارا ؛ كذا تقول العرب للسحاب إذا انبعق بماء كثير ؛ قال الراعى :

فمرَّ عَلَى منَازِلهَا وألْقى ‌ ‌ ‌ بها الأثْقَالَ وَانتحَرَ انتحَارَا

(٥) العقاعق . جمع عقعق ؛ وهو طائر ذو لونين أبيض وأسود طويل الذنب .

وقال رجلٌ من بنى تميمٍ. من بنى عَبْشَمْسِ بن سَعْدٍ :

ألاَ يامَنْ لصَبٍّ مُسْتَحِنٍّ (١)   قَريح القلب قد صَحِبَ المَزُونَا
لهانَ على المهلَّبِ ما لَقِينا   إذا ما راحَ مَسروراً بَطِينَا
يجُرُّ السَّابرىَّ ونحنُ شُعْثٌ   كأنَّ جلودَنا كُسِيَتْ طِحَينَا(٢)

المَزونُ : عُمَانَ . وهو اسم من أسمائها، قال الكُمَيْتُ :

فأمَّا الأزْدُ أَزْدُ أبى سعيدٍ   فأكْرَهُ أن أُسَمِّيَها المَزُونَا

وقال جريرٌ :

وأطْفأتَ نِيرانَ المَزُونِ وأهلها   وقد حاولوها فتنة أن تُسَعَّرَا

* * *

وَحَمل يومئذ الحريشُ بن هلالٍ على قيسِ الإكافِ، وكان قيسٌ من أَنْجَدِ فُرْسانِ الْخوارج، فطَعنه فَدَقَّ صلْبَهُ، وقال:

قَيْسُ الإكافِ غَدَاةَ الرَّوْعِ يَعْلَمُنى   ثَبْتَ الُمقَام إذا لاقيتُ أَقْرابِى

* * *

وقد كان فُلُّ المهلب يوم سِلَّى وَسِلَّبْرَى صاروا إلى البصرة، فذكروا أن المهلب أصيبَ، فَهَمَّ أهلُ البصرة بالنقلة إلى البادية، حتى وَرَدَ كتابُه بظفره، فأقام الناسُ، وتَرَاجعَ من كان ذَهب منهم، فعند ذلك يقول الأحنفُ بن قيسٍ : البصرةُ بصرةُ المهلَّبِ. وقَدِمَ رجلٌ من كِنْدةَ يقال له فلانْ بنُ أرْقَمَ، فَنعَى ابنَ عمٍّ له. وقال: رأيتُ رجلا من الخوارجِ وقد مكَّنَ رمْحه من صُلْبه، فقَدِمَ الَمنعُّى، فقيلَ له ذلك. فقال: صَدَقَ ابنُ أرقم لما أَحْسَسْتُ برمحه بين كَتِفَىَّ صحتُ: البَقِيَّةَ! فرَفعه عنىَ، وتَلاَ: ﴿بَقيَّةُ الله خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمنِينَ﴾(٣).

* * *

(١) مستحن : من الحنين .
(٢) الثوب السابرى : الرقيق .
(٣) سورة هود ٨٦ .

ووَجَّهَ المهلّبُ بِعَقِب هذه الوَقعَة رجلا من الأزدِ، برأس عُبَيْد الله بن بَشِير ابن المَاحُوزِ إلى الحارثِ بن عبد الله بن أبى ربيعة القُباع. فلما صار بكُرْبَج[1] دينار لَقِيهُ حَبِيبٌ وعبدُ الملك وعليٌّ، بنو بَشِير بن الماحوز، فقالوا له: ما الخبرُ؟ولا يَعْرِفُهم، فقال: قَتَلَ اللهُ المارقَ ابنَ الماحُوزِ، وهذا رأسُه مَعِى. فَوَثَبوا عليه فقتلوه وصَلَبوه ودَفَنوا الرأسَ، فلما وَلِىَ الحجَّاجُ دخل عليه علىُّ بن بَشِير، وكان وَسِيما جَسِيما، فقال: مَنْ هذا؟ فَخُبِّر، فقَتَلَهُ، ووهب ابنهَ الأزْهَرَ وابنَتَهُ لأهل الأزدىِّ المقتولِ، وكانت زينب بنتُ بشير لهم مُواصِلةَ، فوهبوهما لها.

[تولية مصعب بن الزبير على البصرة واستقدامه المهلب]

فلم يَزَلِ المهلَّب يقاتِلُ الخوارجَ فى ولايَة الحارثِ القُبَاعِ، حتى عُزِلَ الحارثُ ووُلِّىَ مُصْعبُ بن الزُّبير، فكَتَب إليه أن أقْدَمْ علىَّ، واستخلف ابنَك المغيرةَ، ففَعل، فجَمعَ الناسَ فقال لهم: إنى قد استخلفتُ عليكم المغيرة. وهو أبو صغيركم رقة ورُحمة، وابنْ كبيركم طاعة وبراً وتبجيلاً، وأخو مثْله مُواساةً ومناصحةً، فلْتحْسُنْ له طاعتكمْ، ولْيلنْ له جانبكم، فوالله ما أردتُ صوابا قط إلا سَبقنى إليه. ثم مضى إلى مُصْعَب، وكتب مصعبٌ إلى المغيرة بولايته، وكتب إليه: إنك لم تكُنْ كأبيك، فإنك كافٍ لما ولَّيْتكُ، فشَمِّرْ واتْزِرْ وجِدَّ واجتهدْ.

* * *

ثم شَخَصَ المصعَبُ إلى المذار[2] فَقَتَلَ أَحْمَرَ بن شميْط، ثم أتى الكوفةَ فقتلَ المختارَ بن أبى عُبَيْدٍ. وقال للمهلّبِ: أشِرْ علىَّ برجلٍ أجْعلْه بينى وبين عبد الملكِ فقال: أذكُرُ لك واحداً من ثلاثة: محمد بن عُمَيْر بن عُطاردِ الدارمىَّ، أو زياد بن عمرو بن الأشرف العَتَكىَّ أو داود بن قَحْذَمٍ. فقال: أو تكفينى؟ قال: أكْفيك إن شاء اللهُ، فولاه المَوْصلَ. فشَخصَ المهلَّب إليها.

---

(١) موضع قريب من الأهواز.

(٢) المذار: بلد فى ميسان بين واسط والبصرة، وهى قصبة ميسان بينها وبين البصرة أربعة أيام.

[مشاورة مصعب الناس فيمن يكفيه أمر الخوارج]

وصار مصْعَب إلى البصرة، فسأل: مَنْ يَسْتكفى أمر الخوارج ويَفدْ إلى أخيه؟ فشاور الناس، فقال قومٌ: وَلِّ عُبيدَ الله بن أبي بكْرَة. وقال قومٌ: وَلِّ عمر ابن عُبيد الله بن مَعْمر، وقال قومٌ: ليس لهم إلاَّ المهلبُ فارْدُدْهُ إليهم.

وبَلَغت المَشورة الخوارجَ ، فأداروا الأمْرَ بينهم، فقال قطَرىُّ بن الفُجاءَة المازنى: إن جاءكم عبيد الله بن أبى بكْرة أتاكم سيِّدٌ سمْحٌ جوادٌ كريمٌ مُضيعٌ لعسكره. وإن جاءكم عُمر بن عبيد الله بن معْمَرٍ أتاكم شجاعٌ بَطَلٌ فارسٌ جادٌّ، يقاتلُ لدينه ومُلْكه، وبطبيعة لم أرَ مثلَها لأحد، فقد شهدتَه فى وقائعَ فما نوديَ فى القوم لحربٍ إلا كان أولَ فارس يطْلُعُ حتى يَشُدَّ على قِرْنه فيَضربَه، وإن رُدَّ المهلَّبُ فهو مَنْ قد عرفتموه، إن أخذتم بطَرف ثوب أخَذَ بطرفه الآخرَ، يَمُدُّه إذا أرسلتموه، ويُرْسله إذا مددتُموهُ، لا يَبْدؤكم إلاَّ أن تَبْدءَوهُ، إلا أن يَرَى فَرصَةً فينتهزَها. فهو الليث المبرُّ (١) ، والثعلبُ الروَّاغُ. والبلاء المقيمُ.

* * *

فولَّى عليهم عمرَ بن عُبَيْد الله، وولاَّه فارسَ ، والخوارج بأرَّجَان، وعليهم الزَّبير بن على السَّليطىُّ. فشخص إليهم فقاتلهم، وألَحَّ عليهم حتى أخرجهم عنها فألحقهم بأصبهان، فلمَّا بلغ المهلَّبَ أن مصعباً ولَّى عُمرَ بن عُبيد الله قال: رماهُمْ بفارس العربِ وفتاها.

فَجَمعُوا لـه وأعَدُّوا واستعدُّوا. ثم أتوْا سَابُورَ. فسارَ إليهم حتى نزلَ منهم على أربعة فراسخ. فقال له مالكُ بن حَسَّان الأزْدىُّ: إن المهلَّبُ كان يُذْكِى العيونَ. ويخلفُ البياتَ. ويَرْتَقِبُ الغفلةَ. وهو على أبْعَدَ من هذه المسافة منهم. فقال له عمر: اسكتْ خَلَعَ الله قلبَك! أتُرَاكَ تموتُ قبلَ أجَلِكَ! فأقام هناكَ. فلما كان ذاتَ ليلة بَيَّتَهُ الخوارجُ. فخرج إليهم فحاربهم حتى أصبحَ. فلم يَظْفَرُوا منه بشيء. فأقبل على مالكِ بن حَسَّانٍ فقال: كيف رأيتَ؟ قال: قد سَلَّمَ الله عزَّ وجل. ولم

(١) المبر : الغالب .

يكونوا يَطمعون منَ المهلَّب بمثلها. فقال: أمَا إنكم لو ناصحتمونى مُناصحَتَكم المهلَّبَ لَرجَوْتُ أنْ أَنْفِى هذا العدوَّ. ولكنكم تقولون: قُرَشِيٌّ حجازىٌّ بَعيدُ الدار. خيْرهُ لغيرنا. فتقاتلون معى تَعْذِيراً.

* * *

ثم زَحَفَ إلى الخوارجِ من غدِ ذلك اليوم، فقاتَلهم قتالا شديداً. حتى ألجأهَمْ إلى قنطرة. فتكاثف الناسُ عليها حتى سقطت، فأقام حتى أصلَحها، ثم عَبَرُوا، وتقدَّم ابنُه عبيدُ الله بن عمرَ- وأمُّه من بنى سَهْمٍ بن عمرو بن هُصَيْصٍ بن كَعْب- فقاتلهم حتى قُتلَ، فقال قَطَرِىٌّ: لا تقاتلوا عمرَ اليومَ فإنه مَوْتُور. ولم يعلم عمر بقتل ابنه؛ حتى أفْضَى إلى القوم، وكان مع ابنه النعمانُ بن عَبَّادِ. فصاح به: يانعمانُ، أين ابنى؟ فقال: أحْسَبُه [1](أيها الأمير)[1]. فقد استُشْهِدَ رحمه الله صابراً مُقْبلا غيرَ مُدْبر، فقال: إنَّا لله وإنا إليه راجعون! ثم حمل على الناس حمْلةَ لم ير مثلها. وحَمل أصحابُه بحمْلته. فقتَلُوا فى وجْهِهم ذلك تسعين رجلاً من الخوارج، وحَمَل على قَطَرِىٍّ فضربه على جبينه ففَلَقَهُ. وانهزمت الخوارج. وانتَهَبَها، فلما استقَرُّوا قال لهم قطَرِىٌّ: أما أشرت عليكم بالانصراف! فجَعلوه وجوهَهم حتى خرجوا من فارسَ.

وتلقَّاهم فى ذَلك الوقتِ الفِزْر بن مِهْزَمِ العَبْدِىُّ فسألوه عن خبره، وأراد قتلَه. فأقبل على قَطَرِىٍّ فقال: إنى مؤمنٌ مهاجرٌ. فسأله عن أقاويلهم، فأجاب إليها فخلَّوْا عنه، ففى ذلك يقول فى كلمة له:

وشَدُّوا وِثَاقِى ثم أَلْجَوْا خصومَتِى[2] ... إلى قَطَرِىٍّ ذى الجبينِ المُفَلَّقِ
وحاججتُهم فى دينهم وحَجَجْتُهُمْ[3] ... وما دينهم غير الهوَى والتَخلُّقِ

ثم إنهم تراجعُوا وتكانفوا.

(١-١) ساقط من ر.
(٢) ألجوا: أصله ألجئوا.
(٣) حاججتهم: نازعتهم.

[قال الأخفش: تكانفوا أعانَ بعضُهم بعضاً واجتمعوا وصار بعضهم في كنَفِ بعض]

وعادُوا إلى ناحية أرجَـانَ. فسار إليهم عمر. وكَتب إلى مُـصْعَب: أما بعدُ فإني قد لَقِيتُ الأزارقَةَ. فَرزَقَ الله عُبَيْدَ الله بن عمر الشهادةَ، ووَهَبَ له السعادة. ورزقَنا عليهم الظَّفَرَ. فـتفرَّقُوا شِذَرَ مِذَر، وبلغَتْنِي عنهم عوْدَةٌ، فَـيمَّمتهم، وبالله أستعينُ وعليه أتوكلُ.

فسار إليهم ومعه عـطية بن عمرو ومجاعة بن سعيد. فالْـتقوا. فألح عليهم حتى أخرجهم. وانفردَ عمر[1] من أصحابه. فَعَمَد له أربعَةَ عشر رجلاً منهم، من مَذْكوريهم وشُـجْعانهم وفي يده عمـودٌ. فجعل لا يضرَبُ رجـلا منهم ضربةً إلا صرَعَهُ. فَرَكَضَ إليـه قُطَرِيٌّ على فرس طمرَّة[2]. وعمر على مُهْر فـاستثاره قطَرِي بقوة فرسـه حتى كاد يَصْرَعُـهُ. فَبصُرَ به مُجَّـاعةَ فأسرع إليه. فـصاحت الخوارجُ بقطرِيٍّ: يا أبا نُعامـة! إنَّ عدوَّ الله قد رَهِقَكَ. فانحطَّ قطرى عن قَـرَبوسه. فطعنه مُجَّاعـة. وعلى قطريٍّ درعان فهـتكَهما، وأسرعَ السِّنـان فى رأس قطرىٍّ، فَكَشَطَ عنه جلده ونَجَا.

وارتحلَ القومُ إلى أَصْبُهَان فأقاموا بها[3] بُرْهَة، ثم رجَعوا إلى الأهواز. وقد ارتحل عمر بن عُـبيد الله إلى إصْطَخْرَ. فأمر مُـجَّاعةَ فَجَبَى الخراج أسبـوعاً. فقال له[4]: كم جَبَـيْتَ؟ قال: تِسْعَـمائَة ألفٍ. فقـال: هى لك. فقـال يزيد بن الحكم الثقفيُّ لمجاعة:

ودَعـاكَ دَعْوَةَ مُـرْهَقٍ فـأجـبتـهُ[5] عُـمَـرٌ وقـد نَسىَ الحـيـاة وضَـاعـا
فَـرَددتَ عـاديةَ الكتـيبة عن فَـتى[6] قـد كاد يُـتْرَكُ لَـحْمَـهُ أَوْزاعَـا[7]

(١) ساقط من ر.
(٢) ر «طمر» والطمرة. الطويلة الخفيفة القوائم.
(٣) ساقطه من ر
(٤) ساقطة من ر.
(٥) المرهق. الذى أدرك ليقتل.
(٦) العادية الخيل تعدو
(٧) أوزاعا: قطعا.

وعُزلَ مُصْعَبُ بن الـزبير وولْىَ حمزة بن عبد الله بن الزبيـر، فوَجَّهَ المهلَّبَ إليـهم، فحـاربهم فـأخرجهـم عن الأهواز، ثم رُدَّ مـصْعَب والمهـلبُ بالبـصرة، والخوارج بأطراف أصْبَهان والوالى عليهـا عَتَّابُ بن ورقَاءَ الرِّيَاحِىُّ، فأقام الخوارج هناك شيئاً يجبونَ القُرَى. ثم أقـبلوا إلى الأهواز من ناحية فارسَ، فكَتب مُصْعَب إلى عمر بن عـبيد الله: ما أنصفْـتَنَا. أقمتَ بفارسَ تجبى الخراجَ ومـثل هذا العدوِّ يحاربكَ! والله لو قـاتلتَ ثم هربتَ لكان أعْذر لـك، وخرجَ مصعبٌ من الـبصرة يريدهم. وأقبلَ عمـر بن عبيد الله يريدهم، فتنحَّـى الخوارجُ إلى السُّوسِ، ثم أتَوا المدائنَ، فقتـلوا أحْمَرَ طَيِّئٍ. وكان شجـاعاً، وكان من فُرْسانِ عُبَيد الله بن الحرِّ، ففى ذلك يقولُ الشاعرُ:

تركـتم فَتى الفِـتْيـانِ أَحْمَـرَ طَيئٍ بسَـاباطَ لم يَـعْطِفْ علـيه خـلَيلُ

ثم خرجوا عامـدين إلى الكوفة، فلما خالطوا سوادَهـا، وواليها الحارثُ بن عبد الله القَـباع. فتثـاقل عن الخُروجِ وكان جَبَـاناً، فَذَمَرَهُ[1] إبراهيمُ بن الأشْـتَرِ، ولامَهُ الناسُ. فَخَرَج متحاملا حتى أتى النُّخَيْلة، ففى ذلك يقولُ الشاعرُ:

إن القَـبـاعَ سـار سَـيْـراً نُـكْرَا يسـيـرُ يـومـاً ويُقـيمُ شـهـرَا

وجعل يَعـدُ الناسَ بالخروج ولا يخرجُ. والخوارجُ يـفشون[2]، حتى أخذوا امرأة فقتلوا أباها بين يديها، وكانت جميلةً، ثم أرادوا قتلَها، فقالتْ: أتَقتلون مَنْ يُنشَّأُ فى الحلْيَـة وهو فى الخصَامِ غيْر مُـبين! فقال قال منهم: دعُوها، فـقالوا: قد فَتَنتْكَ، ثم قَدَّمُوها فقَتَلُوها، ثم قَرَّبوا أخـرى. وَهُمْ بحذَاء القباع، والجسْرُ معقودٌ بينهما، فَقَطعه القبَاعُ، وهو فى ستة آلاف، والمرأةُ تستغيثُ به وهى تَقول[3]: عَلامَ تقتلوننى؟ فوالله ما فَسَقتُ ولا كَـفَرْتُ ولَا ارتَدَدتُ! والناسُ يَتَفَلَتُونَ إلى الخوارج، والقُباع يمنعهم، فلما خاف أن يَعْصـوه أمر عند ذلك بقطع الجسر. فأقام بين دَباهَا ودَبِيرى[4] خمسـةَ أيام، والْخوارجُ بقربـه، ويقـول للناس فى كل يوم: إذا لقـيتم العدوَّ غداً فأَثْبتُوا أقدامكم واصـبرُوا، فإن أَوَّلَ الحرب التَّرامِى. ثم إشْرَاع الرِّماح،

---

(١) الذمر: الحض.
(٢) ر: «يعيثون». س: يعبثون.
(٣) ر: «وتقول».
(٤) دباها ودبيرى: قريتان من قرى بغداد.

ثم السَّلَّةُ(١)، فَثكِلَت رجلاً أمُّهُ فَرَّ من الزَّحْفِ! فقال بعضُهم لمّا أكثر عليهم: أمَّا الصِّفَةُ فقد سمعناها، فمتى يَقَعُ الفعلُ؟ وقال الراجزُ:

إن القُبَاع سار سَيْرًا مَلْسَا ... بين دباها ودبيرَى خمسا (٢)

فأخذ الْخوارجُ حاجتهم، وكان شأنُ القُبَاعِ التَّحَصُّنَ منهم، ثم انصرفوا ورجع إلى الكوفة، وصاروا من فورهم إلى أَصْبَهَان، فبعثَ عتَّابُ بن وَرْقَاءَ إلى الزُّبير بن عليٍّ: أنا ابنُ عمك، ولستُ أراكَ تقصدُ فى انصرافك من كل حرب غيرى. فبعث إليه الزُّبير: إن أدنى الفاسقينَ وأبعدهم فى الحق(٣) سَواءٌ.

وإنما سُمِّيَ الحارثُ بنُ عبد الله بن أبى ربيعةَ القبَاعَ، لأنه ولِيَ البصرةَ فغيَّر على الناس مكاييلَهم، فنَظَر إلى مكيال صغير فى مَرآة العَيْنِ وقد أحاط بدقيق استكثَره، فقال: إن مكيالكم هذا لَقُبَاعٌ. والقُبَاعُ الذى يُخْفِى أو يَخْفَى ما فيه، يقال: انْقَبَعَ الرجلُ، إذا استَتَرَ، ويقال للقنفُذ القُبَع، وذلك أنه يَخْنِسُ رأسَه.

قال أبو العباس: وأقام الخوارجُ يغَادُونَ عتَّابَ بن وَرْقَاءَ القتالَ ويُراوِحُونَه، حتى طال عليهم المُقامُ، ولم يَظْفَرُوا منه بكَبِير، فلما كَثُرَ ذلك عليهم انصرفُوا، ولا يَمُرُّون بقريةٍ بين أصْبَهَانَ والأَهْوَازِ إلا استباحوها وقتَلوا من فيها.

وشاوَرَ المُصْعَبُ الناس فيهم(٤)، فاجتمع(٥) رأيهم على المهلب، فبلغ الخوارج مشاورته(٦)، فقال لهم قَطَرِيٌّ: إنّ جاءكم عتَّابُ بن وَرْقَاءَ فهو فاتكٌ يَطْلُعُ فى أوَّل المِقْنَب(٧) ولا يَظْفَرُ بكَبِير، وإن جاءكم عُمر بن عبيد الله ففارسٌ يُقْدِمُ، فإمَّا له وإمَّا عليه، وإن جاءكم المهلَّب فرجلٌ لا يُنَاجِزُكمْ حتى تناجِزوه، ويأخذُ منكم ولا يعطيكم، فهو البَلاءُ اللازم، والمكروهُ الدائمُ.

وعَزم المصعَب على توجيه المهَلب، وأن يَشْخَص هو لحربِ عبد الملك، فلما أحَسَّ به الزُّبير بن عليٍّ خرج إلى الرَّيِّ، وبها يزيدُ بن الحارث بن رُؤَيْمٍ. فحارَبَه

---

(١) السلة. استلال السيوف.

(٢) الملس. السير الشد.

(٣) ر: «من الحق».

(٤) ساقطة من ر.

(٥) ر: «فأجمع».

(٦) ر «مشورته»

(٧) المقنب: جماعة الخيل.

ثم حَصَره. فلما طال عـليه الحصارُ خرج إليه، فكان الظَّفَرُ للـخوارج، فقتلَ يزيدُ ابن رُوَيْم. ونادَى يؤمئذ ابنَه حَـوْشَباً ففرَّ عنه وعن أمِّه لَطيـفَة. وكان عليٌّ بن أبى طالب عليـه السلام دخَلَ على الحارث بن رُوَيْـم يعود ابنَه يزيدَ. فقـال له: عندى جاريةٌ لطيفةُ الْخدمة أبعثُ بها إليك، فسماها يزيدُ لطيفة، فقتلتْ معه يومئذٍ. وفى ذلك يقول الشاعرُ:

مَـــوَاقِـفـنا فـى كـلِّ يوم كـــريهـــة ... أَسـرُّ وأشـفَى من مَـوَاقِـفَ حَـوْشَبِ
دعـــاه يـزيـدٌ والـرِّمـــاحُ شـــوَارِعٌ ... فلـم يَسْـتَـجِبْ بَـل راغَ تَرْوَاغَ ثَعْـلَبِ
ولـو كـان سَهْمَ النَّـفْس أو ذا حَفِـيظةٍ ... رأى ما رأى فى الموتِ عيسى بن مُصْعَبِ

وقد مَرَّ خبر عيسى بن مُصْعَب مستَقْصًى، وقال آخرُ:

نَجَّـى حَلِيلَـتَـهُ وأسْلَمَ شَيْـخَـهُ ... نصْـب الأسنَّةِ حَـوْشَبُ بن يَـزيد

وقال ابن حوشبٍ لبلال بن أبى برْدَةَ يُعَـيِّره بأُمه. وبلالٌ مشدودٌ عند يوسف ابن عمر: يابنَ حَـوْراء. فقال بلال - وكان جلداً: إن الأمَةَ تُسَـمَّى حَوْرَاءَ وَجَيْداءَ ولَطيفةَ.

وزَعَمَ الكَلْبىُّ أن بلالا كان جَلْداً حين ابْتُلِىَ[(١)] . قال الكلبىُّ: ويُعْجبنى أن أَرَى الأسيـرَ جَلْداً - قال: وقال خـالدُ بن صَفْوانَ له بـحضرة يوسفَ بن عـمرَ: الحمدلله الـذى أزال سُلطانَكَ وهَدَّ رُكْنَك، وغيَّـرَ حَالَك. فوالله لقـد كنتَ شديدَ الحجاب. مستَخـفًّا بالشريف. مُظْهِرًا للعَصَبِيَّة. فـقال له بلالٌ: إنما طالَ لسانُك يا خالدُ لثلاث معَك هُنَّ علىَّ: الأمرُ عليـك مقبلٌ وهو عنى مُدْبرٌ. وأنت مطْلَق وأنا مأسـورٌ. وأنت فى طينَتك وأنا فى هـذا البلدِ غريبٌ. وإنما جَـرَى إلى هذا؛ لأنَّه يقال إنَّ أصلَ آل الأَهْتَمِ من الحيرةِ، وإنهم أُشابةٌ[(٢)] دخلتْ فى بنى مِنْقَر من الرُّومِ.

ثـم انحطَّ الزُّبير بن علىٍّ على أصْبَهَانَ، فَـحَصَرَ بها عَتَّابَ بن وَرْقَاءَ الرِّيَاحىَّ سبعةَ أشهرٍ، وعتَّابٌ يُحَاربه فى بعضـهنَّ، فلما طال به الْحصارُ قال لأصحابه: ما تنتظرون؟ واللهِ مـا تُؤْتَوْنَ من قِلّةٍ. وإنكم لفـرسانُ عَشَائـركَم. ولقد حاربتـموهم

---

(١) ر: «حيث ابتلى».

(٢) الأشابة: الأخلاط من الناس ليس أصلهم واحدا. كالأوباش والأوشاب قاله المرصفى.

مراراً فانتصفتم منهم، وما بَقِىَ مع هذا الحصارِ إلا أن تفْنَى ذخائرُكم. فيموتَ أحدكْمُ فَيدْفِنَه أخوه. ثم يموتَ أخوه فلا يَجد مَن يدفنُه، فقاتلوا القوم وبكم قوةٌ، مِن قَبْل أن يَضْعُفَ أحدُكُم عن أن يَمْشِى إلى قرنه. فلما أصبح الغدُ صلّى بهم الصبحَ. ثم خرج بهم(١) إلى الخوارج وهم غارّونَ، وقد نَصَبَ لواءً لجارية له يقال لها ياسمين، فقال: من أرادَ البقاء فلْيَلْحَقْ بلواء يَاسمينَ، ومَن أرادَ الجهادَ فليخْرُجْ معى. فَخَرَج فى ألفين وسَبْعمائة فارسٍ، فلم يَشْعُرْ بهم الخوارجُ حتى غَشُوهُمْ. فقاتَلوا بجدٍّ لم يَرَ الخوارجُ منهم مثله. فعقَروا منهم خلقاً كثيراً وقتَلوا الزُّبير بن علىٍّ. وانهزمت الْخوارج، فلم يَتْبعْهمْ عَتَّابٌ، ففى ذلك يقولُ الشاعر:

وَيَومٌ بَحىٍّ تُلافَيْتَه ... ولولاك لاَصْطُلِم العَسْكَر(٢)

* * *

- قال أبو العباس: نُفَسِّرُ قوله: «ولولاكَ» فى آخر هذا الْخبر إن شاء الله- وقال رجلٌ من بنى ضَبَّة فى تلك الوقعة:

خَرَجْتُ من المدينة مُستميتاً ... ولم أكُ فى كَتيبَة ياسمينَا

أَلَيْسَ من الفضائلِ أنَّ قومى ... غدَوْا مُسْتَلْئمينَ مُجاهِدينَا

وتزعُم الرُّواة أنهم فى أيام حصارهم كانوا يتواقفُونَ، ويَحْمِلُ بعضهم على بعضٍ، وربما كانت مُواقفَةٌ لغير حربٍ(٣)، وربما اشتدَّت الحربُ بينهم. وكان رجلٌ من أصحاب عَتَّابٍ يقال له شُرَيحٌ، ويُكْنى أبا هُرَيْرَةَ. إذا تَحاجزَ القومُ مع الْمَساءِ نَادى بالْخوارج وبالزُّبير بن علىّ:

يا بنَ أبى الماحُوز والأشْرارِ ... كيفَ تَرَوْنَ ياكلابَ النّار!

شَدَّ أبى هُريرةَ الهرَّارِ ... يَهُرُّكُمْ باللَّيلِ والنهارِ(٤)

ألم تَروْا جَيّا عَلَى المِضمارِ ... تَمْسِى من الرحمن فى جِوارِ(٥)

---

(١) ساقط من ر.

(٢) الصلم فى الأصل. قطع الأذن.

(٣) ر. «بغير حرب».

(٤) أصل الهرير فى الكلب والذئب، إذا كشر كل منهما عن نابه، واستعمل فى الرجل تجاوزاً.

(٥) المضمار الغاية.

فغاظَهُم ذلك منه، فكَمَنَ له عُبَيْدَة بن هلال فضربه، واحتَمَلَهُ أصحابه، فظنَّت الْخوارجُ أنه قد قُتل، فكانوا إذا تَواقفوا نادَوْهُمْ: ما فعَل الهرارُ؟ فيقولون: ما به مِن بأس، حتى أَبلَّ من علَّته، فخرج إليهم فصاح: يا أعداء الله. أَتَرَوْنَ بى بأساً! فصَاحُوا به: قد كُنَّا نَرَى أَنَكَ لَحِقتَ بأمّك الهاويَة، فى النار الحامية.

* * *

قال أبو العباس: نُفَسِّرُ أشياءَ من العربية تحتاج إلى الشرح. من ذلك قوله: «ولَوْلاَكَ»، ومنه قوله: «ألم تَرَوْاجَيًّا» ومنه قولهُ: «يَهُرُّكُمْ بالليل والنهار».

أما قوله: «لَولاَكَ» فإن سيبويه يزْعُمُ أنَّ «لَولاَ» تَخْفِضُ الْمُضْمَرَ ويَرْتَفِعُ بعدها الظّاهرُ بالابتداء، فيقالُ: إذا قلتَ: لَولاكَ، فما الدليلُ على أن الكافَ مخفوضةٌ دونَ أن تكونَ منصوبةً، وضميرُ النَّصب كضمير الْخفضِ؟ فتقولُ: إنك تقولُ لنفسك: لولاىَ، ولوكانت منصوبةً لكانت النونُ قبل الياء، كقولك: رمانى وأعطانى. قال يزيد بن الحكم الثَّقَفىُّ:

وكمَ مَوْطِنٍ لولاىَ طِحْتَ كما هَوَى ... بأجرَامِه من قلَّة النِّيقِ مُنهَوِى(١)

النيقُ: أعْلى الجبَلِ، وجِرْمُ الإنسان خَلْقُهُ.

فيقالُ له: الضميرُ فى موضع ظاهره، فكيف يكون مختلفاً؟ وإن كان هذا جائزاً فَلمَ لا يكونُ فى الفعل وما أشبهه، نحو «إنَّ» وما كانَ معها فى الباب؟

وزَعَم الأخْفَشُ سَعيدٌ أن الضميرَ مرفوعٌ، ولكنْ وافَقَ ضَميرَ الخفضِ، كما يَسْتَوِى الخفضُ والنصبُ، فيقالُ: فهل هذا فى غير هذا الموضع؟

قال أبو العباس: والذى أقوله أنَّ هذا خطأ لا يصلح، إلا أن تقولَ: «لولا أنتَ»، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَوْلاَ أَنْتُمْ لكنَّا مُؤْمنينَ﴾(٢). ومن خالَفنا (١فهو لابدَّ ١) يزعمُ أن الذى قلناه أَجْوَدُ. ويَدَّعى الوجه الآخَرَ فيجيزْه على بعده.

وأمَّا «جَىّ»، فالأجْوَدُ فيها أن تقولَ:

ألم تَرَوْا جَىَّ عَلى المضمَار

فلا تُنَوِّنُ، لأنها مدينَةٌ، والاسمُ أعجمىٌّ، والمؤنثُ إذَا سمى باسم أعجمىٍّ على ثلاثة أحرف ينصرف إذا كان مؤنثاً، وإن كان أوسطه ساكناً. نحو جُورَ وحِمْصَ ومَاهَ (٤). وما كان مثلُ ذلك، ولو كان اسماً لمذكر لانْصَرَف، فإن صرفته

---

(١) منهوى: ساقط. (٢) سورة سبأ ٣١.

(١-١) ساقط من ر (٤) ساقطة من ر.

جعلته اسماً لبلد، وإن لم تصرفه جعلتَه اسماً لبلدة أو لمدينة، ألا تَرَى أنك تصرفُ نوحاً ولوطاً، وهما أعجميَّان؟ وكذلك لو كان علَى ثلاثةً أحرف كلُّها متحركٌ، لأنك تَصْرِف «قَدَماً» لو سمَّيْتَ بها[1]. رجلا فالأعجميُّ بمنزلة المؤنث، لأن امتناعَها واحدٌ.

وأمَّا قولهُ: «يَهرُّكُمْ» فإن كلَّ ما كان من المضاعَف علي ثلاثة أحرف وكان متعدِّيا، فإن المضارِعَ منه على «يَفْعَلُ» نحو شَدَّه يَشُدُّه، وزرَّه يزُرُّه، وردَّه يرُدُّه، وحَلّه يحله. وجاء منه حرفان على «يَفْعِل» و «يَفْعُل»، فيهما جيد: هره يَهِرُّه، إذا كرِهه، ويَهُرُّه أَجْوَدُ، وعَلَّه بالحَنَّاء يعِلّهُ، ويَعُلُّهُ أَجْوَدُ. ومن قال: حَبَبْتُهُ قال: يَحِبُّه لا غيُر. وقرأ أبو رَجَاء العُطاردى: ﴿فاتبعُونى يَحِبُّكُمُ الله﴾[2]. وذلك أنْ بنى تميمٍ تدْغمُ فى موضع الجزمَ، وتَحَرِّكُ أواخره لالتقاء السَاكنَيْن.

[ولاية قطرى بن الفجاءة على الخوارج ومبايعتهم له]

رجع الحديث.

قال أبو العباس: ثم إن الخوارجَ أدَارُوا أمرَهم بينهم، فأَرَادُوا توليةَ عُبَيْدة بنَ هلال، فقال: أَدُلُّكمْ على منْ هو خيرٌ منِّى! مَنْ يُطاعِنُ فى قُبُلٍ، ويَحْمِى فى دُبُرٍ، عليكم قَطَرِىَّ بن الفُجاءَة المازنىَّ. فبايَعُوه. فوقَفَ بهم فقالوا: يا أميرَ المؤمنينَ. امضِ بنا إلى فارس. فقالَ: إن بفارسَ عُمرَ بن عُبيد الله بن مَعْمَر. ولكنْ نَصيرُ إلى الأهواز. فإنْ خرجَ مُصْعَبُ بنَ الزبير من البصرة دخلناها. فأتَوا الأهواز ثم تَرَفَّعُوا عنها إلى إيذَجَ[3]. وكان المصعب[4] قد عزَم على الخروج إلى باجُمَيْرَا[5] فقال لأصحابه: إنَّ قُطَرِيًّا قد أطَلَّ علينا، وإنْ خرجنا عن البصرة دَخلها، فَبَعَثَ إلى المهلّب فقال: اكْفِنَا هذا العدوَّ، فخرج إليهم المهلَّب، فلما أَحَسَّ به قطرىٌّ، يَمَّمَ[6] كِرْمَانَ، فأقام المهَلبُ بالأهواز، ثم كَرَّ قطرىٌّ عليه وقد استعد. فكان الخوارج فى جميع حالاتهم أحسنَ عُدَّة ممن يقاتلهم، بكثرة السِّلاحِ، وكثرة الدوابّ، وحصَانَةِ الجُنَنِ، فحاربَهم المهلّبُ، فنفاهم إلى رامَ هُرْمُزَ.

وكان الحارث بن عَميرَةَ الهَمْدانىُّ قد صارَ إلى المهلَّب مُرَاغمًا لعَتاب بن ورقاء، يقالُ إنه لم يُرْضِه عن قتله الزبيرَ بن علىّ، وكان الحارثُ بن عَميرَةَ هو الذى تولّى قتلَه وحاصَ إلَيه أصحابُه، ففى ذلك يقولُ أعْشَى هَمْدَانَ:

(١) «به» (٢) سوره آل عمران ٣١ وهى قراءة شاذة. وقرأها الأربعة عشر: «يحببكم» بفك الإدغام.

(٣) إيذج بالمد بين خورسان وأصبهان. (٤) ر: «مصعب».

(٥) باجميرا بلد دون تكريت. (٦) ر: «تيمم»

إنَّ المكارمَ أكْمِلَتْ أسبابُها ... لابن الليوث الغرِّ من قَحْطان
للفارس الحامي الحقيقة مُعْلماً ... زاد الرِّفاق إلى قُرَى نَجْران(١)
الحارث بن عَميرةَ الليث الذى ... يَحمِى العِرَاقَ إلى قُرَى كرْمان
وَدَّ الأزارقُ لو يُصابُ بطَعْنَة ... ويموتُ من فُرسانهم مائتانَ

وتأويلُه: أن الرُّفْقَةَ إذا صَحِبَها أغناها عن التزوُّد، كما قال جريرٌ- وأرادَ ابنٌ له سَفراً، وفى ذلك السَّفَر يحيَى بنُ أبى حفصةَ، فقالَ لأبيه: زَوِّدْنى فقال جريرٌ:

أزَاداً سوَى يَحْيَى تريدُ وصاحباً ... ألا إن يحيى نعْمَ زَادُ المسافر
فما تُنْكِرُ الكوْماءُ ضَرْبَةَ سيفه ... إذا أرملُوا أو خَفَّ ما فى الغَرائر(٢)

وقوله: «ويمُوتُ من فرسانِهم» يكون على وجهين: مرفوعاً ومنصوباً، فالرفعُ على العطف، ويدخل فى التمني. والنصب على الشرط والخروج من العطف، وفى مصحفَ ابن مسعود: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُوا﴾والقرَاءة ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾(٣)على العطفِ. وفي الكلام: ودَّ لو تأتِيه فتُحدِّثُه، وإن شَئتَ نَصبَت الثَّانىَ.

* * *

قال أبو العباس: وخرج مصعبُ بن الزبير إلى باجُمَيْراءَ، ثم أتى الخوارجَ خبرُ مَقْتَله بمَسْكِنَ، ولم يأتِ المهلَّبَ وأصحابهُ، فتَواقَفوا يوماً على الخندق، فناداهم الخوارجُ: ما تقولون فى المُصْعَب؟ قالوا: إمامُ هُدًى، قالوا: فما تقولون فى عبد الملك؟ قالوا: ضالٌّ مُضِلٌّ، فلما كان بعد يومين أَتى المهلَّبَ قتْلُ مُصْعَب، وأنّ أهلَ الشام ناداهم الخوارج: ما تقولون فى مصعب؟ قالوا: لانخبركم، قالوا: فما تقولون فى عبد الملك؟ قالوا: إمامُ هُدًى، قالوا: يا أَعداء الله! بالأمسِ ضالٌّ مُضِلٌّ، واليومَ إمامُ هُدًى! يا عَبِيدَ الدنيا، عليكم لعنةُ الله!

ووَلى خالد بن عبد الله بن أسيد، فَقَدِمَ فدخل البصرة، فأراد عزلَ المهلبِ، فأشيرَ عليه بألا يفعلَ، وقيل له: إنما أَمِنَ أَهلُ هذا المصر، بأن المهلب بالأهواز،

(١) زيادات ر: ويروى

زَادَ الرِّفاق وفارسَ الفُرْسان

(٢) أرملوا: نفد زادهم.

(٣) سورة القلم ٩.

وعُمَر بـن عُبيد الله بفـارسَ، فقد تَنَحَّى عـمرُ، وإن نَحَّيْتَ المهلـبَ لم تأمنْ على البصـرة الأزارقةَ [١]. فأبـى إلا عَزْله، فَـقدم المهلَّـب البصـرةَ، وخرج خـالدٌ إلى الأهواز، فأشخَصَه، فلما صار بِكُرْبَجَ دينار لـقيه قَطَرِيٌّ فمنعه حَطَّ أثقاله، وحاربه ثلاثين يوما. ثم أقام قطريٌّ بإزائه، وخَنْدَقَ على نفسه فقال المهلَّبُ: إنَّ قطرياً ليس بأحقَّ بالخندق منك. فَـعَبَر دُجَيْلاً إلى شِقِّ نـهرِ تيرَى، واتبعه قطـريٌّ، فصار إلى مدينـةِ نَهْرِ تيرَى فـبنَى سورَها وخندقَ عـليها، فـقال المهلَّبُ لخالـد: خَنْدقْ على نَفْسك، فإني لا آمَنُ علـيك البَيَاتَ، فقال: يا أبا سعيـد، الأمْرُ أعجَلُ من ذلك، فقالَ المهلّبُ لبـعض ولده: إني أَرَى أمراً ضائعاً، ثم قالَ لـزياد بن عَمرو: خَنْدق علينا، فخندق المهلّبُ وأمَرَ بسفُنه ففُرِّغَتْ، وأبَى خالدٌ أن يُفَرِّغَ سُفُنَهُ، فقال المهلَّب لفيْروز حُصَيْن: صِـرْ معنا، فقالَ: يا أبا سعيد، الحَزْمُ مـا تقولُ، غيرَ أني أكرهُ أن أفارقَ أصحابي. قال: فكُنْ بقُرْبنَا، قال: أمَّا هذه فنعَم.

وقد كـان عبدُ المـلك كتب إلى بشـر بن مروان يأمـره أن يمد خالدا بـجيش كثـيف، أميرُه عـبد الرحـمن بن محمـد بن الأشْعَث، فـفعل، فقَـدِمَ عليه عـبدُ الرحمنِ، فأقام قَطرِيٌّ يغَاديهم القتـالَ ويَراوحُهم أربعين يوماً، فقال المهلَّبُ لمَوْلَى لأبي عُيَيْنَةَ: انْتَـبِذْ إلى ذلك النَّاووسِ[٢] فبتْ عليـه في كل ليلةٍ، فمتى أحْـسَسْتَ خَبَراً من الْـخوارج أو حركةً أو صَهِـيلَ خيل فاعْجَلْ إلـينا. فجاء ليلةً فـقال: قد تَحَرَّكَ القوم. فجلس المهلبُ بباب الْخندق، وأعَدَّ قطريٌّ سُفُناً فيها حطبٌ فأشعلَها ناراً، وأرسلَها على سُفُن خالد، وخَرَج في أَدْبارِهـا حتى خالَطَهُمْ. فجعل لا يَمُرُّ برجلٍ إلا قتلـه، ولا بدابَّةٍ إلاَّ عقَرها، ولا بفُـسطاط إلاَّ هتَكهُ. فأمـر المهلَّبُ يزيدَ ابنَه[٣] فخرج في مائه فارس، فقاتَلَ وأبْلَى يومئـذ، وخرج عبدُ الرحمن بن محمد ابن الأشعث فأبْلَى بلاءً حسناً، وخرج فَيْرُوزُ حُـصَيْن في مَواليه، فلم يَزَلْ يرميهم بالنَّشاب هو ومَن مـعه، فأثْرَ أثْرَا جميـلاً، فصُرِع يزيد بن المهلّب يومـئذ، وصُرِع عبدُ الـرحمن، فحامى عنـهما أصحابُـهما حتى ركـبهُ، وسَقطَ فَيْـرُوزُ حُصَيْن في

---

(١) ساقطة من ر.

(٢) الناووس: مقابر النصارى.

(٣) ساقطه من ر.

الْخندقِ، فأخذ بيده رجلٌ من الأزد، فوهَبَ له فَيروزُ حُصَيْنٍ عشرة آلاف درهمٍ، وأصبح عسكرُ خالد كأنه حَرَّةٌ سَوْداء، فجعلَ لا يَرَى إلاَّ قَتيلا أو صريعا، فقال للمهلب: يا أبا سعيد، كِدْنا نَفْتَضِحُ، فقال: خندق على نفسك، فإلا تفعل عادوا إليك؛ فقال: اكْفِنى أمرَ الخَنْدق، فجَمعَ له الأحْمَاس[1]، فلم يبقَ شريفٌ إلا عملَ فيه، فصاح بهم الخوارجُ: والله لولا هذا الساحرُ المَزونيّ لكان الله قد دَمَّرَ عليكم. وكانت الخوارجُ تُسَمِّى المُهَلَّبَ الساحرَ، لأنهم كانوا يُدَبِّرُونَ الأمر فيجدونه قد سَبَقَ إلى نقض تدبيرهم، فقال أعْشى هَمْدانَ لابن الأشعثِ فى كلمة طويلةٍ:

[فيروز حصين وبعض أخباره]

وقد ذَكرنا فى قصر الممدودِ أن، من مَدَّ المقصور لا يجوز، ما يغنى عن إعادته.

ويَوْمَ أَهْوَازِكَ لا تَنْسَهَ ... ليس الثنَا والذكْرُ بالدَّاثِرِ[2]

ونَذكُر فيْروز حُصَيْنٍ لمَاَ مَرَّ من ذكره:

وكان فيروزُ حُصَيْنٍ رجلاً جَيِّدَ البيتِ فى العجم، كريمِ المحتد، مشهورَ الآباء، فلما أسلم والى حُصيناً، وهو حُصَيْنَ بن عبد الله العَنْبَرِىُّ، من بنى العَنْبر ابن تميم بن مُرٍّ، ثم مِنَ وَلَد طَريف بن تميم، وكان فيروزُ حُصَيْنٍ شجاعاً جواداً، نَبيلَ الصُّورة، جهيرَ الصوت، وتَرْوَى الرُّواةُ أن رجلا من العرب كانت أمُّه فتاة، فقاوَلَ بَنى عمٍّ له، فسبُّوه بالعَجَمِيَّةِ، ومَرَّ فيروزُ حُصين، فقال: هذا خالَى، فَمَن منكم له خالٌ مثلُه؟ وظَنَّ الفَتى[3] أن فيروزَ لم يسمعها، وسَمِعَها فيروز، فلما صار إلى منزله بعثَ إلى الفتى، فاشترى له منزلا وجاريةً، ووهبَ له عشرة آلافِ درْهِم.

ومن مآثره المعروفة أن الحجاج بن يوسف لما وقَفَ ابنَ الأشْعَث بِرُسْتَقَابَاذَ نَادَى منادى الحجاجِ: مَنْ أَتَى برأس فيروز فله عشَرة آلاف درهم. ففَصَلَ فيروزُ من الصَّفِّ، فصاحَ بالناسِ: مَنْ عرفنى فقد اكتَفَى، ومَنْ لم يعرفْنى فأَنا فيروز

(١) الأحماس. جمع حمس «بضم فسكون». جمع الأحمس، وهم الشجعان المتشددون فى القتال.

(٢) في الديوان ٣٤: بالباد. (٣)ساقطة من ر.

حُصين، وقد عـرفتم مالى ووفائى، مَـن أتى برأس الحجاج فله مائـة ألف، فقال الحجاجُ: فوالله(١) لقد تركنى أكثـرُ التَّلَفُّتَ وإنَى لبَيْنَ خاصّتى. فـأتىَ به الحجاج فقال له: أأنت الجاعلُ فى رأس أميرك مائةَ ألف درهم(٢)؟ قال: قد فعلتُ، فقال: والله لأُمْهَدَنّك(٣). ثم لأحْـملنَّكَ، أينَ المالُ؟ قَـال: عندى، فـهل إلى الحيـاة من سبيلَ؟ قال: لا، قال: فأخرجنـى إلى الناس حتى أجمع لك المالَ فلعلَّ قلبك يَرقُّ علىَّ! فَـفعل الحجـاجُ، فخرج فـيروزُ فـأحلَّ الناس من ودائعه، وأعـتَقَ رقيـقَه، وتَصدّق بماله، ثم رُدَّ إلـى الحجاج فقال: شـأنكَ الآنَ فاصْنعْ ما شئـتَ، فشُد فى القَصـب الفارسىِّ، ثم سُلَّ حـتى شُرِّحَ، ثم نُضِحَ بالخـلّ والمِلْح، فما تـأوه حتى ماتَ.

* * *

قال أبو العـباس: ومضَى قطرىٌّ إلى كرْمَـانَ، فانصرف خالدٌ إلـى البصرة، فأقام قطرى بكرْمـانَ أشهراً، ثم عَمَد لفارسَ، وخـرج خالدٌ إلى الأهْواز، ونَدَب للناس رجلا، فَجعَلوا يطلبون المهلّب، فقال خالد: ذَهَب المهلبُ بحظ هذا المصر، إنّى قد ولّيْتُ أخى قتال الأزارقة، فولّى أخاه عـبدَ العزيز، واستخلف المهلَّبَ على الأهواز فى ثلثمائـةَ، ومضَى عبدُ العزيز فى ثلاثين ألفـاً، والخوارجُ بدَرَابَ جَرْدَ، فَجَعل عبدُ العـزيز يقولُ فى طريقـه: يَزعُمُ أهل البصرة أن هـذا الأمر لا يتِمُّ إلا بالمهلَّب، فسيعلمون!

قال صَـعْبُ بن زيد: فَلمـا خرج عبدُ الـعزيز عن الأهواز جـاءنى كُرْدُوسٌ حاجب المهلب فقال: أجبِّ الأمير، فَجئتُ إلى المهَلب وهو فى سطح وعليه ثياب هَرَوِيّةٌ، فقال: ياصَعْب، أنا ضائع، كأنّـى أنظرُ إلى هزيمة عبد العزيز، وأخشى أن توافِيَنى الأزارقـة ولاجُنْدَ معى، فابـعثْ رجلا من قِبَلك يأتـينى بخبرهم سـابقاً به إلىَّ، فوجَّهتُ رجلاً يقال له عمران بن فـلان، فقلتُ: اصْحبْ عسكرَ عبد العزيز واكتبْ إلىَّ بخبر يوم يوم، فجعلتُ أوردُه على المهلب.

فلما قاربهم عبدُ العزيز وقَفَ وقْفة، فقال له الناسُ: هذا يومٌ صالحٌ، فينبغى أن تنزل(٤)- أيُّها الأميرُ- حتى نطمئنَّ ثم نأخـذَ أُهبَتَنَا، فقال: كلاَّ، الأمر قريبٌ،

---

(١) ر: والله. (٢) ساقطة من ر

(٣) لأمهدانك. س مهدت الفراش مهدا. بسطته ووطأته. يريد لأجعلنك طريحا كالفراش الممهود. قاله المرصفى.

٤) ر: «تترك».

فنزلَ الناسُ على غيـر أمره، فلم يُسْتَتَمَّ النّزُولُ حتى وَرَدَ عليـهم سعدُ الطَّلائعِ فى خمسمـائة فارسٍ، كأنهم خيطٌ ممدود. فناهضَـهم عبدُ العزيز، فوقَفُـوه ساعة، ثم انهزموا عنه مكيدةً، فاتبعهم، فقال لَه الناسُ: لاَتَتَّبَعْهُم فإنا على غير تعْبِيَة، فأبَى، فلم يَزَلْ فى آثارهم حتى اقتحموا عقَبَـة، فاقْتحمها وراءَهُم، والناسُ يَنْهَونَّهُ، وكان قد جَعَـل على بني تميمٍ عَبْسَ بن الشـريمى، الملقَّبَ عَبْسَ الطّعَـان، وعلى بكْرِ بن وائلٍ مُقاتِل بن مسْمَعٍ القيسى، وعلى شُرْطَته رجلاً من بنى ضُبَيْعَةَ بن نزَارٍ، فنزلوا عن العَقَـبة ونزلَ خَلفَهم، وكـان لهم فى بَطْن العقـبة كَمينٌ، فلمـا صاروا وراءَها خرج عليهم الكَمينُ. وعَـطفَ سعدُ الطّلائع. فترحَّل عَبْسُ بن طَلْـقٍ فَقُتلَ، وقُتل مُقاتِلُ بن مسْمعٍ، وقُتل الضبعى[1] صاحبُ الشرْطة، وانحاز عبدُ العزيز، واَتَّبعهم الخوارج على فرسخين يقـتلونَهم كيفَ شاءوا. وكان عبد العزيـز قد خرج معه بأم حَفْـصٍ ابنة المنْذرِ بن الجـارُود امرأته، فَـسَبَوا الـنساءَ يومـئذ، وأخَـذُوا أسْرَى لا تُحْصَى، فقَذَفوهم فى غار بعدَ أن شَـدُّوهم وَثاقا، ثم سَدُّوا عليهم بابهَ حتى ماتوا فيه.

وقال رجل حَضَرَ ذلك اليومَ: رأيتُ عبـد العزيز وإن ثلاثين رجلا ليضربونه بأسيافهم وما تَحيك فى جُنته[2].

– يقال ما أحاكَ فـيه السيفُ، وما يُحيكُ فيـه، وماحَكَّ الأمرُ في صَدْرى، وما حَكى فى صدرِى، ومـا احتُكى فى صدرى. ويقال: حاك الرجلُ فى مِـشْيَته يَحيكُ، إذا تَبَختَرَ.

ونُوديَ على السبْىْ يومئـذ، فغُولى بأم حفصٍ، فبَلغَ بها رجـلٌ سبعين ألفاً، وذلك الرجلُ من مَجُوسَ كانوا أسلموا ولحـقُوا بالخوارج، فَفرَضَ لكلٍّ واحد منهم خَمْسَمائة، فكاد يأخذها، فَشَقَّ ذلـك على قُطريٍّ وقال: ما ينبغى لرجُلٍ مسلمٍ أن يكون عَندَه سبعون ألفاً، إنَّ هذه لفتْنَة[3]،فوثَب إليها الحَديد العبْدى فقتلَها، فأتىَ به قطَرىٌّ فقال له[4]: يا أبا الحديد، مهيم! فقال: يا أميرَالمؤمنين. رأيتُ المؤمنين قد تزايَدُوا في هـذه المشركـة، فخـشيتُ عـليهم الـفتنة. فـقال قـطَرِىٌّ: قد أصبتَ وأحسنتَ! فقال رجلٌ من الخوارج:

(١) ر «الضبيعى». (٢) ر: «جسده».

(٣) ر. «فتنة». (٤) ساقطة من ر.

كــفـانـاً فـتـنة عَـظُمَـتْ وجَلَّـتْ   بحــمـد الله سـيـفُ أبى الحـديد

أهـابَ المسـلمــونَ بـهــا وقـالـوا   على فَـرْطِ الهَـوَى: هل مَن مَـزيدْ

فـزادَ أبـو الحـديـدِ بنَـصْلِ سـيفٍ   رَقـيـقِ الحَـدِّ فِـعْـلَ فـتًى رَشـيـدِ

قوله: «أهابَ» يريدُ أعْـلنَ، يقال: أهبَتُ به، إذا دَعَوتَهُ، مِـثْلُ صَوَّتَ، قال الشاعرُ:

أهاب بـأحـزانِ الفـؤاد مُـهـيـبُ   وَمَـاتَت نفـوس للـهَوى وقـلُوبُ

وقوله: «مَهْيَمْ» حرفُ استفهامٍ[1]، معناه: ما الخبرُ وما الأمرُ، فهو دالٌّ على ذلك محذوفُ الخبر، وفى الحديث أن رسـول الله ﷺ رأى بعبد الرحمن بن عوف ردْعَ خلُوق[2] فقال: مَهْيَمْ! فقـال: تزوجتُ يا رسولَ الله، فقال: أَوْلِمْ ولو بشاة. وكان تَـزَوَّج على نواة، وأصحـابُ الحديث يَرْوُونَهُ «عـلى نَواةٍ من ذَهب قيـمتُـ خسمة دراهم». وهذا خطأ وغَلطٌ. العربُ تقول «نـواةٌ» فتعنى بها خمسةَ دراهم كما تقـول: النَّشُّ لعشرين درهمـاً. والأوقيَّةُ لأربعين درهما، فـإنما هو اسم لهذا المعنى.

وكان العَلاءُ بن مُطـرِّف السعدىُّ ابنَ عَمِّ عْمرو القَنَا، وكـان يحب أن يلقاه فى تلك الحروب مـبارزة، فلَحِقـه عَمرُو القَنَا وهو منـهزم، فضحك عَـمْرٌو وقال متمثلا:

تَـمَنَّـانـى لِيَـلْـقـانـى لَقـيـطٌ   أعامِ لَكَ ابنَ صَـعصَعَة بن سَـعْدِ

ثم صاح به: انْجُ أبا المُصَدَّى! وكان عمرُو القَنَا يُكْنَى أيضاً أبا المُصَدَّى.

وهذا البيتُ الذى تمثَّلَ به عمروٌ ليزيدَ بن عمرو بن الصَّعِق الكلابىِّ، يقول يعنى لَقيط بن زُرَارةَ، وكان يَطلبه، وقوله: «أعَامِ لَكَ» يريدُ يا عَامِرُ، فَرَخَّمَ، و يريدُ الحىَّ تعجباً، أى لكمْ أعْجَبُ من تمنِّيه للقائى!

فَدَعَـا بنى عامر بن صـعصعة، وهـم بنو صعصـعةَ بن معـاوية بن بكر بن هَوَازِن، ويقال إن عـامر بن صعصـعة هو ابن سعد بن زيـد مَنَاة بن تميمٍ، لا

---

(١) قال المرصفي يريد كلمة «استفهام» هى مبتدأ محذوف الخبر.

(٢) الخلوق: الطيب.

معاوية، وإنهم ناقلةٌ [1] فى قَيْسٍ. ولذلك امتنعت[2] بنو سَعْدٍ من محاربتهم مع بنى تميمٍ يوم جَبَلَةَ، ولذلك أنذرهم كَرِبُ بن صَفْوَانَ.

وهذا البيتُ وضعه سيبويه فى باب النداءِ الذى معناه مَعْنَى التعجُّبِ، وشَبيهٌ به قولُ الصَّلَتان العَبْدىِّ:

فيا شاعراً لا شاعرَ اليومَ مِثْلهُ ... جَرِيرٌ ولكن فى كُليبٍ تواضُعْ

على معنى قوله: فللَّه دَرُّهُ شاعراً!

وكان العَلاءُ بن مُطرِّف قد حمل معه امرأتين له. إحداهما منَ بنى ضَبَّةَ يقال لها أمُّ جميل. والأخرى بنتُ عمه، وهى فلانة بنتْ عَقِيلٍ. فطلَّق الضَّبِّيَةَ وتخلصَ بهما يومئذ، وحَمَلَ الضبيةَ أوَّلا، ففي ذلك يقولُ:

ألسْتُ كريماً إذ أقولُ لفْتَيتي ... قفُوا فاحملوها قبل بنتِ عَقيلِ

ولو لم يكن عُودِى نُضَاراً لأصْبحَتْ ... تَجَرُّ على المَتْنَيْنِ أمَّ جَميلِ[3]

* * *

قال الصَّعْبُ بن يزيدَ: بعثنى المهلبُ لآتيَهُ بالخبر، فضربت[4] إلى قنطرة أرْبكَ [5] على فرشٍ اشتريتُه بثلاثة آلاف درهمٍ. فلم أحْسس خبراً، فَسرْتُ مُهَجِّراً إلى أن أمْسَيْتُ، فلمَّا أظْلَمنَا سمعتُ كَلامَ رجلٍ عَرَفْته من الجهاضمِ[6] فقلتُ: ماوراءَكَ؟ فقال: الشرُّ، فقلتُ: فأين عبدُ العزيز؟ قال: أمَامَك، فلما كان من آخر الليل إذا أنا بزهاء خمسين فارساً معهم لواءٌ. فقلتُ. لواءُ [7] مَن هذا؟ فقالوا: هذا لواءُ عبد العزيز؛ فتقدَّمتُ إليه، فسلَّمتُ وقلت: أصلحَ الله الأميرَ! لا يكْبُرَنَّ عليكَ ما كانَ، فإنك كنتَ فى شَرِّ جُنْد وأخْبَثه. قال لى: أوَ كنتَ مَعَنا؟ قلتُ: لا، ولكنْ كأنى شاهدٌ أمْرَكَ، قال: كأنَّك كنتَ معنا، قلتُ: أرسلنى المهلبُ لآتيهُ بخبرك. ثم تركتُه وأقبلتْ إلى المهلّب، فقال لى: ماوراءَكَ؟ قلتُ: ما يسرُّكَ. قد

---

(١) الناقلة: القبيلة تنتمى إلى أخرى.

(٢) ر: «تمنعت». (٣) ر: «تخر».

(٤) ر: «قصرت» (٥) أربك إحدى قرى خوزستان ـ ـ.

(٦) الجهاضم: يريد بنى جهضم بن عوف بن مالك - (٧) ساقطة من ر.

هُزِمَ عبدُ العزيز(١). وقلَّ جيشه. فقال: وَيْحَكَ! وما يَسرُّني من هزيمة رجلٍ من قريشٍ وقلِّ جيشٍ من المسلمين! قلتُ: قد كان ذاكَ، ساءَك أو سرَّكَ، فوجَّه رجلاً إلى خالد بُخبُره. قال الرجلُ: فلما أخبرتُ خالداً قال: كذبت ولؤمْتَ. ودخل رجل من قريشٍ فكذَبني، وقال لى خالدٌ: والله لَهَمَمْتُ أن أضربَ عنقَك. قلت: أصلحَ الله الأمير! إنْ كنتُ كاذباً فاقتلني. وإن كنتُ صادقاً فأعطني مُطْرَفَ هذا المُتكَلِّف. فقال خالدٌ: لبِئسَ مَا أخطَرْتَ به دَمَك! فما بَرِحْتُ حتى دخل بعض الفَل.

وقدمَ عبدُ العزيز سوقَ الأهواز، فأكرمَه المهلّب وكساه، وقَدم معه على خالد، واستخلفَ ابنَه حبيباً، وقال له: تَحَسَّسْ عن الأخبار، فإنْ أحسستَ بخبرِ الأزارقة قريباً منك فانصرفْ إلى البصرة. فلم يَزَلْ حَبيبٌ مقيماً والأزارقةُ تدنو منه، حتى بَلغوا قنطرة أَرْبُكَ، فانصرفَ إلى البصرة على نهرِ تيرَى، فلما دخلها أعْلمَ خالدٌ، فغَضِبَ عليه، واستتر حبيبٌ فى بنى هلالِ بن عامر بن صعصعة، فتزوج هناك فى استتاره الهلاليةَ أم عبَّادِ بن حبيب.

وقال الشاعرُ لخالد يُفَيِّلُ رأيه، أى يُخَطِّئه:

بعَثْتَ غلاماً من قريشٍ فَروقَةً(٢) … وتتركُ ذَا الرأى الأصيلِ المهلّبَا
أبَى الذّم واختارَ الوفاءَ وأحكَمَت … قُواهُ وقد ساسَ الأمورَ وجَرَّبَا

وقال الحارث بن خالد المخزومىُّ:

فَرَّ عبدُ العزيز لَمَّا رأى … الأبطالَ بالسفح ونازَلُوا قَطَرِيَّا

ويُرْوَى:

فرَّ عبدُ العزيز إذ رَاءَ عيسَى … وابنَ دَاودَ نَازلا قَطَرِيَّا
عاهدَ الله إنْ نَجَا مِلْمَنَايَا … لَيَعُودَنَّ بعدَها حُرْمِيَّا
يَسْكُنُ الخلَ والصِّفَاح … فمران وسَلْعَا وتارةً نَجْديَّا
حيثُ لا يَشْهَدُ القتالَ ولا يسمَعُ … يوماً لِكَرِّ خَيْلٍ دَوِيَّا

(١) ساقطة من ر.

(٢) الفروقة: الشديد الفزع.

قـولُه: «إذ رَاءَ عـيسى»، الأصـل «رأى» ولكنه قَـلب فقـدّم الألفَ وأخّـرَ الهمزةَ، كما قال كُثَير:

وكلُّ خـليل رَاءَنـى فـهـو قـائلٌ   من اجلْكِ هذا هامـةُ اليوم أو غَدِ

والقلب كثير فى كلام العربِ، وسنذكر منه شيئاً فى موضعه إن شاء الله.

وقولُه: «ملْمَـنايَا» يريدُ من المنايا، ولكنَّه حَـذَفَ النونَ لقربِ مخرجِـها من اللام، فكانتاً كالحرفـين يلتقيان على لفظ فُيحذفُ أحـدُهما، ومن كلام العرب أن يحذفوا النون إذا لقيتْ لام المعرفة ظاهرةً. فيقولون فى بنى الحارث وبنى العَنْبَر وما أشبـه ذلك: «بَلْحَارِث» و«بَلعَـنْبَرِ» و«بَلهُجَـيْمِ» كما يـقولون: «عَلْمَاءِ بَـنُو فلانِ» فيحذفونَ إحدَى اللامَيْن.

وقولُه: «ليَعُودَنّ بعَـدَها حُرْميًّا» العربُ تَنْسُبُ إلى الحَرَمِ فـيقولون «حَرْمِىٌّ» و«حُرْمِىٌّ» على قولهم حُرْمَةُ البيت، وحِرْمَة البيتِ، وقال النابغة الذبْيَانىٌّ:

من قول حِـرمْيَّةٍ قالـتْ وقد رَحَلُوا   هل فى مُخِفِّيكُـمُ مَنْ يَشْتَرِى أَدَمَا(١)

والخَلُّ: هاهنا موضعٌ، وأصلهُ الطريقُ فى الرَّمْلِ.

* * *

وكَتَب خالدٌ إلى عبـد الملك بعُذْر عبد العزيز، وقال للمـهلب: ما تَرَى عبدَ الملك صانعاً بى؟ قـال: يَعزِلُكَ، قال: أَتُرَاهُ قاطعاً رَحِـمى؟ قال: نعم، قد(٢) أتَتْهُ هزيمةُ أمَيَّة أخيك من البَحْرَيْنِ. وتأتيه هزَيمةُ أخيك عَبدِ العزيز من فارسَ!

قال أبو العباس: فكَتَب عبد الملك إلى خالد(٣):

أما بعـدُ، فإنى كنتُ حَـدَدْتُ لك حَدًّا فى أَمـر المهلَّب، فلما ملـكتَ أمرَك نبذتَ طـاعتي واستـبددتَ برأيك، فـوليّتَ المُهلَّبَ الجـباية، ووليتَ أخـاك حَرْبَ الأزَارقـة، فَـقَـبَّـحَ اللهُ هذا رأيـا! أتبـعثُ غـلامـا غـراً لم يُـجَـرِّب الحـروبَ للحرب(٤). وتتركُ سيداً شجـاعاً مدبراً حازما قد مارس الحروبَ تَشْغَلُهُ بالجباية،!

---

(١) المخف: الخفيف المتاع.   (٢) ساقطة من ر.

(٣) فى س بعدها: «بسم الله الرحمن الرحيم». ولم تذكر فى الأصل. ر.

(٤) ساقطة من ر.

أمَا لو كافأتُك على قدرِ ذنبك لأتاكَ مِن نكيـرى مالا بقيَّةَ لك معه، ولكنْ تذكرَّتُ رَحِمك فَلَفَتَتْنى عنك، وقد جعلتُ عقوبَتك عَزْلَكَ.

وولَى بِشْرَ بن مَرْوَان وهو بالكوفة وكَتب إليه:

أما بعـدُ، فإنك أخو أميـرِ المؤمنين. يجمعك وإيَّـاه مَرْوانُ بن الحكم، وأن خالداً لا مُجْتَمَع له مع أمير المؤمنين دون أمـيَّةَ. فانظرِ المهلَّبَ بنَ أبى صُفْرَةَ، فَولِّه حربَ الأزارقة، فإنه سيِّـد بَطَلٌ مُجَرَّبٌ، فأَمْدِدْه[1]. من أهل الكوفة بثـمانية آلافِ رجلٍ.

فَشَقَّ عليه ما أَمَره به[2] فى المهلَّب، وقال: والله لأقتُلَنَّهُ، فقال له موسى بن نُصَير[3]: أَيُّها الأميرُ[3]، إنَّ للمهلبِ حفاظاً وبَلاءً ووفاءً.

وخرجَ بشرُ بن مـروانَ يريد البصرةَ، فكتب موسى وعـكْرمةُ إلى المهلَّب أن يتلقاهُ لقاءً لا يَعْرِفُه به، فتلقاه المهلَّبُ على بغل، فسلَّم عليه فى غمارِ الناسِ، فلما جلَسَ بِشْر مَجْلِسَهُ قال: ما فعل أميـرُكم المهلّبُ؟ قالوا: قد تلقاك أيُّها الأميرُ وهو شاكٍ.

فهَمَّ بشـر أن يُوَلِّيَ حَرب الأزارقة عُـمَر بن عُبـيد الله، فقال له أسـماءُ بن خارجةَ: إنما ولاك أميرُ المؤمنينَ لِنَرى رأيَك، فـقال له عكْرِمة بن رِبْعى: اكْتُبْ إلى أميرِ المؤمنين وأَعْلِمْه علَّةَ المهلَّبِ، فكتب إلـيه يُعْلِمُهُ علَّةَ المهلَّبِ، وأَنّ بالبصرة من يُغْنى غنَاءَهُ، ووَجَّـهَ بالكتاب مع وَفْـد أوْفَدَهُمْ إلَيه، رَئيـسهُم عَبـدُ الله بن حكيمٍ المُجَاشِـعِيُّ، فلمَّا قـرأ الكتابَ خَـلاَ بعبد الله بـن حكيم فقـال: إنّ لك ديناً ورأياً وحَزْمًا، فَمنْ لِـقتالِ هولاء الأزارقة؟ قال: المهلَّبُ. قال: إنه عَـليلٌ. قال: ليستْ عِلَّتُه بمانعة[4]. فقال عبدُ الملك: أرادَ بِشْرٌ أن يفعلَ ما فعل خالدٌ.

فكَتَبَ [5]إلى بشر[5] يَعْزِمُ عليه أن يُوَلِّيَ المهلَّبَ، فـوجَّه إليه. قال المهلَّبُ: أنا عَلِيلٌ ولا يُمْكِنُـنى الاختلافُ، فأَمَـر بشرٌ بحمل الدواويـن إليه، فجعل يَـنتَخِبُ، فاعترض بشـرٌ عليه، فاقْتَطَع أكثر نُخْـبته، ثم عَزَمَ[6] ألاّ يُقيمَ بعـدَ ثالثةٍ، وقد

---

(١) أمدده: أعنه. (٢) ساقطة من ر.

(٣-٣) ساقط من ر. (٤) ر: «بمانعته».

(٥-٥) ساقط من ر. (٦) ساقط من ر.

أخَذت الخوارج الأهْوازَ وخلَّفـوها وراءَ ظهورهم وصاروا بالفُرات، فـخرج إليهم المهلَّبُ حتى صار إلى شَهَارَ طَاقَ. فأتاه شيخٌ من بنى تميم، فقال أصلحَ اللهُ الأميرَ إن سنى ماتَرَى فـهَبْنى لعيالى قال: عـلى أن تقولَ للأمير إذا خَطَبَ فَـحثَّكمْ على الجهادَ، كيفَ تَحثُّنا على الجهاد وأنت تحبسُ أشرافَنَا وأهلَ النَّجْدة منَّا؟ ففعلَ الشيخُ ذلك، فقال له بشرٌ: وما[1] أنتَ وذاكَ؟ قال: لا شيءَ، وأعطَى المهلَّبُ رجلا ألفَ درهمٍ على أن يأتىَ بـشراً فيقـولَ له: أيُّها الأميـر أعن المهلَّبَ بالشرْطَة والمُـقاتلَة، ففعلَ الرجلُ ذلك، فقال له بشرٌ: ما أنتَ وذاكَ؟ قالَ: نَصيحةٌ حَضرَتْنَى[2] للأمير والمسلمينَ، ولا أَعُودُ إلى مثلها، فأمدَّهُ بالشُّرْطَة والمُقَاتلة.

وكتب بشرٌ إلى خليفته بالكوفة أن يَعْقدَ لعبد الرحمن بن مخْنَف على ثمانيةِ آلاف، من كلِّ رُبْعٍ ألفين، ويُوَجه به مَدَداً إلَى المهلَّب، فلما أتاه الكتابُ بعثَ إلى عبد الرحمن بن مخْنَف الأزْدىِّ فَعَقَدَ له، واختار له من كلِّ رُبْعٍ ألفين، فكان على رُبْعِ أهلِ المدينة بِشْرُ بنُ جَـرِيرِ البَجَلىُّ، وعلى رُبْع تميمٍ وهَمْدانَ عـبدُ الرحمن بن سَعيد بنِ قيـس الهمدانى، وعلى رُبْعِ كنْدةَ وربَيعةَ محمـدُ بن إسحاق بن الأشعَث الكنْدىُّ، وعلى مَذْحجٍ وأَسَـد زَحْرُ بن قيسٍ المَذحجىُّ، فقدموا عـلى بشر، فَخَلاَ بعبد الـرحمن بن مخْنَف، فقـال له: قد عرفتَ رأيى فيك وثقـتى بك، فكُنْ عند ظَنِّى، انْظُرْ هذا المُزَونىَّ فَخـالفه فى أمره، وأَفْسدْ عليه رأيهُ، فخـرج عبدُ الرحمن ابن مخْنَف وهو يقولُ: مَـا أَعْجَب ما طَمع منىَّ فيه هذا الغـلامُ! يأمُرنى أن أُصَغِّرَ شيخاً من مَشايخ أهلى وسيداً من ساداتهم! فلحقَ بالمهلب.

* * *

فلمَّا أحَسَّ الأزارقةُ بِدُنُّـوه منهم انكشفوا عن الفرات، فاتبـعهم المهلَّب إلى سوق الأهواز، فنفاهم عنهـا، ثم اتبعهم[3]. إلى رَامَ هُرمُزَ فَهَزَمَـهم منها، فدخلوا فارسَ وأَبْلَى يزيدُ ابنهُ فى وقـائعه هذه بلاءً شديداً[4]، تَقَدَّم فيـه وهو ابنُ إحدى وعشـرين سنة، فلمـا صارَ القومُ بفـارسَ وَجَّهَ إليهـم ابنَه المُغيـرة، فقال له عـبدُ الرحمن بن صُبْح: أيـها الأمير! إنه[5] ليس برأى قـتلُ هذه الأكْلُـب، ولَئنْ والله قَتَلْتَهم لَتَقْعُدَنَّ فى بيتك، ولكنْ طَاوِلْهُمْ وكَلْ بهمْ، فقال: ليس هذا من الوفاء.

(١) ر: «ما أنت».

(٢) ساقطة من ر.

(٣) ر: «نتبعهم».

(٤) ر: «حسنا».

(٥) ر: «أتاه».

فلم يَلْبَث بِـرَامَ هرمز إلا شهراً حـتى أتاهم[١] موتُ بشر، فـاضطرب الجند على ابن مخْنَف، فوَجَّهَ إلى محمد بن إسحاقَ بن الأشْعَث وابن زَحْر واستحلفهُما ألاّ يَبْرَحَا، فحلفًا له ولم يَفياَ، فجعل الجندُ من أهل الكوفةَ يتسللُون حتى اجتمعوا بسوق الأهْـواز، وأراد أهلُ البصْرة الانسـلال من المهلَّب، فـخطبهم فقـال: إنكم لستم كأهل الكوفـة، إنما تَذُبُّونَ عن مصركم وأموالِكم وحُرَمِكمْ، فـأقام منهم قومٌ وتَسَلَّلَ منهم ناسٌ كثيرٌ.

وكان خالدُ بن عبد الله خليفةَ بشر بن مروانَ، فوجَّهَ مَوْلى له بكتاب منه إلى مَنْ بالأهواز، يَحْلفُ فـيه بالله مجتهداً، لـئنْ لم يرجعوا إلى مراكـزهم وانصرفوا عُصاةَ لايظْفَـرُ بأحد منهم إلاَّ قَتَلَه، فجـاءَ مولاه، فجعل يقرأ الكتـابَ عليهم ولا يَرَى في وجوههم قبُـولَه، فقال: إنّى لأرَى وجوهاً ما القبولُ من شَـأْنها. فقال له ابنُ زَحْرٍ: أيُّها العبد، اقرأْ ما فى الـكتاب وانصَرفْ إلى صاحبك، فإنك لا تدرى ما فى أنفـسنا، وجعلوا[٢] يستـحثونه بقراءته. ثم قَـصدُوا قصداً الكـوفة، فنزلوا النُّخَيلةَ، وكتبوا إلى خليفة بشـر يسألونَه أن يأذنَ لهم فى الدخول فأبى، فدخلوها بغير إذن.

[ولاية الحجاج العراق، وأمره مع المهلب والخوارج]

فلم يزَل المهلَّبُ ومَن معه من قُوَّاده وابنُ مـخْنَف فى عَدد قليلٍ، فلم يَنْشَبُوا أنْ وَلِىَ الحـجَّاجُ العـراق، فدَخَل الكـوفَةَ قَـبْلَ البصـرَّة، وذلكَ فى سنة خـمس وسبعـين، فخطبَهم وتهـدّدَهُمْ، وقد ذكرنا الخطبة مـتَقَدِّماً. ثم نَزَل فـقال لوجُوه أهلها: مـا كانت الُولاةُ تفـعلُ بالعُصاة؟ فـقالوا: كانـت تَضْرِبُ وتَحْبس، فـقالَ الحجَّاجُ: ولـكنْ ليس لهم عندى إلاَّ السيفُ. إن المسـلمين لو لم يَغْزُوا المشـركين لغزاهُم المشركـون، ولو ساغت المعصيةُ لأهلها ما قُـوتِلَ عدوٌّ ولا جُبِىَ فَىْءٌ. ولا عِزَّ دينٌ.

ثم جَلَسَ لتوجيه الناسِ، فقـال: قد أجَّلْتُكُمْ ثلاثاً، وأقسم بالله لا يَتَخَلَّفُ أحدٌ من أصحاب ابن مخْنَف بعدها ولا من أهل الثُّغور إلاّ قَتَلْتُهُ[٣]. ثم قال لصاحب حَرَسه وصـاحب شُرَطَه: إذا مَضَت ثلاثةُ أيـامٍ فاتخذُوا سيـوفكما عصيًّـا، فجاءَهُ عميرُ بنِ ضابَىِ البُرجُمىُّ بابـنه، فقال: أصلح الله الأميرَ! إنَّ هذا أنفعُ لكم منى، وهو أشدُّ بنى تميم أيْداً، وأجمعُهم سلاحاً، وأربطُهم جَأشاً. وأنا شَيخٌ كبيرٌ عَليل،

---

(١) ر: «أتاه». (٢) ر: «يستحثونه فى قراءته». (٣) ساقطة من ر.

واستَشْهَدَ جُـلَساءَهُ، فقال له(٢) الحجـاجُ: إنَّ عُذْرَكَ لَواضحٌ. وإن ضـعْفك لبَـيِّنٌ ولكنِّي أكرهُ أن يَجتَرئ بك الناسُ عليَّ. وبعدُ فأنْتَ ابنُ ضابئ صاحبُ عثمانَ. ثم أَمَر به فقُتِلَ. فـاحتملَ الناسُ. وإن أحدَهُم لَيُتَّبَعُ بزادِه وسـلاحِه. ففى ذلك يقول ابنُ الزَّبِيرِ الأسَدِى:

أقـولُ لـعـبـد الله يوم لَـقـيـتـهُ ... أرَى الأمرَ أمْـسى مُنْصباً مُـتَشَعِّـبَا
تخـيَّرْ فـإمَّـا أنْ تَزورَ ابنَ ضـابئ ... عُـمَـيْـراً وإمَّـا أن تـزورَ المهـلَّبَـا
هما خُطتـا خَسْف نَجاؤُكَ منـهما ... رُكوبُكَ حَـوْليًّا من الـثَّلْج أشهـبَا
فَمَا إن أرَى الحـجَّاجَ يَغْمدُ سـيفَهُ ... يَدَ الدهرِ حـتى يترك الطِّفْلَ أشيَـبَا
فأضْحَى ولو كـانتْ خُرَاسَانُ دونَه ... رآها مَـكَانَ السُّـوقِ أوهِـىَ أقْـرَبا

وهَرَبَ سَوَّارُ بن المَضَّرب السَّعْدِىُّ من الحجاجِ وقال:

أقَـاتـلِىَ الحـجـاجُ إن لَـم أزُرْ له ... دَرابَ وأتْـرُك عنـد هنـدٍ فـؤاديَـا

وقد مرت هذه الأبياتُ.

وخـرج الناسُ عن الكـوفة. وأتى الحـجاجُ الـبصـرةَ. فكان علـيهم أشـدَّ إلحاحا(٢). وقد كان أتاهُم خبرُه بالكوفة، فتـحمَّلَ الناسُ قبلَ قدومه، فأتاه رجلٌ من بنى يَشْكرَ، وكان شيخاً كبيراً أعـورَ، وكان يَجْعَلُ على عينه العوراء صوفة، فكان يُلقَّبُ ذا الكُرْسُفَة. فـقال: أصلحَ الله الأميرَ! إنّ بى فتْقاً، وقـد عَذَرَنى بشْر، وقد رَدَدتُ العطاءَ، فقَـال: إنك عنْدى لصَادقٌ، ثم أمَـر به فَضُرِبَتْ عُنُقـهُ، ففى ذلك يقول كعَبُ الأشقَرىُّ أو الفَرزدق:

لقد ضَـرَبَ الحجاجُ بالمصـر ضربةً ... تُقـرْقـر مـنهـا بطنُ كـلِّ عَـريف

ويرى عن ابن مَيْـرَةَ قال: إنَّا لَنتغَـدَّى معه يوماً إذ جاء رجـلٌ من بَنى سُلَيْم برجلٍ يقودُهُ، فقال: أصلح الله الأميـرَ! إنَّ هذا عاص، فقال: له الرجلُ: أنْشدُكَ الله أيُّها الأميرُ فـى دَمى، فوالله ما قَبضْتُ ديواناً قَطُّ، ولا شـهدتُ عسكراً، وإنِّى لَحَائك أخذْتُ من تحت الحِفِّ (٣) فقال: اضربوا عنقهُ. فلما أحسَّ بالسيف سَجَدَ،

---

(١) ساقطة من ر. (٢) ر: «حاء».
(٣) الحف: المنسج.

فَلحقَه السيفُ وهو ساجدٌ، فأمسكنا عن الأكل[1]، فأقبل علينا الحجاجُ فقال مالى أراكم صَفِرَتْ أيديكم واصْفَرَّتْ وجوهُكم وحدَّ نظركم من قتلِ رجل واحد إنَّ العاصىَ يَجمَعُ خلالا: يُخلُّ بمَرْكَزِه، ويَعْصى أميرَه، ويغرُّ المسلمين وهو أج لهم، وإنما يأخذُ الأجرةَ لِمَا يَعملُ، والوالى مُخيَّر فيه، إن شاءَ قَتَلَ وإن شاء عَفَا.

ثم كَتب الحجاجُ إلى المهلب: أمَّا بعدُ، فإنَّ بشْراً رحمه الله استَكْرَهَ نَفْ عليكَ، وأراكَ غَنَاءَهُ عنك، وأنا أريك حاجتي إليك، فأَرِنى الجدَّ فى قتال عدوّك ومَنْ خِفْتهُ على المعصية ممّنْ قِبَلَكَ فاقتلْه، فإنى قاتلٌ مَنْ قِبَلى، ومَنْ كان عند مِنْ وَلِى مِنْ هَرب عنكَ فأَعلمنى مكانَه، فإنى أَرَى أن آخذَ الوَلِىَّ بالوَلِىِّ، والسَّ بالسَّمِىِّ.

فكَتَب إليه المهلَّبُ: ليس قِبلى إلا مُطيعٌ، وإنّ الناسَ إذا خافوا العقوبةَ كبَّر الذّنبَ، وإذا أمِنُوا العقوبةَ صَغَّروا الذنبَ، وإذا يَئِسُوا من العفو أكفرَهُم ذلك فَهَبْ لى هؤلاءِ الذين سَمَّيتَهم عصاةً، فإنما هم فريقان[2]: أبطالٌ، أرجو أن يَقْ الله بهم العدوَّ. ونادمٌ على ذَنْبه.

فلما رأى المهلَّبُ كثرةَ الناس عليه قال: اليومَ قُوتِلَ هذا العدوُّ. ولمّا ر ذلك قَطَرِىٌّ قال: انهضوا بِنَا نريدُ السَّرْدَان[3] فَنَتَحَصَّنَ فيها، فقال عُبَيْدَةُ هلال: أو نَأتى سَابُورَ، وخرج المهلَّبُ فى آثارهم، فأتى أرَّجَان، وخافَ أن يكو قد تحصَّنوا بالسَّرْدَان، وليست بمدينة، ولكنّ جبالٌ مُحْدقة مَنيعةٌ، فلم يُصب أحدا، فخرج نحوَهم فَعَسْكَرَ بكازَرُونَ، واستَعدُّوا لقتالهَ، وخَنْدَق على نفسه، وَجَّهَ إلى عبد الرحمن بن مخْنَف: خَنْدِقْ على نفسِك، فوجه إليه: خنا سُيوفُنا. فوجَّه إليه المهلّب: إنى لا آمَنُ عليك البَيَات، فقال ابنُه جعفرٌ: ذاك أه علينا من ضَرْطة جمل، إفأقبلَ المهلَّب على ابنه المغيرة، فقال: لم يُصيبوا الر ولمْ يأخذوا بالوَثيقة، فلما أصبحَ القومُ غادَوْه الحربَ، فَبعَثَ إلى ابن مخْ يستمدّه، فأمَدّه بجماعة، وجعل عليهم ابنَه جعفرا، فجاءوا وعليهم أقْبيةٌ بي جُدُدٌ، فقاتَلوا يومئذ حتى عُرِفَ مكانهم، وحاربهمُ المهلَّب، وأَبْلَى بنوه يومئذ كَ الكوفيِّين أو أشَدَّ، ثم نَظَرَ إلى رئيسٍ منهم يقال له صالحٌ بن مِخْرَاقٍ، وهو يَنْتَ

---

(١) ر: «الطعام». (٢) ر: «فريسان».

(٣) السردان: موصع ببلاد فارس بإزاء كازرون (البكرى). وفى ر: «السردان».

قوماً من جلة العسكر، حتى بلغوا أربَعمائَة، فقال لابنه المُغيرة: مايُعدُّ هؤلاء إلاَّ لِلبَيَاتِ. وانكَشف الخوارجُ والأمرُ للمهلَّب عَليهم، وقد كَثُر فيهم القتلَ والجراح.

* * *

وقد كان الحجاجُ فى كل يومٍ يتفقَّدَ العُصاةَ ويُوجِّهُ الرجالَ، فكان يَحْبسهم نهارا، وَيفْتَحُ الحَبْسَ ليلاً، فُينسَلُّ الناسُ إلى ناحيةِ المهلَّب، وكَانَ الحجاجَ لايَعلم، فإذا رأى إسْراعَهُمْ تَمثَّلَ:

إنَّ لـهـا لـسَـائقـاً عَـشَنْـزَرَا إذا وَنـيْنَ وَنـيْـة تَغَـشْـمَـرَا

العَشَنْزَرُ: الصُّلْب، والغشمرة(١): رُكوب الرَّأس. والمُتَغَشْمِرُ: الجادُّ على ما خيَّلَت.

وكَتَب إلى المهلَّب من قبْلِ الوَقْعة: أما بعدُ، فإنه بلغنى أنك أقبلتَ على جبايةِ الخراجِ، وتركتَ قتالَ العدوِّ، وإنى وَلَّيْتُك وأنا أرَى مكانَ عبد الله بن حكيم المُجاشعى وعَبَّاد بن حُصَيْن الحَبَطىّ. واخترتُك وأنتَ من أهلِ عُمانَ، ثم رجلٌ من الأزْدِ، فالْقَهُمْ يومَ كذا فى مكانِ كذا، وإلاَّ أشْرَعْت إليك صَدْرَ الرُّمح.

فشاوَرَ بَنِيه فقالوا: إنه أميرٌ، فلا تَغْلُظْ عليه فى الجواب.

فكتب إليه المهلَّب: وردَ على كتابُك تَزعم أنى أقبلتُ على جباية الخراج وتركتُ قتالَ العدوّ. ومن عَجَزَ عن جباية الخراج فهو عن قتال العدوّ أعْجزُ، وزعمتَ أنك ولَّيتنى وأنت تَرى مكانَ عبد الله بن حكيم المُجَاشعى وعَبَّاد بن حُصَين الحَبطِىّ، ولو ولَّيتَهما لكانا مُستَحقّيْن لذلك فى فَضْلهما وغَنائهما وبطشهما، واخترتنى وأنا رجلٌ من الأزدِ، ولعمرى إنَّ شرَّاً من الأزْد لقَبيلَةٌ تنازُعها ثلاثُ قَبائلَ، لم تَستَقِرَّ فى واحدة منهنَّ. وزعمتَ أنى إن لم ألقهُم فى يوم كذا، فى مكانِ كذا، أشرعت إلىّ صدرَ الرمح، فلو فعلتَ لَقَلْبتُ إليك ظهرَ المِجنّ، والسلامُ.

ثم كانت الواقعةُ. فلما انصرف الخوارجُ قال المهلَّب لابنه المُغيرةِ: إنى أخافُ البَيَاتَ على بنى تميمٍ فانْهَضْ إليهم فكنْ فيهم.

---

(١) ر: التغشمر.

فأتاهُم المغـيرة. فقال له الحَـريشُ بن هلاَل: يا أبا حاتمٍ، أيخَـافُ الأميرُ أ
يُؤتى من ناحيتنا؟ قُلْ له فَلْيَبِتْ آمناً، فإنَا كَافُوهُ ما قِبَلنَا إن شاء الله.

فلما انتصفَ الليـلُ وقد رَجَعَ المغيرةُ إلى أبيه، سَرَى صَـالِحُ بن مخراقٍ في القوم الذين أعدَّهُم إلى ناحية بنى تميمٍ، ومعه عبِيدةُ بن هلال، وهو يقولُ:

إنـى لَمُـــذْكٍ للـشُّـــرَاةِ نـارَهـا   ومـــــانـعٌ ممَّـن أتـاهـــا دَارَهـا

وغاسلٌ بالطعْنِ عنها عارَها

فوجـدَ بنى تميمٍ أيقـاظا مُتَحَـارسِينَ، فخـرج إليهم الحَـريشُ بن هلالٍ وه يقولُ:

لـقـــد وَجَـدتم وُقـــراً أنْـجـــادا   لاكَـشُـــفـا مـــيـلا ولا أوْغَـــادَا
هَـيْـهـــاتَ لاتُـلْـفُـــونَـنَا رُقـــادَا   لا بَـلْ إذا صِـــيـحَ بـنـا آسَـــادَا

ثم حَملَ عـلى القوم فرجَـعوا عنه، فاتبـعهم وصاح بهـم: إلى أينَ كلا النار! فقالوا: إنما أُعدَّت النارُ لك ولأصحـابك، فقال الحَريشُ: كلُّ مملوك لى - إن لم تَدخْلوا النارَ إَنْ دَخلَها مجوسىٌّ فيما بين سَفَوانَ وخُراسانَ.

قوله: «وَجَدْتُم وُقُرًا» جـمعُ وَقُور. والنَّجْدُ: ضدُّ البَليـد، وهو المتيقِّظ الذ لا كَسَل عنـدَه ولافُتورَ، والأَميلُ فـيه قَولان: قـالوا: الذى لاَيسْتقـرُّ على الدابا وقالوا: هو الـذى لاسَيْفَ معنه. والأكشفُ: الذى لاتُرْسَ معـه. والأجَمُ: الذ لارُمْحَ معه. والحاسِرُ الذى لادِرْع عليه. والأعْزَلُ: الذى لايَتَقَّومُ على ظَهْر الدابّا والوَغْدُ: الضعيفُ.

ثم قال بعضهـم لبعض: نأتى عسكرَ ابن مخْنف فإنـه لاخُنْدقَ عليهم، و تَعبَ فرسـانُهم اليومَ مع المهلَّب، وقد زَعـموا أنَّا أهْوَنَ عليهم من ضَـرْطة جَمل فأَتَوْهُم فلم يَشْعُرِ ابنُ مِخْنَفٍ وأصحابُه لهم إلاَّ وقد خَالطُوهم فى عسكرِهم.

وكان ابنُ مِخْنَفٍ شـريفاً، يقولُ رجلٌ من غامِدٍ لرجل يعـاتِبُه ويَضْرِب با مِخْنَفٍ المُثَل:

ترُوحُ وتَـغْـدُو كلَّ يومٍ مـعَـظّمـاً   كأنـك فينا مِـخْنَفٌ وابنُ مـخنفِ

فتَـرَجَّلَ عبدُ الرحمـن بنُ مخْنَف فجـالدَهم فقُتِلَ. وقُـتلَ معه سبـعون من القرَّاء، فـيهم نَفَرٌ مـن أصحاب علىٍّ بنٍ أبـى طالب صلوات الله عليه، ونـفرٌ من أصحاب ابن مسعود. وبَلَغَ الخبرُ المهلّب، وجـعفرُ بن عبد الرحمن بن مخنَف عندَ المهلَّب، فجاءهم مُغِيـثا، فقاتلَهم حتى ارتُثَّ [١] وصرعَ، ووجه المهلَّـبَ إليهمٌ ابنَه حبيـباً فكَشَفَهم، ثـم جاء المهلَّب حتى صَلَّى علـى ابن مخْنَفَ وأصحابه رحـمهم الله، وصار جُنْدُه فى جُنْد المهلَّب، فـضمَّهم إلى ابنه حبيب، فغـيرَّهم البصريون، فقال رجل لجعفر بن عبد الرحمن:

تركتَ أصـحابَـنَا تَدْمَى نُحـورُهُمُ وجئتَ تَسْعَى إلينا خَـضفةَ الجمَلِ [٢]

قوله: «خَضْفَةَ الجملِ» يريدُ ضَرْطَةَ الجـملِ، يقال: خَضَفَ البعيرُ. وأنشدنى الرِّيَاشىُّ لأعرابىٍّ يذمُّ رجلا اتَّخَذَ وليماً:

إنَّاَ وَجَـدْنَـا خَلَفَـاً بِئْسَ الخَـلَفْ أغْـلَـقَ عَـنَّـا بـابَـهُ ثـم حَـلَـفْ
لا يُدْخِـلُ البـوابُ إلا مَنْ عَـرَفْ عَبْدا [٣] إذا ماناءَ بالحِمل خَضَفَ [٤]

يقال: ناء بحمله. إذا حـمله فى ثقل وتكلف، وفى القرآن: ﴿**ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة**﴾ [٥]. والمعنى أن العصبة تنوء بالمفاتيح. وقد مضى تفسير هذا.

فلاَمَهم المهلَّب. وقال: بِئْسَمَا قُلـتم! والله مافَرُّوا ولاجَبُنُوا، ولكنهم خَالفُوا أمِيرَهم. أفلا تذكرون فِراركم يوم دُولابَ، وفراركَم بدارِس [٦] عن عثمان، وفراركم عنى!

* * *

ووَجَّه الحجاجُ البَرَاءَ بن قَبيصةَ إلى المهلَّب يَستَحثّهُ فى مُناجزة القوم، وكتب إليه: إنك لتُـحبّ بقاءَهم لتأكلَ بهم. فقـال المهلَّب لأَصحابه: حَرِّكـوهم، فَخرج فرسان من أصـحابه إليهم، فخرجِ إليـهم من الخوارج جَمعٌ، فاقتـتلوا إلى الليل، فقال لهم الخوارجُ: ويْلكمْ أما تَمَلّونَ! فقالوا: لا، حتى تَمَلُّوا، قالوا: فمن أنتم؟

---

(١) ارتث: حمل من المعركة وبه بقية من الحياة.

(٢) أى يا أبا خضفة.

(٣) ر: «عبد».

(٤) زيادات ر: «تقول العرب: حبج الرجل وخبق وخضف وردم. كل ذلك إذا ضرط».

(٥) سورة القصص ٧٦.

(٦) دار س: موضع قريب من البصرة.

قالوا: تميمٌ، قالت الخـوارجُ: ونحن بنو تميم، فلما أمْسوْا افترقـوا، فلما كان الغَدُ خرج عشَـرةٌ من أصحاب المهلَّـب وخرج إليهم عشـرة من الخوارج، فاحتَـفَر كلٌّ واحد منهـم حَفيرَةً وأثبـتَ قَدَمَه فيـها، فكلما قُـتِلَ رجلٌ جاء رجلٌ من أصـحابه فاجْتَرَّهُ وقام[1] مكانُه. حتى أعْتَمُوا[2]، فقال لـهـم الخوارجُ: ارجعوا، فـقالو: بل ارجعوا أنتم، فـقالوا: ويلكم! مَنْ أنتم؟ فقالوا: تميم، قـالوا: ونحن تميم، فرجَع البَراءُ بن قبـيصةَ إلى الحجاج، فقـال له: مَهْ! قال: رأيتُ قوماً لايُعـينْ عليهم إلاَّ الله.

وكَتَـب إليه المهلَّـبُ: إنى منتظرٌ بهم إحـدَى ثلاثٍ: موتٌ ذَرِيـعٌ، أو جوعٌ مُضِرٌّ، أو اختلافٌ مِن أهوائهم.

وكان المـهلَّبُ لايتَّكلُ فـى الحراسـة على أحدٍ. كـان يتولـى ذلك بنفـسه، ويستعين بولده وبمن يَحُلُّ مَحَلَّهُمْ فى الثقة عنده.

وقال أبو حَرْملةَ العَبْدِىُّ يهجو المهلَّب:

عَـدِمْـتُكَ يـامُـهلَّـبُ من أمـيـر ... أمَـا تَنْـدَى يمـيـنُك للـفـقـيـر!
بِدُولَابٍ أضَـعـتَ دمـاءَ قَـومى ... وطرْتَ عـلـى مُـواشِكَـة درَورِ[3]

فقال المهلَّبُ: ويحكَ! وا لله إنى لأقيكُـمْ بنفسى وولَدى. قال: جعلنى الله فداءَ الأمير! فَذَاكَ الذى نَكْرَهُ منك، مـاكلنا يُحبُّ الموتَ، قال: ويحكَ! وهل عنه مَحيصٌ؟ قال: لا، ولكنَّا نَكْرَهُ التَّعجيلَ، وأنتَ تُقْدِمُ عليه إقْدَاماً، قال المهلَّبُ: أمَا سمعت قولَ هُبَيْرة[4] الكَلْحَبَة اليَرْبُوعِىُّ:

فـقلـتُ لِكأس ألجـمِـيـهـا فـإنما ... نزلنـا الكَثـيبَ مِن زَرود لِنَـفزَعَـا

قال: بلى والله قد سمعتُه. ولكنْ قولى أحَبُّ إلىَّ منه. وهو[5]:

فلـمَّـا وقـفْتُـمْ غَـدْوةً وَعَـدُوُّكمْ ... إلى مُهْجتى ولَّيْتُ أعداءكم ظَهْرى
وطِرْتْ ولم أحْـفلْ مَقـالةَ عـاجز ... يُسـاق المَنـايَا بالـرُّدَيْنِّيـةِ السُّـمْـرِ

---

(١) ر «ووقف».

(٢) أعتموا: صاروا إلى العتمة وهى ثلث الليل الأول.

(٣) ر: «دماء قوم»، ومواشكة درور: سريعة.

(٤) ساقطة من ر.

(٥) ساقطة من ر.

فقال له[1] المهلَّب: بئس حَشْوُ الكَتيبَة والله أنتَ! فإن شئتَ أذنتُ لك فانصرفتَ إلى أهلك، فقال: بل أقيمُ معك أيُّها الأميرُ. فوهبَ له المهلَّبُ وأعطاه، فقال يمدحُه:

يَرَى حَتْماً عليه أبو سَعيد جِلادَ القومِ فى أولى النَّفير
إذا نادَى الشُّراةُ أبا سَعيدٍ مَشَى فى رِفْلِ مُحكَمة القَتير[2]

الرِّفل: الذيل.

* * *

وكان المهلّب يقول: مايَسُرُّنى أن فى عسكرى ألْف شجاعٍ بدلَ بَيْهَسِ بن صُهَيْب، فيقال له: أيها الأميرُ. بيهس ليس بشجاعٍ، فيقول: أجَلْ، ولكنه سَديد الرأى مُحْكَمُ العقلِ، وذو الرأى حَذِرٌ سَؤُولٌ، فأنا آمنُ أن يُغْتَفَل، فلو كان مكانَه ألفُ شجاعٍ قلتُ: إنهم يَنْشامون[3] حين يُحْتاجَ إليهم[4]

ومَطَرَت السماءُ مطراً شديداً وهم بسابورَ. وبين المهلب وبين الشراة عَقَبَةٌ. فقال المهلَّبُ: مَنْ يكفينا هذه العقبةَ الليلةَ؟ فلم يَقمْ أحدٌ. فلبس المهلّب سلاحَه وقام إلى العقبة واتَّبعه ابنُه المغيرةُ. فقال رجلٌ من أصحابه يقال له عبدُ الله: دعانا الأمير إلى ضبط العقبة. والحظُّ فى ذلك لنا فلم نُطعْهُ، فلبس سلاحَه، واتَّبعه جماعةٌ من أهل العسكر فصاروا إليه. فإذا المهلَّب والمغيرة لاثالثَ لهما. فقالوا: انصرفْ أيها الأميرُ، فنحن نكفيك إن شاء الله، فلما أصبحوا إذا بالشُّراة على العقبة، فَخَرج إليهم غُلاَم من أهل عُمَانَ على فرسٍ. فجعل يَحْمِل وفرسُهُ يَزْلَق، وتَلقّاه مُدْرِكُ ابن المهلب فى جماعة معه حتى رَدَّهم.

فلما كان يوم النَّحْرِ والمهلّبُ على المنبر يخطبُ الناسَ. إذا الشَّراة قد تألَّبُوا، فقال المهلَّب: سبحان الله! أفى مثلِ هذا اليومِ يامُغيرةَ! اكْفنيهمْ، فَخَرج إليهم المغيرةُ بن المهلّب وأمامَه سَعْدُ بن نَجْدٍ القُرْدوسِيُّ. وكان سعدٌ شجاعاً متقدماً فى

---

(١) ر: «وقال المهلب».

(٢) القتير: رءوس مسامير حلق الدروع.

(٣) ينشامون. من انشام الشيء. دخل واختبأ. يريد أنهم يكونون بمعزل مخافة أن ينتفلوا.

(٤) ر: «حتى يحتاج إليهم».

شجاعته. وكان الحجاج[1]. إذا ظَنّ برجل أن نفسَه قد أعْجَبَتْه قال له: لو كنتَ سعدَ بن نَجْدٍ القُرْدُوسِيَّ ماعَدَا - وقُرْدُوسٌ من الأزد.

فَخَرَج أمامَ المغيرةَ. وتبع المغيرةَ جماعةٌ من فرسان المهلّب، فَالْتَقَوْا، وأمامَ الخوارجِ غلامٌ جامعُ السلاحِ، مَديدُ القامة، كريه الوجهِ، شديدُ الحمْلةِ، صحيحُ الفُروسيّةِ، فأقبلَ يَحْمِلُ على الناس وهويقولُ:

نحنُ صَبَحْنَاكُمْ غُدَاةَ النَّحْرِ ... بالخيلِ أمثالِ الوَشِيجِ تَجْرى[2]

فخرج إليه سعدُ بن نجد القَرْدوسيُّ من الأزد، ثم تَجَاوَلا ساعة، فطعنه سعدٌ فقتَلَه، والتقَى الناسُ، فصُرِعَ يومئذ المغيرةُ، فحامَى عليه سعدُ بن بجد وذُبيانُ السَّخْتَيانيُّ وجماعةٌ من الفُرْسانِ حتى رَكِب، وانكشف الناسُ عند سَقْطة المغيرة، حتى صاروا إلى أبيه المهلّب، فقالوا: قُتِلَ المغيرةُ، ثم أتاه ذُبْيانُ السَّخْتِيَانيُّ. فأخبره بسلامتِه. فأعْتَقَ كلَّ مملوكٍ كان بحضرته.

* * *

ووجَّه الحجاجُ الجَرَّاحَ بن عبد الله إلى المهلب يَسْتَبْطِئُه فى مناجزة القومِ، وكتب إليه: أما بعدُ، فإنك جَبَيْتَ الخراج بالعَلَلِ، وتحصَّنْتَ بالخنادق، وطاولْتَ القومَ وأنت أعزُّ ناصراً، وأكثرُ عدداً، وما أظنُّ بك مع هذا معصيةً ولا جُبْناً، ولكنك اتخَذْتَ أُكْلاً[3]. وكان بقاؤهم أيسرَ عليك من قتالِهم، فناجِزْهُمْ وإلاّ أنكرتَنى، والسلام.

فقال المهلّب للجرَّاحِ: يا أبا عُقْبةَ. والله ماتركتُ حيلةً إلا احتلْتُها، ولامكيدةً إلاّ أعْملْتُها. وما العَجَب من إبطاء النصر وتَراخِى الظَّفَر. ولكنَّ العجب أن يكونَ الرأيُ لمن يملكهُ دونَ من يُبْصِرُهُ! ثم ناهضَهم ثلاثةَ أيام، يُغاديهم القتالَ، ولا يزالوان كذلك إلى العصر، وينصرف[4] أصحابُه وبهم قَرْحٌ، وبالخوارج قَرْحٌ وقَتْلٌ، فقال له [الجَرَّاحُ[5]]: قد أعْذَرْتَ.

---

(١) ر: «وكان المهلب». وما أثبته عن الأصل. س.

(٢) الوشيج مانبت من شجر الرماح ملتفا دخل بعضه فى بعض. (٣) الأكل: الرزق.

(٤) من هنا خرم فى نسخة الأصل ينتهى فى ص ٣٨٤ من هذا الجزء.

(٥) تكلمة من س

فكَتب المهلّب إلى الحجاج: أتانى كتابك تَسْتَبْطِئنى فى لقاء القوم، على أنك لاتَظُنُّ بى معصية ولا جُبْناً، وقد عاتبتنى معاتبةَ الجبان، وأوعدتنى وَعِيدَ العاصى، فاسأل[1] الجرَّاحَ. والسلامُ.

فقال الحجَّاجْ للجَّراح: كيف رأيتَ أخاك؟ قال: والله مارأيتُ أيها الأمير مثلَه قطُّ، ولاظننتُ أن أحدًا يَبْقَى على مثل ما هو عليه. ولقد شهدت أصحابَه أياماً ثلاثةً يَغْدُون إلى الحرب ثم ينصرفون عنها وهم بها يتَطَاعَنون بالرماح. ويَتَجالدون بالسُّيوف، ويتخابطون بالعَمَد. ثم يَرُوحُونَ كأن لم يصنعوا شيئاً. رَوَاحَ قومٍ تلك عادتُهم وتجارتُهم. فقال الحجاج: لَشَدَّ مامَدَحْتَهَ أبا عُقْبَةَ! قال: الحقُّ أولَى.

وكانت رُكُب[2]. الناس قديماً من الخشب. فكان الرجلُ يُضْرَبُ ركابُهُ فيتقطعُ فإذا أراد الضَّربَ أو الطَّعْن لم يكن له مُعْتَمَدٌ. فأمر المهلَّبُ فضُرِبَت الرُّكُبُ من الحديد. وهو أولُ من أمرَ بطبعها. ففى ذلك يقول عِمْرانُ بن عِصامٍ العَنَزِىُّ:

ضَربُوا الدراهمَ فى إمارتهمْ ... وضُربت للحدثان والحرب

حَلَقاً ترى منها مَرَافِقُهم ... كَمَنَاكب الْجَمَّالة الحُرْب[3]

وكتب الحجاجُ إلى عَتَّاب بن وَرْقاءَ الرِّياحىِّ من بنى رياحِ بن يربوعِ بن حَنْظَلة وهو وَالِى إصْبَهَانَ. يأمُرُهَ بالمسير إلى المهلَّب. وأن يضُمَّ إليه جُنْدَ عبدَ الرحمن بن مِخْنَف: فكلُّ بلد تَدْخُلانه من فتوح أهل البصرة فالمهلَّبُ أميرُ الجماعة فيه، وأنتَ على أهل الكوفة. فإذاَ دخلتم بلداً فتحهُ لأهل الكوفة فأنتَ أميرُ الجماعة [فيه][4]، والمهلّب على أهل البصرة.

فقدمَ عَتَّابٌ فى إحدى جمُادَيَيْنِ من سنة ستٍّ وسبعين على المهلّب، وهو بسابورَ، وهى من فُتوح أهل البصرة فكان المهلّب أميرَ الناسِ، وعتابٌ على أصحاب ابن مِخْنَف، والخوارجُ فى أيديهم كِرْمانُ، وهم بإزاء المهلّب بفارسَ يحاربونه من جميع النَّواحى.

---

(١) س: «فسل»

(٢) الركب: جم ركاب. وهو مايعتمد عليه راكب السرج بقدميه.

(٣) أى ضربت حلقا. ومرافقهم. أى معتمدات أرجلهم. والجمالة: أصحاب الجمال.

(٤) من س.

فَوجَّهَ الحجاجُ إلى المهلّبِ رجلين يَسْتَحِثّانه مُناجَزَةَ القوم، أحدُهما يقال له زيادُ بن عبد الرحمن، من بنى عامر بن صَعْصَعَةَ، والآخرُ من آل أبى عَقِيل جدٍّ الحجاج، فضمَّ زياداً إلى ابنه حَبِيب، وضَمَّ الثَّقَفِىَّ إلى يزيد ابنه، وقال لهما: خُذَا يزيدَ وحبيباً بالمناجَزَة، فَغَادَوُا الخَوارج فاقتَتَلُوا أشدَّ قتال، فقتلَ زيادُ بن عبد الرحمن، وفُقِدَ الثّقَفِىُّ، ثم باكَروهم فى اليوم الثانى وقد وُجِدَ الثقفىُّ، فدَعَا به المهلّب ودَعَا بالغَدَاء، فجعل النَّبْلُ يقع قريباً منهم، والثقفىُّ يَعْجَب من أمر المهلّب، فقال الصَّلَتَانُ العبدىُّ:

ألاَ ياصْبحانى قبْلَ عَوْقِ العَوائق ... وقبلَ اختراط القوم مثلَ العَقَائقِ
غداة حبيب فى الحديد يَقُودُنا ... نخوضُ المنايَا فى ظلال الخوَافِقِ
حَرُونٌ إذا ما الحرب طار شَرَارُها ... وهاجَ عجاجُ الحرب فوق البَوارق(١)
فَمن مُبْلِغُ الحجاجِ أن أمِينَه ... زياداً أطاحَتْهُ رِماحُ الأزَارقِ

قوله:

وقَبْلِ اختراط القوم مثلَ العقائق

يعنى السُّيوفَ، والعقائقُ: جمع عَقِيقة، يقال: سيف كأنه عَقيقةُ بَرْق، أى كأنه لُمَعَةُ برق، ويقال انعقّ البرقُ إذا تَبَسَّمَ. وللعقيقة مواضعُ: يقال فلانٌ بعَقيقة الصَّبىِّ(٢)، أى بالشَّعْر الذى وُلِدَ به لم يحْلقْهُ، ويقال: عَققتُ الشىء أى قطعتُه، ومنْ ذا فلان يَعُقُّ أبَوَيْه، وكذا عَقَقْتُ عن الصبىّ، إذا ذبحتَ عنه، وقال أعرابىٌّ:

ألم تَعْلَمِى يادارَ بَلْجاءَ أنَّنى ... إذا أجْدَبَتْ أو كان خصْباً جَنَابُها
أحَبُّ بلادَ الله مابين مُشْرِف ... إلىَّ وَسَلْمَى أن يَصُوبَ سَحَابهُا(٣)
بلادٌ بها عَقَّ الشبابُ تميمتى ... وأولُ أرض مَسَّ جلْدِى تُرابُها

فلمْ يَزَلْ عتَّابُ بن وَرْقاءَ مع المهلَّب ثمانيةَ أشهر، حتى ظَهَرَ شَبِيب، فكتب الحجاج إلى عتَّابِ يأمره بالمصير(٤) إليه ليوجه إلى شبيب، وكتب إلى المهلَّب

(١) قال المرصفى: «الحرون: لقب حبيب؛ لأنه كان يحرن فى الأرض فلا يبرح». والبوارق السيوف.
(٢) ر: «الصبى» بكسر الصاد والف مقصورة.
(٣) مشرف رمل بالدهناء
(٤) س. «بالمسير».

[يأمره][1] بأن يَرْزُقَ الجنْدَ، فَرَزق المهلّب أهلَ البصرة، وأبى أن يرزقَ أهلَ الكوفة، فقال له عتّابٌ: ما أنا ببارحٍ حتى ترزق أهل الـكوفة. فأَبى. فَجَرتْ بينهما غلْظةٌ. فقال عتـابٌ: قد كان يبلُغنى أنك شجـاع فرأيتك جَباناً. وكان يـبلُغنى أنكَ جوادٌ فرأيـتك بخيـلا. فقال له المـهلَّب: يابن اللَّخْنَـاء! فقـال له عَـتَّابٌ: لكنَّك مُـعَمٌّ مُخَولٌ[2] فغضـبتْ بكْرُ بن وائلٍ للمهـلّب للْحلْف. ووَثب ابنُ تَيْمٍ بن هُبَـيْرة بن أبى[3] مَصْقَلَةَ علي عتَّاب فشتمه، وقد كان المَهلَّب كارهاً للحلْف، فلما رأى نُصْرَةَ بكر بن وائـل سَرَّه الحلْف واغـتَبَطَ به، ولـم يزل يُؤكِّدُه، فـغضَـبت تميمُ البـصرة لعتَّاب. وغضبت أزْدُ الكوفةِ للمهلَّب.

فلما رأى ذلك المغيـرة بن المهلَّب مَشَى بين أبيه وبين عتَّاب، فـقال لعتاب: ياأبا ورْقـاء، إن الأميـر يَصـيرُ لـك إلى كلِّ ما تُـحبّ، وسأل أبَـاه أن يَرْزُقَ أهلَ الكوفة، فأجابه، فَصَلَحَ الأَمْرُ، فكانت تميمٌ قاطبةً وعَتَّابُ بن ورقاء يَحْمَدونَ المغيرةَ ابنَ المهلّب، وقال عَـتّابٌ: إنى لأعرفُ فضله على أبيـه، وقال رجلٌ من الأزد من بنى إيادِ بن سودٍ:

ألا أبـلـغْ أبَـا ورَقْـــاَء عـنَّـا[4] فـلـولا أنـنَّا كُـنَّـا غـــضَــابَـا

علـى الشـيخ المهـلَّب إذْ جـفـانا لـلاَقَتْ خـــيلُـكـم مَنَّـا ضـرابـاً

وكان المهلب يـقولُ لبنيه: لاتَبْـدَءوهم بقتالٍ حتى يَبْـدءوكم فيَبْغُـوا عليكم. فإنهم إذا بَغَوْا نُصرتم عليهم.

فَشَخَصَ عَـتّابُ بن وَرْقَاَء إلى الحجاج فى سـنة سبعٍ وسبعين، فـوجَّهَه إلى شبيب، فقـتله شَبيب، وأقام المهلّب على حـربهم، فلما انقضى من مُقامِـه ثمانيةَ عشر شهراً اختلفوا.

وكان سببُ اختلافهم أن رجلاً حدّاداً من الأزارقة كان يَعملُ نصالا مسمومة فَيرمَى بهـا أصحابَ المهلّب، فرُفِعَ ذلك إلـى المهلَّب فقال: أنا أكْفـيكمُوه إن شاء الله، فَوجَّهَ رجلاً من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكرِ قَطَرِيٍّ فقال: ألق هذا الكتابَ فى عسكرِ قَطَرِيٍّ واحْذَرْ عليَّ نفـسك- وكان الحدَّادُ يقال له أبزَى- فمَضى الرسَولُ، وكان فى الكتـاب: أما بعدُ، فإنَ نصَالك قـد وَصَلَتْ إلىَّ. وقد وجَّهْتُ إليك بألف درهمٍ، فـاقبضْها وزِدْنَـا من هذهَ النِّصَالِ، فَوقعَ الكـتابُ والدَّراهمُ إلى

(١) تكملة ر. س. (٢) معم مخول. أى كريم الأعمام والأخوال.
(٣) ر: «أخى». (٤) كذا فى س، وفى ر: «بنى ورقاء».

قطريٌّ. فدَعَا بأبزَى، فقال: ما هذا الكتابُ؟ قال: لا أدرى، قال: فهذه الدراهمُ؟ قال: ما أعلَمُ علْمها، فـأمر به فقُتل، فجاءه عبدُ ربِّه الصغـيرُ مَوْلَى بنى قيس بن ثَعْلَبَةَ فقال له: أَقَتَلْتَ رجلاً على غيـر ثقة ولاتَبَيُّن! فقال له: ماحالُ هذه الدراهم! قال: يجوز أن يكون أمرُها كذباً ويجوز أن يكون حقًّا. فقال له قطرىٌّ: قتْلُ رجلٍ فى صلاح الـناس غيرُ مُنْكَرٍ، وللإمام أن يحكـم كذبا بما رآه صلاحـاً. وليس للرعية أن تعترض عليه. فَتَنَكَّرَ له عبدُ ربِّهِ فى جماعة [معه](١). ولم يفارقوه.

فبلغَ ذلك المهلَّبَ فَدَسَّ إليه رجلا نصرانيا. فقال له: إذا رأيتَ قَطَرِيًّا فاسْجُد له، فإذا نهَاك فقل: إنما سجدت لك، ففعلَ النصرانىُّ، فقال له قطرىٌّ:

إنما السجودُ لله، فقال: ماسـجدتُ إلاّ لك، فقال له رجل من الخوارج قد عَبَدَكَ من دون الله، وتَلاَ: ﴿**إِنَّكُمْ وما تعبُدُونَ منْ دُون الله حَـصَبُ جَهَنَّم أَنْتم لها وَارِدُون**﴾(٢) فقال قطرىٌّ: هؤلاء النصارى قد عَبَدوا عيسى بن مريمَ فما ضَرَّ ذلك عيسى شيئاً، فقام رجل من الخوارج إلى الـنصرانىِّ فقتَلَه، فأنكر ذلك عليه وقال: أقتلْت ذميًّا! فاخـتلفت الكلمةُ، فبلَغَ ذلك المهلَّبَ، فَوجَّهَ إليـهم رجلاً يسألهم عن شىء تَقَدَّم به إليـه، فأَتاهم الرجلُ فقال: أرأيـتم رجلين خرجَا مُهَـاجَرين إليكم، فماتَ أحدُهـما فى الطريق وبلغكُمْ الآخَر فامـتحنتموه فلم يجز المحـنة، ماتقولون فيهما؟ فـقال بعضهم: أمَّا الميت فمؤمنٌ من أهل الجـنة، وأمَّا الآخرَ الذى لم يجز المحنة فكافرٌ حتى يُجيزَها. وقال قومٌ آخـرون: بل هما كافران حتى يجيزا المحنةَ. فكثُر الاختلافُ.

* * *

فخرج قطـرىٌّ إلى حدود إصْطَخْرَ. فأقـام شهراً والقومُ فى اختـلافهم، ثم أقـبلَ، فقـال لهم صـالح بن مخـراقٍ: ياقـومِ، إنكم قـد قررتم أعْينَ عـدوِّكم، وأطمَعْـتموهُم فيكـم. لِمَا ظهرَ من اخـتلافكم، فعودوا إلـى سلامة القلوب واجـتماع الكلمة.

وخرج عَمرُو القَـنَا فنادَى: أيها المُحِلُّونَ (٣). هل لكم فى الطِّرَادِ، فـقد طال عهد به! ثم قال

ألـمْ ترَ أنَّـا مُــذْ ثلاثـون لـيلـةً قَريبٌ وأعداءُ الكتابِ على خَفْضِ

(١) تكلمة من س. (٢) سورة الأنبياء ٩٨.

(٣) المحلون: الذين لاعهد لهم ولا حرمة.

فَتَهايج القــومُ، وأسرعَ بعضهم إلى بعض، فأبْلَى يومئــذ المغيرة بن المهلب، وصار فــي وَسط الأزارقة، فجـعلت الرِّمـاحُ تَحُطّه[1] وترفعْه، واعْـتَورَتْ رأسَه السُّيوفُ، وعليه سَـاعدُ حديد، فوضع يَدَه على رأسه، فجَعَلـت السيوفُ لاتعملُ فيه شيئـا، واستنقذه فُرْسان مِن الأزدِ بعد أن صُرِع، وكان الذى صـرَعَهْ عَبيدة بن هِلال، وهو، يقولُ:

أنــا ابن خَــيْــرِ قــومِـهِ هِـلالِ　　　شــيــخٌ علـى دِيـن أبـى بـلالِ

وذاك دينى آخرِ الليالى

فقال رجلٌ للمغيرة: كنَّا نَعْجَب كيف تصْرَعُ، والآن نَعجب كيف تَنْجُو!

وقال المهلَّب لبَنيه: إنَّ سَرْحكم لغـارٌّ، ولستُ آمَنهم عليه، أفوَكلتم به أحداً؟ قالوا: لا، فلم يَسْـتتمَّ الكلام حتى آتاه آت فـقال: إنَّ صالح بن مِخْـراق قد أغارَ على السَّرْحِ، فشق ذلــك على المهلَّب، وقال: كلُّ أمرِ لا أَليه بنفســى فهوَ ضائعٌ، وتذَمَّر علـيهم، فقال له بِـشْرُ بن المغيرة: أرِحْ نـفسَك، فإن كنتَ إنما تريـدُ مِثْلك فوالله لا يَعْـدلُ أحدُنا شِسْعَ نَعْلـك، فقال: خذوا عليـهم الطَّريقَ، فـثـار بِشر بن المغيرة، ومُدْرَكٌ والمفُضّلٌ ابنا المهلَّب، فـسَبَقَ بشرٌ إلى الطريق، فإذا رجلٌ أسودُ من الأزارقة يَشلُّ السَّرْحَ[2]. أى يَطْرُدُه. وهو يقولُ:

نحــنُ قــمَـعْنــاكُمْ بِشَــلِّ السَّــرْحِ　　　وقــد نَكَأنَا الــقَرْحَ بعــدَ القَــرْحِ[3]

الشَّلُّ: الطَّرْد، ويقال: نَكَأت القَرْحَةَ، مهموزٌ، ونَكَيْتُ العَدُوَّ. غيرُ مهموز، منَ النِّكاية، ونَكَأتُ القَرحةَ نَكأ، قال ابنُ هَرْمَةَ:

ولا أَرَاهــا تَــزالُ ظَــالمــة[4]　　　تُحْــدِثُ لى قَــرْحَــةً وتَــنْكَـؤهَا

ولحقـهُ المفضّلُ ومُدْركٌ، فـصاحَا برجل من طَيِّئ: اكـفنا الأسْودَ، فاعْـتَوَرَهُ الطائىُّ وبَشُـر بن المغيرة فـقتلاه، وأسرَا رجـلا من الأزارقة، فقال المهـلَّبُ: مِمَّن الرجلُ؟ قال: رجلٌ منْ هَمْدان، قال: إنك لشَيْنُ هَمْدان، وخَلى سبيله.

---

(١) هنا آخر الخرم فى نسخة الأصل، وأوله فى ص ٣٧٧ من هذا الجزء.

(٢)السرح: المال الذى يسام فى المرعى من الأنعام.

(٣)أقمناكم. قهرناكم.

(٤) أى لا تزال.

وكان عيّاشٌ الكندىُّ شجاعاً بئيسا[1] فأبْلى يومئذٍ، ثم مات على فراشه بعد ذلك، فقال المهلّب: لاوألتْ نفس الجبان بعد عيّاشٍ!

وقال المهلَّب: مارأيتُ كهؤلاء كلما يُنْقَصُ منهم يَزيدُ فيهم!

* * *

وَوَجَّهَ الحجاج إلى المهلب رجلين: أحدُهما من كَلْب، والآخرُ من سُلَيم، يَسْتَحِثانه بالقتال، فقال المهلَّب متمثِّلاً:

ومُسْتَعْجِبٍ ممَّا يَرَى من أناتِنا ... ولو زبنتهُ الحربُ لم يترمْرَمِ

الشِّعْرُ لأوْس بن حَجَر، وقوله: «زَبَنَتْهُ» يقول: دَفَعَتْهُ. ولم يترمْرَم، أى لم يَتَحَرَّكْ، يقال: قيلَ له كذا وكذا فما تَرَمْرَمَ.

وقال ليزيدَ: حَرِّكْهُم، فحَرَّكَهُمْ فتَهايَجُوا، وذلك فى قرية من قرى إصْطَخَر، فحَمَلَ رجلٌ من الخوارج على رجل من أصحاب المهلّب فطعَنَه، فشَكَّ فَخِذَهُ بالسَّرْجِ، فقال المهلّب للسُّلَمِيِّ والكَلْبِيِّ: كيف نقاتل قوماً هذا طَعْنُهم!

وحَمَل يزيدُ عليهم وقد جاءَ الرُّقَادُ، وهو من فرسان المهلّب، وهو أحدُ بنى مالك بن ربيعةَ، على فرس له أَدْهَمَ، وبه نيِّفٌ وعشرون جِراحة، وقد وَضَعَ عليها القُطْنَ، فلماحَمَلَ يَزيدُ ولَّى الجمعُ وَحَمَاهم فارسان، فقال يزيدُ لقَيْس الخُشَنىِّ مَوْلَى العَتيك: مَنْ لهذَين؟ قال: أنا. فَحَمَلَ عليهما، فَعَطَفَ عليه أحدُهما، فطعنه قيس الخشنىُّ فصرَعَهَ، وحملَ عليه الآخرُ فعانَقَه، فسقَطا جميعاً إلى الأرض، فصاحَ قَيْسٌ الخُشنىُّ: اقتُلُونا جميعاً، فحملَتْ خيلُ هؤلاء وخيلُ هؤلاَء، فحجزوا بينهما، فإذا مُعانِقُه امرأةٌ. فقام قيسٌ مُسْتَحيياً، فقال له يزيدُ: أمّا أنت فبارزْتها على أنها رجل. فقال: أما أنتَ لو قَتلْتُ أمَا كان يقال: قُتلْتُه امرأةٌ!

وأبْلى يومئذ ابنُ المْنجب السَّدوسى، فقال له غلامٌ يقال له خلاجٌ: والله لَوَددْنَا أنَّا فَضَضْنا عَسْكَرهم حتى أصيرَ إلى مُسْتَقرِّهمْ فأسْتَلبَ مما هناكَ جاريتين. فقالَ مولاه: وكيف تَمنَّيْتَ اثنتين؟ قال: لأُعْطيَكَ إحداهما وآخذ الأخرى، فقال ابنُ المْنجِبِ:

---

(١) البئيس: الشديد البأس.

أخـلاَجُ إنَّـك لن تُعَـانـقَ طفْـلَةَ		شَـرِقـاً بهـا الجَادىُّ كـالـتِّمْـثَـالِ
حتـى تُلاَقىَ فى الكتـيبَـة مُعْلِـمًا		عَـمْرَو الـقَنَا وعَـبِيدةَ بـنَ هلالِ
وتَرى المُقَعْطَر فـى الكَتيبةِ مُـقْدماً		فى عُـصبَـةٍ قَـسَطوا مع الضُّـلالِ
أو أن يُـعَلِّـمَكَ المـهـلَّبُ غَـزْوةً		وتَرَى جبـالًا قـد دَنَتْ لجـبالِ

قولـه: «طَفْلَةٌ» يقـول: ناعمـةٌ، وإذا كسـرتَ الطاء فـقلت: «طِفلة» فـهى الصغيرة. والجادىُّ: الزعفرانُ، والكَتيبَةُ: الجيشُ، وإنما سُمِّى الجيش كتيبةً لانضمام أهله بعضهم إلى بعـضٍ. وبهذا سُمىَ الكتابَ. ومنه قولهم: كَتَبْتُ البغلةَ والناقةَ إذا خَرَزْتَ ذلـك الموضعَ منهـا، وكَتَبْـتُ القِربَةَ، والمُعْلِـمُ: الذى قد شَـهَرَ نَفْـسه بعلاَمة، إمَّـا بعمامة صَبِـيغ، وإمَّا بِمُشَهَّرة. وإمَّـا بغير لك. وكان حمـزةُ بن عبد المُطَّلِبِ رضوانُ الله عليه مُعْلَماً يومَ بدر بريـشة نعامة فى صدره. وكان أبو دُجَانَةَ- وهو سِمَاكُ بن خُرَيشَةَ الأنصارىُّ - يـومَ أحُدٍ لَمَّا قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يأْخُذ سيـفى هذا بحَقِّه»؟ قـالوا: وما حَقُّهُ يـارسولَ الله؟ قال: «أن يُضْربَ بـه فى العدوِّ حتى يَنْحَنِى»، فقال أبـو دُجَانَةَ: أنا، فَدفَعهُ إليه، فلَبِسَ مُشَهَّـرَةً فأَعْلَمَ بها، وكان قومُه يَعْلمونَ مـابَلوا منه أنه إذا لبِسَ تلك المُشهَّرَةَ لم يبْقِ فى نفسـه غايةَ، ففعل. وخَرَجَ يمشى بين الصَّفَّيْنِ، فقال رسولُ لله ﷺ». «إنها مشيَةٌ يُبْغضُها الله عزوَجلّ إلاّ فى هذا الموضع» ويُرْوَى أَنَّ رسـول الله ﷺ سَمِعَ علياً صلواتُ الله عليـه يقولُ لفاطمةَ - ورَمى إليهـا بسيفه، فقال: هاك حَميداً فاغْـسلِى عنه الدَّمَ. فقال رسول الله ﷺ: «لئنْ كنتَ صدقتَ القتالَ اليومَ لقد صَدَقَهُ معك سِمَاكُ بنُ خَرشَةَ وسَهْلُ بن حُنَيْفٍ والحارثُ بن الصِّمّة». وفى بعض الحديث «وَقَيْس بن الرَّبيعِ» وكلُّ هؤلاء من الأنصار.

عاد الحديث إلى ذكر الخوارج:

وعَمرو القُنَا مـن بنى سعد بن زيد مَنَاةَ بن تميمٍ، وعَبِـيدةُ بن هلال من بنى يَشْكُرَ بن بكر بن وائلٍ، والذى طَعَنَ صاحبَ المهلَّب فى فـخذه فشكَّها مع السَّرْجِ من بنى تميمٍ، قال: ،لا أدرى أعَمْرٌو هو أم غيرُه. والمُقَعْطُر من عَبْدِ القَيْس.

وقوله: «قسَطوا» أى جَارُوا، يقال قَسَط فهو قاسطٌ، إذا جار، قال اللهُ جلَّ ثناؤُه: ﴿وأَمَّا القَاسطونَ فكانوا لجَهَنَّم حَطَباً﴾[1]. ويقال: أَقْسَط يُقْسِط فهو مُقْسِطٌ، إذا عَدَلَ، قال الله تعالى: ﴿إنَّ الله يحبُّ المقْسطين﴾[2].

وكان بَدْرُ بن الهُذيل شجاعاً، وكان لَّحانَة، فكان إذا أَحَسَّ بالخوارج نادَى ياخَيْلِ[3] الله اركَبى، وله يقولُ القائلُ:

وإذا طَلَبْتَ إلى المهلَّب حاجةً عَرَضَتْ تَوَابعُ دُونَه وعَبيدُ
العبدُ كُرْدُوس وعَبْد مِثْلُه وعِلاَجُ بَاب الأحْمَرينِ شَدِيدُ

كُرْدوسٌ: رَجُلٌ من الأزد، وكان حاجبَ المهلَّب، وقولهُ: «عِلاَجُ باب الأحمرين شديدُ»، العربُ تُسَمِّى العَجَمَ الحمراءَ، وقد مَرَّ تفسير ذا.

وقوله: «تَوابعُ» أرادَ به الرجال، فجاز فى الشِّعْر، وإنما رَدَّهُ إلى أصله للضَّرورة، وما كان من النعوت على «فَاعِلٍ» فَجَمعه «فاعلون» لئلا يلتبسَ بجمع «فاعلة» التى هى نعتٌ. وقد قلنا فى هذا ولَمَ قالوا: فوارسُ وهَالكٌ فى الهوالِك.

وكان بشرُ بن المغيرة أبلَى يومئذ بلاءً حسناً عُرِفَ مكانُهُ فيه، وكانت بينَه وبين بَنى المهلب جَفْوَة، فقال لهم: يابَنِى عَمٍّ، إنِّى قد قصَّرْتُ عن شكَاة العاتب، وجاوَزْتُ شكَاةَ المُسْتَعْتب[4]، حتى كأنِّى لا مَوْصُولٌ ولا مَحْرُوم، فاجَعلوا لى فرجَة أَعشْ بها وهَبُونى أمْرأً رَجَوْتُم نصْرَهُ، أو خِفْتم لسانَه. فرَجَعوا له ووَصلُوا. وكلَّموا فيه المهلَّبَ فوصلَه.

ووَلى الحجاجُ كَرْدَماً فارسَ، فوجَّه الحجاجُ إليها والحربُ قائمة، فقال رجل من أصحاب المهلَّب:

ولو رآها كَرْدَمٌ لكَرْدَمَا كَرْدَمَة العَيْرِ أحسَّ الضَّيْغَما

الضَّيْغُم: الأسدُ، والكَرْدَمةُ: النّفورُ.

* * *

(١) سورة الجن. (٢) سورة الحجرات ٩
(٣) بكسر اللام، وهو موضع اللحن. (٤) العاتب: الساخط. والمستعتب: طالب الرضا.

فكَتَب المهلب إلى الحجاج يسأله أن يتجافى له عن إصْطَخْرَ ودَرَاب جِرْدَ لأرْزاق الجُنْد ففعل، وقد[1] كان قطَرىٌّ هَدَمَ مدينة إصْطَخْرَ، لأنَّ أهلها كانوا يكاتبونَ المهلب بأخباره، وأراد مثلَ ذلك بمدينة فَسَا، فاشتراها منه آزادْ مردُ بنُ الهربْذ بمائة ألفِ درهم فلم يهدمها، فواقعه المهلَّب فهزمه، ونفاه إلى كرمانَ، واتَّبَعَه ابُنه المغيرة وقد كان دفع إليه سيفاً وجَّهَ به الحجاجُ إلى المهلّب، وأقسم عليه أن يتقلده، فدفعه إلى المغيرة بعد ماتقلّد به، فرجع به المغيرةُ إليه وقد دَمَّاه، فَسُرَّ المهلَّب بذلك وقال: مايَسُرُّنى أن أكونَ كنتُ قد[1] دَفعْتُه إلى غيرك من وَلَدى، اكفنى جباية خراج هاتين الكَورتَيْنِ، وضَمَّ إليه الرُّقَادَ، فَجَعَلا يَجْبيَانِ ولا يُعطَيَانِ الجُنْدَ شيئاً، ففىْ ذلك يقول رجلٌ منهم، وأحْسِبُه من بنى تميمٍ، فى كلمة له:

ولو عَلم ابنُ يوسفَ مانُلاَقى | مِن الآفات والكُرَبِ الشّدَادِ
لفاضتْ عينُه جَزَعَا علينا | وأصْلَحَ ما استطاعَ من الفسادِ
ألا قُلْ للأميرِ جزيتَ خيراً | أرِحْنَا من مُغيرةَ والرُّقَادِ
فما رزَقا الجنودَ بها قَفيزاً | وقد ساسَتْ مَطاميرُ الحصادِ[2]

يقال: سَاسَ الطعامُ وأسَاسَ، إذا وقع فيه السُّوس، ودَادَ وأدَادَ، من الدُّود، ورَوَى أبو زيدٍ: «دِيدَ فهو مَدودٌ» فى هذا المعنى.

فحاربهم المهلب بالسيرَجَانِ حتى نفاهم عنها إلى جيرفْتَ، واتبَعهم فنزل قريباً منهم، واختلفت كلمتهم.

وكان سبب ذلك أن عبيدة بن هلال اليشكرىَّ اتهم بامرأة رجلٍ حداد رأوه مراراً يدخل منزلَهُ بغير إذن، فأتَوْا قَطريًّا فذكروا ذلك لهُ، فقال لهم: إنَ عَبيدةَ من الدين بحيثُ عَلمْتم ومن الجهاد بحيثُ رأيتم فقالوا: إنَّا لانُقارُّه[3] على الفاحشة، فقال: انصرفوا، ثم بَعَثَ إلى عَبيدة فأخبره وقال: إنا لانُقارُّ على الفاحشة، فقال: بَهَتونى[4] ياأميرَ المؤمنينَ. فما تَرَى؟ قال: إنى جامعٌ بينَك وبينهم، فلا تخْضعْ خُضوعَ المذْنِب، ولا تَتطَاوَلَ تَطاولَ البرىء. فجَمَعَ بينهم فتكلّموا، فقام عَبيدة

(١) ساقطة من ر.
(٢) المطامير: جمع مطمورة، وهى حفرة تحت الأرض تخبأ فيها الحبوب.
(٣) من المقارة وهى السكون والطمأنينة. (٤) بهتونى: قالوا على مالم أفعل.

فقال: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**إن الذين جاءوا بالإفك عصْبَةٌ منْكُمْ لاتحْسَبُوهُ شرًّا لكُمْ بلْ هُوَ خَيْرٌ لكُمْ**﴾(١) الآيات فبكَوْا وقاموا إلَيه فاعْتَنقُوه. قالَ: استَغفرْلنَا. فَفَعَلَ. فقال لهم عبدُ ربِّه الصغيرُ مولى بنى قيس بن ثَعْلَبَةَ: والله لقدخَدَعكم، فبايَعَ عبدَ ربّه منهم ناسٌ كثيرٌ لم يظْهروا ولم يَجِدوا على عَبيدة فى إقامه الحد ثَبتاً.

* * *

وكان قَطْرىٌّ قد استعمل رجلا من الدَّهَاقين فظهرتْ له أموالُ كثيرة. فأتوْا قَطَرِيًّا فقالوا: إن عمر بن الخطاب لم يكن يُقارُّ عمَّاله على مثل هذا، فقال قَطَرِىٌّ: إنى استعملته ولـه ضِيَاعٌ وتجارات، فأَوْغَرَ ذلك صدورهم، وبَلَغ ذلك المهلّب، فقال: إن اختلافَهم أشدُّ عليهم منِّى.

وقالوا لقطرىّ: ألاَ تَخْرُجُ بنا إلى عدوِّنا؟ فقال: لا، ثم خرج. فقالوا: قد كذب وارتَدَّ! فاتبعوه يوماً فأحَسَ بالشَّرِّ، فدخل دارًا مع جماعة من أصحابه، فصاحوا به: يادابَّة، خْرج إلينا. فخرج إليهم. فقال: رجَعْتم بَعْدىَ كفاراً! فقالوا: أَوَلسْتَ دابَّةً! قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَمَا منْ دَابَّة فى الأرض إلاَّ عَلَى الله رزقُهَا**﴾(٢)، ولكنك قد كفرتَ بقولك: إنَّا قد رَجَعْنا كفاَراً، فتب إلَى الله عزَّ وَجلَّ، فشاور عَبيدَة. فقال: إن تُبْت لم يَقبلُوا منك، ولكن قُلْ: إنما استفهمتُ فقلتُ: أرجعتم بعدى كفاراً؟ فقال ذلك لهم. فقبلوا منه. فرجَع إلى منزله. وعَزَمَ أن يبايعَ المقَعْطَر العَبدىَّ، فكرهه القومُ وأبَوْهُ، فقال له صالح بن مخراق عنه وعن القوم: أبغِ لنا غيرَ المقعْطَر. فقال لهم(٣) قطرىٌّ: أرَى طول العهد قد غيـركُمْ، وأنتم بصَدَد عَدوِّكُمْ. فاتَّقُوا الله وأَقْبلُوا على شأنكم. واستعدُّوا للقاء القوم. فقال صالح بن مخْرَاق: إن النَّاسَ قَبْلَنَا قد(٣) سَامُوا عثمانَ بنَ عفَّانَ أن يَعْزِلَ عنهم سعيدَ بنَ العاصى ففعلَ، ويجب على الإمام أن يُعْفىَ الرعيةَ مما كَرهتْ. فأبى قطَرىٌّ أن يعزلَه، فقال له القومُ: إنّا خلعناك وولّينا عَبْدَ ربِّه الصغيرَ، فانفصل إلى عبد ربه أكثرُ من الشطْر، وجلّهُمْ الموالى والعَجَمْ، وكان هناك منهم ثمانية آلاف. وهم القُرَّاءُ. ثم ندم صالحُ بنُ مخْرَاق. فقال لقطرىٍّ: هذه نفحة من نفحات الشّيطان.

(١) سورة النور ١١ وما بعدها. (٢) سورة هود ٦.

(٣) ساقطة س ر

فأَعْفِنَا من المُقَـعْطَرِ وسِرْ بنا إلى عدوّك، فأبى قطرىٌّ إلاّ المقَعْطَر، فَـحَمَلَ فتًى من العربَ على صالح بن مخراق، فطعنه فأنفْذه وأجَرَّه الرمحَ فقَتَله.

ومعنى «أَجَرَّهُ الرمحَ» طعنه وترك الرمحَ فيه. قال عَنْترةُ:

وآخرَ منهمُ أجْـرَرْتُ رمـحى ... وفى البَجَلىِّ مَعْمَلَةٌ وَقِيع

فَنَشَبَت الحربُ بينهم، فتهايجُوا، ثم انحاز كلُّ قومٍ إلى صاحبهم. فلما كان الغدُ اجتمعو فـاقتتلوا قتالا شديداً، فأَجْلت الحربُ عن أَلْفَى قـتيلٍ، فلما كان الغدُ باكروهم القتالَ، فلم ينتصف النهارُ حتى أخرجت العجمُ العربَ من المدينة. وأقام عبدُ ربـه بها. وصار قَطَرىٌّ خارجـاً من مدينة جيـرفتَ بإزائهم، فقال له عـبيدة: ياأميرَ المؤمنيـن، إن أَقمتَ لم آمَنْ هذه العبيدَ عليك إلاّ أن تُخَنْدِقَ، فَخَنْدَقَ على باب المدينة، وجعل يُناوشهم.

وارتحلَ المهلَّب فكان منهم على ليلة. ورسولُ الحجاج معه يستحثُّه فقال له: أصلح اللّهُ الأميرَ! عاجِلْهُمْ قبلَ أن يصطلحـوا، فقال المهلَّب: إنهم لن يصطلحوا، ولكن دَعْهُمْ، فإنهم سيـصيرون إلـى حال لايفلحـون معها، ثـم دَسَّ رجلا من أصحابه فقال: إيت عَسْكرَ قطَـرىٍّ فقلْ: إنىِّ لم أزلْ أَرَى قطريًّا يُصيب الرّأىَ حتى نزلَ منزلهَ هذا فبانَ خَطَؤه، أنقيمُ بين المهلَّب وعَبْد ربِّه. يغاديه هذا القتالَ ويُراوحهُ هذا! فنمى الـكلامُ إلى قطَرىٍّ. فقـال: صَدَقَ. تَنَحَّـوْا بنا عن هذا الموضـع، فإن اتَّبَعْنَا المهلب قاتلناه، وإن أقام على عبد ربه رأيتم فيه ماتحبون، فقال له الصَّلْتُ بن مُرَّة: ياأمير المؤمنين، إنْ كنتَ إنما[1] تريدُ اللّهَ فأَقْدمْ عـلى القوم، وإن كنت إنما[1] تريد الدنيا فأعْلِمْ أصحابك حتى يَسْتأمنوا، وأنشأ الصَّلْت يقولُ:

قُل للـمُحـلِّينَ قـد قَرَّتْ عُـيـونُكُمُ ... بفـرْقة الـقومِ والبَـغْـضاء والهَـرب
كنـا أَنَاسـاً على دِيـنٍ فـغَـيَّـرَنَا ... طولُ الجَـدالِ وخَلْطُ الجِّد بـاللعب
ما كـان أَغنَى رجالاً ضَـلَّ سَعْيُـهُمُ ... عن الجَـدالِ وأغنـاهُم عن الْخَـطَب
إنى لأَهْوَنُـكُمْ فى الأرض مُضْـطَرباً ... مالِى سِوَى فَرَسِى والرمْحِ مِنْ نشَب

ثم قال: أصبحَ المهلّب يرجو منّا ما كنّا نطمعُ فيه منه، فارتحل قطرىٌّ، وبلغ ذلك المهلَّب، فقال لِهُرَيم بن عَدِىٍّ بن أبى طَحْمَةَ المُجَاشعِىِّ: إنى لا آمَنُ أن يكون

(١) ساقطة من ر.

قطريٌّ كادَنا بتـركِ موضعه. فـاذهب فَتَعَرَّف الخبـر، فمضَى هُرَيْمٌ في اثنـى عشر فارساً. فلم ير في العسكر إلاّ عبداً وعلْجاً. فسألهما عن قطرى وأصحابه، فقالا: مَضَوْا يرتـادون غيرَ هذا المنزل. فرجعَ هُـرَيمٌ إلى المهلَّب فأخبـره، فارتحلَ المهلَّب حتى نزلَ خندَقَ قطريٍّ، فجعل يقاتلهم أحياناً بالغداة، وأحياناً بالعشيِّ، ففى ذلك يقولُ رجلٌ من سَدُوسَ، يقالُ له المُعْنِق، وكان فارساً:

ليـتَ الحرائـرَ بالعـراق شَـهدْنَـنا ... ورأيْنَـنَا بـالسَّـفْـحِ ذي الأجبْـالِ
فَنكَحْنَ أهلَ الجزْءِ مـنَ فرْسانِنا[١] ... والضَّـارِبينَ جَـمـاجمَ الأبْـطالِ

* * *

ووجّه المهلّب يزيدَ إلى الحـجاج يُخْبِرُه أنه قد نَزَلَ منزلَ قـطريٍّ، وأنه مقيمٌ على عبد ربِّه. ويـسألُه أن يُوَجِّهَ في أثرِ قَطَرِيٍّ رجلا جَلْداً في جـيشٍ، فسَرَّ ذلك الحجـاجَ سروراً أظْهَرهُ، ثم كـتب إلى المهلّب يسـتحثُّه مـع عُبَيْدِ بـن مَوْهَبٍ وفى الكتاب:

امّا بعـدْ. فإنكَ تَتَراخَـى عن الحرب حتى تأتَـيك رُسْلى، فَتَرجـعَ بُعذْرِك، وذلك أنّك تَمْسكُ حـتى تَبْرأَ الجراحُ، وتُنْسَى القـتلَى، ويَجمَّ النَّاسُ[٢]. ثم تَلقاهم فَتَحـْتَمِلُ منهم مثـلَ مايَحتَمِلُون منـك من وَحْشَة القتل، وأَلَـم الجراح، ولو كنتَ تلْقاهـم بذلك الجدِّ لكان الداءُ قـد حُسِمَ، والقرْنُ قـد قُصِمَ[٣]. ولَعَمرى ما أنتَ والقومُ سَـواء؛ لأنَّ من ورائك رجالاً وأمامَك أمـوالاً. وليس للقوم إلاّ مامـعهم. ولا يدْرَكُ الوَجيفُ بالَدَّبيب، ولا الظّفَرُ بالتَّعْذير.

فقال المهلّبُ لأصحابه: إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أرَاحكُمْ من أقران أربعَة: قطريِّ ابن الفَجَـاءَة. وصالح بن مخْراق، وعَـبيدةَ بن هلاَل، وسعْـد الطلائع، وإنما بينَ أيديكُم عبدُ رَبّه، في خـشارِ من خُشَارِ[٤] الشيطانَ. تقتلونَهم إن شاء الله. فكانوا يَتغَادَوْنَ الـقتالَ ويَتَرَاوَحُون، فـتصيبُهم الجـراحُ، ثم يتحاجَزُون كأنما انـصرفوا من

---

(١) أهل الجزء: أهل الكفاية والغناء في الحرب.

(٢) يجم الناس: يسترخون.

(٣) قصم قرن الحيوان: كسره، ضربه مثلا لهلاك القوم.

(٤) الخشار: الردىء من كل شىء

مجلس كانوا يتحدثون فيه. فيضحك بعضهم إلى بعض، فقال عُبَيْد بنُ مَوْهب للمهلّب: قد بان عذْرُكَ. وأنا مخْبرٌ الأميرَ. فكتب المهلّب إليه:

أمَّا بعدُ: فإنى لم أعْطِ رسلَكَ علىٰ قول الحقّ أجراً، ولم أحْتَجْ منهم مع المشاهدة إلى تَلْقين. ذكرتَ أنّى أجمُّ القومَ، ولابدَّ من راحة يستريح فيها الغالب، ويحتالُ فيها المغْلوب، وذكرتَ أنَّ فى ذلك الجَمامِ مايُنسى القتْلى، وتبرأ منه الجراحُ، وهيهاتَ أن يُنْسَى مابيننا وبينهم، تأبى ذلك قتْلَى لم تَجِنَّ، وقروحٌ لم تَتَقرَّف(١). ونحنْ القوم على حالة، وهُم يَرْقُبونَ منَّا حالات، إن طَمِعُوا حَارَبُوا. وإن مَلُّوا وَقَفُوا، وإن يَئِسُوا انْصَرَفُوا. وعلينا أن نُقاتلهم إذاَ اقاتلوا، ونَتَحَرَّزَ إذا وَقفُوا، ونَطْلُب إذا هَرَبُوا، فإن تركتَنى والرأى كان القَرْنُ مَقْصوماً، والداءُ بإذن الله مَحْسُوماً، وإن أعجلتَنى لم أطعْكَ ولم أعص، وجعلت وَجْهى إلى بَابك. وأنا أعوذ بالله من سخَطِ اللهِ، ومَقتِ الناسِ.

* * *

ولما اشتدَّ الحصارُ على عبد ربِّه قال لأصحابه: لاتفتقروا إلى من ذهب عنكم من الرجال، فإن المسلمَ لايفتقر مع الإسلام إلى غيره. والمسلمُ إذا صَحَّ توحيده عز بربه. وقد أراَحكُم الله من غلْظَة قطَرِىٍّ. وعَجَلَة صالح بن مخراقٍ ونخْوته، واختلاط عَبيدَة بن هلال، ووَكَلَكُمْ إلى بَصائركم؛ فالقَوْا عَدُوَّكم بصبر ونية، وانتقلوا عن منزلكم هذا، مَنْ قُتِلَ منكم قتِلَ شهيداً، ومَنْ سَلم من القتل فهو المحرومُ.

وقَدمَ فى هذا الوقت على المهلّب عُبَيْدُ بنُ أبى رَبيعةَ بن أبىْ الصَّلْت الثقفىُّ، يَسْتَحِثُّه بالقتال، ومعه أَمينَان، فقال له: خالفتَ وصيةَ الأمير، وآثرتَ المدافعةَ والمطاولةَ، فقال له المهلّب: ما تركتُ جُهْداً، فلما كان العَشىُّ خرج الأزارقةُ وقد حملوا حُرَمَهُمْ وأموالَهم وخفَّ مَتَاعهم لينتقلوا، فقال المهلّب لأصحابه: الزموا مَصَافَّكُمْ، وأَشْرِعُوا رماحكم(٢)، ودَعوهم والذَّهَابَ. فقال له عُبَيْدٌ: هذا لعمْرى أيسَرُ عليك، فقال للناس: رُدُّوهم عن وَجْهِهم(٣). وقال لبنَيه: تَفَرَّقُوا فى الناس،

---

(١) لم نتقرف: لم تنقشر ولم تيبس.

(٢) أشرع الرمح: صوبه. (٣) «وجههم».

وقال لعُبَيْدِ بن أبى ربيعة: كنْ معَ يـزيدَ فَخُذْهُ بالمحاربة أشدَّ الأخْـذ، وقال لأحد الأمينَيْنِ: كَن مع المـغيرة ولا تُرَخصْ له فى الفُتـور، فاقتتلوا قتـالاً شديداً، حتى عُقِـرَت الدوابّ وصُرِعَ الفُرسـانُ، وقُتِلَت الرجال، فـجعلت الخوارجُ تقـاتلُ على القَدَحِ يؤخذ منها والسَّوطِ والعلْق الخسيسِ أشد قتال، وَسَقَطَ رمحٌ برجلٍ من مراد من الخوارجِ، فقاتَلوا عليهِ حتى كَـثُر الجراحُ والقتلُ، وَذلك مع المَغْربِ، وَالُمرادِىُّ يقولُ:

الـلـيْـلُ لـيْل فـــيـــه وَيْلٌ وَيـل وســالَ بـالقـوم الـشُّـرَاةِ السَّـــيَلُ

إن جاز للأعداءِ فينا قَوْلُ

فلمـا عظـم الْحطْب فـيـه بعثَ المـهلَّب إلى المـغيـرة(١: خَـلِّ لهـم عـن الرمح،عليهم لعنة الله(١). فخلوا لهم عنه.

ثم مَـضَت الخوارج حتـى نزلوا على أربعـةِ فراسخَ من جـيرُفْتَ، ودخلـها المهلَّب،فأمر بجَـمع ما كان لهم فيها من المَتَاع ومـا خَلَّفُوه من دقيق(٢) وختَم عليه هو والثّقفىُّ والأمينَان، ثم اتَّبعهم، فـإذا هُم قد نَزَلُوا على عينٍ لا يَشْرَب منها إلاّ قوىٌّ، يأتى الرجلُ بالَدَّلْوِ قد شَدّها فى طَرَف رمحه فيـستْقى بها، وهناك قرية فيها أهلها، فغاداهُم القتالَ، وضمَّ الثقفى إلى يزيدَ، وأحدَ الأمينَيْن إلى المغيرة، واقتتلَ القومُ إلى نصف النهـار، فقال المهلّب لأبى عَلْقمـة العَبْدِىِّ- وكان شجاعـا عاتياً: اَمْدِدْ بـخَيْلِ الْيـحْمَد، وقُـل لهم: فلْيُـعيرُونَا جـمَاجـمهمْ سـاعة، فقـال له: إنّ جَمَـاجمَهُمْ ليـست بفَخـارٍ فتُعَـار، وليستْ أعناقُـهم كَرادن(٣) فتنبُـت- قال أبو العباس(٤): تقول العربُ لأعْذَاق النَّخْل: كرادِن، وهو فارسىٌّ أعرِبَ-

وقال لحبيب بن أَوْسٍ: كُرَّ على القوم، فلم يفعلْ، وقال:

يقـولُ لـىَ الأمـيـرُ بغـيـر عـلم تَـقَـدمْ حـيـن جَـدَ به المـرَاسُ
فـمـالى إنْ أطَـعْتُـكَ من حـيـاةٍ ومـالـى غَـيْـرَ هـذا الرأس راس

(١-١) ر«خل عن الرمح عليهم لعنهم الله» والأجود ما أثبته عن الأصل، س.
(٢) ر. «رقبق». وما أثبته من الأصل، س. (٣) ر: «كرادى».
(٤) ر «أبو الحسن الأخفش». وما أثته من الأصل، س.

نَصب: غير، لأنه استثناءٌ مُقدَّمٌ، وقد مَضَى تفسيرُه.

وقال لِمَعْن بن المغـيرة بن أبى صفْرةَ: احْمِلْ، فـقال: لا، إلاّ أن تزَوِّجَنى أمَّ مالك بنت المهلَّب، ففعلَ، فحملَ على القوم فكَشَفَهم، وطَعَنَ فيهم، وقال:

ليـتَ مَنْ يَـشْـتـرِى الغَـداةَ بمالٍ ... هُـلْكَـه اليـومَ عنـدَنا فـيـرانـا
نَـصِـلُ الكَـرَّ عـنـدَ ذاكَ بطَـعْـنٍ ... إنَّ لِلْـمَـوْتِ عنـدَنـا أَلْـوَانَا

ثم جَالَ الناسُ جَوْلَةَ عنـد حَمْلةِ حَمَلَها عليهم الخـوارجُ، فالتفتَ عند ذلك المهلّب إلى المغيرة فقال: ما فَعَلَ الأمينُ الذى كان معك؟ قال: قتلَ، وكان الثقفى قد هَـرَبَ، وقال ليزيـدَ: ما فعلَ عُـبَيْـدُ بن أبى ربيعـةَ؟ قال: لَم أَرَه منذُ كـانت الجولةْ، فقال الأميـنُ الآخرُ للمغيرة: أنت قتلتَ صاحبى، فـلما كان العَشِىُّ رجعَ الثقفىُّ، فقال رجلٌ من بنى عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ:

مـا زلتَ يا ثَقَـفِىُّ تَـخْطب بيـنَنَا ... وتـغُـمُّـنا بـوصـيَّـةِ الحـجَّـاجِ
حـتى إذا مـا الموتُ أقـبلَ زَاخـراً ... وسـمَـا لنا صـرْفـاً بغَـيـر مـزَاجِ
وَلَّيْـت يا ثَـقَـفِىُّ غـيـرَ مُنَـاظرٍ ... تَنْـسَـابُ بـين أَحـزَّةٍ وفـجَـاجِ
ليستْ مقارعـةُ الكماةِ لدَى الوَغَى ... شُـرْبَ المُـدَامَـةِ فى إنَاءِ زُجـاجِ

قوله: «بَـيـنَ أحزَّةٍ» هو جـمع حَزيزٍ، وهو مـتْنٌ يَنْقَادُ مـن الأرض ويَغلظ، والفِجَاجُ: الطُّرقْ، واحدُها فَجٌّ.

وقال المهلَّبُ للأمين الآخر: ينبغى أن تـتَوَجَّهَ مع ابنى حبيب فى ألف رجل حتَى تبيِّتوا عسكرَهم، فقال: ما تُريدُ أيُّهـا الأميرُ إلا أن تَقْتُلَنى كما قَتَلت صاحبى قال: ذاكَ إليكَ، وضـحك المهلَّبُ، ولم تَكُنْ للقوم خَنـادقُ، فكان كلٌّ حذراً من صاحبه، غير أن الطعامَ والعُدَّة مع المهلبِ، وهم فى زهاء ثلاثين ألفاً، فلما أصبح أشْرَفَ على وادٍ، فإذا هو برجل معه رمحٌ مكسورٌ وقد خَضَبَه بالدماء. وهو يُنْشِد:

جزَانى دوَائى ذُو الْخمَار وصَنْعتى ... إذا بات أطْـواءَ بَنـىَّ الأصـاغـرُ
أخـادعُـهم عـنهُ ليُـغـبقَ دُونَـهم ... وأَعْلَـمُ غيـرَ الـظَّنّ أنِّى مُـغَـاورُ
كـأنِّىَ وأبـدانَ السِّـلاح عَـشـيَّـةً ... يَمـرُّ بنا فـى بطنِ فـيْـحَانَ طـائرُ

فدعاه المهلّب فـقال: أتميمىٌّ أنت؟ قال: نعم، قـال: أحَنْظَلىٌّ؟ قال: نعم، قال: أَيَرْبوعى؟ قـال: نَعمْ. قَال: أثَعْلَبِىٌّ. قال: نعم. قـال: أَمِنْ آل نُوَيْرَةَ؟ قال:

نَعم. أنا مِنْ وَلَد مالك بن نَوَيْرَةَ، وسبحانُ اللهِ أيُّها الأمِيرُ! أيكونُ مِثْلِى فى عسكرك لاَ تعرفه! قال: عرَفْتك بالشِّعْر.

قوله «ذو الخِمَار» يعنى فرساً وكان ذو الخمارِ فَرَسَ مالك بن نُويرة، قال جرير يهجو الفَرَزْدَقَ:

بيربوع فَخَرْتُ وآل سَعْد فلا مَجدى بَلَغْتَ ولا افتخارى
بيربوعٍ فوارسُ كلَّ يومٍ يُوَارى شَمْسَهُ رَهَجُ الغبار
عُتَيْبةُ، والأحَيْمر وابنُ عَمْرو وعَتَّابٌ، وفارسٌ ذى الخِمَارِ

قولـه: «أطَواء» يقال: رجلٌ طَوِى البَطنِ، أى مُنْطَو، يُخْبِرُ أنه كان يؤثِر فَرَسَه على وَلده، فيشبِعُه وهم جياع، وذلك قوله:

*أخَادعُهُمْ عنه ليغْبقَ دونهمْ *

والغَبُوقُ شرْبُ آخر النهارِ، وهذا شىءٌ تفخر[1] به العربُ، قال الأشْعَرُ الجُعْفىُّ:

لكنْ قَعيدةَ بيتنا مَجْفوَّة بَاد جَنَاجِنُ صَدْرِها ولَهَا غنى[2]
تقفى بِعِيشَةَ أهلها وثّابةً أو جُرْشُعاً نَهْدَ المرَاكِلِ والشوى[3]

* * *

قال: فَمكثُوا أياماً على غير خنَادقَ يتحارسون ودوابُّهم مسْرَجة، فلم يزالوا على ذلك حتى ضَعُفَ الفريقان، فلما كانت الليلةُ التى قُتِل فى صبْحتها[4] عبدُ ربِّه جَمَعَ أصحابَه وقال: يامعشرَ المهاجرين، إنَّ قطريا وعَبَيدةَ هَرَبَا طَلَب البقاء، ولاَ سبيلَ إليه، فألقواْ عدوَّكم، فإن غلبوكم على الحياة، فلا يَغْلبنَّكم على الموت، فتَلقَّوْا الرماح بنُحوركم، والسيوفَ بوجوهكم، وهَبُوا أنفسكم لله فى الدنيا يَهَبْهَا لكم فى الآخرة.

فلما أصبحوا غَادَوُا المهلّبَ فقاتلوه قتالا شديداً، نُسِىَ به ما كان قبْله، فقال رجل من الأزْدِ من أصحاب المهلَّب: منْ يبايعنى على الموت؟ فبايعه أربعونَ رجلاً

(١) ر: «تفتخر». (٢) الجناجن: عظائم الصدر.
(٣) الجرشع: المنتفخ الجنبين. والمركل: موضع رجل الفارس من الفرس.
(٤) ر: «صبيحتها»

من الأزد وغيرهم، فصرع بعضهم وقتل بعضهم، وجرح بعض، وقال عبد الله بن رزَام الحارثىُّ لأصحابِ المهلّب: احْملوا، فقال: المهلب: أعرابى مجنونٌ! وكان من أَهلِ نَجرْان، فحَمَـلَ وحدَه، فاخترق القوم حتى نَجَمَ من نـاحية أخرى ثم رجع، ثم كَرَّ ثانية ففعَل فَعْلَتَه الأولى، وتهايجَ الناسُ، فَتَرَجَّلت الخوارجُ وَعَقَروا دوابَّهم، فناداهم عَمْرُو القَنَا- ولم يَتَرَجَّل هو وأصحـابُه من العرب، وكانوا زُهَاءَ أَرْبَعمائة: موتوا على ظهور دوابِّكم ولا تَعْقروها فقالوا: إنَّا إذا كنَّا على الدواب ذَكَرْنَا الفِرَارَ.

فاقتتلوا، ونادى المهلب بأصحـابه: الأرضَ الأرضَ، وقال لبنيه: تَفَرَّقُوا فى النَّاسِ لِيَـرَوْا وجوهَـكم، ونادى الخوارجُ: أَلاَ إنّ الـعَيـالَ لمن غَلب. فَـصَبَـر بَنو المهلَّبَ، وَصَبَـر يزيدُ بين يَدىْ أبيه، وقاتل قـتالاً شديداً أَبلى فيه، فـقال له أبوه: يابُنَّى إنى أَرَى مَـوْطِناً لا يَنْجُـو فيه إلاَ من صَـبَرَ، وَمَـا مَرَّ بى يومٌ مـثلُ هذا منْذُ مارَسْتُ الحروب.

وكَسَرَت الخوارجُ أجفـانَ سيوفها، وتَجاولوا، فأَجْلَتْ جَـوْلَتهم عن عَبد رَبِّه مقتـولاً، فَهَرَبَ عَمْرُو القَنَا وأصـحابُه، واستأمنَ قومٌ، وأجلَـت الحرب عن أربعة آلاف قتـيل وَجَرْحَى كـثيرٍ من الخـوارج، فأَمَـرَ المهلّب بأن يُدْفَعَ كلّ جـريحٍ إلى عشيرته، وظَفرَ عـسكرهم فَحَوَى ما فيه، ثم انصرفَ إلى جيـرفْتَ، فقال: الحمد الله الذى رَدّنَا إلى الخَفْـض والدعَة، فما كان عـيشنا بعيشٍ، ثم نَـظَرَ إلى قومٍ فى عسكر لم يعرفْهُـم، فقال: ما أشدَّ عادة السلاح! نَاوِلْنى دِرْعى. فلبـسها ثم قال: خُذُوا هؤلاء، فـلما سيـرَ بهم إليه قـال: ما أنتم؟ قالـوا: نحن قوم جئنـا لِنطْلُب غرَّتَك لنَفْتَك بك، فأمر بهم فقُتلوا.

* * *

قال أبو العـباس: وَوَجَّهَ المهلَّب كَعْب بـن مَعْدَانَ الأشْقرى، ومـرَّةَ بن تليد الأزدىَّ. من أزدِ شنوءةَ. فوفد على الحجاج، فلما طَلَعَا عليه تقدّم كعْب فأنشده:

يا حَفْصَ إنــى عَدَانى عنكم السـفر   وقد سَهِرْتَ فـأَوْدَى نَوْمِىَ السَّهَرُ (١)

فقال له الحجاجُ: أشاعرٌ أم خطيب؟ قـال: كلاهما، ثم أنشده القصيدة. ثم أقبل عليه فقال له: أخبرنى عن بَنى المهلب، قال: المغيرةُ فارِسُهم وسيِّدُهم، وكَفَى

(١) وضع الشطر الثانى فى ر بين علامتى الزيادة، وهو غير زائد فى الأصل، س.

بيزيدَ فارساً شجاعاً! وجوادُهم وسخيُّهم قَبيصةُ، ولا يَستَحْيى الشجاعُ أن يَفرَّ منْ مُدْرك، وعبدُ الملك سمٌّ نَاقعٌ، وحبيب موت زُعافٌ، ومحمدٌ ليثْ غاب، وكفاك بالمفضّلِ نَجْدَةً! قال: فكيف خَلَّفْتَ جَماعةَ الناس؟ قال: خلَفْتُهم بخير، قد أدركوا ما أَملُوا، وأمنوا ماخافوا. قال: فكيف كان بَنُو المهلّب فيهم(1)؟ قال: كانوا حماةَ السَّرْح نهاراً. فإذا أَليَلُوا فـفُرسانُ البَيَات، قال: فأيُّهم كان أَنْجدَ؟ قال: كانوا كالْحَلْقَة المفرَغة، لا يُدْرى أين طرفها، قالَ: فكيف كنتم أنتم وعدوّكم؟ قال: كنَّا إذا أخذنا عَفَونَا، وإذا أَخذَوا يئسنا منهم. (2إذا اجتهدوا واجتهدنا بلغنا فيهم2) آمالنا إدراك الفرص منهم، فقال الحجاجُ: إنَّ العاقبة للمتقين، كيف أَفَلتَكُمْ قطريٌّ؟ قال: كدْناه ببعض ما كـادَنَا به، فَصرنْا منه إلى التى(3) نُحب، قال فهَلا أتَّبعتموه؟ قال: كَان الحدّ عندنا آثرَ من الفلّ. قال: فكيف كان لكمَ المهلب وكنتم له؟ قال: كان لنا منه شَفَقَةُ الوالد، وله منّا برُّ الولد، قال: فكيف اغْتباطُ الناس؟ قال: فَشَا فيهم الأمْنُ، وشملَهُمُ النَّفلُ، قال: أكنْتَ أعددتَ لى هذا الجوابَ؟ قال: لا يعلمُ الغيب إلاَّ الله، قال: فقال: هكذا تكونُ والله الرجالُ! المهلَّب كان أعلَمَ بك حيثُ وَجَّهَكَ.

وكان كتَابُ المهلب إلى الحجاج:

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله الكافى بالإسلام فَقْدَما سواهُ، الذى(4وصل المزيد بالشكر، والنعمة بالحمد، وقضى ألاّ ينقطع المزيد منه4) حتى يَنْقَطِع الشُّكْر من عباده.

أمَّا بعد، فقد كان من أمرنا ما قد بَلغَكَ، وكنا ونحن وعدوُّنا على حالين مختلفين، يسرنا منهم أكثر مما يَسُوءنا، ويسوءهم منَّا أكثرْ مما يَسُرُّهم، على اشتداد شوكتهم، فقد كان عَلَنَ أمرهُم حتى ارتاعتْ له الفَتاةُ. ونُوِّمَ به الرَّضيعُ، فانْتَهزْتُ منهم الفُرْصةَ فى وقت إمكانها، وأدنيتُ السَّوادَ من السَّوَاد، حتى تعارفَت الوجوهُ، فلم نزل كذلك حتى بَلَغَ الكتابُ أَجلُه. ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لله رب العالمين﴾(5).

---

(1) ر «فيكم».

(2-2) كذا فى الأصل، س. وفى ر. «وإذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم».

(3) ر «الذى».

(4-4) كذا فى الأصل، س، وفى ر «الذى حكم بألا ينقطع المزيد منه». (5) سورة الأنعام ٤٥.

فكتب إليه الحجاج:

أمَّا بعـد، فإن الله عـزَّ وجلَّ قد فَـعَلَ بالمسلمين خـيرًا، وأراحهم مـن حَدّ الجهاد، وكنتْ أعلمْ بما قِبَلكَ. والحمد لله رب العالمين ـ فإذا وَرَدَ عليك كتابى هذا فاقـسم فى المجاهدين فـيْئَـهُمْ، ونفلِ الناس على قَدْرِ بلائهمْ، وفَـضِّل مَنْ رأَيْتَ تفضيله، وإن كانتْ بقَيتْ من القوم بَقيةٌ فخلِّف خيلا تقومْ بإزائهم، واستَعْمِل على كَرْمانَ مَنْ رأَيْتَ وَوَلِّ الخيلَ شهمًا من ولَدكَ، ولا تَرَخَّصْ لأحد فى اللحاق بمنزله دون أَنَ تَقْدَم بهم عليَّ، وعَجِّل بالقدوم. إن شاء الله.

فولى المهلب ابنه يزيدَ كرْمَانَ. وقال له: يا بُنَيَّ، إنك اليومَ لست كما كنتَ، إنما لَكَ من مال كِرْمَانَ ما فَضَلَ عن الحجَّاج، ولن تُحْتَمَلَ إلاَّ على ما احتُملَ عليه أبوك، فأَحْسنْ إلى مَنْ مـعك، وإن أنكرت من إنسان شيئًا فوجـهه إليّ، وتَفضَّلْ على قوْمِكَ(١ إن شاء الله ١).

* * *

قال أبو العـباس: وقَدمَ المهلبُ عـلى الحجَّاج فـأجلسه إلى جانبـه، وأظهر إكرامَه وبرَّهُ، وقال: ياْ أهلَ العراق، أنتم عبيدُ المهلب، ثم قال: أنت والله كما قال لَقيطُ الإيادىُّ:

وقـلّدوا أمــــــــركم لله دَرُّكـمْ	رَحْبَ الذِّراعِ بأمْرِ الحربْ مُضْطَلعَا
لا يَطعَمُ النـومُ إلاَ رَيْثَ يبـعـثـهْ	هَمٌّ يكادُ حَـشـاهُ يَقـصِمُ الضّلَعَـا
لا مُتْـرَفًا إنْ رخاء العيش سـاعَدَهُ	ولا إذا عضَّ مكروهٌ به خَــشَـعَـا
مــازال يَحْلُبْ هذا الدهـر أَشْطُرَه	يكون مُـتَّـبـعًـا طورًا ومُـتَّـبـعَـا
حتى استـمرَّتْ على شَــزْر مَريرَتُه	مُسْتَحْكِمَ الرأى لا قَحْمًا ولا ضَرَعَا

فقام إليـه رجل، فقال: أصلحَ اللهُ الأمير! والله لكأنى أسـمعُ الساعةَ قطَريًّا وهو يقولُ: المهلَّب كما قال لَقيطٌ الإيادِىُّ. ثم أنشد هذا الشعرَ، فسرَّ الحجَّاجُ حتى امتلأ سرورًا.

قـوله: «نَفِّل» أى اقْـسِمْ بينهـم، والنفَلُ: العطيـةُ التى تَفْـضُلُ. كـذا كـان الأصلْ. وإنما تفضَّل الله عز وجل بالغنائم على عباده، قال لَبيدُ:

(١ ـ ١) ساقط من ر.

إنَّ تقْـــوى ربِّنا خـــيْــرُ نـفَلْ   وبـإذنِ الله رَيْثُ وَعَـــــجَــل[1]

وقال جل جلاله: ﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ الأَنفالِ﴾، ويقال: نفَّلْتكَ كذا وكذا. أى أعطيتُك، ثم صار النَّفَلُ لازمًا واجبًا.

وقول الإياديِّ: «رَحْب الذراع». فالرَّحْب: الواسع، وإنما هذا مَثَلٌ.

يريد واسعَ الصَّـدر متـباعد مـا بين المَنْكِبَـيْن والذراعين، وليس المعنى على تَباعد الخلْق، ولكن على سهولة الأمر عليه. قال الشاعر:

رَحـيـبُ الذراع بالتى لا تَشِـيُنه   وإن قيلَت العَوراْء ضـاق بها ذَرْعا

وكـذلك قـوله جل وعـز: ﴿يَجْعَلُ صَـدْرَهُ ضَيِّـقًا حَـرَجًا﴾[2]. وقوله: «مضطَلِـعًا» إنما هو «مُفْـتَعِل» من الضَّليع، وهـو الشديد. يريد أنه قـوىٌّ على أمر الحرب، مستقل بها. وقوله: «يكون متَّبعًا طوراَ ومتَّبعًا» أى قد اتَّبَعَ الناسَ فعَلِم ما يَصْلُحُ به أمـرُ الناس. واتَّبع فعَلِمَ مـا يصلِحُ الرئيسَ. كمـا قال عمـر بن الخطاب رضى الله عنه: قـد أَلْنَاوَإيل[3] علينا. أى قـد أصْلَحْـنا أمْـورَ الناسِ. وأصْلحَتْ أُمُورُنا. وقوله: «على شَـرزِ مَريرتُه» فهذا مَثلٌ، يقال: شَـزرْتُ الحبل، إذا كَرَّرْتَ فتْله بعـد استحكامه راجـعًا عليه. المَريرةَ: الحبلْ، والضَّـرَعُ: الصَّغيرْ الضـعيفْ، والقحْم: آخرْ سِنِّ الشيخ، قال العجَّاج:

رأينَ قَـحْـمًـا شــابَ واقلَحـمِّـا   طالَ عليــه الدهرُ فـــاسْلهَـــمَّــا

وَالْمُقْلَحمُّ مثل القَحْمِ. وهو الجافُّ، ويقـال للصبىّ مُقْلَحمّ. إذا كان سيِّىء الغذاء، أو ابنَ هَرِمَيْن، ويقال: رجلٌ إنَقَحْلٌ وامرأة إنقَحْلةٌ. إذا أَسَنَّ حتى يَيْبَسَ. والمسْلَهِمُّ: الضامر. قال الشاعر:

* لَمَّا رَأَتْنى خَلَقًا إنقحْلا *

ويقال فـى معنى: «قَـحْم» قَحْرٌ، ويقـال: بعيـرٌ قُحَـاريةٌ، فى هذا المعنى. وقـوله: لا يَطْعَمُ النَّوْمَ إلا رَيثَ يَبْـعَـثُـهُ هَمّ. فـ«ريث» وعَـوَضٌ مما يضـاف إلى الأفعال، وتأويلُه أنه لا يَطْعَمُ النومَ إلاَّ يسيراً حتى يَبعثَه الهمُّ، فمعناه مقدار ذلك.

(١) الشطر الثانى ساقط من ر.
(٢) سورة الأنعام ١٢٥.
(٣) ص الإبالة: وهى سياسة الحكم.

ومما يضاف إلى الأفعال أسماءَ الزمان، كقوله عز ذكره: ﴿هذا يومُ يَنْفعُ الصادقينَ صدْقهُمْ﴾[(١)]، فأسماء الزمان كلُّها تضافُ إلى الفعل، نحو قولك: آتيكَ يومَ يخَرج زيدٌ، وجئتُك يومَ قامَ عبدُ الله، وما كان منها في معنى الماضى جاز أن يضافَ إلى الابتداء والخبر، فتقول: جئتكَ يومَ زَيدٌ أميرٌ، ولا يجوز ذلك فى المستقبل، وذلك لأن الماضىَ فى معنى «إذ»، وأنت تقول: جئتك إذا زيدٌ أميرٌ، والمستقبلُ فى معنى «إذَا»، فلا يجوز أن تقول: أجئتُك إذا زيدٌ أمير، فلذلك لا يجوزُ: أجيئك يومَ زيدٌ أميرٌ. فأما الأفعال فى «إذَا» و«إذ» فهى بمنزلة واحدة، تقول: جئتك إذْ قام زيد، وأجيئك إذَا قام زيد، فهذا واضحٌ بَينٌ، ومما يضافُ إلى الفعل «ذو» فى قولك: افعَلْ ذاكَ بذى تَسْلَمُ، وافعَلاَه بذِى تسلَمَان، معناه: بالذى يُسَلمكماَ، ومن ذلك «آية» فى قوله:

بآية تقْدمُون الخيلَ شُعْثًا ... كأنّ على سنَابكها مُدَامَا[(٢)]

والنحو يتَّصلْ ويكثُر، وإنما تركنا الاستقصاءَ لأنه موضعُ اختصار، [(٣)]وقد أتينا على جميع هذا فى الكتاب المقتضب[(٣)]. فقال المهلَّب: إنّا والله ما كنا أشد على عدونا ولا أَحَدّ، ولكنْ دَمَغَ الحق الباطلَ، وَقهَرَت الجماعة الفتنة، والعاقبة للتقوى. وكان ما كرهناهُ من المطاولة خيرًا مما أحببناهُ من العجلة. فقال له الحجاج: صدقتَ، اذكُرْ لى القوم الذين أَبلوا، وصفْ لى بَلاَءَهْمْ، فأمَرَ الناسَ فكتبوا ذلك للحجاج، فقال لهم المهلَّبُ: ما ذَخَرَ الله لكم خيرٌ لكم من عاجل الدنيا إن شاء الله. ثم ذكرهم للحجاج على مَرَاتبهم فى البَلاء وتَفاضلهمْ فى الغَنَاء. وقَدَّمَ بَنيه: المُغيرَة، ويَزيد، ومُدْركا، وحَبِيبًا، وقَبيصَةَ، والمُفَضَّلَ وعبدَ المَلك، ومحمدًا وقال: إنا والله لو تقدّمَهُمْ أحدٌ فى البلاء لقدّمتهُ عليهم، ولولا أنْ أظلمَهم لأخرتُهم. قال الحجاجُ: صدقت. وما أنتَ بأعلمَ بهم منى، وإنْ حضرت وغبْت إنهم لَسُيوفٌ من سيوف الله. ثم ذكرَ مَنْ ابن المغيرة بنَ أبى صُفْرَة والرقَادُ وأشباهَهُما، فقال الحجَّاج: أين الرُّقادُ؟ فدخَلَ رجلٌ طويلٌ أَجْنَأُ[(٤)]، فقال المهلَّبُ هذا فارسُ العرب، فقال الرقادُ: أيها الأمير، إنى كنتُ أُقاتل مع غير المهلَّب، فكنت

---

(١) سورة المائدة ١١٩.

(٢) نسبه سيبويه فى الكتاب (١ : ٤٦٠) إلى الأعشى.

(٣ ـ ٣) ساقط من ر.

(٤) من الجنأ؛ وهو ميل فى الظهر.

كبعض الناسِ، فلما صِرْتُ مع مَنْ يُلْزِمُنى الصَّبر ويجعلُنى أسوَةَ نفسه وولده ويجازينى على البلاء، صرتُ أنا وأصحابى فُرْسانًا، فأمر الحجَّاجُ بتفضيل قوم على قومٍ على قَدْرِ بلائهم، وزادَ وَلَدَ المهلبِ ألفينِ، وفعل بالرُّقَّادِ وجماعةِ شبيها بذلكَ.

قال يزيد بن حَبْنَاء من الأزارِقَةِ:

دَعى اللَّوْمَ إنَّ العَيْشَ ليسِ بدائمٍ ... ولا تعجَلى باللومِ يا أمَّ عاصِمِ
فإذْ عَجِلَت منك الملامة فاسمَعى ... مقالةَ مَعْنىٍّ بحقِّك عالِمِ
ولا تَعْذُلِينَا فى الهَديةِ إنما ... تكون الهدايَا من فضولِ المغانمِ
فليس بمُهْدٍ مَنْ يكون نَهَارُهُ ... جِلادًا ويمْسى ليلَهُ غيرَ نائمِ
يريدُ ثوابَ الله يومًا بطَعْنة ... غموس كَشَدْقِ العَنْبَرِى بن سالمِ
أبيتُ وسِرْبالى دلاَصٌ حَصِينةٌ ... ومغْفَرُها والسيفُ فوقَ الحيازمِ[1]
حلفتُ بربِ الواقفين عَشِيَّةً ... لَدَى عرفاتِ حَلْفَةَ غير آثم
لقد كان فى القوم الذين لقَيتهُم ... بسابور شغلٌ عن بروز اللَّطائمِ
توقَّدُ فى أيديهم زاعِبيَّةٌ ... ومُرْهَفَةٌ تَفْرى شئُونَ الجمَاجِمِ

قلت: «مَنْ يكون نهارُه جلادًا ويُمْسى ليلَهُ غيْرَ نائم» يريد يمسى هو فى ليله ويكون هو فى نهاره. ولكنه جعلَ الفعلَ لليلِ والنهارِ على السَّعة، وفى القرآن: ﴿بل مكرُ الليلِ والنهار﴾[2]. والمعنى بل مكركُم فى الليل والنهار، وقال من أهل البَحْرَيْنِ من اللصوص:

أمَّا النهارُ ففى قَيْدٍ وسِلسِلةٍ ... والليلُ فى جوفِ مَنحوتٍ من السَّاجِ

وقال آخر:

قد لُمْتِنا يا أُمَّ غَيْلاَنَ فى السُّرى ... ونِمْتِ وما ليلُ المطىّ بنائم

ولو قال: «مَنْ يكونُ نهارَه جلادًا ويُمْسى ليلَهُ غير نائم».

لكان جيدًا، وذاك أنه أراد من يكون نهاره يجَالِدُ جلادًا، كما تقول: إنما

---

(١) الدلص من كل شيء البراق، ومنه سميت الدرع دلاسا.
(٢) سورة سبأ ٣٣.

أنت سيَـراً، وإنما أنتَ ضربًا، تريد تَسـير سَـيْرًا، وتضرب ضـربًا، فأضْـمِر لعلم المخـاطَب أنه لا يكون هو سـيرا، ولو رَفَـعَـه على أن يجْعَـلَ الجلاَدَ فى مـوضع المجالِدِ، على قوله: أنت سيْرٌ، أى أنت جائرٌ كما قالت الخنساء:

* فإنما هىَ إقبالٌ وإدبَار *

وفى القرآن: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾[1] أى غائرا، وقد مضى تفسير هذا بأكـثر من هذا الشرح. ولو قال: «ويُمْسى ليلَه غيـر نائم» لجازَ، يصير اسمــه فى «يمْسى»، ويجعل «ليلَه»، ابتداءً، و«غـير نائم»، خبره على السـعة التى ذكرنا.

وقوله: «غُمـوس» يريدْ واسعةَ محيطَة، والعَنْبَـرِىُّ بن سالم رجلٌ منهم كان يقـال له الأشدَقُ، واللَّطَـائم: واحدتهـا: لَطيـمةٌ، وهى الإبلْ التـى تَحْملْ البـزَّ والعطْرَ. وقـوله: «تَوَقَـدُ فى أيديهِمْ زاعِـبِـيَّةٌ» يعنى الـرِّماحَ، والتَـوَقـدُ لَلأسنَّة، والزَّاعبيـةَ منسوبةٌ إلى زاعب، وهو رجلَ من الخَزْرَجِ كان يعـملْ الرماحَ. وتَفرى: تقَدُّ، يقال فَرَى إذا قَطَعَ، وأَفَرى إذا أَصْلَحَ.

وقال حَبيبْ بن عَوفٍ من قُوَّاد المهلَّب:

أبا سَـعـيـد جَـزَاكَ اللهُ صـالحـةً ... فقـد كَفَيْتَ ولم تَـعْنف على أحَدِ
دَاوَيْتَ بالْحِلْمِ أهلَ الجهلِ فانْقمعُوا ... وكنتَ كـالوالدِ الحَـانى على الولدِ

وقال عَبِيدَة بن هلال فى هربهم مع قطرى:

مـازالت الأقـدارُ حـتـى قَـذَفْنَنى ... بقُـومَس بين الـفُـرَّخَـان وصُـول

ويُرْوَى أنَّ قَاضِىَ قطَرِى، وهو رجلٌ من بنى عبد القيس، سـمع قول عَبيدة ابن هلال:

عَلاَ فـوق عَرْشٍ فـوقَ سبعٍ ودُونَه ... سَماءٌ تَرَى الأرواَحَ من دُونها تجْرِى

فقال له العبدىُّ: كَـفرتَ إلاَّ أَنْ تأتىَ بمَخرَج، قال: نعم، رُوحُ المؤمن تعرُجُ إلى السماء، قال: صدقت. وقال يذكُر رجلا منهم:

---

(١) سورة الملك ٣٠.

يَطْوِى وترفَعُهُ الرِّماحُ كأنه شِلْوٌ تَنَشَّبَ فى مخالب ضارِ[1]
فثوى صَرِيعًا والرماحُ تنُوشُه إنَّ الشَّراةَ قَصِيرةُ الأعْمارِ

تَنُوشُهُ: تأخذُه وتتناولُه، وقال الله عز وجل: **﴿وأنى لَهُمُ التناوُش مِنْ مكان بَعيد﴾**[2] أى التناولُ، ومثلُ بيتِه هذا قولُ حَبيب الطائى:

فِيمَ الشَّماتَةُ إعْلانًا بأُسْدِ وَغى أفْنَاهُمُ الصَّبْرُ إذْ أبقاكُمُ الجزَعُ

وقال أيضًا فى شبيهٍ بهذا المعنى:

إنْ يَنْتَحِلْ حَدَثَانُ الموت أنْفسكُمْ ويَسْلَمِ الناسُ بَيْنَ الحوض والعَطَن
فالماءُ ليس عَجِيبًا أن أعذبه يَفْنَى ويَمْتَدُّ عُمْرُ الآجِن الأسِن

وقال أيضًا:

عليك سلام الله وَقْفًا فإننى رأيتُ الكريمَ الحُرَّ ليس له عُمْرُ

وقال القاسمُ بن عيسى:

أُحِبُّك يا جَنَانُ فأنْت مِنِّى مكانَ الرُّوح من بَدَن الجبانِ
ولَوْ أنِى أقُولُ مكانَ رُوحى لَخِفْتُ عليك بادرةَ الزمانِ[3]
لإقدامى إذا ما الحرب جاشت وهاب حُماتَها حَرَّ الطعانِ

وقال معاوية بن أبى سفيان فى خلاف هذا المعنى:

أكان الجبانُ يُرى أنَه يُدافِعُ عَنْهُ الْفِرَار الأجلْ
فقد تدرك الحادثاتُ الجبان ويَسْلَمُ مِنْهَا الشجاعُ البَطلْ

* * *

رجع الحديث:

وقال رجل من عبد قيس من أصحاب المهلَّب:

سَائِلْ بنا عَمْرَو الْقَنَا وجُنُودَه وأبَا نعامةَ سَيِّدَ الكُفَّارِ

أبو نعامَة: قطرىّ.

* * *

(1) الشلو: العضو. (2) سورة سبأ ٥٢.
(3) بادرة الرجل: ما بدر منه من قول أو فعل.

وقال المغيرة بن حَبْنَاء الحنظليّ من أصحاب المهلّب:

إنى امـرُؤٌ كـفَّنـى ربِّى وأكـرمَنى ... عن الأمور الـتى فى رَعْيـهَا وَخَمُ
وإنما أنا إنســـانٌ أعــيشُ كـمـــا ... عاشتْ رجـال وعاشَتْ قَـبْلَهَا أمَمُ
ما عاقنى عن قُفُولَ الْجُنْد إذ قفلوا ... عنى بما صنـعـوا عَـجْـزٌ وَلا بَكَمُ
ولو أردتُ قُـفـولاً مـا تجَـهَّـمنى ... إذْنُ الأميـر ولا الكتاب إذ رقـموا
إنّ المهـلَّب إن أَشْـتَـقْ لرؤيَتـــه ... أو أمتـدحْه فإنّ الناس قَـدْ علموا
إن الأريـب الذى تُـرْجَى نـوافلـه ... والمسـتَـعانَ الّذى تَـجْلَى به الظُّلَمُ
القـائلُ الفـاعـلُ الميـمـون طائره ... أبو سـعـيـد إذَا مَـا عُـدَّت النعم
أَزْمَــانَ أَزْمَانَ إذ عَضَّ الحـديد بهم ... وإذْ تَمنَّـى رِجـالٌ أنـهم هُزِمــوا

* * *

قال أبو العباس: وهذا الكتاب لم نبتدئه لتتصل فيه أخبار الخوارج ولكن ربما اتصل الشيء بالشيء، ويقترح المقـترح ما يفسَخُ به عزمَ صـاحب الكتاب، ويصده عن سنته، ويزيلُه عن طريقه.

ونحن راجعون إن شـاء الله إلى ما ابتدأ له هذا الكتاب، فإن مـرَّ من أخبار الخوارج شيء مرَّ كـما مرَّ غيره، ولو نَسَقناه على مـا جرى من ذكرهم لكان الذى يلى هذا خَبَرُ نَجْدَة، وأبى فديك، وعمارة الرجل الطويل. وشبيب. ولكان يكون الكتاب للخوارج مخلصا.

تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع

وأوله:

باب فى اختصار الخطب والتحميد والمواعظ.

فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة
الرياح ومواقعها	٤٤
لجرير فى بنى مجاشع	٤٧
من أخبار لبيد بن ربيعة	٤٨
لأوس بن حجر	٥٠
لرجل فى الهجاء	٥١
بين غنوى وفزارى	٥٤
لعمارة بن عقيل يهجو بنى أسد	٥٦
للفرزدق حين ولى ابن هبيرة العراق	٦٢
للفرزدق أيضا فى هجاء عمر بن هبيرة	٦٣
للفرزدق أيضا فى حبس عمر بن هبيرة	٦٥
حديث أبى النجم العجلى مع هشام بن عبد الملك	٧١
باب	
الحجاج بن يوسف والوليد بن عبد الملك	١١٥
لابن قيس الرقيات فى معاتبة المهلب	١١٥
نبذ من أقوال الحكماء	١١٥
لدعبل يذم رجلا	١١٦
لبعض آل المهلب	١١٦
لرجل من طيئ وكان قتل رجلا من بنى أسد	١١٦
لشمعل التغلبى حين ضربه عبد الملك بن مروان	١١٧
بخل الحطيئة	١١٨
متفرقات من شعر دعبل	١١٨

الموضوع	الصفحة
لرجل من قريش	١١٨
لجرير يفتخر ويهجو الأخطل وقومه	١١٩
باب: من أخبار الخوارج	١٢١
في بيعتهم لعبد الله بن وهب الراسبي	١٢١
شأنهم مع واصل بن عطاء	١٢٢
مناظرة عبد الله بن عبس لهم	١٢٢
الفتوى فيمن أصاب صيدا وهو محرم	١٢٣
قول قطرى بن الفجاءة لأبي خالد القناني ورد أبي خالد عليه..	١٢٣
من أخبار عمران بن حطان وأشعاره	١٢٤
أول من حكم من الخوارج	١٣٣
أول سيف سل من سيوفهم	١٣٣
مناظرة علي بن أبي طالب لهم	١٣٤
للصلتان العبدي	١٣٥
للراعي في عبد الملك بن مروان	١٣٦
من أخبارهم يوم النهروان	١٣٨
من شعر علي بن أبي طالب	١٤٠
في تقسيم غنائم خيبر	١٤٠
من أخبار واصل بن عطاء	١٤١
مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه	١٤٤
لأبي زبيد الطائي يرثي علي بن أبي طالب	١٤٩
للكميت في رثائه أيضا	١٥٠

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الكامل
في
اللغة والأدب

لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد

عارضه بأصوله وعلق عليه

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الرابع

الطبعة الثالثة

١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

٩٤ شارع عباس العقاد ـ مدينة نصر ـ القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ ـ فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة، ت: ٤٨٢٧٨٥١

بابـ

فى اختصار الخُطب والتحميد والمواعظ

(نبذ من كلام الحكماء فى الموعظة)

قال أبو العبـاس: كان الحسنُ يقول: الحمد لله الذى كَلَّفَنا مـا لو كَلَّفَنا غيرَه لَصِرْنَا فيه إلى معصيته، وآجَرَنا على ما لا بُدَّ لنا منه.

يقول: كلَّفَنا الـصبرَ، ولو كلَّفنا الجَـزعَ لم يمكنا أن نُقيم عليـه وآجَرَنا على الصبر، ولابدَّ لنا من الرجوع إليه.

وكـان عليّ بن أبى طالـب رضى الله عنه (١) يقـول عندَ التعـزية: عليكم بالصبر، فإنَّ بهِ يَأْخُذُ الحازمُ، وإليه يَلجأُ (٢) الجازعُ.

وقال للأشْعَث بن قَيْس: إنْ صبَـرْتَ جَرَى عليكَ القَدَرُ وأنتَ مَـأجورٌ وإنْ جزَعْتَ جَرَى عليك القَدَرُ وأنت مَوْزور.

وقال الخُزَيْمىُّ:

ولو شـئت أن أَبْكِى دَمًـا لبكيتُـهُ ... عليه، ولكِنْ ساحةُ الصَّبرِ أوْسَعُ(٣)

وفى هذا الشعر وإن لم يكن من هذا الباب:

وَأَعـدَدْتُهُ ذَخْـرًا لكـلِّ مُلِمَّـةٍ ... وسَـهْمُ المَـنايَا بالذَّخـائـر مُـولَعُ

---

(١) ر: «صلوات الله عليه».

(٢) ر، س: «يعود».

(٣) قبله:

وإنى وإن أظْـهرْتُ فِىَ جَلاَدَةً ... وَصَانَعْتُ أعْدَائى عَلَيْه لَمُوجَعُ

ملكتَ دُمُوعَ العَيْنِ حَتَّى رَدَدْتُها ... إلى نَاظِرى وَأَعيُنُ القَلْبِ تَدْمَعُ

(خطبة لأبي طالب)

وخَطب أبو طالب بنُ عبد المُطَّلب لرسول الله ﷺ في خَديجة بنت خَوَيْلد رحمة الله عليها، فقال: الحمد لله الذي جعلَنا من ذرية إبراهيمَ وزَرْعِ إسماعيلَ، وجعلَ لنا بلدًا حرامًا، وبيتًا محْجُوبًا، وجعلَنا الحُكام على الناس؛ ثم إن محمد بن عبد الله، ابن أخي، مَنْ لا يُوازَنُ به فتًى من قريش إلاَ رَجَحَ عليه برًّا وفضلا، وكرمًا وعقْلاً، ومَجْدًا ونُبْلاً، وإن كانَ في المال قُلٌّ[1]، فإنما المال ظلٌّ زائلٌ وعاريةٌ مسترجَعةٌ، وله في خديجة بنتِ خُوَيْلدٍ رغبةٌ، ولها فيه مثلُ ذلك، وما أحببتم من الصَّداقِ فعَليَّ.

وهذه الخطبة من أقْصَدِ خُطَبِ الجاهلية.

(وفود النابغة الجعدي على ابن الزبير)

ومن جميل محاورات العرب ما رُوى لنا عن يحيى بن محمد بن عُروَةَ، عن أبيه عن جَدّه، قال: أَقْحَمت السَّنَةُ علينا النابغَةَ الجَعْدِيَّ. فلم يَشعُر به ابنُ الزُّبيْر حين صلى الفجر حتى مَثَلَ بين يديه يقول:

حكَيْتَ لنا الصِّديق حين وَلِيتَنَا ... وعثمانَ والفاروقَ فارْتاح مُعْدِمُ
وسَوَّيتَ بين الناسِ في العَدْلِ فاستَوَوا ... فعادَ صبَاحًا حالكُ الليلِ مُظْلِمُ
أتاكَ أبو ليلى يَشُقُّ به الدجى ... دُجى الليل جَوابُ الفلاة عَثَمثمُ
لَترْفَعَ منه جائعًا ذعذَعَت به ... صُرُوفُ الليالي والزمانُ المُصَممُ

فقال له ابنَ الزبير: هوِّن عليك أبا ليْلى، فأيْسَرُ وسائلك عندنا الشِّعر. أمَّا صفوةُ أموالنا فلبَنى أسَد، وأما عفْوتُها فلآل الصدِّيق، ولكَ في بيت المال حَقَّان: حَقٌّ لصحبتكَ رسولَ الله ﷺ، وحقٌّ بحقك في المسلمين. ثم أمر له بسبع قلائص وراحلة رَحيل، ثم أمر بأن تُوقَرَ حَبًّا وتمرًا، فجعل أبو ليلى يأخذُ التمر فيسْتَجمعُ به الحَبَ فيأكله، فقال له ابنُ الزبير: لشدَّ ما بلغ منك الجَهدُ يا أبا ليلى! فقال النابغة: أمَّا عليَ ذَاكَ لَسَمعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما اسْتَرحمتْ قريشٌ

---

(١) قل: «قليل».

فرَحِمَت وسُئلتُ فأعطت، وحَدَّثَتْ فصَدَقَتْ، ووعَدَتْ فأَنجَزَتْ، فأنا والنبِّيون على الحوض فُرَّاط لِقَادمِينَ».

قوله: «أقْحَمَت السَّنَةُ» يكونُ على وجهين: يقال: اقْتَحَم، إذا دخل قاصداً، وأكثر ما يقَال من غيـر أن يدخَل، ويكون مِنَ القُحْمَةِ، وهى السَّنة الشديدة، وهو أشبه الوجهين، والآخر حَسَنٌ.

والسَّنة: الجَدْبُ، يقال: أصابتْهم سَنَةٌ إذا أصابهم [1] جَدْبٌ، ومن قوله عز وجل: ﴿ولقد أَخذْنَا آلَ فِرعَونَ بالسِنين﴾ [2]، أى بالجَدْب.

وقوله: صِفوة، فهى فى معنى الصَّفْوِ، وأكثرُ ما يُستعمل الكسرُ، والبابُ فى المصادر للحال الـدائمة (الكسرُ [3]) كقولك: حسَنُ الجِلْسَـةِ والرِّكبةِ (والمِشيَةِ [3])، والنِّيمَةِ، كأنها خِلْقَةٌ.

والعفْوةُ إنما هو ما عَفَـا، أى ما فَضَلَ، و﴿خذ العَفْوَ﴾ [4]، قالوا: الفضل، وكذلك قوله جل اسمه: ﴿وَيَسأَلُونَكَ ماذا يُنفقونَ قُلِ العَفْوَ﴾ [5].

وقولهُ: «عَثَمْثَمٌ»، يريد الموثَّقَ الخَلْقِ الشديدَ.

وذَعْذَعت، أي أذهبت مالَهُ وفرَّقَتْ حاله.

وقوله: «راحلة رَحِـيل»، أى قوية على الرِّحلة مُـعَوَّدَة لهَا، ويقـالُ: فَحلٌ فَحيلٌ، أى مستَحكمٌ فى الفحْلَـة، وفى الحديث أنَّ ابن عمر قال لرجل: «اشترِ لِى كبشًا لأضَحِّى به أمْلَحَ، واجْعَلْهُ أقرَنَ فَحيلا».

وقوله: «فـأنا والنبيون على الحَـوض فُرَّاطٌ لِقَادمين»، الفارط: الذى يتـقدمُ القومَ فـيُصْلِحُ الدلاَءَ وَالأَرْشِيةَ ومـا أشبه ذلك من أمـرهـم حتى يَرِدُوا، ومن ذلك قول المسلمين فى الصـلاة على الطفل: «اللهم اجْعلَهُ لنَا سَلَفًا وفَـرَطًا». وجاء في

(١) كذا الأصل، س، وفى ر: «أى جدب»

(٢) سورة الأعراف «١٣٠».

(٣) تكملة من ز.

(٤) سورة الأعراف ١٩٩.

(٥) سورة البقرة ٢١٩.

الحديث عن النبى ﷺ: «أنا فرَطُكم عَلىَ الحَوضِ» وكان يقال: يكفيكَ من قريش أنها أقربُ الناس من رسول الله ﷺ نسبًا، ومن بيت الله بيتًا، ويقال: إنَّ دارَ أسَدِ بن عبد العُزَّى كان يقال لها: رَضيعُ الكَعْبَة، وذلك أنها كانت تَفىء عليها الكعبة صباحًا، وتفىء على الكعبة عَشيًّا، وإن كانَ الرجلُ من ولَد أَسدٍ ليَطوفُ بالبيت فينقطع شِسْعُ نعله فيَرْمى بنعله فى منزله فتُصلَحُ له، فإذا عاد فى الطواف رُمِى بها إليه، وفى ذلك يقولُ القائلُ:

لِهَاشِمٍ وزُهَيْرٍ فَضَلُ مكرُمَةٍ ... بحيثُ حَلّتْ نُجومُ الكبْشِ والأسَدِ[1]

مجَاورُ البيتِ ذى الأركان بيتهما ... ما دُونَهُم فى جِوَارِ البيت من أحَد

وقال آخرُ:

سمين قرَيْشٍ مانعٌ منك لَحْمَهُ ... وغَثُّ قريش حيثُ كان سَمِينُ

وقال آخرُ:

وإذا ما أصبته من قريشٍ ... هاشِميًّا أصَبْتَ قَصْدَ الطريق

وقال حرب بنُ أمية لأبى مَطر الحَضرَمىِّ يدعوه إلى حِلْفِهِ، ونزول مكة:

أبا مطر هَلمَّ إلى صلاح ... فَتكْنُفكَ النَّدامى من قرَيْش

وتأمَنَ وَسْطَهُمْ وتَعيشَ فيهم ... أبَا مَطرٍ هُديتَ لِخَيرْ عيش

وتَسْكنَ بلدةً عَزَّتْ قديمًا ... وتأمَن أن يَزُورَكَ رَبُّ جَيش

صَلاَح: اسم من أسماء مكة، وكانت مكة بلدًا لَقَاحًا، واللقاحُ: الذى ليس فى سلطان مَلك، وكانت لا تُغزَى تعظيمًا لها، حتى كان أَمرُ الفجَار، وإنما سُمِّى الفجارَ لفُجورِهم إذ قاتلوا فى الحَرَم، وكانت قريشٌ تَعزُّ الحَليفَ وتُكرِمُ المَولى وتَكادُ تُلْحقُهُ بالصَّميم، وكانت العربُ تفعلُ ذلك ولقريش فيه تَقدمٌ.

(١) حاشية الأصل: «هما هاشم وزهير، ابنا الحارث بن أسد».

(تحريض سديف على بنى أمية)

ودخل سُدَيْفٌ مَـوْلى أبى العباس السَّفَّـاحِ على أبى العباس أمـير المؤمنين، وعنده سليمـانُ بن هشَام بن عبد الملـك، وقد أدناه وأعطاه يَدَهُ فقَبَّلهـا، فلمَّا رأى ذلك سُدَيْفٌ أقبلَ على أبى العباس، وقال:

لا يَغُـرَّنْكَ مـا تَرَى من أنَاس ... إنَّ تحـتَ الـضُّـلوع داءً دَوِيًّـا

فَضع السَّيف وارْفَـعِ السَّوط حتى ... لا تَرَى فَـوقَ ظهـرها أمَـويًّا

فأقبلَ عليـه سليمانُ فقَالَ: قَـتَلْتَنى أيها الشيخُ قَتَلَكَ اللهُ! وقـام أبو العباس فدخلَ، فإذا المنديلُ قد ألقى فى عُنقِ سَليمان ثم جُرَّ فقُتِلَ.

(تحريض شبل بن عبد الله على بنى أمية).

ودخل شِـبْلُ بن عبـد الله مـولى بنى هاشم على عـبد الله بن على، وقـد أجلَس ثمانين رَجلاً من بنى أميةَ على سُمط الطعامِ، فَمثَلَ بين يديه، فقال:

أصْـبَح المُلـكُ ثابِتَ الآسَـاس ... بالبـهـاليل مـن بنى العَـبَّـاس

طلبـوا وِتْرَ هاشمٍ فَشَـفـوْهَا ... بعـد مـيل من الزمـان ويَاس

لاَ تُقِـيلنَّ عـبـدَ شَمس عِـثـارًا ... واقْـطَـعَـنْ كلَّ رَقْـلَـةِ وأوَاسـى

ذلُّهـا أظهَـرَ الـتَّـوَدُّدَ منهـا ... وبهـا منـكُمُ كَـحَـزِّ الموَاسى

ولَقـد غَـاظَنـى وغـاظَ سَوَائِى ... قُـرْبُهُم من نَمَـارقٍ وكَـرَاسى

أنزِلُوهَا بِـحـيثُ أنْـزلهـا اللـه ... بدارِ الـهَـوان والإتعـاس

واذكـروا مصـرع الحُسَيْن وزَيدًا ... وقَـتـيـلاً بجـانِب المِهـرْاس

والقـتـيل الذى بِحَـرانَّ أَضحَى ... ثـاويًا بْـين غُـربَة وتَـناسـى

نِعمَ شـبْلُ الهِراش مـولاك شبِلٌ ... لو نَجـا من حَـبائل الإفْـلاسِ !

فأمر بهم عبد الله فشُدخُوا بالعَمَد، وبُسطت عليهم البُسُطُ، وجَلَسَ عليها، ودعا بالطعام، وإنه لَيَسْمَعُ أنِينَ بعضهم حتى ماتوا جميعًا، وقال لِشِبل: لولا أنك

خَلَطْت كلامَكَ بالمسألة لأَغْنمتُكَ جميعَ أمـوالهم، ولَعَقَدتُ لك على جميع موالى بنى هاشم.

قوله: «الآساس» واحدها أسٌّ، وتقديرها، «فعلٌ وأفعالٌ» وقد يقال للواحد: أساسٌ، وجمعه أسُسٌ.

والبُهْلُولُ: الضحَّاكُ.

وقوله:

* بعد مَيل منَ الزمان ويَاس*

يقال: فيك مَيْلٌ علينا، وفى الحائط مَيْلٌ، وكذلك كلُّ مُنتصب.

وقـوله: «واقْطَعْن كلَّ رَقْـلَة»، الرَّقْلَةُ: النخلة الطـويلة، ويقـال إذا وُصفَ الرجلُ بالطول: كأنه رَقْلَةٌ.

والأوَاسِّى، ياؤه مشددة فى الأصل وتخفيفها يجوزُ، ولو لم يَجُزْ فى الكلام لجاز فى الشـعر؛ لأن القافـية تَقْتَطِعُـه، وكلُّ مُثقَّلٍ فـتخفـيفه فى القـوافى جائزٌ، كقوله:

أصَـحَوْت اليـومَ أَمْ شَاقَـتْك هِرْ ... ومنَ الحُبِّ جُنونٌ مُـسْـتَـعِـرْ [1]

وواحِدُها «آسيَّة» وهى أصل البناء بمنزلة الأساس.

وقوله: «وغَـاظَ سَوَائِى» تقـول: ما عندى رجلٌ سوَى زيـد، فتَقْـصرُ، إذا كسرت أوله، فإذا فتحت أولَهُ على هذا المعنى مددتَ، قال الأعْشى:

تَجانـفُ عن جوِّ اليـمامة ناقـتى ... وما قَـصَدَتْ من أهلِهَـا لِسَوائِكا [2]

والسَّـواءُ ممدود فى كل مـوضعٍ وإن اختلـفت معـانيـه، فهـذا واحـدٌ منه. والسَّـواء: الوسَطُ، ومنه قـوله عز وجل: ﴿فـرآه فى سَـواَه الجَحِـيم﴾ [3]، وقال حَسَّانٌ:

---

(١) مطلع قصيدة لطرفة: ديوانه ٣٦.

(٢) تجانف: تميل وتعدل

(٣) سورة الصافات ٥٥

يا وَيْحَ أنصـــارِ النَّبِيِّ ورَهْـطِهِ   بعـدَ المغـيَّب فى سَـوَاءِ المَلْحَـدِ

والسَّـواءُ: العدلُ والاسـتـواءُ، ومنه قولـه عز وجل: ﴿إلى كَلَمَـةٍ سَـواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكم﴾ [1]، ومن ذلك: عمرو وزيدٌ سَواءٌ، والسَّـواءُ: التَّمامُ، يقالُ: هذا درهم سَوَاءٌ، وأصلُهُ من الأول، وقوله عز وجل: ﴿فى أربَـعَةِ أيَّامٍ سَوَاءً للسَّائلينَ﴾ [2]، معناه تمامًا، ومن قرأ ﴿سَوَاءٍ﴾ فإنما وَضَعَه فى موضع «مستوياتٍ».

والنَّمارقُ، واحدتها نُمرُقة، وهى الوسائد، قال الفرزدقُ:

وإنَّا لتَـجرى الكَأسُ بين شَـرُوبِنَا   وبينَ أبى قـابُوَس فـوقَ النَّمـارِقِ

وقال: نُصيبٌ:

إذا مَـا بِسَاطُ اللَّهْـو مُدَّ وقُـرِّبَتْ   لِلَذَّاتِـهِ أنْمـــاطُـه ونَمَــارِقُـــهْ

وقوله: «مَصْرَعَ الحُسَيْـنِ وزَيْد» يعنى زيدَ بن علىّ بن الحسين، كان قد خَرَجَ على هشام بن عبد الملك، وقَتَلَهُ يوسف بن عُمَر الثقفى وصَلَبَهُ بالكُنَاسة[3] عُريانا، هو وجماعة من أصحابه.

ويروى الزُّبيريونَ أنـه كان بين يوسفَ بن عُمَـرَ وبين رجل إحنَة فكان يطلب عليـه علَّة، فلما ظفـرَ بزيد بن علىّ وأصحـابه أحَسُّـوا بالصَّلب، فأصْلَحُـوا من أبدانهم واسْتحَدُّوا [4]، فصلُبوا عُراة، وأخذ يوسفُ عَدوَّه ذلك، فنحَلَهُ أنه كان من أصحاب زيد فقتلَهُ وصَلَبَهُ، ولم يكن استَحد [5]، لأنه كان عندَ نفـسه آمنًا، وكان بالكوفة رجلٌ معـتوهٌ عَقْدُهُ [6] التَّشَـيُّع، فكان يجيء فيقف على زيدٍ وأصـحابه، فيـقولُ: صلى الله عليك يا بن رسـول الله، فقـد جاهدت فى الله حق جـهاده، وأنكرت الجورَ ودَافـعَت الظالمين، ثم يُقبلُ عـليهم رجلا رجـلا فيـقول: وأنتَ يا

(١) سورة آل عمران ٦٤

(٢) سورة فصلت ١٠ .

(٣) الكناسه: محلة بالكوفة

(٤) الاستحداد: الحلق.

(٥) ر: «استمد» .

(٦) عقده: اعتقاده

فلانُ، فجزاك الله خيرا، فقد جاهدت فى الله حقّ جهاده، وأنكرت الجورَ ونَصرت ابن رسول الله ﷺ، حتى يقف على عَدوٍّ يوسف فيقولُ: فأما أنت يافلان، فَوُفورُ عانَتِكَ يدُلُّ على أنك برىء مما قُرِفْتَ [1] به !.

قال أبو العباس: وقال حَبيبُ بنُ جَدَرَةَ- ويقال: ابن جُدْرَةَ، وهى السِّلعةُ[2] - الهلالى.

(قال الأخفش: الصحيح عندنا «ابن خدرة» بالخاء وكسرها، وقال المبردُ: لم أسمعه إلاّ «جدَرَةَ» ويقال: «جُدرَةَ») [3].

وهو من الخوارج، يعنى زيدَ بن علىّ:

يَابَا حُسَيْنٍ لو شراةُ عِصابةٍ صَحِبُوك كانَ لوِرِدْهِمْ إصْدَارُ [4]
يَابَا حُسَين والجديدُ إلى بِلى أولادُ دَرْزَةَ أسلموك وطَارُوا

تقول العربُ للسِّفْلَة والسُّقَّاط : أولادُ درْزَةَ ، وتقول لمن تَسُبُّهُ : ابن فَرْتنىَ، وأولاد فرْتَنى، وتقول للصوص: بنو غيراءَ، وفى هذا بابٌ.

ويُروى أنَّ شاعراً لبنى أمية قال معارضًا للشِّيع فى تسميتهم زيدًا المهدى [والشاعرُ هو الأعورُ الكَلْبى] [3]:

صَلَبْنا لكم زيدًا على جِذعِ نخلةٍ ولم نَرَ مَهْدِيًّا على الجذع يُصلَبُ

ونظر بعد زمين إلى رأس زيدٍ مُلقى فى دارِ يوسفَ وديكٌ ينقُره، فقال قائل من الشِّيعَة:

اطرُدُوا الديك عن ذُؤَابةِ زيدٍ طَالَ ما كانَ لا تطاهُ الدَّجَاجُ

وقوله:

* وقتيلا بجانب المِهراس *

(١) قرفت: اتهمت..
(٢) السلعة: خلقة فى البدن من ضرب أو جراحة.
(٣) ما بين العلامتين من زيادات ر.
(٤) ر: «صبحوك» والبيت لم يذكر فى س.

يعنى حمـزَة بنَ عبد المطلـب، والمِهْراسُ ماءٌ بأُحـد، ويُروى فى الحديث أن رسول الله ﷺ عطَشَ يـومَ أُحُدٍ، فجـاءه علىٌّ فى دَرَقَةٍ بماءٍ من المِهـرَاس، فعـافه فَغَسَلَ به الدمَ عن وجهه.

وقال ابن الزِّبَعْرى فى يوم أُحد:

ليتَ أشـيـاخـى ببَـدْر شَـهِـدوا جَـزَعَ الخَزْرجِ مـن وَقْعِ الأَسَلْ
فـاسـألِ المهِـراسَ مَنْ سـاكِنُهُ بعـدَ أَبْدَانٍ وهـامٍ كـالحَـجَلْ

وإنما نسب شِبْلٌ قتل حمزة إلى بنى أميَّـةَ، لأن أبا سفيان بنَ حَرَبٍ كان قائدَ الناس يومَ أحُدٍ.

والقـتيل الذى بِحـرَّانَ هو إبراهيمُ بن محـمد بن علىّ، وهو الذى يقـال له الإمامُ.

وكان يُقال: ضَحَّى بنو حَرْبٍ بالدِّين يوم كرْبَلاَء، وضَحى بنو مروانَ بالمُرُوءَة يوم العَقْرِ؛ فـيوم كرْبلاءَ يومُ الحسين بن على بن أبى طالب وأصحـابه ويومُ العَقر يومُ قُتِلَ يزيدُ بن المهلب وأصحابُهُ.

وإنما ذكرنا هذا لِتَقَدُّم قريشٍ فى إكرام مواليها.

[من أخبار الموالى]

ولَّى رسولُ الله ﷺ جيش مُؤْتَةَ زيدًا مولاه، وقال إن قُتِلَ فأميرُكم جعفرٌ.

وأمَّرَ رسولُ الله أسامةَ بن زيد، فبلغـه أن قومًا طعَنُوا فى إمارته، وكان أمَّرَهُ على جيش فيه جِلّةُ المهاجرين والأنصار، فقال عليه السلامُ: «إن طعنتم فى إمارته لَقد طَعَنتُم فى إمارة أبيه قبله، ولقد كـان لها أهلا، وإن أسامة لها لأهل»، وقالت عائشـة: لو كان زيدٌ حَيًّا مـا استخلف رسولُ الله غـيرَهُ، وقال عبد الله بـنُ عمر لأبيه: لِمَ فَضَّلْتَ أسامةَ علىَّ وأنَا وهو سيَّان؟ فقال: كان أبوه أحَبَّ إلى رسول الله من أبيك، وكان أحبَّ إلى رسول الله منكَ، وأوصى رسول الله ﷺ بعضَ أزواجه لِتَميط عن أسامةَ أذًى من مُخاطٍ أو لعابٍ، فكأنها تَكَرَّهَتْهُ، فَتَوَلَّى منه ذلك رسول

الله ﷺ بيده، وقال لـه يومًا، ولم يكن أسامةُ من أجـملِ الناس: «لو كنت جاريةً لنَحلّنَاكَ وحَلَّينَاكَ حتى يَرْغَبَ الـرجالُ فيكَ» وفى بعض الحديث أنه قـال: «أسامة مِنْ أحَبِّ الناسِ إلىَّ».

وكان ﷺ أدَّى إلى نبى قُرَيظَة مكاتبة سَلْمَان، فكان سلمانُ مَوْلَي رسول الله ﷺ، فقال علىّ بن أبى طالب عليه السلام: سلمان مِنَّا أهلَ البيتِ.

***

ويروى أنَّ أمير المؤمنين المهدىَّ نظر إليه ويَد عُـمارَةَ بن حمزة فى يده، فقال له رجلٌ: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: أخى وابنُ عـمِّى عُمارةُ بن حمزة، فلما وَلى الرجلُ ذَكرَ ذلك المهـدى كالمازح لعمـارة، فقال له عُـمَارةُ: انتظرت والله أن تقول: «ومولاى» فَأنْفضَ والله يَدَكَ من يدى، فتبسمَ أميرُ المؤمنين المهدى.

ولم يكن الإكرام للموالى فى جُفاة العرب، زَعَمَ الليثى أنه كانت بين جعفر ابن سليمـان وبين مِسْمَع بن كرِدين منـازعة، وبين يدى مِسْمَع مَـوْلى له، له بَهاءٌ ورُواءٌ ولَسَنٌ، فوجَّهَ جعـفرٌ إلى مِسْمَع مَوْلَى له ليُنازعَه، ومـجلسُ مِسْمَعٍ حافلٌ، فقال: إنَ أنصـفنى وَالله جعفرٌ أَنصَفْـتُهُ، وإن حَضَرَ حضـرت معه، وإن عَندَ عن الحق عَنَدْتُ عنه، وإن وَجَّهَ إلى مولى مـثلَ هذا - وأومأ إلى مولى جعفـر فقال: مَوْلَى مثل هذا! عاضًا لما يكْرَهُ - وجَّهْتُ إليه، وأومأ إلى مولاه (١ مولَى مثل هذا، عاضًّا لما يكره-١) فَعَجِبَ أهلُ المجلس من وضعه مولاه الذى تبهى بمثله العربُ.

وقد قـيلَ: الرجلُ من أبيه، والمولَى من مواليـه، وفى بعض الحديث (٢) أنَّ المعتق من فضلِ طِينَةِ المعْتق.

ويُروى أنَّ سَلْمـان أخَـذَ من بين يَدى رسولِ الله ﷺ تمرةً مـن تمر الصدقـة فوضعها فـى فيه، فانتزعها منه رسول الله ﷺ، فـقال: «يا أبا عبد الله، إنما يَحلُّ لك من هذا ما يَحلُّ لنا».

(١-١) ساقط س ر.

(٢) ر: «الأحاديث».

ويُرْوى أن رجلاً من موالى بنى مـازن، يُقال له عبد الله بن سليـمانَ، وكان من جلَّة الرجال، نازعَ عَمْرَو بن هدَّاب المازنىَّ، وهو فى ذلك الوقت سيِّدُ بنى تميم قاطبة [1]، فظهَرَ عليـه المولى حتى أُذنَ له فى هدم داره فَأدْخَلَ الفَعَلَـة دارَ عمْرو، فلما قَلَع من سَطحهـا سافاً [2] كَفَّ عنه، ثم قال: يـا عَمرو! قـد أريتك القُدْرَةَ، وسأريك العفوَ.

وقد كان فى قريش مَن فيه جَفْـوَةٌ ونبْوة، كان نَافع بن جُبَيْر، أحد بن نَوْفل ابن عبد مناف، إذا مُرَّ عـليه بالجنازة سأل عنها، فإن قيل: قـرشى قال: واقوماه! وإن قيلَ: عربى قال: واِمادَّتاهُ! وإن قيل: مَوْلى أو عجمى. قال: اللهم هُم عبادُك تأخذ منهم من شِئت وتَدَعُ مَنْ شِئتَ!.

ويُروىٍ أنَّ ناسكًا من بنى الجهم بن عَمْرو بن تميم كان يقول فى قصَصِه:

اللهم اغفر للعربِ خـاصة وللموالى عامة، فأمّا العَجَمُ فـهم عَبيدُك والأمر إليك.

وزَعَم الأصمعىّ قـال: سمعتُ أعرابيًا يقـول لآخر: أتُرى هذه العَجَمَ تَنْكحُ نساءَنا فى الجنة؟ قـال: أرى ذلك والله بالأعمال الصالحة، قـال: توطأ والله رقابُنا قبلَ ذلك.

وهذا بابٌ لم نكن ابتدأنا ذكـره، ولكن الحديث يَجُرُّ بعـضه بعضـا ويحملُ بعضه على لفظ بعضٍ.

***

(١) قاطبة، أى جميعهم

(٢) الساف: كل سطر من الطين واللبن.

ثم نعود إلي ما ابتدأناه إن شاء الله، وهو ما نختارُه من مختصرات الخُطَبِ وجميل المواعظ، والزُّهد فى الدنيا لنتصل بذلك، وبالله التوفيق.

«بسم الله الرحمن الرحيم»

قال أبو العباس: قد ذكرنا فى صدر كتابنا هذا، أنا نذكرُ فيه خطبا ومواعظ:

فمما نذْكره في [1] ذلك أمرُ التعازى والمرَائى، فإنَّهُ بَابٌ جامعٌ، وقد قيل إنه لَمْ يُقل فى شىء قَطُّ كما قيل فى هذا الباب؛ لأن الناس لا يَنْفكُّون من المَصائب، ومن لم يَثكَلْ أخاه ثكله أخوه، ومن لم يَعدَم نفيسًا كان هو المعدوم دونَ النفيس، وحقُّ الإنسان الصبرُ على النوائب، واستشعار ما صدَّرناه، إذ كانت الدنيا دار فراق ودار بوار، لا دار استواء، وعلى فراق المألوف حُرقَةٌ لا تُدفَعُ، ولَوْعَةٌ لا تُرَدُّ، وإنما بتفاضل الناسُ بصحة الفكر، وحسن العَزاءِ، والرغبة فى الآخرةِ، وجميل الذِّكر.

[من مراثى الآباء والإخوة والأبناء]

فقد قال أبو خراشٍ الهُذلى، وهو أحدُ حُكماء العربِ، يَذْكُر أخاه عروة بن مُرَّةَ:

تَقُولُ أرَاهُ بعدَ عرْوَةَ لاهيًا ... وذلكِ رُزءٌ لو عَلِمْتِ جَليلُ
فلا تَحْسَبِى أنى تناسَيْتُ عهدَهُ ... ولكنَّ صَبرِى يا أمَيْمَ جَميلُ

***

وقال عمرو بن معدى كَربَ:

كم من أَخٍ لىَ حَازمٍ ... بوَّأته بَيَدىَّ لحدًا
أعْرَضْتُ عن تذْكارِهِ ... وخُلقْتُ يوم خُلِقْتُ جَلْدًا

وكان ويقال: من حدثَ نفسَهُ بالبقاء، ولم يُوطئها على المصائب فعاجزُ الرَّأى.

***

(١) ر «س».

وعَزَّى رَجُلٌ رجلا عن ابنه فقال: أكان يَغيبُ عنك؟ قـال: كانت غيبتُهُ أكثَرَ من حضوره قال: فأنزِلْهُ غائبًا عنك، فإنه إن لم يَقْدَمْ عليك قَدِمْتَ عليه.

***

وقال إبراهيمُ بنُ المَهدْىِّ يذكرُ ابنه:

وإنِّى وإنْ قُـدِّمْتَ قَـبـلِى لَعَـالِمٌ   بأنِّى وإن أبطَأْتُ عنكَ قـريبُ [1]
وإنَّ صَـبَاحًـا نَلْتَـقى فى مَسَـائِه   صـباحٌ إلى قلْبى الغَـدَاةَ حَـبِـيبُ

وكفى باليأس مُعزِّيا، وبانقطاع الطمع زاجرًا! كما قال الشاعر:

أَيَا عَمْرُو لم أَصْبـرْ ولى فيك حِيلَةٌ   ولكن دعانـى اليأسُ منكَ إلى الصَّـبرِ
تصـبـرتُ مـغلـوبًا وإنى لموجَعٌ   كما صَبَرَ العطشانُ فى البَلَدِ القَفْرْ

***

وقال بعض المحـدثين وليس بناقصِـهِ حَظُّهُ من الصوابِ أنه مُحـدَثٌ، يقول لرجل رثاه [قال أبو الحسن: وهو أبو تمام]:

عَجِـبتُ لِصَبْرى بعـدهُ وهْوَ ميِّتٌ   وقد كنـتُ أَبْكِيهِ دَمًا وهـو غائبُ
على أنها الأيامُ قـد صِرْنَ، كلها   عجائِبَ حتى ليسَ فـيها عجائبُ

***

وحُدثتُ أنَّ عمر بن عبد العزيز لـمَّا مات ابنهُ عبد الملك خطَبَ الناسَ فقال: الحمـدلله الذى جَعَلَ الموت حَتْـمًا وَاجبًـا على عباده، فـسوَّى فيـه بين ضعيـفهم وقويِّهم، ورَفيـعهم ودنِّيهم، فقال عـز وجل: ﴿كل نَفْسٍ ذَائقَة الموْتِ﴾ [2] فَلْيَعلَم ذَوُو النّهى منهم أنهم صـائرون إلى قبورهم، مُـفردون بأعمـالهم، واعلموا أن الله

(١) ر: «منك».
(٢) سورة: آل عمران ١٨٥.

مسألة فاحصة، قال عز وجل: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنسَأَلَنَّهُمْ أجْمَعِين* عمَّا كانُوا يَعملُون﴾[1]، وله يقولُ القائلُ:

تعزَّ أميرَ المؤمنين فإنَّه ... لِمَا قَدْ تَرَى يُغْذى الصَّغيرُ ويُولَدُ
هَل ابْنُكَ إلاَ مِنْ سُلالةِ آدَمٍ ... لِكُلٍّ على حَوْض المَنِيَّةِ مَوْرِدُ

***

وقال رجلٌ من قريش يرثى ابنه [قال أبو الحسن: هو العُتْبىُّ]:

بِأَبِى وأُمِّى مَنْ عَبَأْتُ حَنُوطَهُ ... بِيدى وودَّعَنى بِمَاءِ شَبَابِهِ[2]
كيف السُّلوُّ وكيفَ صَبْرِى بعدَه ... وإذَا دُعِيتُ فإنما أكْنى بهِ!

***

وقال ابن لعمر بن عبد العزيز يرثى عاصم بن عُمَرَ:

فإنْ يك حُزْنٌ أَوْ تَجَرُّعُ غَصّةٍ ... أَمارًا نَجيعًا مِنْ دَمِ الَجوفِ مُنْقَعَا
تَجرَعْتُهُ فِى عاصِمٍ واحْتَسَيْتُهُ ... لأَعْظمُ منه ما احْتَسى وتَجَرّعا

***

وقال أبو سعيد إسحاق بن خلفٍ يرثى ابنةَ أخته، وكان تبَّناهَا، وكان حدبًا عليها كلِفًا بها:

أَمْسَتْ أُمَيْمَةُ معمورًا بها الرَّجمُ ... لَقى صَعَيد عليها التّرْبُ مُرتكِمُ[3]
يا شِقَّةَ النَّفْسِ إنَّ النَّفسَ وَالِهَةٌ ... حَرَّى عليكِ ودمعُ العين مُنْسَجِمُ[4]
قد كنت أخشى عليها أن تقدِّمنى ... إلى الحمام فيُبْدِى وجْهَهَا العَدَمَ

---

(١) سورة الحجر ٩٢.
(٢) يقال: عبأت الطيب عبئًا؛ إذا صنعته وخلطته.
(٣) الرجم. القبر، واللقى: الشيء الملقى لهوانه.
(٤) الشقة. نصف الشيء

فــالآن نْمتُ فــلاهَمٌّ يُـؤرِّ قُنى — يَهْدَا الغَيـورُ إذا ما أودَتِ الحُرَمُ[1]
لِلَمـوْت عندى أَيَادٍ لست أُنْكِرهَا — أَحْـيـا ســرورًا وبى مَّا أتى أَلَمُ

وهذه المرثِّيـة ليست ممّا تَقعُ مـع الجزَع القَـرَاحِ والحزن المفـرط، ولكنه باب للمَراثى يجمع إفرَاطَ الجزَعِ، وحُسن الاقـتصاد، والميلَ إلى التشكى، والركون إلى التَّعَـزِّى، وقَول مَنْ كان له واعظٌ من نفـسه، أو مُذكرٌ مـن ربه، ومَنْ غلبت عليه الجَساوة [2]، وكان طبعُه إلى القساوة، فقد اختلط كلٌّ بكلٍّ.

***

وقال رجل من المحدثين يرثى أباه [3]:

تَجلُّ رزيَّاتٌ وتَعـرُو مَصـائبٌ [4] — ولا مِثْلُ مَا أنْحَتْ علينا يَدُ الدَّهْرِ
لقـد عَـــركَـتْنا للزمـــان مُلمَّـةٌ — أذمَّتْ بمحمود الجـلادَةِ والصَّبْر[5]

فهذا يَحْسُــنْ من قائِلهُ أنَّ الرزءَ كان جليلاً بإجماعٍ، فللقـائل أن يتفَسَّح فى القول فيه.

***

وهذا يقوله عبد العزيز بن عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس، وكـان عبد الرحيم من جِلة أهله لَسنًا ونعـمةً وسنًّا وولاية، ومات معزولا عن اليمن فى حبس الخليفة، وأمُّ جعفر بن سليمان أمُّ حسنٍ بنتُ جعفر بن حســن بن حســن بن عـلى بن أبى طالـب، صـلوات الله عـليهم؛ فلذلك يـقولُ عبد العزيز فى هذه القصيدة:

---

(١) ألهت: هلكت.
(٢) الجساوة : الغلظ .
(٣) ر : «أخاه».
(٤) حاشية الأصل: «ش : تحل».
(٥) أذمت: تركته مذمومًا. .

بموتِكَ يا عبدَ الرحيم بنَ جعفرِ تَفَاحَشَ صَدْعُ الدين عن الألم الكسْرِ
فيا بنَ النبى المصطفى وابنَ بنته ويا بنْ عَلىٍّ والفواطِم والحَبْرِ [1]
ويا بْنَ اختيار الله من آلِ آدَمٍ أَبًا فأَبًا طُهرًا يؤدِّى إلى طهرِ
ويا بنَ سليمانَ الذى كان مَلْجَأً لِمَنْ ضاقت الدنيا به من بَنِى فهْرِ
ومنْ مَلأَ الدنيا سَماحًا ونائلاً ورَوَّى حَجيجًا بالملمعة القَفْرِ [2]
لعَزَّ بِما قد نَالَنا مِن رَزِيئةٍ بموتِكَ محبوسًا على صاحب القبْرِ
فإن تَضحَ فِى حبس الخليفة ثاوِيًا أبيًّا لِمَا يُعْطى الذَّليلُ على القَسْرِ
لكمُ من عدوٍّ للخليفة قد هوَى بكفِّك أوْ أعْطى المَقَادَةَ عن صُغْرِ
فَوَاحزَنَا! لو فِى الوَغى كان مَوْتُهُ بكَيْنَا عليه بالرُّدينَّيةِ السُّمرِ
وكنَّا وَقيناه القَنَا بنُحُورِنَا وفاتَ كذا فى غَيْرِ هَيْجٍ ولا نَفْرِ

***

وحُدِّثْتُ أَنَّ عمرَ بن الخطاب لمّا وَلّى كَعْبَ بن سُور الأزدىَّ قضاء البصرة، أقام عاملاً له عليها إلى أن اسْتُشْهِدَ، على أنه كان قد عزله ثم ردّه، فلما قام عثمان بن عَفانَ أَقَرَّه، فلما كان يومُ الجَمَلِ خرج مع إخوة له - قالوا ثلاثةٌ، وقالوا أربعة - وفى عنقه مُصْحَفٌ، فقُتلوا جميعًا، فجاءت أمُّهم حتى وقفتْ عليهم، فقالت:

يا عين جُودى بدمعٍ سَرِبْ على فِتْيَةٍ من خيار العَرَبْ
وما لهُم غيْرَ حَيْنِ النُّفوسِ أىُّ أَمِيرَىْ قريش غَلَبْ!

هذه الرواية «سَرِب» وقالوا معناه: جار فى طريقه، من قولهم: انسَرَبَ فى حاجته، وبيت ذى الرُّمَّة يُختارُ فيه الفتحُ:

* كأنَّه من كلى مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ *

(١) الحبر: هو عبد الله بن العباس.
(٢) الملمعة: الأرض يلمع فيها السراب.

لأنه اسمٌ، والأول المكسورُ نعتٌ، ويقبح وضعُ النعتِ موضع (1) المنعوت غير المخصوص.

***

[قال أبو الحسن: حقُّ النعتِ أن يأتى بعدَ المنعوت، ولا يقع فى موقعه حتى يَدُلّ عليه فيكون خاصًّا له دون غيره، تقول: جاءنى إنسانٌ طويلٌ. فإن قلت جاءنى طويل لم يجز؛ لأن «طويلا» أعم من قولك: إنسان، فلا يدل عليه فإن قلتَ: جاءنى إنسانٌ متكلمٌ، ثم قلت بَعْدُ: جاءنى متكلمٌ جازَ؛ لأنك تَدُلُّ به على الإنسان، فهذا شرحُ قوله: «المخصوص»].

***

وقولها: «غَيْرَ حَيْنِ النُّفوسِ» نَصْبٌ على الاستثناء الخارج من أول الكلام، وقد ذكرناه مشروحًا.

والمراثى كثيرةٌ كما وصفنا، وإنما نكتبُ منها المختارَ والنادرَ والمتَمَثَّلَ به السائرَ.

***

فمن مَليح ما قيلَ قولُ رجلٍ يرثى أباه:

[قال أبو الحسن: يقال إنه (2) لأبى العَتَاهِيَة)

قَلْبِ يا قَلْبِ أَوْجَعَكْ ... مَا تَعَدَّى فَضَعْضَعَكْ

يَا أبى ضَمَّكَ الثَّرى ... وَطَوَى المَوتُ أَجْمَعَكْ

ليتَنى يومَ مُتَّ صِرْ ... تُ إلى حُفْرَةٍ معكْ (3)

رَحِمَ الله مَصْرَعَك ... بَرَّدَ الله مَضْجَعَكْ

***

(1) ر: «موضع».

(2) ر: «يقال إنه ابن لأبى العتاهية».

(3) ر: «تربة معك».

وقال إبرهيم بنُ المهدىِّ يرثى ابنَه، وكان مات بالبصرة:

نَأى آخِرَ الأيامِ عنك حَبيبُ ... فلِلعَينِ سَحٌّ دائمٌ وغُروبُ[1]
دَعَتَهُ نَوًى لاَ يُرتَجى أَوْبَةٌ لها ... فَقلبُكَ مسلوبٌ وأنتَ كئيبُ
يَؤُوبُ إلى أَوْطانهِ كلُّ غائبٍ ... وأحمدُ فى الغُيابُ ليسَ يَؤُوبُ
تَبَدَّل دَارًا غيرَ دَارى وجِيرَةً ... سِوَاىَ، وأحداث الزمان تَنوبُ
أَقام بها مُستَوْطنًا غيرَ أنَّه ... على طول أيَّامِ المُقامِ غَريبُ
كأن لم يكن كالغُصن فِى مَيعَةِ الضحى ... سَقَاهُ النَّدى فاهْتَزَّ وهْو رَطيبُ[2]
كأن لمْ يكُن كالدُّر يَلمَعُ نُورُهُ ... بأصدافِه لمَّا تشِنْهُ ثقُوبُ
كأن لم يكن زيْن الفِناءِ ومعقل النساءِ ... إذا يومٌ يكونُ عَصيبُ
ورَيْحَانَ صَدْرى كانَ حين أَشُمُّهُ ... ومُؤنِسَ قَصْرى كان حينَ أغِيب
وكانت يَدى مَلأَى به ثم أصبحتْ ... بحمد إلهى وهْىَ منه سَليبُ
قليلاً من الأيَّام لم يَرْوَ ناظِرِى ... بها منه حتى أعلقَتْهُ شَعوبُ[3]
كَظلٍّ سَحَابٍ لم يقُم غيرَ ساعةٍ ... إلى أن أطَاحَتْهُ فطَاحَ جَنُوبُ
أوِ الشمس لَمَّا منْ غمام تَحَسَّرتْ ... مَساءً وقد ولّتْ وحان غُروبُ
سَأبكيك ما أَبقَتْ دموعى والبكا ... بعينىَّ ماءً يا بُنَىَّ يُجيبُ
وما غار نجمٌ أَوْ تَغَنَّتْ حمامةٌ ... أو اخضَرَّ فى فرْعِ الأَرَاكِ قضيبُ
حياتِى ما دامت حَياتى فإنْ أمُتْ ... ثَويتُ وفى قلبى عليكَ ندوبُ
وأُضْمِرُ إنْ أنفذْتُ دَمعى لَوْعَةً ... عليك لها تحتَ الضُّلوع وَجيبُ
دَعَوتُ أَطِباءَ العراقِ فلم يُصِبْ ... دَوَاءَكَ منهم فى البلاد طَبيبُ

---

(١) السح: الصب، وغروب: جمع غرب وهو الدمع حين يجرى
(٢) ميعة كل شىء: أوله؛ أى فى أول شبابه.
(٣) شعوب: اسم للموت.

ولم يَمْلك الآسُونَ دفعًا لِمُهجَةٍ	عليها لأشراكِ المَنُون رَقِيبُ
قَصَمْتَ جَنَاحِي بعدَ ما هد مَنْكبي	أَخُوكَ، فَرأسي قد علاه مَشِيبُ
فأصبَحْتُ في الهلاَّكِ إلاَ حُشاشةً	تُذابُ بنار الحُزنِ فَهْي تَذوبُ
تَوَلَيتُما في حِقْبَةٍ فَتَركْتُمَا	صَدى يَتَولى تَارَةَ ويَثُوبُ
فلا مَيْتَ إلاّ دونَ رُزْئكَ رُزْؤُه	ولو فُتِّتتْ حُزنًا عليه قلوبُ
وإني وإنْ قُدمْتَ قبْلي لَعالمٌ	بأنِّي وإنْ أبْطأتُ منكَ قَريبُ
وإنَّ صباحًا نلتقي في مَسائِه	صباحٌ إلى قلبي الغداة حَبيب

***

وقال أبو عبد الرحمن العُتْبي وتَتَابَعَ له بنُونَ:

كَلَّ لساني عن وصفِ ما أَجِد	وذُقْت ثُكلاً ما ذاقه أحَدٌ
وأُوطِنَتْ حُرْقَةٌ حَشايَ فقد	ذاب عليها الفُؤادُ والكبد
ما عَالَج الحُزْنَ والحرارةَ في	الأحشاء من لم يَمتُ له ولَدُ
فجعتُ باثنين ليس بينهما	إلاَ لَيالٍ ليستْ لها عَدَدُ
فَكلُّ حُزنٍ يَبْلَى عَلى قِدمِ الدّ	هْر وحزني يُجِدّه الأبدُ

***

وذكر بعضُ الرواة أن عُبَيْدَ الله بن العباس بن عبد المطلب - وكان عاملاً لعليّ بن أبي طالب على اليمن، فَشخَص إلى عليّ، واستخلفَ على اليمن عمَرو ابن أرَاكةَ الثّقَفيّ، فَوَجَّهُ معاوية إلى اليمن ونواحيها بُسرَ بن أَرْطاةَ، أحدَ بني عامر ابن لؤَيٍّ، فَقَتلَ عَمرو بن أَرَاكةَّ، فَجَزعَ عليه عبد الله أخوه جَزَعًا شديدًا، فقال أبوه:

لَعمرِي لَئنْ أَتبْعت عينيك مَا مَضى	به الدهرُ أو ساق الحِمامُ إلى القبرِ
لَتسْتَنفَدِنْ ماءَ الشؤُونِ بِأَسْرِه	ولو كنتَ تَمريهن من ثبَجِ البحرِ

لعمـرى لقد أَرْدى ابنُ أرطأة فـارسًا بصَنَعَـاءَ كـالليث الهِـزَبْر أبى أَجْـر

وقلتُ لعـبـد الله إذْ حَنَّ باكـيًّـا تَعَـزَّ، ومـاءُ العين مُنهـمِـرٌ يَجـرى

تَبَـيَّن فـإنَ كـان البُكـا ردَّ هالكًا على أهله فـاشْدُدْ بكَاَك على عـمرو

ولا تَبَكِ مَـيْـتًا بـعـد مَـيْتٍ أَجَنَّهُ علـيٌّ وعـبـاسٌ وآلُ أبى بَـكر

قـوله: «من ثَبَج البحـر» فثَـبَجُ كلٍّ شيءٍ وَسَطُهُ، ويروى فى الحـديث[١]: «كنت إذا فاتحـتُ الزُّهرِىَّ فَتَحْتَ مـنه ثَبَجَ البحـرِ»، وقوله: «تَمْريهـنَّ» هو مَثَلٌ، يقال: «مَرَبتُ الناقَةَ» إذا مسحتَ ضَرْعَهـا لتدرَّ، فإنَّما هو استخراج اللبن، ويقال: «مَـرَيْتُ برجلى الأرض»، إذا مسـحـتهـا، والأصل ذلك، فـإنما أراد، ولو كنت تستخرجُ الدموعَ من ثبجِ البحر.

***

وكان بُسْرُ بن أَرْطأَةَ فى تلك الحروب أُرْشِدَ عَلى ابنينِ لعـبيد الله بن العباس ابن عبـد المطلب، وهمـا طفلانِ وأمُـهما من بـنى الحارث بن كـعب، فوَارتهـما الحارثية، فيقال إنه أخذهما من تحت ذَيْلِهَا فقتلهما، ففى ذلك تقول الحارِثَّيةُ:

ألا مَـنْ بَيَّـنَ الأَخَـويْـنِ أمُّـهـمـا هِـى الثَّكْـلى

تسَـائِلُ مَـنْ رأى ابنيـهـا وتَسْـتـبـغى فَـمـا تُبْـغَى

***

وفى ذلك تقول أيضا:

يا مَنْ أَحَسَّ بُـنَيَّ اللذينِ همـا كالدرَّتين تَشظى عنهما الصَّدَف[٢]

يا من أَحَسَ بُـنَيَّ اللذَينِ همـا سمعِى وطَرْفى فطَرْفى اليـومَ مُخْتَطَفُ

(١) قال المرصفى: «الصواب ما ذكره ابن الأثير فى نهايـته، قال: «وفى حديث أم حرام قوم يركبون ثبج هذا البحر»، أى معظـمه ووسطه، ومنه حديث الزهرى: كنت إذا فاتحت عروة بن الزبير فـتقت به ثبج بحر» يريد غزارة علمه وفهمه».

(٢) تشظى: تشقق وتفرق شظايا.

يا مـن أَحَسَّ بُنيَّـىَّ اللذيـن همـــا مُخُّ العِظام فَـمُخِّى اليـومَ مُزدَهَفُ[1]
نُبِّئْتُ بُسْرا، وما صَـدَّقْتُ مَا زعموا مِن قولهم ومِنَ الإفْكِ الذى اقْـتَرَفُوا
أَنْحى علـى وَدَجى طِفلى مُـرْهَـفَـةً مَـشحـوذةً، وعظيمُ الإفْكِ يُقْتَـرَفُ
مَنْ دلّ وَالهـة حَـرّى مُـــفـجَـعّـةً على صبـيَّين غابا إذْ مَـضى السَّلَفُ

***

ويُروى أن معاوية لَمَّا أتاه موتُ عُتْبَةَ تَمَثَّلَ:

إذا سار مَنْ خَلْفِ امـرِئ وأَمامَهُ وأوحِشَ من أصحـابه فهـو سائرُ

فلما أتاه موتُ زيادٍ تمَثّل:

وأُفرِدْتُ سَهْـمًا فى الكنانة واحدًا سيُرمى به أو يَكْسِـرُ السَّهمَ كاسِرُ

***

وماتت امرأةٌ للفــرزدق بِجُمْعٍ - ومعنى «جُمْعٍ» وَلَدُها فى بـطنها وإن شئت قلتَ: «جِمْعٌ» يا فتى، فقال الفرزدق:

وجفن سِـلاح قد رُزِئتُ فلم أَنُحْ عليـه ولم أَبْعَثْ عليـه البَـواكيَـا
وفى جوفـه من دارمٍ ذو حَفـيظةٍ لوَ انَّ المَنَـايا أنسَـأْتهُ لَيَـاليــا!

وهذا من البَغْى فى الحكم والتقدم.

***

وقال رجلٌ من المُحـدثينَ فى ابنين لعبـد الله بن طاهر أصيبـا فى يومٍ واحدٍ وهما طفلان شَـبيهًا بهذا، ولكنه اعـتذر فَحَسُنَ قولهُ وصحّ مـعناه باعتذاره، وهو الطائى:

لَهفى على تلك الشـواهد فيهـما لو أمـهلَت حتـى تكونَ شَمـائلا

(١) مزدحف: أصيب به .

إن الهــــلالَ إذا رأيــتَ نُمُــــوَّهُ أيقنتَ أنْ ســيكونُ بَدْرًا كـامـلاً

[الفرزدق يرثى حدراء الشيبانية]

وقال الفرزدق يرثى حَدراء الشيْبانية:

يقــول ابن صفــوان بكيتَ ولم تكُن على امــرأةٍ عَـيْنى إخـالُ لِتـدمَـعَـا
يقولــون زر حَدْراءَ، والتربُ دونَـهَا وكـيفَ بشـئ عَـهْـدُهُ قـد تَقَـطعَـا
ولَسْـتُ وإنْ عــــزَّتْ عَـلىَّ بـزائرٍ ترابًا على مَرْمُـوسةٍ قد تَضعضَعا(1)
وأهونُ مَــفْــقــودٍ إذا المـوتُ نالهُ على المَرءِ من أصـحـابـه مَنْ تَقَنعَـا
ومـا مـاتَ عندَ ابنِ المراغـةِ مـثلُهـا ولاَ تَبــعَــتْــهُ ظاعـِنًا يوم وَدَّعــا

[لجرير يرثى امرأته]

وقال جرير يرثى امرأته:

لولا الحَـياء لَهَـاجنى اسْـتِـعبَـارُ ولزُرتُ قـبْـركِ والحـبـيبُ يُزارُ
نِعْمَ الخَلـيلُ وكنت عِلْق مَـضِنَّة ولَدَى مـنكِ سَـكِينـةٌ ووَقــــارُ
لن يُلْبِث الـقـرَنَاءُ أن يَتَـفـرَّقـوا ليـلٌ يكُرُّ عـليــهمُ ونــهـــارُ
صلىّ الملائـكةُ الذين تُخُـيِّـرُوا والصــالحــون علـيكِ والأبرارُ
أفـأمَّ حـزْرَةَ يا فــرزدقُ عِـبـتُمْ غَـضبَ المَليكُ عليكمُ الجَـبَّـارُ(2)

[الرجل من خزاعة يرثى عمر بن عبد العزيز]

وقال رجــلٌ من خزاعــة - وينحله كَثـيِّرٌ - يرثى عـمرَ بن عـبد العـزيز بن مَرْوان:

[(3) قال أبو الحسن: الشعرُ لقُطْرب النحوىّ، وهو الذى صَحَّ عنه (3)].

---

(1) المرموسة: يقال رمس الميت يرمسه، إذا دفنه.

(2) حزرة، هو ابن جرير.

(3-3) ر: «قال أبو الحسن: الذى صح عندنا أن هذا الشعر لقطرب النحوي».

أمَّـا القـبـورُ فـإنـهنَّ أَوَانسٌ | بِجـوارِ قـبـرِكَ والديارُ قُـبـورُ
جلّتْ رَزِيئَتُهُ فَعَمَّ مُصابُهُ | فالناسُ فيه كُلُّهُم مأجورُ
والناسُ مَأْتَمُهُمْ عليه واحدٌ | فى كلِّ دارٍ رنَّة وزَفيرُ
رَدَّت صنائعه إليه حَياتَهُ | فكأنَّه من نَشرها مَنْشورُ
يُثْنِى عليك لسانُ مَنْ لم تولِهِ | خيراً لأنك بالثَّناء جديرُ

***

ومثله قولُ عُمارَةَ يمدح خالد بن يزيد بن مَزْيد:

أَرَى الناسَ طُرًّا حامدينَ لخالدٍ | وما كُلُّهم أَفَضْتْ إليه صَنائعُهْ
ولن يَتْرُكَ الأقوامُ أن يمدحوا الفتى | إذا كَرُمَتْ أخلاقُه وطَبائعُهْ
فتًى أَمْعَنَت ضَرَّاؤُهُ فى عدوِّه | وخَصَّتْ وعَمَّتْ فى الصديق منافعهْ

ومن قوله:

* والناسُ مَأْتمهم عليه واحدٌ *

أخَذَ الطائى فى مَرْثِيَته:

لئن أُبْغِضَ الدهرُ الخَؤُونُ لفقده | لعهدى به حَيًّا يُحَبُّ به الدَّهرُ
لئن عَظَمتُ فيه مُصيبةُ طيئٍ | لَمَا عَرِيَتْ منها تميمٌ ولا بَكرُ

وقال القرشى:

قد كنت أبكى على مَن كان(١) من سَلَفِى | وأهلُ وُدِى جميعٌ غيرُ أشتاتِ
فاليوم إذ فَرَّقَتْ بينى وبينَهمُ | نَوًى بكَيْتُ على أهل المروءاتِ
وما بقاءُ امرئٍ كانت مَدامعُهُ | مقسومةً بين أحياء وأمواتِ!

---

(١) ر: «من فات».

[ما تمثل به على بن أبى طالب عند قبر فاطمة]

ويُروى أنَّ علىَّ بن أبى طالب رضوانُ الله عليه تمثل عند قبـر فاطمةَ رحمها الله .

[لِكُل اجتـماعٍ من خليطين فُـرقَةٌ وإنّ الذى دُونَ الفِـراقِ قَليلُ] (١)
وإنّ افتـقادِى واحـدًا بعـد واحدٍ دلـيلٌ عـلـى ألا يـدومَ خلـيـلُ

[العقيل بن علقة يرثى ابنه]

وقال عُقيل بن عَلَقةَ المرِّىُّ، من غطَفَانَ:

لَعَمْرى لقد جاءَتْ قوافلُ خَبَّرَتْ بأمـــر من الدنـيـا عـلىَّ ثقـيـل
وقـالوا ألاَ تَبْكـى لمصْرع هالكٍ أصاب سـبيل الله خـيرَ سَـبيلِ!
كـأنَّ المَنايا تبْـتَـغِى فى خِـيـارِنَا لَهــا تِـرَةً أو تهــتـــدِى بـدليل
لتَـأْتِ المنايا حيثُ شـاءَتْ فإنهـا مُـحَلَّلَةٌ بعـدَ الفَـتى ابن عَـقِـيل
فـتى كـان مـولاها يحلُّ بِنَجْـوةٍ فَــحَلَّ المَوَالـىِ بعــدَه بمســيل

[ما تمثلت به عائشة على قبر أخيها]

وتمثلت عائشةُ رحمها الله عندَ قبـر عبد الرحمن بن أبى بكر بقول مُتَمِّم بن نُوَيْرَةَ:

وكُنا كَنَدْمَـانَـى جَـذِيمَةَ حـقْـبَـةً من الدهر حتى قيلَ لن يَتَـصَدَّعا
وعـشْنا بخيـرٍ فى الحـياة وقَـبْلنا أصَابَ المنايا رَهْـط كِسْرى وتُبـعَا
فلمَّـــا تفـرقنـا كـأنِّى ومـــالكا لطُولِ اجتـماعٍ لم نَبتْ ليلةً مَـعَا

***

ومات صَدِيقٌ لسليمانَ بن عبد الملك، يقال له شراَحِيلُ، فتمَّثلَ عندَ قبرِه:

وهَوَّنَ وجْدى عن شـراَحِيلَ أَنَنى إذا شئتُ لاقيتُ امْرأ مات صاحبُهْ

(١) البيت من زيادات ر.

[الأعرابي]

وقال أعرابيٌّ:

ألا لَهْفَ الأَرَامـلِ واليَــتَــامى ... ولهف البـاكِـيـاتِ على قُـصَىٍّ!

لَعَـمرُكَ مَا خـشِيتُ على قُـصىٍّ ... مَـتَـالِفَ بين حـجـر والسُّلى [1]

ولكِنى خَـشـيتُ علـى قُـصىٍّ ... جَـريرَةَ رُمْـحِـه فـى كل حَىِّ

فَـتى الفِـتْـيـانِ مُـحلَوْلٍ مُـمـرٌّ ... وأَمَّـــارٍ بإرشـــادٍ وغَىٍّ [2]

فهذا من أجـفى أشعار العرب، ينبئ صاحـبُه أنَّ تقديره فى المرثى أن تكون منيَّتُه قتلا، ويتأسَّفُ من موته حَتْفَ أنفه، ويقول فى مدحه:

* وأمّار بإرشاد وغَىّ *

[خبر عامر بن الطفيل وأربد أخى لبيد]

وشبيهُ بهـذا قول لبيد فى أخيه أربد، لـمَّا أصابته الصاعقـة وأصابت عامرًا الغُدَّةَ[3] بدعوة رسـول الله ﷺ، وكان عامرُ قد قـدم إلى رسول الله ﷺ [4] ومعه أرْبدُ، فقال لأربد: أنا أشْـغَلُهُ لكَ واضربهُ أنت بالسيف من ورائه، فـدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام على أن يجعل له أعـنَّةَ الخيل، فقال عامـر: ومن يمنعها منى اليوم! ولكن إن شئت فَلَكَ المَدَرُ ولى الوبَرُ، أوْ لىَ المَدَرُ ولك الْوبَرُ . فأعرض عنه رسول الله ﷺ، فقـال: فاجعل لى هذا الأمرَ بعدكَ، فـأعلمه النبىُّ أنَّ ذلك ليس بكائنٍ، قال: فأبْشرْ بخيل أوَّلُها عندكَ وآخرُها عندى، فقال رسولُ الله ﷺ: «يأبى الله ذلكَ وابنا قيْلَةَ»- يعنى الأوْس والخَزْرَج.

ويُروى أنَّ سعدَ بن عُـبادَةَ قال: يا رسول الله، عَـلامَ يَسْحَبُ هذا الأعرابى لسانَه عليكَ! دَعْنى أَقْتُلْهُ.

ويُروى أن عامرا قـال للنبى عليه السلام: لأَغزُوَنَّكَ عـلى ألف أَشْقَرَ وألف شْقراءَ، فلما قال، قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إكـفِنيهما». وتَروى قَيسٌ أنه قال:

(١) حجرة: موضع باليمامة، والسلى: واد بها أيضًا.

(٢) ممر من أمر الشيء، ضد حلا ٥.

(٣) الغدة: طاعون الإبل.

(٤) ر: «وكان عامر بن الطفيل صار إلى رسول الله ﷺ».

«اللهم إن لم تَهْد عامراً فاكفنيه»، وقال عامرٌ لأربَد: قد شغلته عنك مراراً فألا ضربتَهُ! قال أربدُ: أردتُ ذلك مرتين فاعترض لى فى إحداهما حائطٌ من حديد، ثم رأيتُكَ الثانيةَ بينى وبينه، أفأقتلك! فلم يصل واحد منهما إلى منزله، أمَّا عامرٌ فغُدّ فى ديار بنى سَلول بن صعصعَةَ، فجعلَ يقول: أَغدّة كغُدَة البعير، وموتا فى بيت سَلُوليَةٍ! وأمَّا أربَدُ فارتفعت له سحابة فرَمَتْهُ بصاعقَةٍ فأحرَقَتْهُ، وكان أخا لبيدٍ لأمه، فقال يرثيه:

أخشى على أَرْبَدَ الحُتُوفَ ولا ... أَرْهَبُ نَوْءَ السِّماك والأسَدِ
ما إن تُعَرى المَنُونُ من أحدٍ ... لا والدٍ مُشفِقٍ ولا وَلَدِ
فَجَّعَنِى الرَّعدُ والصواعقُ بالفار ... س يومَ الكريهَة النَّجُدِ (١)
يا عَيْنُ هَلاّ بَكَيْتِ أَرْبَدَ إذ ... قمْنا وقام العَدوُّ فى كَبَدِ (٢)

وقال أيضاً:

ذهبَ الذين يُعاشُ فى أكنافهمْ ... وبَقيت فى خَلَفٍ كَجِلْدِ الأجْرَبِ
يتحدَّثون مَخَانَةً ومَلاذَةً ... ويُعاب قائلهم وإن لم يَشْغَبِ
يَا أَرْبَدَ الخيرِ الكريمَ جُدُودُهُ ... غادرتَنى أَمْشى بقرْن أَعْضَبِ
إنَّ الرَّزيئةَ لا رزيئةَ مثلها ... فِقدانُ كلِّ أَخٍ كَضوْءِ الكَوْكَبِ

قوله: «فى خلف» يقال: هو خَلَفُ فلانٍ لمن يَخْلُفُهُ من رهطه، وهؤلاء خَلْفُ فُلان، إذا قاموا مَقامه من غير أهله، وقلما يستعمل «خَلْفٌ» إلاَّ فى الشرّ، وأصلُه ما ذكرنا، والمخَانة: مصدرٌ من الخيانة، والمَلوذ: الذى لا يَصْدُقُ فى مودَّته، يقال: رجال مَلوذ ومَلَذَانٌ، ومَلاذةٌ مصدرهُ، والأعضَبُ: المقطوعُ، وفى الحديث: «لا يُضحى بعَضْباءَ».

ويُروى أن رجلا قال لِمَعْنِ بن زائدة فى مرضه: لولا ما مَنَّ الله به من بقائكَ، لكُنَّا كما قال لَبيد:

---

(١) النجد: البطل الشجاع .

(٢) الكبد: الجهد والمشقة.

ذهب الذيـن يُعـــاش فى أكنـافـــهم   وبقـــيتُ فى خَلْفٍ كـــجِلْدِ الأجْـــربِ

فقـال له مَعْنٌ: إنما تَذكُرُ أنى سُـدْتُ حين ذهبَ الناسُ، هلا قلتَ كمـا قال نهارُ بن تَوْسِعَةَ:

قَلَّـدَتْهُ عُــــــرَى الأُمـــــور نِـزارٌ   قـــبلَ أن تـهلكَ السَّــرَاةُ الـبُـــحــورُ

ثم نَرجِع إلى ذكر المراثى:

[الأعرابى]

وقال أعرابى:

لعــمــرى لقـد نادَى بأرفـعِ صـوته   نَعـىُّ حُـنَـيى أن سـيِّـــدكم هَوَى

أَجَل صـادِقًـا والقـائل الفـاعلُ الذى   إذا قـال قـــولاً أَنْبَط الماءَ فى الـثَّـرى(١)

فـتى قَـــبَلٌ لم تعنس السِّن وَجْــهـهُ   سِوَى وَضَح فى الرأسِ كـالبَرقِ فى الدُّجَى(٢)

أشـارتْ له الحـربُ العَوَانُ فـجـاءها   يُقَـــعـــقعُ بالأقـــرابِ أوَّلَ مَنْ أَتَى(٣)

ولم يَـجْنهـــا لكنْ جَـناها وَلِيُّـــهُ   فـــآسى وآداهُ فـكان كَـــمن جَـنَى(٤)

[صدار الخنساء]

ويُروى أنَّ عائشة رضى الله عنها نظرتْ إلى الخنْســاء وعليها صِدَارٌ(٥) مــن شَعَرٍ، فقالت: يا خنساء، أَتَلبسينَ الصِّدارَ وقد نَهَى رسولُ الله ﷺ عنه ! فقالت:

---

(١) أنبط الماء فى الثرى، قال المرصـفى: «مثل لإنجاز ذلك الوعد، وإنبـاط الماء استخراجه كـاستنباطه» واسم ذلك الماء النبط، بالتحريك.

(٢) قيل، قـال المرصفى: «هو فى الأصـل أن يرى الهلال ساعـة يطلع من غيـر أن يتطلب لوضوحـه؛ يريد أنه حين يبدو واضح الوجـه ظاهره، ولم تعنس السن وجهه؛ أى لم تحوله إلى الكبـر، والوضح: بياض الشيب.

(٣) القعـقعة: اضطراب السلاح بعـضه ببعض، والأقراب: جـمع قرب بسكون الراء وضمهـا، يريد أقراب الخيل.

(٤ آداه: أعانه

رجلا متْلافًـا فأَخْفَقَ (١)، فأراد أن يســافرَ، فـقلت له: أقم وأنا آتى أخى صَـخرًا فأسألُهُ، فأتيته فشاطرَنى مالهُ فـأتلفه زوجى، فَعُدَتُ له فعَادَ لى بمثل ذلك، فأتلفه زوجى، فعدتُ له. فلمـا كان فى الثالثة أو الرابعـة، قالت له امرأة: إن هذا المال مُتلَفٌ، فامنَحهْا شرَارَها، فقال صخرٌ:

والله لا أمْنحُـــهـــا شِـــرارَها ولو هَلَكتُ خَـرَّقَتْ خِـمَـارَها

واتخذت من شَعَرٍ صِدارَها

فلما هلكَ اتخذتُ هذا الصِّدارَ، وكان صخرٌ أخَا الخنساء لأبيها فقط.

ويُروى عن بعض نساء بنى سُلَيْم أنها نظرتْ إليها فى صِدار وهى تَصنع طيبًا لابنتـها لتَنقلَهـا إلى زوجها، فَـقاولَتْـهَا فى شىء كـرهَتْه الخنسـاء، فقالـت لها: اسكتى، فوالله لقد كنتُ أبسطَ منك عَرْفًا (٢)، وأَطيب منكِ وَرْسًا، وأَحسنَ منك عُرْسًا، وأَرَقَّ منكِ نَعْلاً، وأكرمَ منكَ بَعْلاً.

وكان بَشَارٌ يقول: لـم تُقل امرأةٌ شعـرًا قَط إلا تبينَ الضعفُ فيه، فقيل له: أوَ كذلكَ الخنساء! فقال: تلك كان لها أربعٌ خصىً.

[لبعض القرشيين يرثى أخاه]

وقال القرشى - وتَتَابَع لَهُ بَنونَ:

أَسُكانَ بَطَنِ الأرضِ لو يُقبلُ الفدا فُديتُم وأَعْطينا بكم ساكنى الظَّهرِ
فيا ليت مَن فيها عليها ولَيتَ مَن عليها ثَوى فيها مـقيما إلى الحشر
فماتُوا كأنْ لم يَعْرف الموتُ غيرَهم فَثكل على ثـكل وقبرٌ على قـبر
لقد شَـمت الأعداءُ بى وتَغَـيَّرتْ عُيونٌ أَراها بعـد موتِ أبى عَمْرو
تَجَـرَّى عـلَىَّ الدَّهر لَمَّا فَـقَـدتُهُ ولو كان حيًّـا لاجترأت على الدهْر
وقـاسَـمنى دهرى بَنِىَّ مُـشـاطرًا فلمّا تَوفى شَطْرَهُ مالَ فى شَطْرى(٣)

(٦) أخفق: ذهب ماله.

(١) العرق. الرائحة.

(٢) توفى أى استوفى، وشطر الشيء: نصفه.

[لآخر يرثى أبناءه أيضًا]

وحدثنى العباسُ بن الفَرَجِ الرّياشيِ قال: قَدَم رجلٌ من البادية، فلما صارَ بِجَبَل سَنَامٍ مات له بنونَ، فدفنهم هناك، وقال:

دفَنْتُ الدافعين الضَّيْمَ عَنِّى ۝ برابيةٍ مُجاورةَ سَنَاما
أقولُ إذاذ كرتُ العَهْد منهمْ ۝ بنفسى تلك أصْداءً وهاما
فلم أرَ مثلَهم ماتوا جميعًا ۝ ولم أرَ مثل هذا العامِ عاما

***

[قال أبو الحسن الأخفشُ: وفيها عن غير أبى العباس:

فَلَيْتَ حِمَامَهُم إذْ فارقونى ۝ تلَقَّانَا فكانَ لنا حِمامًا]

[للحارث بن عبد الله الباهلى يرثى أبناءه]

قال أبو العباس: ويُروى أنَّ رجلاً كان له بنونَ سبعةٌ - يَرْوى ذلك أبوالحسن المَدَائنى - قال أبو العباس: فاختُلفَ علىَّ فيهم، فقال قوم: كانوا تحت حائط، وقال قومٌ آخرون: بل حُلبَ لهم فى علبةٍ فمجَّ فيها أفعى فبُعثَ بها إليهم فشربوها فماتوا جميعًا.

والرجلُ يقالُ له الحارثُ بن عبد الله الباهلى، وهَلَكت لجارٍ له شاة فجعَلَ يُعلنْ بالبكاء عليها، فقال قائلٌ:

يأيُّها الباكِى على شَاتِهِ ۝ يَبْكى جِهَارًا غيرَ إسَرارِ
إنّ الرَّزيئاتِ وأمثالَها ۝ مَا بقِى الحارثُ فى الدَّار
دَعَا بنى مَعْنٍ وإخوانهم ۝ فكلهم يَغْدوُ بِمحْفارِ

***

قال أبو العباس: والمصائب ما عَظُم منها وما صَغُرَ تقع على ضربين، فالحزْمُ التَّسَلى عمَّا لا يُغنى الغَمّ فيه، والاحتيال لدفعِ ما يُدْفَعُ بالحِيلة.

ومنْ أَحْسَنِ القولِ فى هذا المعْنَى فى الإسلام، قولُ على بن الحسين بن علىّ ابن أبى طالب عليهم السلام، حينَ مات ابنهُ فلم يُرَ منه جَزَعٌ، فَسئُلَ عن ذلك، فقال: أَمْرٌ كُنا نتوقعه، فلما وَقَع لم نُنْكرهُ، وفى هذا زيادة تُنتَظَرُ، وفضْلُ تسليم لقضاء الله عز وجل.

والعربُ تقولُ: الحَذرُ أشدّ من الوَقِيعَة. وقال رجلٌ من الحكماء: إنما الجَزَعُ والإشْفاق قبل وقوع الأمر، فإذا وقع فالرضا والتسليم.

ومن هذا قولُ عمرَ بن عبد العزيز رحمه الله: إذا استأثر الله بشىء فَالْهَ عنه. يقال: لَهِيتُ عن الأمر أَلْهَى؛ إذا أضربت عنه، ولهَوتُ أَلْهُوا، من اللعب.

[لأوس بن حجر يرثى فضالة بن شريك]

ومن أقْدَمِ ما قيلَ فى هذا المعنى قولُ أوْس بن حجرٍ الأَسَيْدىّ، من بنى أُسَيِّدِ ابن عمروْ بن تَميم، يرثى فضالةَ بنَ كَلَدَة، أحدَ بنى أَسَدِ بنْ خزيمَة:

أيتُها النفسُ أَجْمِلِى جَزَعَا ... إن الذى تَحْذرينَ قد وَقَعَا
إن الذى جَمَعَ السَّماحَـ ... ـة والنَّجدة والحَزْم والقُوى جُمعَا
[أَوْدى فَمَا تَنْفعُ الإشَاحةُ من ... شَىْء لِمَن قد يُحَاوِلُ البِدَعَا] (١)
الألمعى الذى يظن بكَ الظَّنَّ ... كأنْ قد رأَى وقد سَمِعَا
المُخلفُ المُتْلِفُ المُرزأ لَمْ ... يُمْتَعُ بِضَعْفٍ ولم يَمُتْ طَبَعَا
والحافظ الناسَ فى تَحُوطَ إذا ... لم يُرسلوا خَلْفَ عائذٍ رُبَعَا
وعَزَّت الشَّمْألُ الرياحَ وقد ... أَمْسَى كَميعُ الفتاة مُلْتَفِعَا
وشُبِّه الهَيْدَبُ السّبامُ منَ الأقوامِ ... سَقْبا مُلبَّسًا فَرعًا
وكانت الكاعبُ المُنَّعةُ الحَسْنَاءُ ... في زادِ أهلها سُبُعا
لِيبكِكَ الشَّرْبُ والمُدامةُ والفتيانُ ... طرًّا وطامعٌ طمعَا
وذاتُ هِدْمٍ عارٍ نواشِرُهَا ... تَصمِتُ بالماء تَوْلبا جَدِعَا

---

(١) البيت من زيادات ر.

وفيها زيادةٌ لكنَّا اخترْنَا.

قوله: «الألمعى» الحـديدُ اللسانِ والقلبِ، وقد أبانـهَ بقوله: «الذى يَظُنُّ بك الظَّنَّ كأن قدْ رأى وقد سَمِعَا».

وقوله: «المخـلِفُ المتلفُ» أراد أنه يُتْلِفُ ماله كـرَمًا ويُخْلفـهُ نَجَدَة، . كـما قال[1]:

ناقَــتُــه تُرقِلُ فـى النِّقـــالِ[1] مُـتْـلِفُ مَـالٍ ومُـــفِـيـــد مـالِ

وقال آخر:

* فأتلف ذاكَ متْلافٌ كَسُوبُ*

والمُرَزَّأُ: الذى تنالهُ الرَّزيئـاتُ فى ماله لما يُعطى ويُسـألُ، والإمتاعُ: الإقـامة فيقول: لم يُقِمْ وهو ضعيفٌ.

والطَّبع: أَسوأ الطَّمَع، وأصلُه أن القلْبَ يعتادُ الْخَلَّةَ الدنيئـةَ فتركبه كالحائل بينه وبين الفهمِ لقُـبْح ما يَظهر منه، وهذا مـثلٌ، وأصلُه فى السيف وما أشبـهه، يقال: طَبِعَ السَّيـفُ، إذا ركبه صَدأ يَستـرُ حَدَيدَهُ، و﴿طَـبَعَ الله على قُلوبهِمْ﴾[2] مِنْ ذا.

وتحُوط وقَحُوطُ: اسمان للسَّنَةِ الجَدبةِ، كما يقال: جَحْرَةٌ وكَحْلٌ.

وقوله:

لم يُرْسِلُوا خَلفَ عائذ رُبعَا

فالعائذ الحديثـة النتاجُ، والرُّبع: الذى يُنَتَجُ فى الربيعِ، ومن شأْنِهم فِى سَنَةِ الجَدْبِ أن يَنحرُوا الفِصَالَ، لئلاّ ترْضَعَ فَتَضرُّ بالأُمَّهات.

وقوله: «وعَـزَّتِ الشمْأَلُ الرِّياحَ»، يـقول: غَلَبَتْـها، وتلك علامـةَ الجَدْبِ،

(١) النقال: وانظر رغبه الأمل.

الإرقال: ضرب من المشى، والنقال: الحجارة.

(٢) سورة محمد ١٦.

وذَهابِ الأمطار، ومن ذلك قولُهم: «من عزَّ بَزّ» أى مَنْ غَلَبَ استَلَبَ، وفى القرآن: ﴿وعَزّنى فى الخطاب﴾ (١)، أى غَلَبَنى فى المخاطبة.

وقوله: «وقد أَمْسَى كَمِيعُ الفَتاةِ»، فالكميع الضجيعُ، وهو الكِمْعُ، قال الشاعر(٢):

ومشحوذ الغِرارِ يبيت كِمْعى

يعنى السَّيف، أى يَبيتُ مُضاجعى.

مُلْتَفعًا، يقال: تَلفَّعَ فى مُطرَفِه وفى كسائه، إذا تلَفَّفَ وتَزَمَّلَ فيه، فيقول: من شِدَّةِ الصِّرِّ يَلتفعُ به دون ضَجيعه.

والكاعبُ: التى كَعَبَ ثَدْيُها، يقول: تصيرُ: كالسَّبُعِ فى زادِ أهلها بعد أن كانت تعافُ طَيِّبَ الطعامِ.

وقوله: «وذاتُ هِدْمٍ» يعنى امرأة ضعيفة، والهِدْمُ: الكساء الخَلَقُ الرَّثُّ، وقوله: «عارٍ نواَشِرُها»، النواشرُ: عروقُ الساعد، والتَّوْلَبُ: الصغيرُ، والجدعُ: السيئ الغذاءَ، وهو الجَحنُ والقَتِينُ.

[الأعرابى]

وقال أعرابىٌّ (٣).

خَليلى عُوجَا باركَ الله فيكما ... على قبر أَهْبَانٍ سقَتْهُ الرَّوَاعِدُ
فَذَاكَ الفَتَى كلُّ الفتى كان بينه ... وبينَ المُزجَّى نَفنَفٌ مُتَباعِدُ (٤)
إذا نازع القومَ الأحاديث لم يكنْ ... عَيِيًّا ولا عِبئًا على مَنْ يُقاعِدُ

(١) سورة ص ٢٣.

(٢) فى ر: «الراجز»، والصواب ما أثبته من الأصل، والبيت من البحر الوافر.

(٣) نسبه أبو تمام فى (الحماسة ٢: ٩٧٧ - شرح المرزوقى) إلى امرأة من بنى أسد، ونقل المرصفى عن الأغانى أن الأبيات لهفان بن همام.

(٤) النفنف: المهواة بين الجبلين. .

[الليلى الأخيلية فى رثاء توبة]

وقالت ليلى الأخيَلِيَّة:

دعـا قـابضًـا والمُرْهَـفَـاتُ يَنُشْنهُ ... فَقُـبِّحْت مـدعواً ولَـبَّيكَ دَاعـيًا!

فَلَيت عُـبـيـدَ الله كـانَ مكانه ... صَرِيعًـا ولم أسمع لِتَوْبَةَ نَاعـيَا

وكان سببُ هذا الشعـر أنَّ تَوْبَةَ بن حُمَيْر العقَيلى ثم الخـفاجىَّ، غَزَا فغنم، ثم انصرف فعرّسَ [(١)] فى طريقه فـأمِنَ فقال [(٢)]، فَنَدَّت فرسُه، فـأحاط به عدوُّه، ومعه عبيدُ الله أخوه وقابضٌ مولاه، فدعاهمـا، فَذَبَّبَ عُبيدُ الله شيئًا وانهزَما وقُتِلَ توبةُ، ففى ذلك تقولُ ليلى الأخيلية:

أعينى ألاَ فابكى على ابن حُـمَيِّر ... بدمعٍ كَـفَيْضِ الجَـدْولِ المُتَـفَجِّـر

لِتَـبْك عليه مـن خَفَـاجة نِسـوَةٌ ... بماءِ شَـؤُونِ الـعَـبْـرَةِ المُتـحَـدِّرِ

سمـعن بِهَيْجًـا أزَحفَتْ فـذكَرْنَهُ ... وقد يَبعَثُ الأحـزان طولُ التَّذكرِ

كـأنَّ فَتى الـفِتْـيـانِ تَوْبَةَ لم يُنخ ... بِنَجـدٍ ولم يَطْلُع مع المَتـغَـورِ

ولم يـرد الماءَ السَّـدامَ إذَا بَدَا ... سَنَا الصُّبح فى أعـقاب أَخْضَـرَ مُدْبِرِ

ولم يَقدَعِ الخَصْمَ الألَدَّ ويَمْلأ الـ ... جفـانَ سَدِيفًا يومَ نكْبَاءَ صَـرْصرِ

ألاَ رُبَّ مكروبٍ أجبـت وخائفٍ ... أجَـرْتَ ومـعـروفٍ لديكَ ومُنْكر

فَيا تَوْبَ لْلمَولى ويَا تَوبَ للنَّدى ... ويَا تَوْبَ للمُـسـتنـبحِ الـمُـتَنَورِ

قولها:

* لِتبْكِ عليه من خفاجةَ نسوةٌ*

تعنى، خفاجة بن عقيل بن كَعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة، والهيجاء تُمد وتُقصر، وقد مَرّ هذا وقولها:

* بنَجدٍ ولم يَطلعْ مع المتَغَوّر*

(١) التعريس: نزول المسافر أى حين.

(٢) فقال: من القيلولة؛ وهى النوم نصف النهار.

فالنَّجْـدُ كلُّ ما أَشْـرفَ من الأرضِ، والغورُ كلُّ مـا انخفض، ويقـال: ماءٌ سِدَامٌ ومياهٌ سُدَمٌ، وهى القديمة المنْدفنة، قال الشاعرُ:

وعِلْمى بأسـدام المـيـاه فلم تَزَل قلائص تُحـدَى فى طريق طَلاَئح

وسَنَا الصـبح، ضَـوءُه، وهو مـقـصـورٌ، فـإذا أردتَ الحَـسَبَ مـددتَ. والأَخْضَـرُ: الذى ذكَرتْ الليل، والعـربُ تَسَمِّى الأسودَ أخـضَرَ، وقـولها: «ولم يَقْدَع الخَصْمَ الألَدَّ» فالألدُّ الشديد الخصام: والسَّديف: شِقق السَّنامِ.

والنَّكباءُ: الريحُ بين الرِّيحَيْنِ الشديدة الهُبوبِ.

والصَّرصـر: الشديدة الصّوت، والمُسْتَنْبِحُ: الذى يَسْـرِى فلا يَعْرفُ مـقصِدًا فَيَنْبحُ لتُجيبه الكِلابُ فيقصدَها.

والـمُتَنَوِّرُ: الذى يلتـمس ما يَلوح له من النارِ فيـقصده، قال الأخطل يعَـيّرُ جَريرًا:

قومٌ إذا استَنْبَحَ الأضـياف كَلْبَهُمُ قـالـوا لأُمِّـهِمُ بُولى عـلى النارِ

فيقال إن جريرا توجَّع من هذا البيتِ، وقـال: جَمَعَ بهذه الكلمة ضروبًا من الهجاء والشتم؛ منهـا البخلُ الفاحشُ، ومنها عقوقُ الأم فى ابتـذالها دونَ غيرها، ومنها تقذيرُ الفِنَاءِ، ومنها السَّوْءَة التى ذكرها من الوالدة.

وقال آخرُ:

وإنِّى لأَطوى البَطْنَ من دُونِ مِلئِهِ لِمُـخـتـبطٍ فى آخـر الليلِ نَابِحِ

وإنّ امتلاء البطنِ فـى حَسَبِ الفَتَى قليل الغَنَاءِ وهو فى الجسمِ صالحُ[1]

***

وقالت ليلى الأخيَلِّيَة:

نَظَـرْتُ ورُكنٌ مـن بوَانَـةَ دونَنَـا وأركانُ حِسْمى أىّ نَظْرَةِ ناظِرِ![2]

(١) الغناء: الإجزاء.

(٢) بوانة وحسمى: موضعان.

إلى الخيل أجلى شَأْوُها عن عَقِيرة لعاقِرها فيها عَقِيرةُ عاقِر
كأنَّ كأن فتى الفِتْيانِ تَوْبَةَ لَم يُنِخْ قلائصَ يَفْحَصْنَ الحَصَى بالكَراكِرِ
ولم يَبْنِ أَبْرَادًا رِقَاقًا لِفِتْيَةٍ كرامٍ ويَرْحَلْ قَبْلَ فيء الهَواجِرِ
فتى لا تخطاهُ الرِّفَاقُ ولاَ يَرَى لِقِدْرٍ صيالاً دونَ جارٍ مُجاوِرِ
وكنت إذا مَوْلاكَ خاف ظُلامةً دعاكَ ولم يَقْنع سِواكَ بناصرِ

قولها: «أي نَظرَة ناظرٍ»، يصلح فيه الرفعُ، والنصبُ على قوله: نظرتُ أيَّ نظرةٍ، وأيَّةَ نظرة، وأَيَّتَما نظرة، كما تقول: مررت برجلٍ أيِّما رجل، وتأويله: مررت برجل كامل. فأيما في موضع «كامل»، وتقول: مررت بزيد أيَّما رجلٍ، على الحال، ومن قال: «أيُّ نظرة ناظرٍ» فعلى القطع والابتداء، والمَخْرَجُ مَخْرَجُ استفهام، وتقديرُه: أيُّ نظرةٍ هي! كما تقول: سبحانَ الله، أي رجل زيدٌ! وهذا البيتُ يُنْشَدُ على وجهين:

فأَوْمَأتُ إيماءً خَفِيًّا لِحَبْتَرٍ ولله عَيْنَا حَبْتَرٍ أَيَّما فَتى

«وأيُّما» إن شئتَ على ما فسرنا.

وقولها:

* إلى الخَيْلِ أَجْلى شَأْوُها عن عَقيرَةٍ*

شأوُها: طَلَقُها [1].

وقولها:

* لعَاقِرها فيها عَقِيرَةُ عَاقِرِ*

أي قد أصابوا عقيرةً نَفيسةً؛ كقول القائل: نعمَ غَنيمةُ المُغْتَنِم، وكقولهم: عقيرةٌ وكما تكونُ. وهذا نظيرُ قولِه:

ولما أصابوا نَفْسَ عمرِو بن عامرٍ أصابوا به وِتْرًا ينيمُ ذوِي الوِتْرِ

(١) الطلق: الشوط والغاية.

يقال: ثأرٌ مُنِيمٌ إذا أصابه المثئرُ هَدَأَ وَاستـقرَّ، لأنه أصاب كفئا، وهذا خلافُ قولِ الآخرِ:

قومٌ إذا جَـرَّ جانى قـومِهِمْ أَمِنُوا   للؤم أحـسـابهمْ أن يُقْـتَلُوا قَـوَدًا

وخلاف قول الحَارث بن عبادٍ:

لا بجـير أَغنى قـتيـلاً ولا رَهـ   ـط كُلَيْبٍ تَـزاجَـرُوا عن ضـلالِ

ولكن كما قال دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ:

قـتلت بعـبـدِ الله خـيـرَ لِدَاته   ذؤابًا فلم أفْـخَـرْ بذاكَ وأَجزَعـا

وكما قال عُبيد الله بن زياد بن ظـبيانَ التَّيْمىُّ، من بنى تَيْمِ اللات بن ثعلبةَ، حيث قَتَلَ مُصعَبَ بن الزُّبَيْر بأخيه النَّابى بنِ زيَادٍ:

إنَّ عـبـيـدُ الله مـا دامَ سَـالِمًـا   لسَـار عَلى رَغْمِ العـدوِّ وغَـادِى

ونحن قـتَلْنا ابنَ الزُّبيـر ورأسَـهُ   حـــزَزْنَا بـرأسِ النابِي بـنِ زيادِ

كسر الياء على الأصل، كما قال ابنُ قيس الرُّقَيَّاتِ:

لا بارك الله فـى الغـوانـيِ هَلْ   يَصْــبِــحـنَ إلاَ لَهُنَّ مُطَّـلَب

ومَنْ أَخـذه من نَبأْتُ على القـوم، أى طلعت عليهم، ، فـلا علة فـيه ولا ضرورة.

[قال الأخفشُ: المـعروف فيه الهمـزُ، والمراد لم يَهْمِزْهُ، فإنما أخـذه من نَبا يَنْبُو، فصارَ مثلَ رامٍ وقاضٍ وما أشبههما].

***

وقال أبو الأسد مَوْلى خالد بن عبـد الله القَسْرىِّ، لـمَّا قَتلوا الوَليدَ بنَ يزيد ابن عبد الملك بخالدِ بن عبد الله:

فـإن تَـقـتُلوا مِنَّـا كَـرِيمًا فـإنَّنَا   قَـتَـلْنَا أمـيـرَ المؤمنين بخـالدِ

وإن تَشْغلونا عن ندانا فإننا ... شَغَلنا وَليدًا عن بِنَاءِ الوَلائدِ
تَرَكْنَا أميرَ المؤمنينَ بخالدٍ ... مكبًّا على خَيشُومِهِ غيرَ سَاجِدِ

وقال الخزاعىُّ (١) بعد:

قَتَلنَا بالفَتى القَسْرِىِّ منهمْ ... وَليدَهُم أميرَ المؤمنينَا
ومَرْوانًا قَتَلنَا عن يزيد ... كذاكَ قَضاؤنا فى المعتدينَا
وبابن السِّمط منَّا قد قَتْلنا ... محمدًا بنَ هارونَ الأمينَا
فمن يَكُ قَتْلُهُ سُوقًا فإنَّا ... جَعَلنَا مَقْتَل الخُلفَاءِ دينَا

وقولها: «ويَرْحَلْ قَبْلَ فَىءِ الهَوَاجِرِ» تريد أنه متيقظٌ ظعَّانٌ، والمولى فى قولها «إذا مولاك خاف ظلامةً» يحتمل ضروبا، فالمولى ابنُ العَمِّ، وقوله عز وجل: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ المَوَالِىَ مِنْ وَرَائِى﴾ (٢)، يريدُ بنى العمّ: قال الفَضلُ بن العباس:

مَهلاً بَنى عَمِّنا مهلا مَوالينا ... لا تَنْبُشُوا بينَنا ما كانَ مَدْفُونَا

ويكونُ المولى المُعْتَقُ، ويكون المَولَى من قوله جَلَّ ثناؤه: ﴿وَأَنَّ الكافرينَ لا مَوْلَى لَهُم﴾ (٣)، ويكون المَوْلَى الذى هو أحقُّ وَأَوْلَى، منه قوله: ﴿مَأْوَاكُمُ النار هِىَ مَوْلاَكُمْ﴾ (٤)، أى أَوْلَى بكم، والمَوْلى: المالكُ، وقولها: «ولم يبن أَبْرَادًا» تريدُ الخِيامَ.

***

قال أبو العباس: وكانت الخَنساء وليلى بائنَتَيْنِ فى أشعارهما، متقدِّمَتَيْنِ، لأكثر الفحول، ورُبَّ امرأة تتقدم فى صناعة، وقَلما يكونُ ذلك، والجملة ما قال الله عز وجل: ﴿أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فى الحِلْيَةِ وهو فِى الخِصامِ غَيْرُ مُبينٍ﴾ (٥).

وقال النبىُّ ﷺ: «إن المرأة خُلِقَتْ مَن ضِلعٍ عَوْجَا، وإنكَ إن تُرِدْ إقامَتَهَا، تكْسِرْها، فَدارها تَعِشْ بها».

---

(١) هو دعبل.
(٢) سورة مريم ٥ (٣) سورة القتال ١١
(٤) سورة الحديد ١٥ (٥) سورة الزخرف ١٨

فَممن نَدَرَ [١] من النساء فى باب من الأبواب: أُمُّ أيوبَ الأنصارية [٢]، وأم الدَّرْدَاء [٣]، ورابعة القَيسيَّةُ [٤] ومُعاذَةُ العَدَوية [٥]، فإنّ هؤلاء النسوةَ تقدَّمن فى الفضل والصلاح، على تَقَدم بعضهِنَّ بعضًا.

حدثنى الجاحظ عن إبراهيم بن السِّندى، قال: وكانت تصيرُ إلىَّ هاشميةُ جارية حَمْدونَةَ فى حاجات صاحبتها، فَأَجْمَعُ نفسى لها، وأطرُد الخواطرَ عن فكرى، وأَحْضرُ ذهْنى جُهدِى، خوفًا من أن تُوردِ علىّ ما لا أفهمه، لبُعد غَوْرها، واقتدارها على أن تُجْرى على لسانها ما فى قلبها.

وكذلك ما يُؤثرُ عن خالصةَ وعُتبَةَ جاريَتى رَيْطة بنتِ أبى العباس. فأما النساءُ الأشراف فإنَّ القولَ فيهنّ كثيرٌ مُتسعٌ.

[من مراثى الخنساء]

فمما نَدَرَ من شعر الخنساء قولُها ترثى صخرًا:

يا صخرُ وَرَّاد ماء قد تَناذرَهُ [٦] ... أهلُ المياهِ وما فى ورده عارُ
مَشْىَ السَّبَنْتَى إلى هَيْجَاءِ مُعضَلَة ... له سلاحان: أنيابٌ وأظفارُ [٧]
وما عَجُولٌ على بَوٍّ تَحنُّ له ... لها حنينان: إعلانٌ وإسرارُ
تَرْتَعُ ما غَفَلَتْ حتَّى إذا ادَّكرتْ ... فإنما هى إقبالٌ وإدْبارُ
يومًا بأَوْجَعَ مِنِّى يومَ فارقَنى ... صَخْرٌ، ولِلْعَيش إحْلاَءٌ وإمَرارُ
وإنَّ صخْرًا لَوالينا وسيِّدُنا ... وإنَّ صخرًا إذَا نَشْتُو لَنَحَّارُ
وإنَّ صخرًا لَتَأْتَمُ الهُداةُ به ... كأنه عَلَمٌ فى رأسه نارُ
لم تَرَهُ جارةٌ يمْشى بساحَتِها ... لريبةٍ حين يُخلى بيتَهُ الجارُ

---

(١) ندر: ظهر وبرز
(٢) أم أيوب بنت قيس الخزرجية، زوج أبى أيوب الأنصارى الصحابى.
(٣) أم الدرداء: زوج أبى الدرداء الخزرجى الصحابى
(٤) رابعة بنت إسماعيل العدوية من ولد سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس
(٥) معاذة بنت عبد الله العدوية
(٦) تناذره، أى أنذر بعضهم بعضًا وأخافه (٧) الهيجاء: الحرب.

قولها:

يا صَخرُ ورَّادَ ماءٍ قد تَنَاذَرَهُ ... أَهْلُ المياهِ ومَا فِى وِردِه عارُ

تعنى الموت، أى لإقدامه على الحرب.

والسَّبْتنى والسَّبَنْدَى واحدٌ، وهو الجرىء الصَّدرِ، وأصْله فى النَّمر، والعجُولُ: التى فارقها ولدُها.

والبَوُّ، قد مضى تفسيره، وكذلك: «فإنما هىَ إقبالٌ وإدْبارُ»، وقد شَرَحْنا كيف مَذْهَبُه فى النحو.

وقولها: «إلى هيجاءَ مُعْضلة» تعنى الحَربَ.

وقولها: «كأنه عَلَمٌ فى رأسه نارُ» فالعَلَمُ الجبلُ، قال الله جل وعز: ﴿وله الجَوارِ المُنشآتُ فى البَحْرِ كالأعْلامِ[(1)]﴾، وقال جريرٌ[(2)]:

* إذا قطعن عَلَمًا بدَا عَلَمْ *

***

ومن حَسَن شعرِها قولها:

أَعَينَىَّ جودَا ولا تَجْمدَا ... ألاَ تَبْكيانِ لِصَخرِ النَّدى

ألاَ تَبْكِيانِ الـجَرِىءَ الجَميلَ ... ألاَ تَبكيانِ الفَتَى السَّيِّدَا

طويلَ النِّجادِ رَفيعَ العِمَا ... دِ سادَ عَشيرَتَهُ أَمْرداَ

إذَا القومُ مَدُّوا بأيديهُمُ ... إلى المَجْدِ مَدَّ إليه يَدَا

فنالَ الذى فوقَ أيْديهُمُ ... منَ المجدِ ثم مَضَى مُصْعِدًا

يُكَلِّفُهُ القومُ ما عَالَهُمْ ... وإن كان أصغرَهم مَولِدَا

(1) سورة الرحمن ٢٤.

(2) من أرجورة له فى ديوانه ٥٢٠، وبعده:

* فَهُنَّ بَحثًا كمضلاتِ الخَدمْ *

تَرَى الحمدَ يَهْوى إلى بيتِه ... يَرَى أفضلَ الكَسْبِ أن يُحمَدَا

قولها: «طويل النِّجاد»، النِّجادِ: حَمَائِلُ السَّيفِ، تريدُ بطولِ نجاده طولَ قامتهِ، وهذا مما يُمدَحُ به الشريفُ، قالَ جريرٌ:

فإنى لأَرْضى عبدَ شمْسٍ وما قَضَتْ ... وأَرْضَى الطِّوال البِيضَ من آل هاشم

وقال مَرْوانُ لأمير المؤمنين المهدى [1]:

قَصُرَتْ حمائلُهُ عليه فَقَلَّصَتْ ... ولقد تَأَنَّقَ قَيْنُها فَأَطالَها

وقال رجلٌ من طَيئ:

جَديرٌ أن يُقِلَّ السيفَ حتى ... يَنُوسَ إذا تَمطى فى النِّجادِ [2]

وقال الحَكَمىُّ [أبو نوَاس] [3]:

سَبِطُ البَنَانِ إذا احْتَبى بِنجادِهِ ... غَمَرَ الجَمَاجِمَ والسِّماطُ قيامُ

وقال عنترة:

بطلٌ كأنَّ ثيابَه فى سَرْحَةٍ ... يُحْذَى نِعالَ السِّبْتِ ليس بتَوْءَم [4]

وقولها: «رَفِيع العِمَادِ» إنما تريدُ ذاك، يقال: رجل معُمَّد أى طويل، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿إِرَمَ ذاتِ العِمادِ﴾ [5]، أى الطّوال.

وقولها: «ما عَالهم» أى ما نَابَهُم، ونَزَلَ بهم، تقول العربُ: ما عالك فهو عائلى، أى ما نَابَك فهو نائبى، ومنْ ذا قولُ كُثيِّر.

يا عَيْنُ بكّى لِلَّذى عَالنى ... مِنكِ بدمعٍ مُسْبَلٍ هامِلِ

***

(١) كذا فى الأصل، س، وفى ر: «المهدى».
(٢) قل الشىء: رفعه، وينوس: يتحرك.
(٣) مكتملة من ر.
(٤) السرحة: الشجرة العظيمة
(٥) سورة الفجر ٧.

ومن جيد قولها:

أَبَعْدَ ابنَ عَمْرو منَ الِ الشَّريدِ حلَّت به الأرضُ أثقالَها

لعَمرُ أَبيهِ لنعْمَ الفَتَى إذا النفسُ أَعجبها ما لَهَا

فإن تَكُ مُرَّةُ أَوْدَتْ به فقد كان يُكْثِرُ تقْتَالَها

فَخَرَّ الشَّوامِخُ من فقْده وزُلزلَت الأرضُ زِلْزَالَها

هَمَمْتُ بِنفْسِيَ كلَّ الْهُمُومِ فَأَوْلَى لنفْسيَ أَوْلَى لَها !

لأَحْملَ نفسي على آلةٍ فَإمّا عَلَيها وإمَّا لَها!

قولها: «حلت به الأرضُ أثقالها» حلَّت من الحَلى [(١)]، تقولُ زَينت به الأرض الموتى، وقال المفسرون فى قول الله عز وجل: ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقالَها﴾ [(٢)]، قالوا: الموتى.

وقولها: «لَنعمَ الفتَى إذَا النفسُ أَعجبَها ما لَها»، تقول: يَجودُ بما هُوَ له فى الوقت الذى يُؤثرُهُ أهلهُ على الحمد.

والشوامخُ: الجبالُ، والشامخُ: العالى، ويقال للمتكبر: شَمَخَ بأنفه.

وقولها: «على آلةٍ» أى على حالةٍ وعلى خُطةٍ، هى الفَيْصَلُ، فإمَّا ظَفِرتْ وإمَّا هلكت.

وقولها: «فأَولى لنَفسيَ أَوَلى لها»، يقولُ الرجلُ إذا حاول شيئًا فأفلَتَهُ من بعدِ ما كادَ يصيبهُ: أَوْلَى له ! وإذا أَفْلَتَ من عظيمةٍ قال: أَوْلَى لى ! ويروى عن ابن الحَنَفيَّة أنه كان يقول إذا مات ميتٌ فى جوارِهِ أو فى دارِه: أَوْلَى لى ! كِدْت والله أكونُ السَّواد المُختَرَمَ، وقد مضَى هذا مُفَسَّرًا.

وأَنْشِدَ لرجلٍ يَقْتَنِص، فإذا أَفْلَتَهُ الصيدُ، قال: أَوْلَى لكَ ! فكَثُر ذلك منه فقال:

---

(١) الحلى: اسم لكل ما يتزين به.

(٢) سورة الزلزلة ٢.

فلو كان «أوْلى» يُطعمُ القـومَ صِدْتهمْ[1]　　ولكنَّ «أَوْلى» يَتْرُكُ القـومَ جُوَّعًا

***

وقالت الخنْسَاءُ تـرثى أخاها معاويةَ بنَ عَمْـرو - وكان معاويةُ أخـاها لأبيها وأمِّها، وكـان صخر أخاها لأبيـها، وكان أحبَّـهما إليهـا بعيدا [2]، وكان صـخرٌ يسـتحقّ ذلك منهـا بأمورٍ، منهـا أنه كان مـوصوفًـا بالحلم، ومشـهورًا بـالجُود، ومعروفًا بالتقّدمِ فى الشجاعة، ومَحْظوظًا فى العشيرة- :

أَرِيقى من دُمـوعكِ وَاسْتَـفِيـقى　　وصـبرًا إن أطَقْتِ، ولَن تُطيـقى
وقُـولى إنَّ خَيْــرَ بنى سُلَيمٍ　　وفـارِسَهَـا بصَحْـراءِ العـقـيق
ألاَ هَلْ تَرْجِــعَنَّ لَنَا الليَــالى　　وأيامٌ لـنا بِلَوى الشَّــقـيق[3]
وإذْ نحـنُ الفــوارسُ كـلَّ يومٍ　　إذا حَـضَرُوا وفـتيـانُ الحُـقـوقِ
وإذْ فِـينَا مـعــاويةُ بن عـمـرو　　على أَدْمَـاءَ كـالجَـمَـلِ الفَنيقِ[4]
فَـبكِّيـهِ فــقـد أوْدَى حَـمِـيدًا　　أَمين الرَّأيِ مـحـمـودَ الصَّديق
فــلا واللّه لا تَسْــلاَكَ نفـسِى　　لِفَـاحِــشـةٍ أتيتَ ولا عُــقـوقِ
ولكنِّى رأيـتُ الصـبـرَ خـيـرًا　　مـن النَّعْلَـينِ والرأسِ الحَـليـقِ

قولها:

* أَرِيقى من دموعكِ واستفيقى *

معناه أَنَّ الدَّمْعَةَ تُذْهِبُ اللّوعَةَ

ويُروى عن سليمـانَ بن عبد الملك أنـه قال عند موت ابنه أيوبَ، لعـمرَ بن

---

(١) قال المرصفى: «يريد صدت لهم»

(٢) ساقطة من ر.

(٣) العقيق: ماء لبنى أسيد بن عمرو بن تميم.

(٤) ادمـاء؛ أى ناقة أدماء، والأدمة فى الإبل: البيـاض مـع سواد المقلتين، والجمل الفنيق: كريم على أهله لا يهان..

عبد العزيز ورَجَاء بن حيْوَة: إنى لأجدُ فى كبـدى جَمَرةً لا تطفئها إلاّ عَبْرَةٌ، فقال عمرُ: اذكُر الله يا أمير المؤمنين وعليك الصبر. فنظر إلى رجاء بنَ حَيْوةَ كالمستريح إلى مَشـورَته، فقال له رجاءٌ: أَفـضْهَا يا أمـيرَ المؤمنين، فما بذاك من بأس، فـقد دمَـعَتْ عـينا رسـول الله ﷺ عـلى ابنه إبرَاهيم، وقـال: «العينُ تَـدْمَعُ، والقلبُ يُوجَعُ، ولا نقولُ ماَ يُسْخطُ الربَّ، وإنَّا بِكَ يا إبراهيمُ لَمَحزونونَ» فأرسلَ سليمانُ عـينَه فبكى حـتى قَضى أَربًا، ثم أقْـبَل عليـهمـا فقـال: لو لـم أنزِفْ هذه العَبْـرَةَ لانصَدَعَت كَبِـدى، ثم لـم يَبْك بعدَها، ولكنَّه تمثَّل عند قبره لـمَّـا دَفَنَه وحثَا على قبره الترابَ، وقال: يا غلامُ، دابَّتى ثم التفت [1] إلى قبره فقال:

وَقَـفْتُ على قـبر مُـقيمٍ بِقَفْـرَةٍ مَـتَاعٌ قليلٌ من حَـبـيبٍ مُفَـارقِ

رجعنا إلى تفسير قولها، وقولها:

* وصَبْرًا إن أَطَقْتِ ولن تُطيقى *

كقول القائل: إن قَدَرْتَ على هذا فافعل، ثم أبَانَت عن نفسها فقالت: «ولن تُطيقى».

وقولها:

* فلا والله لا تَسْلاكَ نفسِى *

تريد: لا تَسْلُو عنك، كـقـوله عـز وجل: ﴿وإذا كَـالُوهُـمْ أوزَنُوهُم يُخْسِرُونَ﴾[2]، أى كالَوا لهم أو وزَنَوُا لهم.

وقولها:

* لفاحشة أتيتَ ولا عُقُوقِ *

معناه: لا أَجِـدُ فيكَ مـا تسلو عنك له، ثم اعتـذرتْ من إقصارهـا بفضلِ الصَّبرِ، فقالت:

---

(١) كذا فى الأصل، س، وفى ر، «ثم وقف متلفتا»

(٢) سورة المطففين ٣.

ولكنّى رأيتُ الصَّبْر خيرًا من النعلين والرأسِ الحَليق

تأويلُ «النعلين» أنَّ المرأة كانت إذا أُصيبتْ بحَميمٍ جعلت فى يديها نعلينِ تصّفق [1] بهما وجهَهَا وصدرَها.

قال عبد منافِ بن رِبْعٍ الهُذلِيُّ:

ماذَا يَغيرُ ابْنَتَىْ رِبعٍ عَويلُهُما لا تَرقُدَان ولا بُؤسَى لِمَنْ رَقَدا
كلتاهما أُبْطِنَتْ أَحشاؤها قَصبًا من بَطنِ حَليةَ لا رَطبًا ولا نقدًا
إذا تَأَوّبَ نَوْحٌ قامتَا مَعَهُ ضَربًا أليمًا بِسِبْتٍ يَلمَعَ الجِلِدَا

قوله:

ماذَا يَغيرُ ابْنَتَىْ رِبْعٍ عَويلُهمًا

يعنى أُختَيهِ، يقولُ: ماذا يَرُدُّ عليهما العويلُ والسهرُ!

وقوله:

* كلتَاهُمَا أُبطِنَتْ أحشاؤُها قَصبًا *

أراد لترديد النائحة صوتًا كأنه زَميرٌ، وإنما يَعنى بالقصبِ المَزَاميرَ، كما قال الراعى:

زَجِلُ الحُداء كأَنَّ فى حَيْزُومِهِ قَصبًا ومُقْنِعَةَ الحَنينِ عَجُولا

***

[قال الأخفشُ: الزَّجَلُ: اختلاط الصوت الذى لصوته تطريبٌ. والحَيزوم: الصَّدرُ، «وقصبًا»، يعنى زِمارًا [2]، شبّهَ صوتَ الحادى بالمِزْمار، ومُقنعة، أراد: وصوت مُقْنَعَةٍ، يعنى ناقة، ثم حذَفَ الصوتَ وأقام «مُقنعة» مَقامَه.

***

(١) تصفق: تضرب؛ «من صفق الطائر بجناحيه» أى ضرب بهما.

(٢) قال المرصفى: «صوابه مزمارًا، فأما الزمار، فهو صوت النعامة».

وقال عَنتَرةُ:

بَرَكَتْ على مــاء الرِّدَاعِ كـأنَّمـا بَرَكْت على قَصَب أجشَّ مُـهضَّم

قال الأصمعى: نَرْمَنَاىْ [(١)]

وقوله: «لا رطبـا ولا نقدًا» يقـول: ليس برْطب لا يَبِينُ فيـه الصوتُ، ولا يمؤتكلٍ، يقال: نَقَدَتِ السِّنُّ، إذا مَسَّهَا ائتكال، وكذلك القرْنُ، قال الشاعر [(٢)]:

* يألمُ قَرْنًا أَرُومُهُ نقدُ *

وقوله: «بسبْتِ» يعنى النعلَ المُنجردَة.

ويَلعجُ: يُؤثِّرُ، واحتاج إلى تحريك «الجلد» فـأَتبَعَ آخرَه أوله، وكذلك يجوزُ في الضرورة فى كلّ [شىء] [(٣)] ساكن

وأمَّا قولْ الفرزدق:

خَلَعْـنَ حُلِيَّـــهنَّ فَـــهُـنَّ عُطلٌ وبِعْنَ بـه المُقَــابَلَةَ التّـــؤامَـــا[(٤)]

يعنى اشتـريْنَ النعالَ، فليس [هذا] [(٥)] من هذا الباب، وإنما سُبِينَ فـاشْتَرَيْنَ نعالاً للخدمة.

وكذلك قوله:

أُخِـذْنَ حَـرِيراتٍ وأَبْدَيْنَ مِـجْلَدًا ودَارَت عليهنَّ المُقَّشَـةُ الصُّفْرُ [(٦)]

يعنى القِداح، يقول: سُبِينَ فاقْتُسِمْنَ بالقِداَح.

(١) نرمناى: هو الناى

(٢) حاشية الأصل:

* تَيْسُ تيوس إذا يناطِحُها*

وهو لصخر الغى.

(٣) من ر.

(٤) عطل: جمع عـاطل بدون هاء؛ وهن اللوائى لم يكن عليـهن حلى، وخلـت أجيـادهن من القـلائد، والمقابلة، النعال؛ التى جعل لها قبالان.

(٥) من ر.

(٦) حريرات: حزينات؛ جمع حريرة، وهى التى تجد حر الحزن فى صدرها

وإنما قالت الخنساءُ هذا الشعرَ فى معاوية أخيها قبلَ أن يُصاب صَخْرٌ أخوها، فلمَّا أُصيبَ صخرٌ نسيت به مَنْ كان قبله.

وكان معــاويةُ فارسًا شجـاعًا، فأغار فى جَـمْعٍ من بنى سُليم على غطَفَانَ، وكان صَميمَ خيلهم، فَنَذَرَ به [١] القومُ فاحْتـرَبوا، فلم يَزَلْ بَطعنُ فيهم ويضرب، فلما رأوا ذلك تهيَّـأ له ابنا حَرْملة: درَيْدٌ، وهاشم، فاستطرد له أحدهمـا، فحمل عليه معاويةُ فطَعَنَه، وخرجَ عليه الآخر، وهو لا يَشْـعُر فَقَتَلَه، فتنادَى القومُ: قُتِلَ معاويةُ! فقال خُفَافُ بنُ نَدَبَة: قَتلنى الله إن رمْتُ حتى أثأر به! فَحَمَلَ على مالك ابن حِمَار، وهو سيِّدُ بنى شَمْخ بن فَزَارَة، فطعنه فقتله، وقال:

فإن تَكُ خَـيْلى قد أصيبَ صَـميمُـها ... فَـعَمْـدًا على عَـيْنى تَيَـمَّمتُ مـالِكًا

وَقَفْـتُ لهُ عَلْوَى وقد خَـامَ صُحْبَـتى ... لأبنِـىَ مَـجـدًا أَو لأَثْارَ هالِـكا [٢]

أقـولُ لـه والرُّمْحُ يأطرُ مَـتْنَهُ [٣] ... تَأَمَّل خُـفَـافًـا إننى أنـا ذلكا

فَلَمَّا دخلت الأشهرُ الحُرُمُ وَرَدَ عليهم صَـخْرٌ، فقال: أَيُّكم قاتلُ أخى؟ فقال أحدُ ابْنَى حَرْمَلَة للآخـر: خَبِّرْه، فقال: اسْـتطرَدْتُ له فطعنَنى هذه الطعنةَ وحَمَلَ عليه أخى فَقَتله، فأينا قتلتَ فهـو ثأرُك، أمَا إنا لم نَسْلب أخَاكَ، قال: فما فعلت فرسُه السُّمَّى؟ قالوا: ها هى فَخُذها، فانصـرفَ بها، فقيل لصخرٍ: ألاَ تَهْجُوهُم؟ قال: ما بينى وبينهم أقذَعُ من الهجاء، ولو لم أُمْـسِكْ عن سَبِّهم إلاَ صيانة لِلسانِى عن الخنا لفعلتُ، ثم خاف أن يُظَنَّ به عِىٌّ فقال:

وعـــاذِلة هَـبَّتْ بليـل تَلُومُـنى ... ألاَ لاَ تَلُومينى كَفـى اللَّوْمَ ما بيَا

تقـولُ أَلا تَهْجُـو فـوارسَ هاشمٍ ... وَمَـالىَ إِذْ أَهْجـوهُمُ ثم مَـاليَـا!

أبى الشَتْمَ أَنّى قد أصابوا كَرِيمَتى ... وأَنْ ليس إِهداءُ الخنَا من شِمـاليَا

إذا مـا امـرُؤٌ أَهدَى لِمـيْتٍ تَحيَّـةً ... فَـحَيَّـاكَ رَبُّ الناس عنى مـعاويَا [٤]

---

(١) نذر به القوم: علموا.

(٢) علوى: اسم فرسه، وخام القوم: جبنوا وخافوا.

(٣) يأطر رمحه: يثنيه. (٤) ر: «رب العرش».

وهَوْنَ وَجْـدِى أنّنى لـم أقُل له ... كَذَبْت، ولم أبْخَلْ عليه بِمـاليَا

قال أبو عبيدة: فلما أصاب دُرَيْدا زاد فيها:

وذى رَحم قطَّعتُ أرحـامَ بَيْنهمْ ... كما تَركُونِـى وَاحِدًا لا أخا لِيَا(١)

***

[قال أبو الحسن الأخفش: وزادنى الأحْولُ بعد قوله: «معاويا»:

لنِعْـمَ الفَـتى أدْنى ابـنُ صـرْمَـةَ بَزَّهُ ... إذا راح فَحْلُ الشَّـوْل أَجْدَبَ عارِيَا](٢)

***

قال أبو العباس: فلمَّا انقَضت الأشهرُ الحُرُم جَمَع لهم ليُغير عليهم، فنظرتْ غَطفَانُ إلى خيله بموْضعها، فقال بعضُهم لبعض: هذا صخرُ بن الشَرِيد على فرسه السُّمَّى، فقيلَ: كلاّ السُّمى غَرَّاءُ (٣ وهذه بهيمة ٣)، وكان قَد حَمَّم غُرَّتها، فأصاب فيهم، وقـتلَ دُرَيْدَ بنَ حَرْمَلة، وأما هاشم، فإنّ قَيَسْ بن الأسْوار الجُشَمىَّ - من بنى جُشم بـن بكرِ بن هَوازنَ بن خَصَفَـة بن منصور، والخنسـاءُ من بنى سُليم بن منصور - لقيهَمَ منصرفينَ، كلُّ واحد منهم من وجـهه، فرآهُ، وقد انفردَ لحاجته، فقال: لا أُطْلَبُ بمعـاويةَ بعدَ اليوم، فأرسل عليه سـهمًا ففلق قُحـقحه (٤) فقتلَه، فقالت الخنساءُ:

فِـدًى للفـارس الجُشَـمِىّ نفـسى ... وأفْـديهِ بِمنْ لى من حـمـيم
فـــداك الحىُّ حَىُّ بـنى سُلـيم ... بظـاعِنهـمْ وبالأنَـسِ المقـيم
كـمـا مِنْ هاشمٍ أَقْـرَرْتَ عَـيْنى ... وكـــانتْ لا تَنَـام ولا تُنـيم(٥)

***

(١) «وذى إخوة»
(٢) ما بين العلامتين لم يذكر فى الأصل، وهو فى ر، س.
(٣-٣) لم يرد فى ر، س.
(٤) الفحقح: العظم الناتئ من الظهر بين الأليتين.
(٥) فى البيت إقواء.

فأما صخرٌ فسنذكر مَقْتَلَه مع انقضاء ما نذكرُ من مراثى الخنساء إياه. قالت الخنساءُ:

أَلاَ يا صخرُ إن أَبكيتَ عَيْنى ... لقد أَضْحكْتنى دهرًا طويلاَ

بكيتُكَ فى نساء مُعْولات ... وكنتُ أَحَقَّ مَنْ أَبْدَى العويلا

دَفَعتُ بك الجليلَ وأنت حَىٌّ ... فمن ذا يدفعُ الخطبَ الجليلاَ!

إذا قَبُحَ البكاءُ على قتيل ... رأيتُ بكاءَكَ الحسنَ الجميلاَ

***

وقالت أيضًا:

تَعَرَّقنى الدهرُ نَهْسًا وحزًّا ... وأوجعنى الدهرُ قرْعًا وغَمزَا[1]

وأفنى رجالِى فبادوا مَعًا ... فَأَصْبَحَ قَلْبِى بهمْ مُسْتَفَزَّا

كأنْ لم يكونوا حِمًى يُتَّقى ... إذ الناسُ إذ ذاك مَنْ عَزَّ بَزَّا

وكانوا سَراة بنى مالك ... فخر العشيرة مَجْدًا وعِزًّا[2]

وهمْ فى القديم سَرَاةُ الأديمِ ... والكائنون مِنْ الخوْف حِرْزًا[3]

وهمْ مَنَعوا جارَهُمْ والنِّسـ ... ـاءُ يُحفِزُ أَحْشاءَها الخوفُ حَفْزَا

غداة لقوهم بملمومة ... رَدَاحٍ تغادرُ للأرض رِكْزًا[4]

وَخَيْل تكَدَّسُ بالدَّارعين ... تحتَ العَجاجةِ يجْمزَنَ جَمزَا[5]

بِبيضِ الصِّفَاحِ وسُمْرِ الرِّماحِ ... فبالبيض ضَربًا وبالسُّمْر وَخزَا[6]

---

(١) النهس: أخذ الشىء بمقدم الأسنان، وتعرقنى الدهر: نالنى، من قولهم: تعرق العظم إذا أخذ ما عليه من اللحم.

(٢) ر «زين العشيرة»

(٣) الأديم الجلد، قال المرصفى: تكنى بذلك عن أنهم أشراف، لم تدنس أعراضهم.

(٤) الململومة: الكتيبة مجتمعة، رداح: ضخمة.

(٥) تكدس: يركب بعضها بعضًا، والجمز: نوع من العدو.

(٦) الوخز: الطعن.

جَــزَزْنَـا نَوَاصِىَ فُــرْسَـــانهم وكـــانـوا يَظنونَ ألاَ تُـجَـــزَّا
ومنَ ظَــنَّ ممن يُلاقِى الحـــروبَ بألاَّ يُصـابَ فـقـد ظنَّ عَـجـزَا
نعـفُّ ونعــــرف حق القِـــرَى ونَتَّـخـــذُ الحـمـدَ ذُخـــرًا وكَنزَا
ونلْـبَسُ طورًا ثـيـــابَ الـوَغى وطورًا بيـاضًا وعَـصبًا وخزًّا [١]

***

وكان سببُ قتلِ صخرِ بن عمرو بن الشَّرِيد، أنه جَمَعَ جمعًا وأغار على بنى أسدِ بن خُزَيْمَةَ، فَنَذِرُوا به فالتَقَوْا، فاقتـتلوا قتالاً شديدًا، فارفَضَّ أصحاب صخرٍ عنه، وطُعن طعنة [٢] فى جنبه استَـقَلَّ بها، فلمَّا صار إلى أهله تَعـالج منها، فنَتَأَ من الجرح كمثل اليَـد، فأضناه ذلك حَوْلاً، فسمع سائلاً يسـألُ امرأته وهو يقول: كيف صَخر اليومَ؟ فقالت: لا مَيّتٌ فينعَى، ولا صحيحٌ فيُرجى ! بَرِمَتْ به، ورأى تَحَرقَ أمِّه عليه، فقال:

أَرَى أمّ صخرٍ ما تَجِـفُّ دُموعُها ومَلّتْ سُلَيْمَى مَـضْجَعى ومكانى
وما كنتُ أَخـشَى أن أكون جنازةً عليك، ومَنْ يَـغْـتَـرُّ بالحـدثان!
أَهُمُّ بأمـر الحـزْمِ لو أسـتطيـعـه وقـد حـيل بين العَـيْـرِ والنَّزَوَانِ
لعَمْرِى لقد أنبهْتِ مَنْ كان نائمًا وأسـمـعتِ مـنْ كـانتْ له أُذُنَانِ
فـأىُّ امـرِئٍ سـاوَى بـأُمٍّ حَليلة فـلا عـاشَ إلاَّ فى شـقًى وهَوانِ

ثم عزمَ على قطع ذلك الموضع، فلمّا قَطَعه يَئسَ من نفسه فبكاها، فقال:

أَيَا جَـــارتَا إنَّ الخطوبَ قــريبُ منَ الناس، كلَّ المُخطئينَ تُصـيبُ
أَيَا جَـارَتَــا إِنَّا غَـريبـــان ها هنا وكلُّ غَـريــب للغـريب نَـسـيبُ
كَـأَنِّى وقـد أدنوا إلىَّ شِـفَـارَهُمْ من الأدمِ مَصْـقُولُ السَّـراةِ نكيبُ

(١) هذا البيت لم يرد فى ر، وهو فى الأصل، س.
(٢) ر: «وطعنه أبو ثور».

[مرثية ابن مناذر لعبد المجيد بن عبد بن الوهاب الثقفى]

قال أبو العباس: ومن حُلو المراثى وحَسن التَّـأبين شِعْرُ ابن مُناذِر، فإنه كان رجلاً عالمًا مُقَدمًا وشاعرًا مُفلقًا، وخطيـبًا مصقعًا، وفى دهر قريب، فله فى شعره شدةُ كـلام العرب بروايته وأدبه، وحلاوةُ كَـلام المُحْدَثِينَ بَعصره ومـشاهدته، ولا يزالُ قـد رَمَى فى شعـره بالمثَلِ السـائر، والمعنى اللطيف، واللفظ الفَـخْم الجليلِ، والقول المُتَّسَقِ النَّبيل، وقـصيدَتُهُ لها امتدادٌ وطولٌ، وإنما نُمْلى منهـا ما اخترنا مِنْ نحو ما وصفنا.

قال يرثى عـبد المجيـد بن عبد الوهـاب الثَّقفى - وكـان به صبًّا، واعْـتَبَطَ عبدُالمجيد لعشرينَ سنة من غير ما عِلَّةٍ، وكان من أجمل الفِتْيان وآدبهم وأظرفهم، فذلك حيثُ يقولُ ابن مُناذِر:

حـين تَـمَّـتْ آدَابـه وتَـرَدَّى ... برداءٍ منَ الـشـبـاب جَـديدِ
وسَـقَـاهُ ماءُ الشـبـيبةِ فـاهتـزَّ ... اهتَـزاز الغُـصْنِ الـنَّدى الأملُودِ
وَسَـمتْ نَحْوَهُ العـيـونُ وما كـا ... نَ علـيـه لزائـد من مَـزيد
وكـأنى أدعـوهُ وهـو قـريبٌ ... حين أدعـوهُ من مكان بعـيـدِ
فلئن صـار لا يُجـيبُ لقـد كـا ... ن سـمـيـعًـا هَشًّـا إذا هُوَ نودى
يا فـتى كـان للـمُـقـامـاتِ زَينا ... لا أراهُ فى المَحْـفِلِ المشـهـود
لَهْفَ نفسِى أَمَا أراكَ، وما عندك ... لِى إن دعـوت مـن مـردود !
كان عـبدُ المجـيد سُـمَّ الأعادِى ... ملء عَيْـنِ الصديق رَغمَ الحَسود
عـاد عبـد المجيـد رُزْءًا وقد كـا ... ن رَجـاءَ رَيَـبِ دَهْرٍ كَـنُودِ[1]
خنتُكَ الوُدَّ لم أَمُتْ كمَـدًا بعدَكَ ... إنى عـليـكَ حقُّ جَـليـد[2]
لو فَدَى الحىُّ ميتًـا لفَدَتْ نفسكَ ... نَفـسى بطـارِفِى وتَلـيـدى
ولئن كنتُ لـم أَمُتْ من جَـوَى الحـز ... ن علـيـه لأبْلَغن مَـجْـهُـودى

---

(١) كنود. معاند

(٢) قال المرصفى: «يريد جليد حق جليد».

لأقيمنَّ مأتمًا كنجوم الليل زُهرًا يَلْطِمْنَ حُرَّ الخدودِ
موجعات يَبْكِينَ للْكَبِد الحرّى عليه وللفؤاد السَميدِ
ولِعَين مَطروفة أبدًا قا لَ لها الدّهرُ: لا تَقَرّى وجودى
كُلما عَزَّكِ البُكاء فأنفدْ تِ لعبد المجيد سَجلاً فَعُودِى
لِفتى يَحْسُنُ البكاءُ عليه وفَتى كان لامتداحِ القصيدِ

وأول هذا الشعر:

كلُّ حَى لاقِى الحمامِ فَمُودى ما لِحَىٍّ مُؤَمَّلٍ من خُلودِ
لا تَهابُ المَنونُ شيئًا ولا تُرْ عى على والدٍ ولا مَولْودِ
يَقدَحُ الدهرُ فى شمَارِيخَ رَضْوى ويُحط الصُّخورَ من هَبُّود[1]
ولقد تَتْركُ الحوادثُ والْـ أيّامُ وَهيًا فى الصخرة الصَّيخود[2]

***

وفى هذا الشعر مما استحسنتُه:

أَيْنَ رَبُّ الحِصْنِ الحَصِينِ بِسُورَا ءَ ورَبُّ القَصْرِ المنيفِ المَشيدِ[3]
شادَ أركَانَهُ وبَوَّبَهُ بَا بَىْ حديدٍ وحَفَّهُ بجنُودِ
كان يُجْبى إليه ما بين صَنعا ء فمِصر إلى قُرَى بَيْرُودِ[4]
وتَرَى خَلْفه زرافات خيلٍ جافلات تَعْدُو بمثلِ الأسودِ
فَرَمى شَخْصه فأقصَدَهُ الدَّهرُ بسهمٍ من المنايا سَديدِ
ثم لم يُنجِهِ من الموت حِصْنٌ دونَه خَنْدقٌ وبَابَا حَديدِ

(١) يقدح : يؤثر، شماريخ: جمع شمراخ، وهو رأس مستدير طويل دقيق في الجبل من أعلاه، ورضوى: جبل بالمدينة، وهبود: جبل أيضًا.
(٢) صيخود: الصخرة الملساء.
(٣) سوراء موضع قريب من بغداد.
(٤) بيرود: ناحية بين الأهواز ومدينة الطيب.

ومُلوكٌ من قبله عَمَرُوا الأر ضَ أُعينوا بالنَّصر والتأييد
فلو انَّ الأيامَ أَخْلَدنَ حيًّا لِعلاَءِ أَخلدنَ عبدَ المجيد
ما دَرَى نَعشُهُ ولا حاملوه ما على النعشِ من عَفافٍ وجُودِ!
وَيْحَ أَيدٍ حَثَتْ عليه وأيْدٍ دفَنَتْهُ، ما غَيَّبَتْ فى الصَّعيدِ!
إنَّ عبد المجيد يوم تَوَلى هَدَّ رُكنًا ما كان بالمَهْدودِ
[وأرَانا كالزَّرع يَحصُدُه الدّهرُ فَمِنْ بين قائم وحَصيدِ
وكأنا للموت رَكبٌ مُخبُّو نَ سِراعًا لِمَنْهلٍ مَوْرُودِ[1]]
هدَّ ركنى عبدُ المجيدِ وقد كُنتُ بِرُكنٍ أَنُوءُ منهُ شَديدِ
فبعبد المَجيدِ تَامُورُ نفْسى عَثَرَتْ بى بَعَد انتعاشٍ جُدودى[2]
وبعبد المجيدِ شلَّتْ يدى اليُمنى وشَلّتْ به يَمِينُ الجُودِ

وفى هذا الشعر:

فبرَغِمى كنتَ المُقَدَّم قَبْلى وبكُرهِى دُلِّيتَ فى المَلْحودِ
كنتَ لى عِصمَةً وكنتَ سَماءً بك تَحْيا أرضِى ويَخضَرُّ عُودِى

[مرثية أعشى باهلة للمنتشر بن وهب]

قال أبو العباس: وكانت العربُ تُقدِّمُ المراثى وتُفضّلها، وتَرَى قائلَها بها فوقَ كلِّ مؤَبِّن، وكأنهم يَرَونَ ما بعدَها من المراثى منها أُخذَتْ، وفى كَنَفها تَصلُح. فمنها قصيدةُ أَعْشَى بَاهلَةَ، ويُكنَى أبا قُحافَةَ، التى يَرثى بها المُنتشر بن وهب الباهلىَّ، وكان أحدَ رِجْلَيِّ العرب[3]. [قال الأخفشُ: هو منسوبٌ إلى الرِّجلِ]، وهم السعاة السابقون فى سعيهم.

وكان من خبَره أنَّه أَسَرَ صلاءَةَ بن العنْبَرِ الحارثى، فقال: افتد[4] نفسَك، فأبَى، فقال: لأقطعنك أَنمُلَةً أَنْمُلَةً، وعُضوا عُضوًا ما لم تَفْتَدِ نفسَك، فجعلَ يفعلُ

(١) من زيادات ر (٢) التامور: دم القلب
(٣) الرجلى: الشديد العدو. (٤) ر: «أفد».

ذلك به حتى قتله، ثم حَجَّ من بعد ذلك المُنتشرُ ذا الخُلصة- وهو بيتٌ كانت خَثْعَمٌ تَحجُّه، زعم أبو عبيدة أنه بالعَبَلاَت، وأنه مسجد جامعَها، فَدَلَّتْ عليه بنو نُفَيل ابن عمرو بن كلاب الحارثِّينَ، فقبضوا عليه فقالوا: لنفعلنَّ بك كما فعلتَ بصلاءة، ففعلوا ذلك به، فلقى راكب أعشى باهلة، فقال له أعشى باهلة: هل من جائية بخبر؟ قال: نعم، أسرت بنو الحارث المنتشر، وكانت بنو الحارث تسمى المنتَشرَ مُجْدَعًا، فلمَّا صار فى أيديهم قالوا: لَنُقطّعَنكَ كما فعلت بصلاءة، فقال أعشى باهلةَ يرثى المنتشرَ:

إنى أتَتْنِي لِسَانٌ لا أُسرُّ بها   مِنْ عَلُ لا عَجَبٌ منها ولا سَخَرُ

فبِتُّ مُرْتَفِقًا للنَّجمِ أُرْقُبُهُ   حَيْرانَ ذا حَذَرٍ لو ينفعُ الحذرُ!

فجاشَتِ النفسُ لَمَّا جاء جَمْعُهُمُ   وراكبٌ جاء مِنْ تَثْليث مُعتَمِرُ

يأتى على الناسِ لا يَلْوِى على أحدٍ   حتى التَقَيْنا وكانتْ دونَنا مُضَرُ

يَنْعَى امْرأ لا تُغِبُّ الحَىَّ جفنتُه   إذا الكواكب أخْطأ نَوءها المَطرُ

مَنْ ليس فى خيرِه شَرٌّ يُكدِّرُهُ   على الصديقِ ولا فى صَفوِه كَدرُ

طَاوِى المَصيرِ على العَزَّاء مُنصَلتٌ   بالقومِ ليلةَ لا ماءٌ ولا شَجَرُ

لا تَنْكرُ البازلُ الكَوْمَاءُ ضَربَتَهُ   بالمَشرفىِّ إذَا ما اجْلَوَّذَ السَّفَرُ

وتَفَزَعُ الشولُ منه حينَ تُبصِرُه   حتى تَقَطَّعَ فى أعناقها الجِرَرُ

لا يُصعبُ الأمرَ إلاَّ رَيْثَ يَرْكَبُه   وكلّ أمرٍ سِوَى الفحشاء يَأتَمرُ

تكفيه فلذَةُ كِبْدٍ إن أَلَمَّ بها   من الشِّواءِ ويكفى شُربه الغُمَرُ

لا يَتأرَّى لِما فى القِدرِ يَرْقُبُهُ   ولا تَراهُ أَمَامَ القومِ يَقتَفِرُ

لا يَغمِزُ الساقَ مَن أَيْنٍ ولا وَصَبٍ   ولا يَعَضُّ على شَرسُوفِه الصَّفَرُ

مُهفَهَفٌ أهضمُ الكشْحَيْنِ مُنخَرِقٌ   عنه القميصُ، لسَيرِ الليل مُحتَقِرُ

عِشنا بذلك دَهرًا ثم فارَقَنَا   كذلك الرُّمحُ ذُو النَّصلين يَنْكسرُ

[فإن جَزِعْنَا فقد هَدَّتْ مُصيبتُنا   وإن صَبَرنَا فإنا مَعشرٌ صُبُرُ

إنى أَشُدُّ حَزِيمى ثم يُدْركنى   منكَ البلاءُ ومن آلائك الذِّكَرُ]

لا يَأْمنُ الناسَ مُمَساهُ ومَصبَحهُ من كلٍّ أَوب وإنْ لم يَأتِ يُنتظرُ
إمّا يُصبكَ عَدُوٌّ فى مُباوأَةٍ يومًا فقد كنتَ تَسْتَعْلى وتَنْتَصِرُ
لو لم تَخُنْهُ نُفَيْل وهىَ خائِنَةٌ أَلَمَّ بالقومِ وردٌ منه أوْ صدَرُ
ورَّادُ حَرْبَ شِهَابٌ يُستضاء به كما يُضيء سَوادَ الطَّخيةِ القَمَرُ
إمَّا سلكتَ سبيلاً كنتَ سالكها فاذهب فلا يُبعدنكَ اللهُ مُنتشِرُ
مَن لَيس فيه إذَا قاولتَهُ رَهقٌ وليس فيه إذا عاسَرْتَهُ عَسرُ

وقوله: «إنِّى أَتْتى لسانٌ» يقال: هو اللسان وهى اللسانُ، فمنَ ذَكَرَ فجمعهُ أَلسنَةٌ، ونظيره حمَارٌ وأَحْمرَةٌ، وفراش وأَفْرِشةٌ، وإزارٌ وآزرَة ومن أنَّثَ قال: لسانٌ وأَلْسنٌ، كما تقول: ذراعٌ وأَذْرُعٌ، وكُراعٌ، وأَكرُعَ، لا تُبالى أَمَضمُومَ الأوَّل كان أو مفتوحا أو مكسورًا، إذا كان مؤنثًا، ألاَ تَرَى أنك تقول: شمالٌ وأشْمُلٌ[1] قال أبو النَّجمْ:

* يأتى لها مِنْ أَيْمُنِ وأَشْمُلِ *

وقال آخرُ، أنشدنيه المازنى:
فَظَلَّتْ تكُوسُ على أكْرُعٍ ثلاثٍ وكانَ لها أَربَعُ[2]

وأرَادَ باللسان ها هنا الرسالةَ..

وقوله: «مِنْ عَلُ» يقولُ: منْ فَوْقُ، فإذا كان معرفةً مفردًا بنى على الضم، كقبلُ وبعدُ، وإذا جعلته نكرة نَوَّنْتَه، وصرفته، كما قال جرير:

إنِّى انْصبَبْتُ من السماء عليكمُ حتى اختطفتك يا فَرَزْدَقُ مِنْ عَلِ

والقوافي مجرورةٌ، وإن شئتَ رددتَ ما ذهبَ منه، وهى ألفٌ منقلبة من واو، لأنَّ بناءَه «قبلُ» من «علاً» يا فتى، قال الراجز:

---

(١) فى وصف الإبل، وبعده:

* ذُو خِرَقٍ طُلس وَشَخص مِذْأَل *

(٢) قال المرصفى: «يريد عفرت إحدى قوائمها الأربع، وتكوس كوسًا: مشى على ثلاث قوائم».

وهى تَنوشُ الحَـوْضَ نَوْشًـا مِنْ عـلاَ   نَوشًـا بِهِ تَقطَعُ أَجْـوازَ الفَـلاَ [1]

وقوله: «فَبَتُّ مُرتَفِـقًا» وهــو المتكئُ على مرفقه، وإنما أرادَ السَّهَـرَ كما قال أبو ذُؤيبٍ:

إنى أرقْتُ فَـبتُّ الليلَ مُـرتَفـقًـا   كأنَّ عَيْنِى فيـها الصَّابُ مَذْبَوحُ[2]

وقوله : «جاشت النَّفسُ» يقولُ: «خَبُثَت، يكون ذلك من تذكُّرها للتهوعِ[3] ومن جَزَعَها منه.

ويُروى عن معاويةَ أنه قال: اجعلوا الشِّعرَ أكثر هَمِّكم وأكثرَ آدابكم، فإنَّ فيه مآثَر أَسْلافكم ومواضعَ إرشادكم، فلقد رأيتنى يوم الهَرير وقد عَزَمْتُ على الفِرار، فما يَرُدُّنى إلا قول ابن الإطنابة الأنصاريِّ:

ابتْ لى عِـــفَّــتى وأَبَـى بَلاَئِى   وأَخْـذى الحـمـدَ بالثَّمَن الرَّبيحِ
وإجـشـامى على المكروه نَفْـسى   وضَـربى هامةَ البَطَلِ المَشِـيحِ [4]
وَقَـولِي كُلَمَا جَـشَأَتْ وجـاشت   مكانَكَ تُحمَـدِى أو تَستَرِيحى [5]

---

(١) نسبه صـاحب اللسان (٨: ٢٥٥) إلى غيلان بن حريث، وقـال فى شرحه: «الضميـر فى قوله: «فهى» للإبل، وتنوش الحوض، تتناول مـلأه، وقوله: «من علا» أى من فـوق؛ يريد أنها عالية الأجـسام طوال الأعناق، وذلك النوش الذى تـناله هو الذى يعـينهـا على قطع الفلوات، والأجـواز: جـمع جـوز وهو الوسط، أي تتناول ماء الحوض من فوق، وتشرب شربا كثيرًا، وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا تحتاج إلى ماء آخر».

(٢) ديوان الهذليين ١ : ١٠٤، وروايته هناك:

نَامَ الخَلَيُّ وَبَتُّ اللَيْلَ مُشْتَجرًا   كأنّ عَيْنِى فيهَا الصَّابُ مذبوح

والصاب: شجرة مرة؛ لها لبن يمض العين إذا إصابها، ومذبوح: مشقوق.

(٣) التهوع: التقيؤ.

(٤) المشيح: المجد .

(٥) جشأت: نهضت.

يقال: «جشأت» مهموزٌ، و«جاشَتْ» غير مهموز، و«تثليثٌ» موضعٌ بعينه[1]

وقـوله: «لا يَلْوى على أحدٍ» يقـال: اسـتقـام فلانٌ فـما لَوَى على أحـدٍ، ويقال: أَلْوى بالشىء إذَا ذهبَ به.

وقوله:

* إذَا الكواكب أَخْطا نوءَهَا المطرُ *

فالنَّوءُ عندهم طلـوعُ نجمٍ وسقوط آخرَ، وليس كـلُّ الكواكب لها نوءٌ، وإنما كانوا يتـقوَّلون هذا فى أشيـاء بعينها، ويُروى عن النبى ﷺ أنه قـال: «إذا ذُكِرَت النجومُ فـأَمْسِكُوا» يعنى أَمْـرَ الأَنْواء، لم يختلـف فى ذلك المفسرون، وعنـه عليه السلام فى غب سَمـاء: «أتدرون ما قال ربُّكم تبارك وتعالى؟ قال: أصـبَحَ عِبادى مؤمنًا بى وكافـرًا بالكواكب، وكافرًا بىِ ومؤمنًا بالكواكب. فـأما المؤمنُ بى الكافرُ بالكواكب فهو الذى يقول: مُطرنا بنوءِ الرَّحمةِ، والمؤمنُ بالكواكب الكافر بى الذى يقول: مُطرنا بَنْوء كذا».

والنوء، مـهمـوزٌ، وهو من قولك : ناء بحـمله، أى استَـقَلَّ به فى ثقل، فالنوءُ مهموزٌ، وهو فى الحقيقة الطالعُ من الكواكب لا الغائرَ، وكان الأصمعى لا يُفَسِّرُ من الشِّعر ما فيه ذكرُ الأنوَاء، بل كـان لا يسمعُ ما كان فيه هجاءٌ أو كان فيه ذِكرُ النجوم، ولا يُفسـر ما وافق تفسيرُه بعضَ ما فى القرآن إلاَ ساهيًـا، فيما يذكر أصحابه عنه، ويُروى أنه سُئل عن غير شىء من ذلك فأباه وزجر السائل.

قوله: «طاوى المصير» يقـال لواحد المُصران مَصيرٌ، وتقـديره صاير، قَضيبٌ وقُضبانٌ، وكثيب وكثبانٌ.

والعزَّاء: الأمـرُ الشديد، يقال: فـلان صابرٌ على العَـزَّاء، وكذلك اللأْواء، وكذلك الجُلَّى مقصورٌ، فأما العزَّاء واللأْواءُ فممدودان.

وقوله: مُنْصلت، يقال: سيفٌ مُنصَلتٌ وصلتٌ: إذا جُرِّدَ من غِمْدِه.

(١) تثليث: موضع بالحجاز قرب مكة.

وقوله: «ليلة لا ماءٌ ولا شجرُ» يريد: القَفْرَ، ووقت الصُّعوبة.

وقوله: «لا تُنكرُ البازِلُ الكوْماءُ ضربَتَه بالمشرفى».

يقول: قد عوَّد الإبلَ أن ينحرها، ومنْ شأنهم أن يُعرْقُلوها قبل النحر، والمشرَفى: السيفُ، وهو منسوبٌ إلى المشارفِ [(١)]

وقوله: اجْلَوذَ، وأنشدنى الزّيادى لرجل من أهل الحجاز، أحَسبُهُ ابن أبى ربَيعة:

ألاَ حَبَّذَا حبَّذَا حبَّذا　　حَبيبٌ تَحَمَّلْتُ منه الأَذَى
ويا حبذا بَردُ أنْيَابهِ　　إذا أظلمَ الليلُ واجْلَوَّذَا

وقوله:

* حتى تَقَطّعَ فى أعناقها الجِرَرُ [(٢)] *

يقول: حتى اعتادتْ أن ينحرَها، فهى تَفْزَعُ منه حتى تَقَطّعَ جرتُها، ومثلُ هذا قولُ الخِنَّوتِ [(٣)]:

سأبكى خليلى عَنْترًا بعد هَجَعة　　وسَيفى مِرْداسًا قَتيلَ قنَانِ[(٤)]
قَتيلانِ لا تبكى اللقاحُ عليهما　　إذا شَبِعَتْ من قرمَلٍ وأفانِ

يقول: كانا يَنْحَرانِ الإبل، فهى لا تجزع لفقدهما، وقَرْمَلٌ وأفانِ: ضربانِ من النَّبتِ، وشبيهٌ بهذا قوله حيث يقول:

فلو كان سَيْفِى باليمينِ تَبَاشَرَت　　ضِبابُ المَلا من جمعهم بقتيلَ

(١) المشارف: قرى من أرض العرب تدنو من الريف.

(٢) والجرر: جمع جرة، وهى ما يفيض من البعير من كرشه، فيقرضه.

(٣) الخنوت: لقب ربيعة بن مضرس، شاعر جاهلى

(٤) قنان: جبل لبنى أسد.

يقول: هؤلاء قومٌ كانوا يـحترشون الضبابَ، فكلما قُـتِلَ منهم واحدٌ سُرَّتْ بذلك الضِّبابُ واستبشرتْ.

وقوله:

* لا يتأرى لِمَا فِي القِدْرِ يَرْقُبُهُ *

يقول: لا يَتَحَبّسُ له، ومن ذا سُمِّى الآرِىّ[1]، لأنه مَحْبَسُ الدابة.

وقوله:

* ولا تَرَاه أمامَ القومِ يَقْتَفِرُ *

يقول: لا يسبقهم إلى شيء من الزاد.

وقوله:

* ولا يَعَضُّ على شَرْسُوفه الصَّفَرُ *

الشراسيـف، أطراف الضلوع، والصّفر ها هنا: حَيَّـةُ البطن، وله مواضع. وقوله: «مُهَفَهَفٌ» يعنى ضامِرًا، وأَهْضَمُ الكَشْحَيْن توكيد له.

وقوله:

* إما يُصبكَ عَدُّو فى مُباوَأَةٍ *

يقـول: فى وتْرٍ، يقـال: باءَ فـلان بكذا، كـما قـال مُـهَلْهَلٌ: «بُؤ بِشسـعِ كُلَيْب».

أى هو ثأرٌ بالشِّسع.

والطَّخيَـة، والطِّخيَـة، والطُّخية، ثلاثُ لغـاتٍ: شدة الظُّلْمَـةِ، وكان الذى أصابَهُ هندَ بنَ أسماءَ الحارثىَّ، ففى ذلك يقولُ:

أَصَـبْتَ فى حَـرَمٍ مِنّا أَخَـا ثِقَـةٍ   هندَ بن أسماءِ لا يَهْنى لك الظَّفَرُ

يقال: هَنأَهُ ذلك وهَنأَ له، كما تقولُ «هَنيئا له»، قال الأَخْطَلُ:

---

(١) الآرى: الآخية.

إلى إمـــامٍ تُغـــادِينـا فَـــواضِلُهُ أَظْفَـرَهُ اللهُ فَـلـيـهنئْ له الـظفـرُ

وقوله:

* وليسَ فيه إذا عاسَرْتَهُ عَسَرُ *

مَدَحٌ شريفٌ، مـثلُ قولهم: «إذا عَزَّ أَخُوكَ فهُنْ» وإنما هذا فـيمنْ لا يخافُ استذلاله، بأن يخـرُجَ يصاحبه عند مـساهلتَه إلى باب الذُّلِّ، فأمـا مَنْ كان كذلك فمُعاسَرَتُهُ أَحْمَدُ، ومُدافعته أَمْدَحُ، كما قال جريرٌ:

بِشـــرٌ أبو مَـرْوَانَ إنْ عَـاسَـــرتَهُ عَـسِـرٌ، وعندَ يَسَـارِهِ مَـيْـسُـــورُ

[مراثى متمم بن النويرة فى أخيه مالك]

قال أبو العـباس: ومن أشعار العـرب المشهورة المُتـخيرة فى المراثى قصـيدة متَمِّمُ بن نُويرَةَ فى أخيه مالك، وسنذكر منها أبياتًا نختارُها، من ذلك قولهُ:

أقـولُ وقـد طارَ السَّـنا فى رَبابِه وغَـيَـثٌ يَسَحُّ المـاءَ حـتى تَربَّعـا
سَقى الله أرضًـا حلَّها قبـرُ مالك ذهَابَ الغَوادى المدْجنات فـأَمْرَعَا
وآثرَ ســـــيلَ الوادِيـيْن بـدِيمَةٍ تَرَشِّحُ وسمـيًّا مَنَ انَّبتِ خِـروعًا
تحـيـــته مِـنى وإن كـان نائـيًـا وأَضحَى تُرابًا فوقَهُ الأرضُ بلْقَعَا
فـــمــا وَجْـــد أظْآرٍ ثلاث رَوَائم رأَينَ مَـجراً مِنْ حُـوارٍ ومَصـرعًا
يَذَكِّـرْنَ ذَا البَثِّ الحــزينَ بِبَـثِّـهِ إذا حَنَّتِ الأولى سَجَعْنَ لهـا معًا
بأوجعَ منى يـوم فـارقت مـالكا ونادَى به الناعى الرفـيعُ فأسمـعا

وفيها:

وكنَّا كَندمَـانَـى جُـذَيمَةَ حِـقـبـة منَ الدَّهر حتى قيل لن يَتَـصَدَّعَا
فلمـــا تَفَـرقْنـا كَـأَنى ومـــالكا لطول اجتـماعٍ لم نَبتْ ليلة مَـعًا
وعِـشنا بخيـرٍ فى الحـياة وقـبْلناَ أصابَ المَنايا رَهـطَ كِسرِى وتُبـعًا

فإن تكـنِ الأيـامُ فرَّقنَ بينَنـا فقد بان محمودًا أخى يوم ودَّعَا
تقول ابنةُ العَمْرِيِّ مالكَ بعـدَما أراكَ حـديثًـا ناعِمَ البـال أُفرعَـا
فقلتُ لها طولُ الأسَى إذْ سألتنى ولَوعة حُـزْن تتركُ الوجهَ أَسْفَعَا
وفَـقْـد بَنى أمٍّ تَفَـانوا فلم أكُنْ خِـلافَهُمُ أن أسْتكين، وأُضرَعَـا
ولستُ إذا ما الدّهرُ أحـدَثَ نكبَةً ورزءًا بزوار القـرائب أخـضـعـا
ولا فَـرِحٍ إن كنتُ يومًـا بغـبطةٍ ولاَ جَـزعٍ إن نابَ دَهْرٌ فـأوجَعَـا
ولكَّننى أمـضى على ذاك مُقـدمًا إذا بعض مَنْ لاَقى الخُطُوب تكعكعـا
فـعَمْـرَكِ ألا تُسمـعـينى مَلامـةً ولا تَنْكَئى قَـرْحَ الفؤادِ فيَـيجـعا
وقصرَكِ إنِّى قد شهدتُ فلم أجِدْ بكَفَّىَّ عـنه للمنّيـةِ مَـدْفـعَـا
فلو أنَّ مـا أَلْقى أصاب متَالِعًـا أوَ الرُّكْنَ من سَلْمى إذا لَتضعضعا

وفى هذه القصيدة:

لقـد كَـفَّنَ المِـنْهـالُ تحتَ رِدَائه فتى غيـرَ مِبْطان العشيات أَرْوَعَا
ولا بَرَمٍ تَهْـدِى النسـاءُ لِعـرْسِـه إذا القَشْعُ من بَرْد الشِّتَاء تَقَـعقْعا
لبـيبـا أعان اللُّب منه سـماحـةٌ خَصيبًا إذَا ما رائدُ الجَدْبِ أوْضَعَا
تَرَاه كنَصل السـيفِ يَهتَـزُّ للنَّدَى إذا لم تَجدْ عند امْـرئ السَّوء مَطْمـعًا
إذا ابْتَـدَرَ القومُ القِـدَاحَ وأُوقدتْ لهمْ نارُ أَيْسار كَـفَى مَنْ تَضَجَّـعَا
بمَثْنـى الأيادِى ثم لم تُـلْف مـالـكا على الفَرْثِ يحمِى اللحمَ أن يَتَـمَزَّعَا

قوله: «وقـد طـارَ السَّنا فى ربَابه»، السَّنا: الضـوءُ، وهو مقصـور قال الله عز وجل: ﴿يكَادُ سَنَا بَرْقـه يَذْهَبُ بالأَبْصـارِ﴾ [1]، والسَّناء من الحـسب ممدودٌ، والربابُ: سحابٌ دون السحَابِ كالمتعلّق بما فوقه، قال المازنىُّ:

---

(١) سورة النور ٤٣.

كَـأن الـرِّبَابَ دُوَيْنَ السَّـحَـابِ نَـعَـــــام تَـعَلَّـقُ بالأرْجُـلِ[1]

وقوله: «يَسُحُّ» معناه يَصُبُّ، فإذا قلت: يَسْحـو، أو يَسْحَى، فمعناه يَقْشِرُ، ومن ذا سُميت سحاءَةُ القِرطَاسِ وسحابَتُـهُ، ومنه قيل للحديدة التى يُقْشَرُ بها وجهُ الأرضِ مِسحاةٌ، قال عَنترة:

سَـحًّا وسَـاحِـيَـةً فكل قَـرارَةٍ يَجْـرى عليهـا الماءُ لم يَتصَـرَّمِ[2]

وقوله: «تَرَيَّعُ» أى كَـثُر حتى جـاء وذهبَ، يقال: رَاعَ يَرِيعُ إذا رجعَ، ومنه سُمِّى رَيعَ الطعام، لأنه يرجع بفَضل. قال مُزَرِّدٌ:

خَلطْتُ بِصَاعَىْ عَـجْوَةٍ صاعَ حنطةٍ إلى صـاعِ سَـمنٍ فـوقَـهُ يَـتـرَيَّعُ

والذِّهابُ: الأمطارُ اللينة، والمُدجنَاتُ من السحاب: السُّودُ، وهو مأخوذٌ من الدَّجَنِ والدُّجُنَّة، ومعناه إلْبَاس الغيم وظلمته، قال طَرَفَة:

وتَقصيرُ يوم الدُّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجِب بِبَـهْنَكَةٍ تحـتَ الطِّراف المُمَـدد[3]

ويقال: أَمْرَعَ الوادى، إِذَا أَخْصَبَ، من ذلك قولُ مولاة بن الأُجيَد عن أوفى ابن دَلْهَمٍ، قـال أبو العباس: حـدثنى به ابنُ المهدَىِّ أحـمدُ بن مـحمـد النحوىُّ، يُحدِّثُ بـه عن الأصمعّى عـن أبيه، عن مـولاة بن الأجْيد عن أوفـى، قال: فى النساء أربعٌ، فمنهن الصَّدَعُ[4]، تُفرِّق ولا تَجْمَعُ، ومنهن مَنْ لها شَـيئها أجْمَعُ، ومنهنَّ غَيْثٌ وقَعَ فى بلدٍ فأَمْرَعَ، ومنهنَّ التبَعُ[5]، تَرَى ولا تَسْمَعُ. قال: فذكرتُ ذلك لرجلٍ فقـال: ومنهنَّ القرْثعُ، قلـتُ: وما هى؟ قال: التى تكْحَـلُ عينًا وتَدَعُ الأخرى، وتَلبسُ ثوبَها مقلوبًا.

***

(١) نسبه المرصفى إلى زهير بن عروة بن جلهمة المازني

(٢) الساحية: المطرة الشديدة الوقع تقشر وجه الأرض.

(٣) البهكنة: الجارية المليحة، والطراف: البيت من الجلد.

(٤) قال المرصفى: «يريد ذات الصدع (بسكون الدال وحركها للسجع، وهو مصدر صدع الشيء فتصدع، فرقه فتفرق».

(٥) التبع: العجوز.

[قال الأخفشُ: حدثنى بذلك أبو العَيْنَاءِ عن الأصمعى، وذكر نحو ذلك]

***

وقوله:

* وآثرَ سَيْلَ الوادِيَيْن بديمة *

زعمَ الأصمعىُّ وغيرهُ من أهل العلم أن الدِّيمَةَ المطرُ الدائمُ أيامًا برفقٍ.

وقوله: «تُرَشِّحُ وَسميًّا» أى تُهيئه لذلك، يقال: فلانٌ يُرَشَّحُ للخلافة، والوسْمى: أَوَّلُ مَطَرٍ يَسِمُ الأرْض، والوَلِىُّ: كلُّ مَطْرةَ بعد مطْرةٍ، فالثانية وَلِىٌّ للأخرى، لأنها تليها.

والخِرْوعُ: كلُّ عودٍ ضعيفٍ.

وقوله:

* فمَا وَجْدُ أَظْآرٍ ثلاثٍ روائمٍ *

أَظْآرٌ: جمعُ ظِئرٍ، وهىَ النّوقُ تَعطِفُ على الحُوار فَتَألَفُه، ورَوائِمُ واحدتها رَءومٌ، ومعنى تَرأَمُهُ، تَشمُّهُ.

والحُوارُ: وَلَدُ الناقة، ويقال له حيثُ يَسْقَطُ من أُمِّه سَلِيلٌ، قبل أن تقعَ عليه الأَسْمَاءُ، فإن كان ذكرًا فهو سَقْبٌ، وإن كانت أُنثى فهىَ حَائِلٌ، وهو فى ذلك كلهِ حُوارٌ سَنَةً.

وقوله: «نَدْمَانى جَذيمةَ» يعنى جَذيمةَ الأبرَش الأزدى، وكان مَلكًا، وهو الذى قتلتْهُ الزَّبَّاءُ، وهو أولُ من أَوْقَدَ بالشَّمْعِ، ونصَب المجَانيق للحربِ، وله قصص تطُولُ، وقد شرحنا ذلك فى كتاب «الاختيار» ونديماه يقالُ لهما مالك وعَقيلٌ، ففى ذلك يقولُ أبو خِرَاشٍ الهُذَلِىُّ:

أَلَمْ تَعْلَمى أنْ قد تَفَرَّق قبلَنَا ... خَليلاَ صَفَاءٍ مالكٌ وعَقيلُ

والمَثَلُ يُضربُ بهما لِطولِ ما نَادَماهُ، كما يُضرب باجتماع الفرْقَدَيْن. قال عَمْرُو بن مَعْدِى كَرِبَ:

وكلُّ أخٍ مُفَارِقُهُ أخوه لعَمْرُ أبيكَ إلاّ الفَرْقَدانَ

قال هذا من قبل أن يُسْلِمَ، وقال إسماعيل بن القاسم:

ولم أرَ ما يَدُومُ له اجتماعٌ سَيَفْتَرِقُ اجتماعُ الفَرْقَدَين

وقوله:

* أراكَ حديثًا ناعمَ البال أفْرعَا *

الأفْرَعُ: التامُّ شَعَرِ الرأس، وقيل لعمرَ بن الخطاب #: الفُرْعان خير أم الصُّلعَان؟ فقال: بل الفرعان، وكان أبو بكر أَفْرَع، وكان عمرُ أصلَع، فوَقَع فى نفسه أنه يسأل عنه وعن أبى بكر. والأسفع: الأسودُ، يقال: سَفَعَتْه النارُ، أىْ غَيرَّتَ وجهه إلى السَّواد.

وقوله: «فعمرك» يُقسمُ عليها، ويقال: «عَمركَ الله» أىْ أُذكِّرك الله؛ قال:

عَمَّرْتُكِ الله إلاّ ما ذكرتِ لنا هل كنت جارتَنا أيَّام ذى سَلَم!

وقوله: «غيرَ مِبْطانِ العشيَّاتِ»، يقول: كان لا يأكلُ فى آخر نهارِه انتظارًا للضيف، ويروى أن عمر بن الخطاب سأله فقال: أكذَبت فى شىء مما قلته فى أخيك؟ فقال: نعم فى قولى: «غير مبْطانِ»، وكان ذا بَطنٍ، ويقال فى غير هذا الحديث: إنَّ مِنْ سِيما الرئيس السيِّد أن يكونَ عظيمَ البطنِ ضَخمَ الرأس، فيه طَرَشٌ.

وقال رجلٌ لفتى: والله ما أنتَ بعظيم الرأسِ فتكونَ سيدًا، ولا بأَرْسح[1] فتكون فارسًا.

وقال رجلٌ لرجل: والله ما فَتقتَ فَتَقَ[2] السَّادَة، ولا مُطلت[3] مَطْلَ الفرسانِ. والأرْوعُ: ذو الرَّوعَة والهيْئة.

(١) الرسح: قلة لحم العجز والفخذين؛ وذلك لملازمته الركوب.

(٢) ما فتقت، قال المرصفى: من الفتق، وهو شق العصا وتصدع الكلمة ووقوع الحرب تسيل منها الدماء وتكثر الجراحات».

(٣) مطلت، بالبناء للمجهول، قال المرصفى: وهو فى الأصل ضرب الحداد الحديدة لتطول، يريد ليس بذى رأى يرتق ما فتق بين القوم، ولا بفارس يناله قرع السيوف.

والبَرُم: الذى لا يَنْـزلُ مع الناسِ ولا يأخذُ فى الميسِـر، ولا ينزَعُ إلاَّ نكدًا، قال النابغةُ:

هلاَ سَـألتِ بنى ذُبيانَ مـا حَسَـبِى ... إذا الدُّخان تَغشَّى الأسَمَط البرما[1]

وقوله: «إذا القَشعُ» وهو الجِلدُ الـيابسُ، ويقال لكُنَاسةِ الحمَّـام القِشعُ، قال أبو هريرة: «وكَذَّبَتُ حتى رُميتُ بالقِشع».

***

وحدثنى العـباسُ بن الفَـرَجِ الرِّياشىُّ، عن محمـد بن عبـد الله الأنصارى القاضى، فى إِسنادٍ ذَكرَه، قال: صلَّى مُتـممٌ مع أبى بكر الصديق الفَجْرَ فى عَقب قتل أخيه، وكان أخوه خَرَجَ مع خالد مَرْجعهُ من اليَمَامَة، يُظْهرُ الإسلامَ، فظن به خالدٌ غـيرَ ذلك، فأمـر ضِرار بن الأزوَرِ الأسَدى فـقتلهُ، وكـان مالكٌ من أرداَف الملوك، ومن مـتقـدِّمى فُرسَـانِ بنى يَرْبوع، قـال: فلمَّا صلَّى أبو بكر قـامَ متِّـمم بحذائه، واتكأ على سِيَةِ [2] قوسِهِ، ثم قال:

نِعْمَ القَـتِـيلُ إذا الرِّياحُ تناوحَتْ ... خَلْفَ البُيُوتِ، قَتَلتَ يَابْنَ الأزورِ

ولِنعْمَ حَشْو الدِّرْع كنتَ وحاسِرًا ... ولِنَـعم مَـــأوى الطارقِ المُتَـنورِ

أدعـــــوته بالله ثـم غَـــــرِرْتَهُ ... لَوْ هُو دَعَـــاكَ بذمـة لم يَـغـدِرِ

وأومأَ إلى أبي بكر، فقال: والله ما دَعَوتُهُ ولا غَرَرْتُهُ، ثم أَتَمَّ شعرَه، فقال:

لا يُمسك الفـحـشـاء تحتَ ثِيـابِهِ ... حُلوٌ شَـمــائِلُهُ عَـفـيـفُ المِئْـزر

ثم بكى وانْحَط على سِيَةِ قـوسه - وكان أعورَ دَميمًا - فـما زال يَبْكى حتى دَمَعَتْ عينهُ العَورَاءُ، فقام إليه عمر بن الخطاب فقال: لوَددْتُ أَنّى رثَيتُ أَخى زيدًا بمثل ما رَثَـيتَ به مالكًا أخاك! فـقال له: يا أَبَا حَـفْصٍ! والله لو علمتُ أنَّ أَخى صارَ بحيثُ صارَ أخوك مـا رَثَيْتُهُ، فقال عمر: مَا عَـزَّانى أحدٌ بمثل تعزيتك. وكان

(١) تغشى: تلبس والأشمط الذى خالطه الشيب.

(٢) سية القوس: ما عطف من صرفيها..

زيد بنُ الخطاب قتلِ شهيدًا يومَ اليمامةِ، وكان عمرُ يقول: إنى لأهَشُّ للصَّبا، لأنها تأتينا من ناحية زيد. ويُروى عن عمرَ أنه قال: لو كنت أقولُ الشعر، كما تقولُ لرَثَيتْ أخى كما رثيت أخاك، ويُروى أنَّ مُتَمِّمًا رثى زيدًا، فلم يجدْ، فقال له عمر: لم تَرْثِ زيدًا كما رثيت أخاكَ مالكا! فقال: لأنه والله يُحركنى لمالِكٍ ما لا يَحرِّكُنِي لزيدٍ.

***

ومن طريف شِعرِه:

لَعمْرِى وما دهرى بتَأْبين هالكٍ ... ولا جَزَعٍ والموتُ يَذْهبُ بالفَتى(١)

لئِنْ مَالكٌ خَلّى عَلىَّ مكانَه ... لفى إسْوةٍ إنْ كُنت باغيةَ الأسَا

كُهُولٌ ومُردٌ من بنى عمّ مالكٍ ... وأَيْفاعُ صِدْقٍ قد تَمَلّيتُهُم رضا(٢)

سُقوا بالعُقارِ الصِّرفِ حتى تتَابَعُوا ... كدَأْبِ ثَمود إذْ رَغَا سَقْبهُم ضُحى(٣)

إذَا القوْم قالوا: مَنْ فَتىً لُملمَّةٍ ... فمَا كُلّهم يُدْعى، ولكنّه الفَتى

ومثلُ هذا الشعر قولُ النَّهْشَليّ:

لو كانَ فى الألفِ مِنَّا واحدٌ فَدَعوا ... مَنْ فارسٌ خالَهُمْ إيَّاهُ يَعنُونَا

وأَوَّلُ هذا المعنى لِطَرَفَةَ:

إذا القومُ قالوا من فَتىً خِلْتُ أَنَّنِي ... عُنِيتُ فلم أَكسَلْ ولم أتبلدِ

***

وقال متممٌ أيضاً فى كلمة له يرثى بها مالكًا:

جَميلُ المَحيَّا ضاحكٌ عند ضيفِه ... أَغرُّ جَميعُ الرَأْى مُشْتَرَك الرَّجْلِ

---

(١) ما دهرى: ما همى وغايتى.

(٢) أيفاع: جمع يفع؛ وهو الشاب الذى شارف البلوغ، وتمليتهم: عشت معهم وتمتعت بهم ملاوة من الدهر.

(٣) العقار: الخمر، والصرف. التى لم تمزج، ويريد به الموت، على الاستعارة.

وَقُورٌ إذَا القومُ الكِرامُ تقاوَلُوا فَحُلَّت حُبَاهم واسْتُطِيرُوا من الجهَل[1]

وكنتَ إلى نَفسِى أشَد حلاوةً من الماءِ بالماذِىِّ من عَسَلِ النَّحْلِ[2]

وكلُّ فَتًى فى الناسِ بعدَ ابن أُمِّه كساقطة إحدى يدَيْه من الخَبْلِ

وبعضُ الرجالِ نَخْلة لا جَنى لها ولاَ ظِلَّ إلاّ أنَ تُعَدَّ من النَّخْلِ

وقال له عمرُ بن الخطاب: إنك لَجَزْلٌ، فأينَ كان أخوك منك؟ فقال: كان والله أخى فى الليلة المُظلمة ذات الأزيز والصُّراد[3] يركبُ الجملَ الثَّفَالَ، ويَجنُبُ[4] الفَرَسَ الجَرورَ، وفى يَدهِ الرُّمح الثَّقيلُ، وعليه الشمْلةُ الفلوتُ، وهو بَيْنَ المَزَادَتَيْنِ حتى يُصبح، فَيصبِّح أهلَه مُبتسمًا.

الجملُ الثفَالُ: البطىء الذى لا يكاد يَنْبَعَثُ.

والفرسُ الجَرُور: الذى لا يكادُ يَنقادُ مع مَنْ يَجنبُهُ، إنما يَجُرُّ الحبلَ. والشَّمْلَةُ الفَلوتُ: التى لا تكادُ تَثبتُ على لاَبسها.

وذَكَرَ لنا أن مالكًا كان من أرْداف الملوك، وفى تَصْدَاق ذلك يقولُ جَريرٌ يَفْخرُ ببنى يَرْبُوعٍ:

منهم عُتَيبَة والُمحِلُّ وقَعنَبٌ والحنتفان ومنهمُ الرِّدفَانِ[5]

فأحَدُ الرِّدْفين مالكُ بن نوَيْرَة اليربُوعىُّ، والرّدف الآخر من بنى رياح بن يَرْبوعٍ، وللرِّدَافةِ موضعان: أحدهما أن يُرْدفَهُ الَملكُ على دابَّته فى صَيد أو تَرَيُّفُ أو ما أشبه ذلك من مواضعِ الأُنسِ، والوجه الآخرُ أنبلُ، وهو أن يَخلُفَ الَملكَ إذا قَامَ عن مجلسِ الحُكْمِ فينظرَ بَيْنَ الناسِ بَعْدَهُ.

---

(١) حباهم: جمع حبوة؛ وهى الثوب الذى يحتبى به الرجل يجمع به ظهره وساقيه.

(٢) الماذى: العسل الأبيض.

(٣) الأزيز: البرد، والصراد: سحاب بارد ندى ليس فيه ماء.

(٤) يجنب الفرس: يقوده إلى جنبه.

(٥) عتبة بن الحارث بن شهاب، والمحل وقعنب: رجلان من بنى حنظلة بن يربوع.
الحنتفان: الحنتف وأخوه ابنا أوس بن حميرى بن يربوع (رغبة الآمل).

باب

[من أخبار من جزعوا عند الموت]

قال أبو العباس: لمَّا احْتُضِرَ إبراهيمُ النَّخعي رحمه الله، جَزِعَ جَزَعًا شديدًا، فقيل له في ذلك، فقال: وأيُّ خَطرٍ أعظمُ من هذا! إنَّما أتوَقَّعُ رسولاً يَرِدُ عليَّ من ربي، إما بالجنةِ وإما بالنار.

ولما احتُضرَ ابنُ سيرين، جعلَ يقولُ: نفسي والله أعَزُّ الأنْفس عليَّ. ولما احتُضِر حُجْرُ بنُ عدي ليُقتلَ، سَأَلَ أن يُمهَلَ حتى يصلي ركعتين، وظهرَ منه جزعٌ شديدٌ، فقال له قائلٌ: أتَجزعُ! فقال: وكيف لا أجْزَعُ! سيفٌ مشهورٌ، وكفنٌ منشورٌ، وقبرٌ محفورٌ، ولستُ أدري أيودينى إلى جنةٍ أم إلى نار.

[قال أبو الحسن: ما يقومُ بقتل حُجر بنِ عديٍّ شيءٌ! وإني لأعْجَبُ من قوله هذا: «ولستُ أدري أيدنيني إلى جنةٍ أو إلي نارٍ»، وهو شهيدُ الشهداءِ، رحمه الله!].

وقد ذكرنا موتَ عَمْرو بنِ العاصِ وكلامه عند الموت.

[ممن ظهرت عليهم القسوة عند الموت]

وممن ظَهَرتْ منه عند الموت قَسْوةٌ، حَلْحَلَةُ الفَزاري، وسعيد بن أبانَ بن عيينة بن حصن الفزاري، فإن عبدَ الملك لمَّا أحضَرَهما ليُقيدَ منهما قال لحلحلة: صَبْرًا حَلْحَلَ! فقال إي والله!.

أَصْبَرُ مِنْ ذِي ضَاغطٍ عَرَكْرَكِ   أَلْقَى بَواني زَورِهِ للمَبْرَكِ[1]

ثم قال لابن الأسود الكَلْبي: أجِدِ الضَّرْبَةَ، فإني والله ضربت أباكَ ضربةً

(١) قال المرصفي: يريد: من بعير ذي ضاغط، والضاغط: أن يتحرك مرفق البعير حتى يقع في جنبه فيخرقه، وعركرك: به أثر من العرك؛ وهو أن يعرك البعير جنبه بمرفقه فيؤثر فيه. وبواني زوره: أضلاعه، الواحدة بانية، وزوره: صدره.

أَسْلَحْتُهُ، فعددت النُّجومَ فى سَلحَتهِ، ثم قال عبدُ الملك لسَعيد بن أبانَ: صبرًا سعيدُ! فقال: إِى والله!.

أَصَبرُ مِنْ عَوْدٍ بِجَنْبَيه الجُلَبْ   قد أَثَّرَ البِطَانُ فيه والحَقبَ [1]

***

ومنهم وكيعُ بن أبى سُودٍ، أحدُ بنى غُدَانَةَ بنْ يَرْبُوعٍ، فإنه لما يُئِسَ منه خرجَ الطبيبُ من عنده، فقال له محمدُ ابنهُ: ما تقولُ؟ قال: لا يُصلى الظُّهر، وكان محمدٌ ناسكًا، فدخلَ إلى أبيه، فقال له أبوه وكيع: ما قال لك المَعْلوجُ؟ قال: وعَدَ أنكَ تَبرأ، قال: أسألك بحقِّى عليكَ! قال: ذَكَرَ أنكَ لا تصلى الظهرَ، قال: وَيْلِى على ابنِ الخَبيثةِ! والله لو كانتْ فى شِدقي لَلُكْتُها إلى العَصرِ.

***

ويروى أَنَّ إبراهيم النَّخْعِى قال فى الحديث الذى ذكرناه: والله وَدَدْتُ أنها تَلَجلجُ فى حَلقى إلى يوم القيامة، وفى وكيعِ بن أبى سُودٍ يقولُ الفرزدق:

لقد رُزِئَتْ بأسًا وحَزْمًا وسُودَدًا   تَميمُ بن مُرٍّ يومَ ماتَ وَكيعُ

وما كان وقَّافا وَكيعٌ إذا دَنَتْ   سحائب مَوْتٍ وَبلُهُنَّ نَجيعُ

إِذَا التقتِ الأبطالُ أَبْصَرْتَ لونَهُ   مُضيئًا وأعناقُ الكُماة خُضُوع

فصبرًا تَمِيمُ إِنَّما الموتُ مَنْهَلٌ   يَصيرُ إليه صابرٌ وجَزُوعُ

وقال أيضًا:

لتَبْكِ وَكيعًا خَيْلُ ليلٍ مُغَيرةٌ   تَساقِى المَنايا بالرُّدَينيَّةِ السُّمرِ [2]

---

(1) العود. الجمل المسن: والجلب: جمع جلبة، وهى القرحة تعلوها قشرة البره، والبطان: حزام الرجل. والحقب: الحزام الذى يلى حقو البعير.

(2) الوبل: غزارة المطر، والنجيع: الدم.

لَقُوا مِثْـلَهُمَ فاسْتَهزَمُـوهم بدَعوَةٍ   دَعوْهَا وكيعًـا والجيادُ بهم تَجْرِى(١)

***

ومن الجُـفَاة عندَ الموتِ هُدْبَةُ بن خَـشْرَمٍ العـذرىُّ، وكان قَـتَلَ زِيادَةَ بنَ زيدٍ العُذْرِىَّ، فلمـا حُمِلَ إلى معـاوية، تقدمّ معـه عبد الرحـمن أَخُو زيادَةَ بنِ زياد، فادّعى عليـه، فقال له معاويَـة: ما تقولُ؟ قال: أتحبُّ أن يكونَ الجـواب شعرًا أم نثرًا؟ قال: بل شعرًا، فإنه أَمْتَعُ. فقال هُدْبَةُ:

فَلمَّــــا رأيتُ أنّمَــــا هِــى ضَــرْبَةٌ   منَ السـيفِ أو إغضاءُ عَـيْنٍ على وترْ
عَـمَــدتُ لأمـرٍ لا تُعـيِّـرُ والدِى   خَــزَايـنُهُ ولا يُسَبُّ به قــبــرى(٢)
رُمـيْنَـا فَرَامَـيْنَا فـصادَفَ سَهْـمُنا   مَنِيَّــةَ نَفْسٍ فى كـتـابٍ وفى قَــدْرِ
وأنت أمـيــرُ المؤمنين فــمــا لَنا   وراءَكَ من مَعْدَى ولا عنك من قَصْرْ(٣)
فـإن تَكُ فى أمْـوالنـا لا نَضِقْ بهـا   ذراعًـا، وإن صَبْـرٌ فنَصبـرُ للصَّبْـرِ(٤)

فقال له معاوية: أَرَاكَ قد أقْرَرْت يا هدبة! قال: هو ذاك، فقال عبدُالرحمن: أقدنـى، فكره ذاكَ وضَنَّ بهُدبَةَ عنِ القَـتْلِ - وكان ابنُ زيادةَ صـغيـرًا - فقـال له معاوية: أوَمَا عليكَ أَنْ تَشْفِىَ صَدْرَك وتَحْـرم غيرَك! ثم وَجَّهَ به إلى المدينة فقال: يُحْبَس إلى أن يَبْلَغَ ابنُ زِيادَةَ، فبَلَغَ..

وكان والى المدينة سعيدَ بنَ العاصي، فممَّا وُقِفَ عليه من قسوته قوله:

ولـمَّا دخلتُ السجنَ يا أُمَّ مالكٍ   ذكرتُكِ والأطرافُ فى حَلَقٍ سُمْرِ

---

(١) قال المرصفى أنه لما مات منع والى البـصرة عدى بن أرطاة الفزارى أن يناح عليه، فوضعـوا نعشه وقالوا: لا يحمل حتى يجىء الفـرزدق، فجاء وعليه قمـيص أسود مشقوق، والناس، يترحـمون ويذكرون الله، فأخذ بقائمة السرير فنهض به، ثم أنشأ يقول: لتبك وكيعا... البيتين.

(٢) الخزاية: الاستحياء.

(٣) من معدى: من متجاوز إلى غيرك، ولا عنك من قصر؛ يريد ولا منع فى أمرى عنك (رغبة الآمل).

(٤) فإن تك؛ يريد الدية، والصبر: الحبس.

وعند سَعيدٍ غيرَ أنْ لم أَبُحْ به ذَكرتُكِ إن الأمرَ يُذْكر بالأمرِ

فسُئِلَ عن هذا القول، فقال: لـمَّا رأيتُ ثَغْرَ سعيدٍ - وكان سعيدٌ حسنَ الثغر جدا - ذَكَرْتُ به ثَغْرَها.

ويقال إنه عُرِضَ على ابن زيادةَ عَشْر ديات فأبَى إلاَّ القَوَدَ، وكان ممن عَرَضَ الديات عليه ممن ذُكِرَ لنا، الحسينُ بن عليّ وعبدُ الله بن جعفرٍ، عليهما السلام، وسعيدُ بن العاصى، ومرْوَانُ بن الحكم، وسائرُ القوم من قريش والأنصار، فلما خُرِجَ به ليُقاد بالحَرَّة جعَلَ يُنشدُ الأشعارَ، فقالت له حُبَّى المَدَنِيَّة: ما رأيت أقسَى قلبًا منك ! أتُنْشدُ الأشعَارَ وأنتَ يُمضى بك لتُقتَلَ، وهذه خلفكَ كأنها ظَبْيٌ عَطْشانُ تَوَلْولُ ! تَعْنى امرأتَهُ، فوَقفَ، ووقفَ الناسُ معه، فأقبل على حُبَّى فقال:

ما وَجَدَتْ وَجْدِى بها أمٌّ واحدٍ ولا وَجْدَ حُبَّى بابنِ أُمِّ كِلابِ
رأته طويلَ الساعدَيْن شَمَرْدلاً كما انْتَعَتَتْ من قُوَّةٍ وشَبابِ[1]

فأغلقت حُبَّى ألبابَ فى وجهه وسَبَّتْه.

وعَرَضَ له عبدُ الرحمنِ بنُ حَسَّانٍ، فقال: أنشدنى، فقال له: أعَلَى هذه الحال! قال: نعم، فأنشده:

ولَسْتُ بمِفراحٍ إذا الدهرُ سرَّنى ولا جازعٍ من صرْفِهِ المتقلِّبِ
ولا أتبَغَّى الشرَّ والشرُّ تاركى ولكن متى أحْملْ على الشرِّ أرْكَبِ
وحَرَّبَنِى مولاى حتى غَشيتُهُ متى ما يُحربكَ ابنُ عَمِّكِ تَحْرَبِ[2]

***

فلما قُدِّم نَظَرَ إلى امرأته، فدخلته غَيرةٌ، وقد كان جُدِعَ فى حَرْبهم، فقال:

فإنْ يَكُ أنفِى بانَ منه جَمَاله فما حَسَبى فى الصالحين بأجدَعا

(١) الشمردل: الفتى القوى الجلد. وانتعشت.

(٢) حربنى: حملنى على الغضب.

فـلا تَنْكحى إنْ فَـرَّقَ الدهرُ بيننا   أَغَمَّ القَـفَا والوجـهِ ليس بأنْزَعـا

فقالت: قفُوا عنه ساعة، ثم مـضتْ ورَجَعَت وقد اصْطَلَمَت أنفَها! فقالت: أهذا فِعلُ مَنْ له فى الرجـال حاجة! فقـال: الآنَ طابَ الموتُ. ثم أقبل على أَبَويهُ فقال:

أَبْليـانِى اليـومَ صَبْـرا منكمـا   إنَّ حُـزنًا مـنكمـا اليـومَ لَشَـرْ

مـــا أظـنُّ الموتَ إلاَّ هَـيِّنـا   إنَّ بعــدَ الموتَ دارَ المُسْـتَـقَـرْ

ثم قال:

أَذَا العَـرْشَ إنِى عائِذٌ بكَ مـؤمنٌ   مُـقِـرٌ بزَّلاتـى إليكَ فَـقـيـرُ

وإنى وإنْ قـالوا أَمِيـرٌ مُـسَلَّط   وحُـجَّـابُ أبوابٍ لَهنَّ صَـريرُ

لأَعْلَمُ أَنَّ الأمْـرَ أمَـرُك إن تدن   فـرَبٌّ وإنْ تَغْـفرِ فـأنت غـفـورُ

ثم قال لابن زِيادَةَ: أثْبت قَـدَمَيْكَ، وأجِدِ الضربَةَ، فـإنى أيْتمتُكَ صـغيرًا، وأرْمَلتُ أمَّكَ شابَّةً.

ويزعُم بعضُ أصحاب الأخبـار أنه قال: ما أجْزَعُ من المْوت، وآيةُ ذلك أنِّى أضْربُ برجـلى اليُسرى بعـد القتل ثلاثًا، وهـو باطلٌ موضوعٌ، ولكـنْ سَأل فَكَّ قيودِهِ، فُفكتْ، فذلك حيث يقولُ:

فـإن تَقْتُلونى فـى الحَديدِ فـإنَّنى   قَـتَلْتُ أخـاكم مُطلْقًا لـم يُقيَّـدِ

[من أخبار من وقفوا على القبور]

قال أبو العـباس: ووقفَ خبَّار بنُ سَلْمى عـلى قبرِ عامـرِ بن الطُّفيل، ولم يكن حَضَـرَهُ، فقـال: أَنْعِمْ صبـاحًا أبَا علىٍّ! فـوالله لقد كنت سريعـاً إلى المولى بوَعْدكَ، بَطيئًا عنه بإيعـادك، ولقد كنتَ أهْدَى من النَّجم، وأجْرَى من السَّيلِ. ثم التفت إليهم فقال: كان ينبغى أن تَجعلَوا قبر أبى علىٍّ ميلاً فى ميلٍ!.

***

وذَكر الحِرْمازيُّ أن الأحنفَ بن قيْس لما مات، وكان موتهُ بالكوفة، مَشَى المُصعَبُ بن الزُّبير فى جنازته بغير رداء، وقال: اليومَ ماتَ سيدُ العرب، فلمَّا دُفِنَ قامت امرأة على قبره- أَحْسَبُها من بنى مِنْقَر - فقالت: لله دَرُّك من مُجنٍّ فى جَنَنٍ [1]، ومُدرَجٍ فى كَفَن ! فنسألُ الذى فَجَعنا بموتكَ، وابتلانَا بفقدكَ، أن يَجْعَلَ سبيل الخيرِ سَبيلك، ودَليل الخيرِ دليلَكَ، وأن يُوسعَ لك فى قبرك، ويغفرَ لك يومَ حَشرِكَ، . فوالله لقد كنتَ فى المحافلِ شريفًا، وعلى الأراملِ عَطوفًا، ولقد كنتَ فى الحَىِّ مُسوَّدًا، وإلى الخليفةِ مُوفَدًا، ولقد كانوا لقولك مستمعين، ولرأيك مُتَّبعين، قال: فقال الناس: ما سمعنا كلام امرأةٍ أبلغ ولا أصدقَ معنى منها.

***

ووقفَ رجلٌ على قبر النجاشىِّ فَترَحَّم وقال: لولا أنّ القولَ لا يُحيطُ بما فيكَ، والوصفَ يَقْصرُ دونَك لأَطنَبْتُ، بل لأَسْهَبْتُ، ثم عَقَر ناقتَه على قبره، وقال:

عقرتُ على قبر النَّجاشى نَاقتى بأبْيَضَ عَضْبٍ أَخلَصَتْهُ صَياقِلُهْ
على قَبرِ مَنْ لو أنَّنى مِتُّ قَبْلَهُ لهانَتْ عليه عندَ قبرِى رَوَاحِلُهُ

***

وروى ابن دَأْبٍ أنَّ حَسَّان بن ثابت الأنصارىَّ اجتاز بقبر رَبيعَةَ بن مكدمٍ فأنشدَ:

لا يبعدن رَبيعَة بن مُكدَّمٍ وسَقَى الغَوادِى قَبْرَهُ بِذَنوبِ
نَفَرَتْ قُلوصِى من حِجارة حَرَّةٍ نَصبَتْ على طَلقِ اليدين وَهُوبِ
لا تَنْفُرِى يا نَاقَ منه فإنه شِرِّيبُ خَمْرٍ مِسْعَرٌ لِحُروبِ [2]
لولاَ السِّفارُ وطولُ قفْرِ مَهْمَه لتركتها تحبوُ على العُرْقُوبِ [3]

(١) مجن: اسم مفعول، من أجنه إذا ستره، والجنن: القبر.
(٢) مسعر للحروب: أى يسعرها ويشبها.
(٣) المهمه: القفر من الأرض.

نِعْمَ الفَـتى أدَّى نُـبَـيْـشـةُ رَحْلَه ... يومَ الكَديدِ نُبَـيْـشَةُ بـنُ حبـيبِ

ورَبيعةُ بن مكدَّم - رجلٌ من بنى كِنَانَةَ، وكان قتله أُهبانُ بن غَادِيةَ الخُزاعىّ، وقَيْسٌ تقولُ: قتله نُبَيْشَةُ بن حبيبَ السُّلمىُّ، وكان أهبانُ أخَا نُبيْشَة لأمِّه، وكان أتاه زائرًا، وأغارَ ربيعة بن مُكدم على بنى سُلَيم، فخرج أهبـانُ مع أخيه، فحمَلَ عليه فقتله، وحملَ أخو رَبيعة على أُهبان ففاتَه، فلأنهُ فى بنى سليم، قال حسانٌ:

* نَفَرتْ قَلُوصِى من حِجَارَةِ حَرَّةٍ *

لأنَّ الحرَّةَ هناكَ لبنى سُلَيمٍ، وفى تَصْدَاقِ ما تَدَّعيهِ خُزاعة يقولُ أُهبانُ:

ولقـد طَعنتُ رَبـيـعَـة بنَ مُكدَّمٍ ... يومَ الكَديدِ فَـخرَّ غـيـرَ مُوَسَّـدِ

فى عـارِضٍ شَـرِقٍ بَنَاتُ فـؤادِه ... منه بأحْـمر كـالنَّقـيع المُجسَّـدِ[1]

ولقـد وَهَبْت سِـلاَحَـهُ وجَـوادَهُ ... لأخِى نُبَـيْشَـةَ قـبلَ لوْم الحُسَّـدِ

وقال أخُو ربيعةَ يجيبهُ:

فـاتَ ابنُ غـادِيَةَ المَنيَّـة بعـدَ مـا ... رَفَّـعْـتُ أسـفلَ ذيلِـهِ بالمطرَدِ [2]

قلْ لابْنِ غَـادِيَةَ المُتـاحِ لقـتْلِنَا ... مـا كـان يَقْتُلُنـا الوَحيـدُ المُفـردُ

يريدُ أنَّ أهبَانَ مُفردٌ من قومه فى أخواله.

وقال أيضًا:

فـإنْ تَـذْهَبْ سُلَيمُ بِوتْرِ قـوْمى ... فـأَسْـلَمُ مِنْ مَنَـازِلَنا قـريبُ

[ليلى الأخيلية ترثى توبة]

وقالت ليلى الأخيَليَّةُ:

آليْتُ أَبْـكى بعـد توبَةَ هالـكًا ... وأَحْـفِلُ مَنْ دارَتْ عليـه الدَّوائرُ

لَعَمركَ ما بالموت عار على الفَتى ... إذا لم تَصِبـهُ فى الحيـاةِ المعَـايرُ

---

(١) المطرد: الرمح القصير يطارد به الفارس.

فـلا يُبْـعِـدَنكَ الله يا تَوْبَ إنما	لِقـاءُ المَنَايَا دَارِعًـا مـثلُ حـاسِـرِ

ويُروى :

فـلا يُبعِـدنْكَ الله يا تَوْبَ هالكا	أخا الحربِ إنْ دارتْ عليه الدَّوائرُ
فكلٌّ جَـديدٍ أو شبَـاب إلى بِلًى	وكلُّ امْـرئٍ يومًا إلى الله صـائرُ

* * *

وذَكَر المدائنى أنَّ رجلاً عَزَّى رجلاً أَفْرَط عليه الجَزعُ على ابنه فقال: يا هذا، سُرِرْتَ به وهو حُزنٌ وفتنة، وجَزَعت عليه وهو صَلاةٌ ورحمةٌ، فَسُرِّى عنه.ويُروَى أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «تعَزَّوا عن مصـائبكم بى»، وقال رجلٌ لابن عمرَ: أُعظمَ الله أَجْرَكَ، فقال: نَسَأَلُ الله العافـية! معناه: أنه لـمَّا قال له: «أعظم الله أجركَ»، إنما دعا بأن يكثر ما يُؤجَرُ عليه، ودلَّ على أنه من باب المصائب تعزِيتُهُ إيَّاهُ.

وهذا باب طريفٌ من أشعارِ المُحْدَثين

[مطيع بن إياس في يحيى بن زياد]

قال مُطيعُ بنُ إياسٍ اللَّيثى يَرثى يحيى بنَ زِيادِ الحارثيَّ - وكان صَدِيقهُ، وكانا مَرميَّين جميعًا بالخروج عن الملة:

يَا أَهلَ بكُّوا لِقَلْبِىَ القَرِحِ ... وللدُّمُوعِ الهواملِ السُّفَحِ (١)

رَاحُوا بيَحيى إلى مُغَيَّبَهِ ... فى القبرِ بينَ التُّرابِ والصُّفُحِ(٢)

رَاحُوا بيحيى ولو تطاوعنى الأقـ ... ـدارُ لم يَبْتكِرْ ولم يَرُحِ

يا خيرَ مَنْ يَحَسُنُ البُكاءُ له الـ ... ـيومَ ومَنْ كانَ أمسِ للمِدَحِ (٣)

***

وفى يحيى يقولُ مطيعٌ لنَبْوةٍ كانتْ بينهما:

كنتُ ويَحيى كَيدى واحدٍ ... نرمى جميعًا ونُرامى مَعَا

إن سَرَّهُ الدَّهرُ فقد سَرَّنى ... أو حادثٌ نابَ فقد أفْظعَا

أو نامَ نامتْ أعينٌ أربَعٌ ... منَّا، وإن هَبَّ فلَنْ أهْجَعَا

حتى إذا ما الشَّيبُ فى عارِضى ... لاحَ وفى مفْرِقِه أسرعَا

سَعَى وُشاةٌ طُبَّنٌ بَيْننا ... فكادَ حَبْلُ الوَصْلِ أن يقْطعَا(٤)

فلم ألُمْ يَحيى على حادثٍ ... ولم أقلْ خَانَ ولا ضَيَّعَا

---

(١) الهوامل: الذوارف.

(٢) الصفح: جمع صفيحة، وهى القطعة العريضة من الصخر.

(٣) ذكر المرصفى بعده:

قَدَ ظَفِرَ الحُزْنُ بالسُّرور وَقَد ... أُديلَ مَكْرُوهُنَا مِنَ الفَرحِ

(٤) طبن: جمع طابن، وهو الفطن.

[لأبي عبد الرحمن العتبي يرثي علي بن سهل]

وقال أبو عـبد الرحمن العُتَـبِىّ يَرْثى علىَّ بن سَهْلِ بن الصَّبـاح - وكان له صَديقًا :

يا خَـبْـرَ إخـوانه وأعطَفَـهُمْ ... عليـهمُ راضِيًـا وغَـضبـانَا
أَمْـسَيْتَ حُـزنًا وصار قـربُكَ لى ... بُعْـدًا وصـارَ اللِّـقـاءُ هِجْـرانا
إنَّا إلى الله راجـعـون لَقَـد ... أصـبَحَ حـزنى عليـكَ أَلوانَا
حُـزنُ اشـتـيـاقٍ وحـزنُ مـرَزِئةٍ ... إذا انقـضى عـادَ كـالذى كـانا

***

قوله: «يا خَبْرَ إخوانهَ» محالٌ وباطلٌ، وذلك أنه لا يضافُ «أفعَلُ» إلى شىءٍ إلاّ وهو جزءٌ منه، وقال أيضًا:

دَعَـوتُكَ يا أَخَىّ فـلم تجِـبْنى ... فـردَّتْ دَعْـوَتى حُـزنًا عَلَيَّـا
بموتِـكَ مَـاتـتِ اللذاتُ مِـنِّى ... وكـانتْ حَـيَّـةً إذْ كنتَ حَـيَّـا
فيَـا أَسَفِى عليكَ وطـولَ شَوقِى ... إليكَ لـوَ انَّ ذاك يَرُد شَـيـئًـا

[وقوف رجل على قبر عدوه]

وحدثنى رجلٌ من أصحابنا، قال: شهدتُ رجلاً فى طريق مكة معتكفا على قبـرٍ، وهو يُرَدِّدُ شيئًـا ودمُوعُه تَكفُ من لحيته، فـدنوت إليه لأسمع مـا يَقولُ، فجعلَت العَبْرَةُ تَحُولُ بينَهُ وبينَ الإبانة، فقلتُ له: يا هذا ! فرَفَعَ رأسَه إلىَّ، وكأنما هَبَّ من رَقدة، فقال: ما تشـاءُ؟ فقلت: أعلىَ ابنك تبكى؟ قال: لا، قلتُ: فعلى أبيك؟ قـالَ: لا، ولا على نَسـيب ولا صـديقَ ، ولكن علَـى مَن هو أخَصِ مِنهمـا، قلتُ: أوَ يكونُ أحدٌ أخَصَّ ممَّن ذكـرتَ؟ قال: نعم، مَنْ أخـبرُكَ عَنْه، إنَّ هذا المَدْفـونَ كان عـدواًّ لى من كل باب، يَسعَـى عَلى فى نفسى وفى مـالِى وفى وَلَدى، فخرجَ إلـى الصَّيْد أيأسَ ما كنتُ من عَطبـه، وأكملَ ما كان من صـحته، فرَمَى ظَبيًا فأقْصَدَه(١)، فذهبَ ليأخذَه، فـإذا هو قد أنْفَذَهُ حتى نَجَمَ(٢) سهمهُ مَن

(١) أقصده: لم يخطئه (٢) نجم سهمه: ظهر وبرز

صَفْحَةَ الظَّبْى [١]، فعَثَرَ فتلقى بفؤاده ظُبَةَ [٢] السَّهمِ، فَلَحقهُ أولياؤُهُ، فانتزعوا السهمَ، وهو والظَّبىُ مَيِّتانِ، فنَمى إلىَّ خبرهُ، فأسرعت، إلى قبره مغتبطًا بفقده، فإنى لَضَاحِكُ السِّنِّ، إذ وقعت عينى على صخرةٍ، فرأيتُ عليها كتابًا، فَهَلُمَّ فاقرأهُ، وأومأ إلى الصخرة، فإذا عليها:

وما نحنُ إلاَّ مِثْلُهُمُ غيرَ أنّنا أَقَمْنَا قليلاً بعدَهُم وتَقَدَّمُوا

قلتُ: أشهدُ أنك تبكِى على مَنْ بُكاؤكَ عليه أحقُّ من النَّسيبِ.

[مراثى يعقوب بن الربيع فى جارية له]

وما استطرفنا من شعر المُحْدِثين قولُ يعقوبَ بنِ الرَّبيع فى جاريةٍ طالبَها سبعَ سنينَ، يَبْذُلُ فيها جاهه، ومالَه، وإخوانه حتى مَلَكهَا، فأقامت عنده ستة أشهر ثم ماتت، فقال فيها أشعارًا كثيرةً، اخترنا منها بعضَها من ذلك قولُه:

لله آنِسَةٌ فُجِعتُ بها ما كان أبعَدَها من الدَّنَس!
أَتتِ البِشارة والنَّعى معًا يَا قُربَ مأتَمِها من العُرسِ!
يا مُلكُ نالَ الدَّهرُ فُرصتهُ فرَمىَ فؤادًا غير مُحترسِ
كم من دُموعٍ لا تجفُّ ومن نَفْسٍ عليك طويلةِ النَّفسِ
أبكيكِ ما ناحتْ مُطوَّقَةٌ تحت الظَّلام تَنُوحُ فى الغَلَسِ
يا مُلْكُ فىَّ وفيكِ مُعتَبَرٌ ومواعِظٌ يُوحِشْنَ ذا الأنسِ
ما بعدَ فُرقةِ بَيْننا أبدًا فى لَذَّةٍ دَرَكٌ لُملتَمِسِ

وأخذَ ما فى صدرِ هذا الكلام من قول القائِل:

رُبَّ مَغروسٍ يُعاشُ به فَقَدتْهُ كفُّ مُغترِسِه
وكذاكَ الدَّهرُ مَأْتَمُه أَقْرَبُ الأشياء من عُرُسِه

---

(١) صفحة الظبى: جانبه.

(٢) ظبة السهم: حده.

وقريبٌ من هذا قولُ امرأةٍ شريفةٍ تَرثى زوجها - ولم يكن دخل بها [1]:

أبْكيكَ لا لِلّنعيمِ والأنَسِ ... بل للمعالى والرُّمْحِ والفَرَسِ
أَبْكِى على فارسٍ فجعتُ به ... أرملنى قبلَ ليلة العُرسِ
يا فارسًا بالعَراء مُطَّرحًا ... خانته قُوادُهُ مع الحَرَسِ
مَنْ لليتامىَ إذا هُمُ سَغِبُوا ... وكلِّ عانٍ وكُلِّ مُحْتَبَسِ!
أم مَنْ لِبرٍّ أم مَنْ لفائدةٍ ... أم مَنْ لِذِكرِ الإلَه والغَلسِ!

***

ومما أستطرفه من شعرِ يعقوبُ قوله:

ليتَ شِعرِى بأىِّ ذنْبٍ لِمُلكٍ ... كانَ هَجْرِى لِقَبْرها، واجْتنابى!
أَلِذَنْبٍ حَقَدْتُهُ كانَ منها ... أمْ لِعِلْمِى بشُغْلها عن عِتابى!
أمْ لأمنِى لسُخطِها ورضاها ... حين واريتُ وَجْهها فى التراب!
ما وَفى فى العباد حَىٌّ لِمَيتٍ ... بعد يَأسٍ منه له فى الإيَابِ

وفى هذا الشعر:

إنما حَسْرتى إذا ما تَذَكَّرْ ... تُ غنائى بها وطولَ طِلاَبِى
لم أزَلْ فى الطِّلابِ سبعَ سِنينٍ ... أتأتى لذاكَ من كلِّ بابِ [2]
فاجتمعنا على اتفاقٍ وقدْرٍ ... وغَنينا عن فُرقَةٍ باصطحابِ
أُشهُرًا ستَّةً صَحِبتُك فيها ... كُنَّ كالحُلْمُ أو كَلمعِ السَّرابِ
وأتانِى النَّعى منكِ مع البُشْرَى ... فيا قُربَ أوْبةٍ من ذَهابِ!

***

(١) نسبه بعضهم إلى لبانة بنت موسى الهادى فى محمد الأمين.

(٢) أتأتى: أتعرض له.

ومن مَليحِ شعرهِ قوله يرثيها:

حتى إذا فَترَ اللسانُ وأصبحت ... للموتِ قد ذَبَلَتْ ذُبولَ النَّرجسِ
وتَسَهَّلتْ منها محاسنُ وجهها ... وعَلا الأنينُ تَحتهُ بتنَفُّس
رَجَعَ اليقينُ مَطامِعِي يَأسًا كما ... رَجَعَ اليقينُ مَطامِعَ المُتَلَمِّسِ[1]

ومن مليح شعرهِ أيضًا قولهُ:

فُجِعْتُ بملْكٍ وقد أَيْنَعتْ ... وتمَّتْ فأعظِمْ بها مِنْ مُصيبهْ!
فأصبحتُ مُغْتربًا بعدَها ... وأمست بحُلوان ملكٌ غريبَه[2]
أَرَانِى غريبًا وإن أصبحَتْ ... مَنازلُ أهلى مِنى قريبَه
خلفتُ على أختها بعدَها ... فصادفتُها ذاتَ عَقْلٍ أديبه
فأقْبَلَتُ أبكى وتَبْكِي مَعِي ... بُكاءَ كئيبٍ بِحُزْنٍ كَئيبهْ
وقلتُ لها مَرْحبًا مرحبًا ... بوجهِ الحبيبة أُخْتِ الحَبيبه
سأصْفيكِ وُدِّى حِفاظًا لها ... فذَاكَ الوَفاءُ بِظهَرِ المَغيبَهْ
أَرَاكِ كمُلْكٍ وإن لم تكنْ ... لملكٍ من الناس عِندى ضَرِيبَهْ

[مرثية يزيد المهلبى فى المتوكل]

ومما اخترنا من مَرْثِيَّةِ يزيدِ المُهلَّبى للْمتوكل على الله قوله:

لا حُزنَ إلاَّ أراهُ دُونَ ما أَجِدُ ... وهَلْ كَمَنْ فَقَدتْ عَيناى مُفْتَقَدُ!
لا يَبْعَدَنْ هالكٌ كانتْ مَنيَّتهُ ... كما هوَى عن غِطاء الزُّبيةِ الأسَدُ[3]
لا يَدْفَعُ الناسُ ضَيمًا بعدَ لَيْلَتِهِمْ ... إذْ لا تُمَدُّ إلى الجانى عليكَ يَدُ
لوْ أنَّ سيفى وعَقْلى حاضران له ... أَبْلَيْتُهُ الجُهْدَ إذ لم يُبْلِهِ أَحَدُ

---

(١) المتلمس: المتطلب.

(٢) حلوان: مدينة فى آخر حدود العراق..

(٣) الزبية: حفيرة تحفر للأسد فى عال من الأرض تغطى، فيمر بها الأسد فيهوى ويصاد.

جـاءت مَـنِّيـتُـهُ والـعَـيْنُ هاجِــعَــةٌ ... هَلاَّ أَتَتْـهُ المَنايَا، والقَضـا قِصـدا![1]
هلاَّ أَتَـتّــهُ أعـــادِيهِ مُـــجـــاهرةً ... والحـربُ تَسْـعَـرُ والأبْطـالُ تَجـتَلِدُ
فَـخـــرَّ فـوقَ سـرير المُلكِ مُـنجَـدِلاً ... لم يَحـمِـهِ مُلكهُ لَمَّا انقَـضى الأمَـدُ
قـد كـان أنصـارهُ يَـحـمُـون حَـوزَتَهُ ... وللرَّدى دون أرْصـادِ الفَتى رَصَـد[2]
وأصـبحَ الناسُ فـوضى يَعجـبـونَ له ... لَيـثًـا صريعًـا تَنزى حَـولهُ النَّقَـد[3]
عَلَتْـكَ أسـيــافُ مَنْ لا دُونهَ أحـــدٌ ... وليسَ فـوقك إلاَّ الواحـدُ الصَّـمـدُ
جـاءوا عَظيـمًـا لِدُنيا يَـسْعـدون بهـا ... فقد شقوا بالـذى جاءُوا وما سعِدُوا
ضـجَّت نساؤُكَ بـعدَ العِـزِّ حين رَأتْ ... خـدًّا كـريماً علـيـه قـارِتٌ جَـسِـدُ
أَضْـحَى شهـيدُ بنى العباس مـوعظة ... لكلِّ ذِى عِـزَّةٍ فى رأسِـهِ صَـيَـدُ[4]
خَليـــفـــةٌ لم يَنلْ مـــا نـالهُ أحـــدٌ ... ولم يضع مـــثله رُوحٌ ولا جَـــسَـد
كم فـى أديمِكَ مِنْ فـــــوْهـاءَ هادِرَةٍ ... من الجَـوائفِ يَغلِى فـوقها الزَّبَدُ[5]
إذا بُكـيتَ فـــإن الدمـعَ مُنْهَـــمِلٌ ... وإن رُثِيـتَ فـــإن الـقـــولَ مُـطَّرِدُ
قد كنت أسْرف فى مالى، وتُخلف لى ... فـعَلَّمـتْنِى لليـالى كـيفَ أقـتَـصِدَ
لَمَّا اعـتَــقَـدْتُمْ أُناسًـا لا حُـلومَ لهمْ ... ضِعـتُم وضَيعـتُمُـو مَنْ كان يُعتَـقدُ
ولو جَـعلتْم على الأحـرار نعـمـتكم ... حَـمَـتكُمُ السـادةُ المذكورةُ الحُـشـد
قـومٌ همُ الجِذمُ والأنسـابُ تجـمَعُـهُمْ ... والمجـدُ والدِّين والأرحـامُ والبَلَدُ[6]

(١) قصد: جمع قصدة: وهى ما تكسر من الرماح.
(٢) الرصد: القوم الراصدون
(٣) تنزى: تثب، والنقد: جنس من الغنم قصار الأرجل.
(٤) الصيد: مصدر صيد يصيد، فهو أصيد، والأصيد: الذى يرفع رأسه كبرًا.
(٥) فوهاء: يريد طعنة واسعة، وهادرة، من هدر الشراب، إذا غـلا وقذف بالزبد، والجوائف: جمع جائفة، وهى التى تبلغ الجوف.
(٦) الجذم: الأصل.

إذا قـــريشٌ أرَادُوا شَــدَّ مُــلكِهم بغــيــرِ قَــحطانَ لم يَبْــرَحْ به أَوَدُ
قد وُترِ الناسُ طراًّ ثُمَّ قد صَــمَتُوا حــتى كَــأَنَّ الذى نِــيلُوا به رَشَــدُ
مِنَ الألى وَهَبُوا للمْجَــد أنفسهم فمــا يُبالون مــا نَالوا إذا حُــمدوا

***

[قال أبو الحسن قوله: «قَارِتٌ»، يقــال: «قرت الدمُ يَقْرُتُ قَروتًا ودمٌ قارتٌ، قد يَبِسَ بين الجِلْدِ اللحم، ومِسْكٌ قارتٌ، وهو أخفُّهُ، وأجودُهُ ، قال:

* يُعل بُقرَّاتِ من المسكِ قاتنِ *

وقَرَّاتٌ، «فعَّالٌ»، وقاتنٌ، مسكٌ قاتنٌ قد قَتَنَ قُتونًا أى يابسٌ لا نُدوةَ فيه]

بابُ
[ذكرُ الأذواءِ منَ اليمنِ في الإسلام]

[فأما فِي الجَاهِلِيَّةِ فيكثُرونَ نحو ذِى يَزنٍ وَذِى كَلاعٍ وَذِى نواسٍ وَذِى رُعَينٍ، وذَى أَصْبَحٍ وَذِى المنَارِ وَذِى القَرنَين، أمَّا فِى الإسْلامِ فمنهُمْ خُزيمَةُ بنُ ثابت ذو الشهادتَيْنِ، سَمَّاهُ رَسُولُ الله ﷺ، وَهُوَ أنصَارِىٌّ، ومنهُمْ قَتَادةُ بنُ النُّعمانِ الأنْصارِىٌّ ذُو العينِ، كَانَتْ عَيْنُهُ أُصيبَتْ فردَّهَا رَسُولُ الله ﷺ فكَانَتْ أحْسنَ عَيْنَيه، وكانتْ تعتلُّ عَيْنُهُ الصَّحيحَةُ فلاَ تَعْتَلُّ المرْدُودَةُ مَعَهَا، وَمنهُمْ أَبُو الهَيْثَم ابنُ التَّيِّهانِ الأنْصارِىٌّ ذو السَّيْفَيْنِ، كَانَ يتقلَّدُ سَيْفَيْنِ فِى الحَرْبِ، وَمنهُمْ حُبَابُ بنُ المنذر بنُ الجمُوح ذُو الرَّأْيِ وَهُوَ صَاحبُ المشُورةِ يَوْمَ بَدْرٍ أَخَذَ برَأْيِه رَسُولُ الله ﷺ، وكَانَتْ له آرَاءٌ فِى الجاهِلِيَّةِ مَشهُورَةٌ، ومنهُمْ سَعْدُ بْنُ صُفَيحٍ ذُو السِّيَال، ومَنهُمْ ذُو المشهَّرةِ وَهُوَ أَبو دُجانة سِمَاك بنُ خَرَشَةَ، وَكَانَتْ لَهُ مُشهَّرَةٌ إذَا لبسَهَا وَخَرَجَ يختَالُ بَيْنَ الصَّفَّينِ لَمْ يُبْقِ ولَمْ يَذَرْ. وَكُلُّ هَؤُلاَءِ مِنَ الأنصَارِ].

ومن اليمن من غيرهم عبد الله بن الطُّفيل الأزدى ثم الدَّوسى ذو النُّور أعطاه رسولُ الله ﷺ نوراً فى جبينه ليَدعُو به قومَهُ، فقالَ: يا رسول الله، هذه مُثْلَةٌ (١)، فجعله رسول الله ﷺ فى سَوْطه، فلما وَرَدَ على قومه بالسَّراة(٢) جعَلوا يقولون: إنَّ الجبلَ ليلتَهِبُ، وكان أبو هريرة ممن اهتدى بتلك العلامة.

ومنهم، ثُمَّ من خُزَاعَة، ذو اليَدينْ، سماه رسول الله، ذا اليدين، وكان قبلُ يُدْعى ذا الشمالين، وكان رسول الله ﷺ صلى بهم الظُّهر فسلمَ فى الركعة

---

(١) مثلة: أى تنكيل.

(٢) السراة: الجبل المشرف على عرفة، ويمتد إلى صنعاء.

الثانية. فـقال ذُو اليدين: يا رسولَ الله أقـصرتِ الصلاة أم نَسيتَ؟ فقـال: ما كان ذاكَ، فقال: بَلى يا رسـول الله، فالتفتَ إلى أصحابه فقال: مـا يقولُ ذو اليدين؟ فقالوا: صَدَقَ يا رسولَ الله، فنهض فَأَتَمَّ، ثم قال: إنِّي لأنْسى أو أنسَّى لأستَنَّ[1].

---

(١) لأستن: من السنن وهو المذهب.

وهذه تسمية من كان بينه وبين الملائكة

سَبَبٌ من اليَمَانية

منهم سعدُ بن معاذ الأنصارى، وهبط لموته سبعون ألفَ ملك لم يهبطوا إلى الأرض قبلها، وقَبَضَ رَسولُ الله ﷺ من رجليه فى المشى لئلاَّ يَطأ على جناحِ مَلَكٍ، واهتزَّ لموته عَرْشُ الله جل وعز وفى ذلك يقولُ حسانٌ:

وما اهتزَّ عَرشُ الله مِنْ مَوْتِ هالكٍ ... سَمِعْنَا به إلاَّ لِسَعدٍ أبى عَمرِو

وكبَّرَ عليه رسول الله ﷺ تِسعًا، كما كبَّر على حمزة بن عبد المطَّلب، وشَمَّ من تُراب قبرِه رائحةَ المِسْكِ.

ومنهم حسانُ بن ثابت الأنصاريُّ، قال له رسول الله ﷺ: «اهجهم ورُوحُ القُدُس معك»، وقال فى حديث آخر: «إن الله مُؤيدا حَسَّانًا بروح القُدسُ ما نافح عن نبيه» وقالت عائشة: كان يوضَع لحسانَ مِنبرٌ فى مُؤَخَّرَ المسجد فَينافحُ عن رسول الله ﷺ.

ومنهم حنظلة بن أبى عامر الأنصاريُّ، غسَّلتهُ الملائكةُ، وذاك أنه خَرجَ يوم أحدٍ فأصيبَ، فقال رسول الله ﷺ: «صاحبكُم هذا قد غَسَلَتْهُ الملائكة»، فسئل عنْ ذلك، فقالت امرأتُهُ: كان معى على ما يكونُ الرجلُ مع امرأتِهِ، فأعجلتْهُ حَطمَةُ بَلغتْه فى المسلمين، فخرج فأصيب، ففى ذلك يقولُ الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبى الأقْلَح حَمىُّ الدَّبرِ [1]، وكان خالَ أبيه:

غَسلَتْ خَالِيَ الملائكة الأبـ ... رارُ مَيتًا أكرِمْ به من صريع!

وأنَّا ابنُ الذى حَمَت ظهرَه الدَّبْـ ... ـرُ قَتيلِ اللِّحيانِ يومَ الرَّجيعِ!

ومنهم حارثةُ بن النُّعمان، رأى جبريل ﷺ مرَّتين وأقرأه جبريلُ السلامَ.

---

(١) الدبر: النحل.

ومنهم، ثمَّ من خُزاعة عمْرانُ بن حُصين، كانت تصافحه الملائكة وتَعودُه، ثم افتَقدها، فأتى رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله ؛ إن رجالاً كانوا يأتوننى لم أرَ أحْسَن منهم وُجوهًا، ولا أطيبَ أرواحًا، ثم قد انقطعوا عنى، فقال رسول الله ﷺ: أصابك جُرحٌ، فكنتَ تكتُمهُ؟ فقال: أجَلْ، قال: ثم أظهرته؟ قال: قد كان ذلك، قال: أمَا لو أقَمتَ على كتْمانِه لزارَتْكَ الملائكة إلى أن تموت.

ومنهم جَريرُ بن عبد الله البَجلى، قال رسول الله ﷺ: «يطلع عليكم من هذا الفَجِّ خَيْرُ ذى يَمَنٍ، عليه مَسْحَةُ ملكٍ».

ومنهم دِحْيةُ بن خليفة الكَلبىُّ، كان جبريلُ ﷺ يَهبطُ فى صورته، فمن ذلك يوم بنى قَريظةَ لـمَّا انصرفَ رسولُ الله ﷺ من الخَنْدَقِ وهَبَط عليه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، أقد وَضعتُمْ سلاحكم ! ما وَضعَت الملائكة أسلحتَها بَعْدُ، إنَّ الله يأمرُك أن تَسير إلى بنى قُرَيظَةَ، وهأنذا سائر إليهم فمزلزل بهم، فأمَرَ رسولُ الله ﷺ الناسَ ألاْ يُصلوا العصر إلاَ فى بنى قرَيظة، فجعل يَمرُّ بالناس فيقول: أمَرَّ بكم أحَد؟ فيقولون: مرَّ بنا دِحْيَةُ بن خليفةَ على بغلة عليها قطيفة خزٍّ نحو بنى قُريظة، فيقول: ذاك جَبْرَئيلُ، ثم مَرَّ دِحيةُ بعدَ ذلك، وكان لا يزال عليه السلام فى غير هذا اليوم ينزلُ فى صورته، كما ظَهرَ إبليس فى صورة الشيخ النَّجدىِّ.

وهذا باب قد تقدم ذكرنا إياه ووعدنا استقصاءه

[الفرق بين تعريف الحيوان وتنكيره، وبين تذكيره وتأنيثه].

قال أبو العباس: اعْلَمْ أنَّ كل شيء من الحيوانِ، كان ممَّا يخبرُ الناسُ عليه كما يخبرونِ عن أنفسهم، وممَّا يَقْتَنونَه، ويتَّخذونه، فبهم حاجة إلى الفصْل بين معرفته ونكرته، ومُذَكَّره، ومؤنَّثهُ، تقولُ: جاءنى رجلٌ إذا لم تَدْرِ مَن هو بعينه أو دَرَيْتَ فلم تُرِدْ أن تُبَيِّنَ، ثم تَعَرِّفُهُ لصاحبك إذا أردتَ ذلك إمَّا بألفٍ ولامٍ، وإمَّا باسمٍ معروفٍ، أو إضافة أو غير ذلك.

وكذلك يَفْصلُ الناسُ بين الخيل بأسماءٍ أو نعوتٍ يَعرفُونَ بها بعضهَا من بعضٍ، وكذلك الشَّاءُ والكلابُ والإبلُ، ولولاً تمييز بعضها من بعض لم يَستقم الإخبارُ عنها والاختصاصُ بما أُريدَ منها، فإذا كان الشيءُ ليس مما يتَّخذونه لم يحتاجوا إلى التمييز بين بعضه وبعض، يقولُ الرجلُ: «رأيتُ الأسدَ» فليس يعنى أسدًا بعينه، ولكن يريدُ الواحدَ من الجنس الذى قد عَرَفتَ، وكذلك الذئبُ والعقربُ والحيةُ، وما أشبه ذلك، ألا ترى أنَّ ابن عرس وسامَّ أبرَصَ وأمَّ حُبين وأبا الحارث، وأبا الحُصين، معارف لا على أن تَميزَ بعضها من بعضٍ ولكن تعريفَ الجنس، وقولك: ابنُ مَخاضٍ وابن لَبونٍ، وابن ماءٍ نكراتٌ، لأنَّ هذا مما يتَّخذهُ الناس، و«ابن ماء» إنما هو مضاف إلى الماء الذى يعرف.

فإذا أردت التعريف من هذا لهذه النكرات أدخلتَ فيما أُضيفت إليه الألفَ واللامَ، أو لَقَّبتها ألقابًا تُعرف بها، كزيدٍ وعمرو.

واعلمْ أنَّ كلَّ جمعٍ مؤنثٌ، لأنك تُريدُ معنى جماعة، ولا تُذكرُ من ذلك إلاَّ ما كان فعلُهُ يَجْرى بالواو والنون فى الجمع، وذلك كلُّ ما يَعقلُ، تقولُ: مسلمٌ ومسلمون، كما تقول: قومٌ يُسلمونَ، وتقول للجِمال: هِى تَسيرُ، وهُنَّ يَسرنَ،

كما تقـول للمؤنثّ، لأن أفعالَها على ذلك، وكذلك الـمَـوات، قال الله عز وجل في الأصنام : ﴿رَبِّ إنَّهُنَّ أَضْلَلنَ كـثيـرًا من الناس﴾ [1]، والواحدُ مذكر، وقال المفسـرون في قوله: ﴿إنْ يدعُـونَ من دُونه إلاَّ إناثًا﴾ [2] قالوا: المَواتُ، فـكلُّ ما خَرَجَ عمَّا يَعـقِلُ فَجمْعُهُ بالتأنيث وَفعلُهُ عـلَيه، لا يكونُ إلا ذلك، إلاَّ ما كان من باب المنقوص، نحـو «سنين وعزينَ» وليس هذا موضعه، وجـملته أنه لا يكونُ إلاَّ مـؤنثًا، فلهـذا كان يقـعُ على بعض هذا الضرب الاسـم المؤنثُ، فيـجْمَعُ الذَّكـر والأنثى، فمـن ذلك قولهم: عَقَـرَبٌ، فهـو اسمٌ مؤنثٌ إلاَّ أنك إن عَـرَّفَتَ الذَّكرَ قلتَ: هذا عقربٌ، وكذلك الحيةُ، تقولُ للأنثى: هذه حيةٌ، وللذَّكر هذا حَيَّةٌ، قال جرير:

إن الحَـفافـيثَ منكم يا بَنِى لَجـإٍ ... يُطرقنَ حيثُ يَصُولُ الحـيّة الذَّكرُ

[قال الأخـفش: الحفافـيثُ: ضربٌ من الحـيَّاتِ يكونُ صغـير الجـرمِ يَنْتَفِخُ ويَعظمُ ويَنفُخُ نفخًا شديدًا، لا غائلة له] [3]

***

وتقول: هذا بطةٌ للذكر، وهذه بَطة للأنثى، وهذا دَجـاجةٌ، وهذه دَجَاجة، قال جريرٌ:

لـمَّـــا تَذَكَـرتُ بالديْـرين أَرَّقنى ... صوتُ الدَّجـاجِ وقَرعٌ بالنـواقِيسِ

يريد زُقاء الديوك، فالاسم الذى يجمعهما دجاجة للذكر والأنثى، ثم يَخصُّ الذَّكر بأن يقـال: ديكٌ، وكذلك تقـول: هذا بقرة: [4]وهذه بقرة [4] لهما جميعًا، وهذا حُبَارى، ثم يُخَص الذَّكر، فتقول: ثَورٌ، وتقولُ للذكر من الحُبارى: خَربٌ، فعلى هذا يَجرِى هذا البابُ، وكلُّ ما لم نذكره فهذا سبيله.

***

(١) سورة النساء ١١٧

(٢) سورة إبراهيم ٣٦

(٣) هذه الزيادة ليست فى الأصل

(٤-٤) ما بين الرقمين مما لم يرد فى ر.

قال أبو العباس: وقد كُنَّا أَرْجأنَا أشياءَ ذكرنا أنا سَنَذكُرها فى آخر الكتاب، منها خُطبٌ، ومواعِظُ ورسائلُ، ونحن ذاكرونَ ما تَهَيأ من ذلك إن الله.

[خطبة لأعرابي بالبادية]

قال الأصمعيُّ فيما بلغني: خَطبنا أعرابي بالبادية، فحمدَ الله واست ووَحدهُ، وصلى على نبيه، فَبَلّغ فى إيجاز، ثم قال: أيُّها الناسُ، إنَّ الدنيا بلاغَ، وإنَّ (١) الآخرة دارُ قرار، فخذوا من مَفركم لمقَركمُ، ولا تهتكوا أستا عندَ من لا تَخفى عليه أسراركم، فى الدنيا كُنتَمْ، ولغيرهَا خُلقتُم، أقول قو هذا وأستغفر الله لى ولكم، والمُصلى عليه رسول الله والمَدعُوُّ له (٢) الخلي والأميرُ جعفرُ بن سليمان.

[خطبة لعمر بن عبد العزيز]

وحُدثِّت فى بعض الأسانيد أنَّ عمر بن عبد العزيز قال فى خطبة له:

أيها الناس إنما الدنيا أمل مختَرمٌ، وأجلٌ مُنْتَقَصٌ، وبَلاغٌ إلى دارِ غير وسيرٌ إلى الموت ليس فيه تعريجٌ، فرَحمَ الله امرءًا فكَّرَ فى أمره، ونَصَحَ لنفس وراقبَ ربَّه، واستقالَ ذنْبَه، ونَورَ قلبه! أيها الناسُ، قد علمتم أنَّ أباكم قد أُخ من الجنة بذنبٍ واحد، وأنَّ ربَّكم وَعَدَ على التوبة، فليَكُنْ أحدُكم من ذنبه ء وَجل، ومن ربه على أملٍ

***

ويُروَى أنّ رجلاً معروفًا، ذَهَب اسمهُ عَنى، قال: أتيتُ ابنَ عُمر فقلت أَتَجبُ الجنَّة لعامل بكل الخيرات وهو مُشرِك؟ فقال: لا، فقلت له: أَتَجبُ ال

(١) ساقطة من ر.

(٢) قال المرصفى: «المدعو له الخليفة يريد به أبا جعفر المنصور وقد ولى ابن عمه جعفر بن سليمان بن ع المدينة سنة ست وأربعين ومائة»

لعاملٍ بالشّرِّ كلّه وهو مُوَحِّدٌ؟ قال: عَشْ ولا تَغْتَر، قال: وأتيتُ ابنَ عباس، فسألته فأجابني بمثلِ جوابه سَواء، وقال: عَشْ ولا تَغْتَر [١]

قال: وحدثني بهذا الحديث القاضي [يعني إسماعيل بن إسحاق]

[خطبة لعتبة بن أبي سفيان بالموسم]

وذكر العتبي - أحسبهُ عن أبيه عن هشام بن صالحٍ عن سَعد القَصْر قال: خَطَبَ الناسَ بالمَوسْمِ عُتْبَةُ في سنة إحدى وأربعين، وعَهْد الناس حديث بالفتنة[٢]، فاستفتح ثم قال:

أيها الناسُ، إنَّا قد وَلِينا هذا الموضع الذي يُضاعفُ الله فيه للمحسن الأجرَ وعلى المسيء الوزرَ، فلا تَمُدوا الأعناقَ إلى غيرنا، فإنها تَنْقَطِعُ دونَنا، ورُبَّ مُتَمنٍّ حَتفُهُ في أُمنيته، اقبلوا العافية ما قبلناها منكم، وفيكم وإياكم، و«لَوْ» فقد أتعَبتْ مَنْ قبلكم، ولن تَريح مَنْ بعدكم، فأسأل الله أن يُعين كُلاً على كلٍّ. فَنعَقَ به أعرابيٌّ مُؤَخر المسجد فقال: أيُّها الخليفةُ! فقال: لَسْتُ به ولم تُبْعد، قال: فيا أخاه! قال: قد أسمعتَ فقلْ، فقال: والله لأنْ تُحسنوا وقد أسَأنا خيرٌ لكم من أن تسيئوا وقد أَحْسنَّا، فإن كان الإحسانُ لكم فما أحقَّكم باستتمامه، وإن كان لنا فما أحقَّكم بمكافأتنا! رجلٌ من بني عامرٍ يمُتُّ إليكم بالعمومة، ويَختَصُّ إليكم بالخؤولَة، وقد وطئهُ زمانٌ وكثرةُ عيالٍ، وفيه أجرٌ، وعنده شُكرٌ. فقال عُتبَةُ: أستَعيذُ بالله منك، وأستعينُه عليك، قد أمَرتُ لك بغِناكَ، فليت إسراعنا إليك، يقومُ بإبطائنَا عنك!.

[خطبة لعتبة أيضا بمصر]

وذكر العُتبي أنَّ عتبة خَطب الناسَ بمصر عن مَوْجدة، فقال:

يا حاملي ألأمَ آنف رُكِّبَتْ بين أعيُن، إني إنما قَلَّمْتُ أظفاري عنكم لِيلين مسِّي لكم، وسألتُكم صَلاَحكم إذْ كان فسادُكم باقيًا عليكم، فأمَّا إذا أبيتم إلاَّ

(١) عش ولا تغتر؛ مثل يضرب في التوصية والأخذ بالأحوط.
(٢) يريد فتنة علي ومعاوية.

الطعنَ علـى السلطان والتَّنـقص للسَّلف؛ فـوالله لأقـطَعنَّ بطونَ السِّيـاط على ظهوركم، فإن حَسمَتْ أدواءَكـم، وإلاّ فإن السيفَ من ورائكـم فكم من حكمة منَّا لم تَعِـهَا قـلوبُكم، ومن موعـظة منَّا صَمَّـت عنها آذانُكم، ولَـستَ أبخلَ علّيكم بالعقوبة إذ جُـدتمْ بالمعصية، ولا أُويسكُم من مراجعـة الحَسنى إن صرتُم إلى التى هى أبَرُّ وأتْقى.

ثم نزل.

[خطبة لداود بن علي العباسى]

وذكر العُتبى أو غيـرهُ أن داودَ بن علىّ بن عبد الله بن العباس خطبَ الناسَ فى أول موسم مَلَكهُ بنو العباس بمكة، فقال:

شُكرًا شُكرًا، إنَّا والله ما خَرجنا لنحفر فـيكم نهراً، ولا لنبنى فيكم قصرًا، أظَنَّ عـدوُّ الله أن لن نَقدر عليـه أن رُوخى له من خِطامِـه، حتى عَـثَرَ فى فـضل زِمامه! فـالآن حيثُ أخذ القوسَ باريها، . وعـادت النبلُ إلى النَّزعة، ورجَعَ المُلك فى نِصـابه فى أهل بيت النبوة، والرحـمة، والله لـقد كنَّا نتـوجَّع لكم ونحن فى فُرشنا، أمِنَ الأسْودُ والأحمرُ، لكم ذمَّةُ الله ، لكم ذمةُ رسول الله ﷺ، لكم ذمةُ العباسِ، لا ورَبِّ هذه البَنية - وأومأ بيده إلى الكعبة - لا نهيج منك أحدًا.

[خطبة لمعاوية بن أبي سفيان]

قال: وخطب الناسَ معاويةُ بن أبى سفيـان، فحمدَ الله وصلى على نبيه ثم قال:

أيها الناسُ! إنى من زرعٍ قد استـحصد، ولن يأتيكم بعـدى إلاَّ مَنْ أنا خير منه، كما لو لم يكن قبلى إلا من هُو خيرٌ منى.

[ما قاله معاوية عند موته وتعزية الناس ليزيد من بعده]

وفى غير هذا الخـبر أنه قال لبناته عند وفاته: قلِّبننى، فَفَـعلنَ، فقال: إنكنَّ لَتُقَلِّبْنهُ حُولاً قُلَّبًا، إن وقِى كَبَّةَ النارِ، ثم قال متمثلاً:

لا يَبْــعَــدَنَّ رَبِيــعَـــة بنُ مكَدَّمٍ   وسَـقى الغـوادى قَـبَـرهُ بِذنوبِ

وقال لابنة قَرظة [١] : ابكينى فقالت:

ألاَ ابكـيـــــه ألاَ ابكـيـــــهِ   ألاَ كلُّ الـفَـــتى فـــيـــه

فلما مـات دخل الناس على يزيدَ يعزُّونَه بـأبيه ويُهنئونه بالخـلافة، فـجعلوا يقولون، حتى دخل رجلٌ من ثقيف فقـال: السلامُ عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، إنكَ قـد فجـعت بخير الآباء، وأعطيتَ جـميعَ الأشـياء. فاصـبر على الرّزيَّة، واحمَد الله على حُسْن العطية، فلا أُعطى أحدٌ كما أعطيت، ولا رُزى كما رُزيتَ، فقام ابنُ هَمامٍ السلوليُّ فأنشده شعرًا كأنما فاوضَهُ الثقفى فقال:

اصبـر يزيدُ فقـد فارقتَ ذا ثـقة   واشكر بَلاءَ الذى بالْمُلك أُصفـاكَا

أصبـحتَ تملكُ هذا الخلقَ كلهمُ   فـأنت تَـرعـاهُـمُ والله يَرْعـاكـا

ما إنْ رُزى أحد فى الناس نَعلمُه   كمـا رُزئتَ ولا عُقبى كَـعقْبـاكا

وفى مـعـاوية البـاقـى لنا خلَف   إذا نعـيت ولا نَسـمـع بمَنْعـاكـا

الحُوَّلُ: معناه ذُو الحيلة، والقلبُ: الذى يقلبُ الأُمُورَ ظهرًا لبطن.

وقوله: «إن وُقى كبَّةَ النار» فكبة النارُ مُعظمها، وكذلك كبَّة الحرب، ويقال: لقيتـهُ فى كَبَّة القوم، ويُروى عن بعـض الفرسان أنه طَعن رجلا فى حـرب فقال: طعنته فى الكبَّة، فوضعتُ رمحى فى اللبّة، وأخرجتهُ من السبَّه. والسَّبَّةُ الدبرُ.

[حديث خالد بن صفوان عن الطعام]

ويروى أن خالد بن صَـفوان دخل علي يزيد بن المَهلب وهو يتغـدى فقال: ادنُ فكلْ يا أبا صفوان، فـقال: أصلح الله الأميرَ، لقدَ أكلتُ أكلة لستُ ناسـيها، قال: وما أكلتَ؟ قال: أتيتُ ضَـيعتى لإبان الغراس، وأوان العمارة، فـجُلتُ فيها جَوْلَة، حتى إذا صَخَدت [٢] الشمـسُ وأزْمعتِ [٣] بالرُّكود، ملتُ إلى غـرفةٍ لى

(١) قرظة، هى إحدى زوجاته، واسمها فاختة بنت قرظة.

(٢) صخدت الشمس: اشتد حرها.

(٣) ازمعت بالركود: عزمت على السكون؛ يريد: قامت وقت الظهيرة.

هفّافة[1] فى حديقة قد فتحت أبوابُها ونُضِح بالماء جوانبها، وفرشت أرضُها بألوانِ الرَّيَاحين، من بين ضَيمران[2] نافحٍ، وسُمسُق[3] فاتح، وأقحوان زاهر، وورد ناضر، ثم أتيت بخبز أرز كأنه قِطَعُ العَقيق، وسَمَك بُنَاتى[4] بيض البُطُون، زرق العُيونِ، سُودِ المتُون، عِرَاض السُّرر، غلاظ القصَر، ودقة وخُلُول، ومُرِى وبُقول، ثم أتيتُ برُطَب أصفر، صافٍ غير أكْدَر، لم تَبتَذله، الأيدى، ولم يَهشِمهُ كيلُ المكاييل، فأكلتُ هذا ثم هذاً. فقال يزيد: يا بن صفوان، لألف جريب من كلامك مزروع خير من ألف جريب مذروع.

[الرسائل التى دارت بين المنصور وبين محمد بن عبد الله بن الحسن]

ونحن ذاكرونَ الرسائلَ بين أمير المؤمنين المنصورِ، وبين محمد بن عبد الله ابن حسن العَلوِىِّ، كما وَعْدنا فى أول الكتابِ، ونختصر ما يجوز ذكره منه، ونُمسك عن الباقى، فقد قيلَ: الراوية أحدُ الشاتمين، قال:

لـمَّا خرجَ محمدُ بن عبد الله على المنصور كَتَب إليه المنصورُ:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين، إلى محمد بن عبد الله أما بعد:

﴿إنَّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويَسعونَ فى الأرض فسادً أن يقتلوا أو يُصلبوا أو تُقطعَ أيديهم وأرجلهم من خلاَف أو يُنفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذابٌ عظيم* إلاّ الذين تابوا من قبل أن تَقدرُوا عليهم فاعلُموا أن الله غفورٌ رحيم﴾[5]، ولكَ عهدُ الله وذمتُهُ وميثاقه وحقُّ نبيه محمد ﷺ إن تُبْتَ من قَبلِ أنَّ أقَدرِ عليك أن أؤمنك على نفسك وولدكَ وإخوتك ومَن بايعك وتابعك، وجميع شيعتك، وأن أعطيك ألفَ ألفِ درهم،

---

(١) هفافة: تهف فيها الريح.

(٢) الضيمران: نوع من الرياحين.

(٣) السمسق: الياسمين.

(٤) بناتى: قال المرصفى: منسوب إلى بناة محلة بالبصرة.

(٥) سورة المائدة. ٣٣، ٣٤.

وأنزلك من البلاد حيث شئتَ، وأقضى لك ما شئت من الحاجات، وأن أُطلق مَنْ فى سجنى من أهل بيتك وشيعتك وأنصارك، ثم لا أتتبَّع أحدًا منكم بمكروه، فإن شئت أن تتوثَّقَ لنفسك، فَوجِّهْ إلىَّ من يأخذ لكَ من الميثاق والعهد والأمان ما أحببتَ، والسلامُ.

***

فكتب إليه محمد بن عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله محمد المهدى أمير المؤمنين إلى عبد الله بن محمد:

أما بعدُ ﴿طسم* تلك آياتُ الكتاب المبين* تتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحقِّ لقوم يؤمنونَ* إنَّ فرعونَ عَلاَ فى الأرضِ وجَعَلَ أهلَها شيعًا يَستَضعف طائفة منهم يُذبِّحُ أبناءهم ويَستَحيى نساءَهم إنه كان من المُفسدين* ونُريد أنْ نمن علَى الذين استضعفوا فى الأرضِ ونَجعلَهم أئمَّة ونجعلهم الوارثينَ* ونُمكِّنَ لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامانَ وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾[1] وأنا أعرضُ عليك من الأمان مثل الذى أعطيتنى وقد تَعلَمُ أنَّ الحقَّ حقنا، وأنكم إنّما طلبتموه بِنَا، ونَهَضْتُمْ فيه بشيعتنا وخبطتموه [2] بفضلنا، وأن أبانا عليًّا عليه السلام كان الوصىَّ والإمامَ، فكيف ورثْتُمُوهُ دُونَنا ونحن أحياءٌ ! وقد علمتَ أنه ليس أحدٌ من بنى هاشم يَمُت بمثل فضلنا، ولا يَفخرُ بمثل قَديمنا، وحديثنا ونَسَبنا وسببنا!، وأنا بَنُور أُمِّ رسول الله ﷺ فاطمة بنتَ عمرو فى الجاهلية دونكم، وبنو ابنته فاطمةَ فى الإسلام مِنْ بينكم.

فأنا أوسطُ بنى هاشم نسبًا، وخيرهم أمًّا وأبًا، لم تَلدنى العَجَمُ، ولم تَعرِقْ فِىَّ أُمهاتُ الأولاد، وأن الله تبارك وتعالى لم يزل يختار لنا، فولدنى من النبيين أفضلهم محمد ﷺ ومن أصحابه أقدمُهم إسلامًا وأوسعهم علمًا، وأكثرهُم جهادًا، على بن أبى طالب، ومن نسائه أفضلهنَّ خديجة بنتُ خويلد، أولُ من آمن بالله وصلى القبلة، ومنّ بناته أفضلَهن وسيدة نساء أهل الجنة، ومن المولودين

(١) سورة القصص ١- ٥.

(٢) خبطتموه: قال المرصفى: «من خبط، وهو فى الأصل ضرب الشجر بعصا يتناثر ورقه فتطعمه الدواب، يريد: جاهدوا فيه حتى جنوا ثماره».

فى الإسلام الحسنُ والحسينُ سَيِّدا شـباب أهل الجنة، ثم قد علمت أن هاشمًا ولَدَ عَليًّا مـرَّتين، وأن عبـد المطلب، ولَد الحسنَ مـرتين، وأنّ رسولَ الله ﷺ ولدنى مرتين، من قـبل جدّى الحسن، والحسين. فـما زال الله يختار حتى اخـتارَ لى فى النار، فوَالـدى أرفعُ الناس درجة فى الجنة وأهونُ أهل النار عـذابًا، فأنا ابنُ خـير الأخيار وابن خير الأشرار، وابنُ خير أهل الجنة وابن خير أهل النار.

وعلىّ عهد الله إنْ دخلت فى بيعتى أن أؤُمنك على نفسك، وولدك وكل ما أصبته، إلا حَدًّا من حدود الله أو حقًّا لمسلمٍ أو مُعاهدٍ، فقد علمت ما يَلزمك فى ذلك، فأنا أوفى بالعهد منكَ، وأحرَى لِقُبول الأمان.

فأما أمانك الذى عرضت على فأى الأمانات هو ! أأمانُ بن هبيرة [1] أم أمان عمكَ عبد الله بن على [2]؟ أم أمانُ أبى مسلم![3] والسلامُ.

***

فكتب إليه المنصـور: بسم الله الرحمن الرحيم، من عـبد الله عبد الله أمـير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله أما بعدُ:

فقد أتانى كتابُك، وبلغنى كلامُكَ، فـإذا جُلُّ فخركَ بالنساء لتضلَّ به الجفاة والغَوغاء، ولم يَجعل الله النساء كالعمـومة ، ولا الآباء كالعصَبَة والأولياء، ولقد جعَلَ العَمْ أبًا، وبدأ به على الوالدِ الأدنى، فقال جل ثناؤهُ عـن نبيه عليه السلام: ﴿واتَّبعت ملَّةَ آبائى إبراهيم وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ﴾ [4] ولقد علمتَ أن الله تبارك وتعالى بعثَ مـحمدًا ﷺ وعُمومـته أربعة، فأجـابه اثنان: أحدهما أبى[5]، وكَفَرَ اثنان [6] أحدهما أبوكَ.

---

(١) هو عمرو بن هبيرة الـفزارى عامل العراق لمروان بن محمد آخر ملوك بنى أمـية، بذل له السفاح الأمان، ثم غدر به وأمر أخاه المنصور بقتله سنة ١٣٢.

(٢) هو عبد الله بن على عم المنصور؛ كان دعا لنفسه بعد موت السفاح؛ فحاربه المنصور ثم بعث له بأمان إن قدم عليه؛ فلما قدم أمر بقتله هو وأصحابه سنة ١٤٠.

(٣) أبو مسلم الخراسانى، وشى به عند المنصور؛ فاحتال لمقدمه حتى استمكن منه، وقتله سنة ١٣٧.

(٤) سورة يوسف ٣٨.

(٥) هما الحمزة والعباس.

(٦) هما أبو طالب ،وأبو لهب.

فأمـا ما ذكرت من النسـاء وقَراباتهن فلو أعطين على قُـرب الأنساب وحقٍّ الأحْساب لكان الخـير كله لآمنة بنت وَهب، ولكنَّ الله يختـارُ لدينه من يشاء مِنْ خَلْقِه.

فأمَّـا ما ذكرتَ من فـاطمة أم أبي طالب، فإن الله لم يهـد أحدا من ولدها للإسلامِ، ولو فَـعَلَ لكانَ عبـدُ الله بن عبـد المطلب أولاهُم بكلٍّ خيـر في الآخرة والأولى، وأسعدهم بدخول الجنة غدا، ولكن الله أبى ذلك فقال: ﴿إنكَ لا تَهدى مَنْ أحببتَ ولكن الله يهدى من يشاء﴾ (١).

فأمَّا ما ذكرت من فاطمة بنتِ أسد أمِّ عليّ بن أبي طالب، وفاطمة أم الحسنِ وأن هاشـمًـا وَلَد عليًّا مـرتين، وأنَّ عـبْدَ المطـلب وَلَد الحســن مـرتين، فـخيـرُ الأوَّلين والآخرين مـحمدٌ رسولُ الله ﷺ لم يَلدهُ هاشمٌ إلا مَـرَّةً واحدةً ولـم يَلِدْهُ عبد المطلب إلاَّ مَرةً واحدةً.

وأما ما ذكـرت من أنك ابن رسول الله، فإن الله عزَّ وجل أبـى ذلك فقال: ﴿ما كانَ محمدٌ أبَا أحد من رجالكم ولكنْ رسولَ الله وخاتم النبيينَ﴾ (٢)، ولكنكم بنو ابنته، وإنهـا لقرَابَةٌ قريبةٌ، غـيرَ أنها امرأةٌ لا تَحوزُ المـيراث ولا يجوزُ أن تؤُم، فكيفَ تورَث الإمـامَةُ من قـبلها؟ ولقـد طَلَبَ بها أبوك بـكل وجه، فـأخرجـها تُخاصم، ومرضـها سراً، ودَفَنها ليلاً، فأبَى الناسُ إلاَّ تقـديم الشيخَين (٣)، ولقد حضر أبوك وفاة رسـول الله ﷺ فَأمَر بالصلاة غيرهُ، ثم أخـذ الناس رَجُلا رَجلا، فلم يأخـذوا أباكَ فيـهم، ثم كان في أصـحـاب الشورى فكل دفـعه عنهـا، بايع عبدالرحمن عثمانَ وقبلها عثمان، وحارب أباك طَلحَةَ والزُّبير، ودعا سعدًا (٤) إلى بيعته فأغلَقَ بابه دونَهُ، ثم بايع معـاويةَ بعدهَ، وأفضى أمرُ جدكَ إلى أبيك الحسنِ، فسلَّمـه إلى معاوية بخرق ودراهم، وأسْلَـم في يديه شيعتـه، وخرج إلى المدينة، فَدَفَعَ الأمرَ إلى غير أهله، وأخذ مالا من غيـر حِلِه، فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه.

---

(١) سورة القصص ٥٦.

(٢) سورة الأحزاب. ٤٠.

(٣) هما أبو بكر وعمر.

(٤) هو سعد بن أبي وقاص.

فأما قولكُ: إن الله اختار لـكَ فى الكفر، فجعل أباك أهونَ أهلِ النار عذابًا فليس فى الشرِّ خيارٌ، ولا من عـذاب الله هينٌ، ولا ينبغى لمسلم يؤمنُ بالله واليوم الآخـر أن يَفخـرَ بالنارِ، وسَـتَردُ فـتعـلم، ﴿وسيـعلم الّذين ظلمـوا أى منقلب ينقلبون﴾[1].

وأما قـولك: إنكَ لم تَلدكَ العَجمُ، ولـم تُعـرِقْ فيك أُمـهاتُ الأولاد وأملك أوسطُ بنى هاشم نسبًا وخيرهمَ أمًّـا وأبًا، فقد رأيتكَ فَخرْتَ على بنى هاشم طرًّا، وقدَمتَ نفـسَكَ على مَنْ هو خيـرٌ منكَ أولاً وآخرًا، أصلاً وفـصلاً، فـخرتَ على إبراهيم بن رسول الله ﷺ وعلى والد ولده، فانظر ويحكَ أين تكون من الله غداً! وما ولد فيكم مولودٌ بعد وفاة رسول الله ﷺ أفضلُ من علىّ بن الحُسين، وهو لأم وَلَد، ولقد كان خيـرًا من جَدِّكَ حسنِ بن حسنٍ، ثم ابنهْ محمـد بن علىٍّ خيرٌ من أبيك، وجدتهُ أمُّ ولد، ثم ابنه جعفرٌ، وهو خيرٌ منك، ولقد علمت أن جدك عليًا حكم حكمين وأعطاهما عـهده وميثـاقهُ على الرِّضا بما حَكمَـا به، فاجتمـعَا على خَلعه، ثم خَـرَجَ عَمُّكَ الحسينُ بن على على ابن مَـرجانَةَ[2]، فكان الناسُ الذين معه عَليه حتى قَتلُوه، ثم أتوا بكم على الأقتاب[3] بغير أوطية، كالسَّبى المجلوب، إلى الشأم.

ثم خرج منكم غيرُ واحد فقتلكم بنو أمية، وحرقوكم بالنار، وصلبوكم على جُـذوع النخل، حتى خـرجنا عليـهم، فـأدركنا بثأركـم إذ لم تُدركوه، ورفـعنا أقداركم، وأورثناكم أرضهم وديارهم، بعـدَ أن كانوا يلعنون أباك فى أدبار الصلاة المكتوبـة كما تُلعنُ الـكَفَرةُ، فَعنفنـاهم وكفرناهم، وبَـيَّنّا فَضلَه، وأشـدنا بذكرِه، فاتّخـذتَ ذلك علينا حـجةً، وظننت أنا لما ذكـرنا من فضل علىٍّ أنَّا قـدَّمناهَ على حمـزة والعباس وجـعفر، كلٌّ أولئك مَـضَوا سالمين مَـسلمًا منهم، وليـبتلى أبوك بالدماء، ولقد علمت أن مآثرنا فى الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم، وولاية زمزم، وكانتْ للعـباس دونَ إخوته، فنازعنا فيـها أبوكَ إلى عمـر، فقضى لنا عمـرُ عليه وتُوفى رسولُ الله ﷺ وليس من عُمـومته أحدٌ حيًّـا إلاَّ العباسُ، فكان وارثه دونَ بنى عبد المطلـب، وطَلَبَ الخلافة غيرُ واحـدٍ من بنى هاشم، فلم يَنَلْهَا إلاَ وَلَدُهُ،

(١) سوره الشعراء ٢٢٧.

(٢) ابن مرجانة: هو عبيد الله بن زياد.

(٣) الأقتاب. جمع قتبٍ، وهو الرحل على قدر سنام البعير.

فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء، وبنوه القادة الخلفاء، فقد ذهب بفضل القديم والحديث، ولولا أنَّ العباسَ أخرجَ إلى بدرٍ كرهًا لماتَ عَماكَ طالبٌ وعقيلٌ جُوعًا أو يَلحَسا جفانَ عُتبة وشيبة،[1] فأذهب عنهما العارَ والشنارَ، ولقد جاء الإسلامُ والعباسُ يَمُونَ أبا طالب للأزمة التى أصابتهم، ثم فدى عقيلاً يومَ بدر، فقد مُنَّا كُمْ فى الكفر، وفديناكم من الأسْر، وورثنا دونكم خَاتمَ الأنبياء، وحُزنا شَرَفَ الآباء، وأدَركنا من ثأركم ما عَجزتم عنه، ووضعناكم بحيثُ لم تضَعوا أنفسكم، والسلامُ.

[رسالة هشام إلى خالد بن عبد الله القسرى]

قال أبو العباس: وقد ذكرنا[2] رسالةَ هشام إلى خالد بن عبد الله وإنَّا سنذكرها بتمامها فى غير الموضع[3] الذى ابتدأنا ذكْرها أوَّلا فيه، وكان سببُ هذه الرسالة إفراط خالد فى الدالة على هشام، وأنه أخذ ابن حسَّان النَّبطى فضربهُ بالسِّياط، وكان يقالُ له سُهيلٌ، قال: فبعثَ بقميصه إلى أبيه، وفيه آثارُ الدم، فأدخلهُ أبوه إلى هشام، مع ما قد أوغَرَ صدرَ هشامٍ عليه من إفراط الدالة، واحتجان الأموال، وكُفر ما أسداهُ إليه من توليته إياه العِراقَ، فكتبَ هشامٌ إلى خالدٍ:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعدُ، فقد بلغ أميرَ المؤمنين عنك أمرٌ لا يحتَمِلُهُ لكَ، إلا لِمَا أَحبَّ من رَبِّ[4] الصَّنيعة قِبلكَ، واستتمام معروفِهِ عندكَ، وكان أميرُ المؤمنين أحقَّ من

---

(١) عتبة وشيبة ابنا ربيعة من عبد شمس؛ كانا من المطعمين لقريش يوم بدر.

(٢) قال المرصفى: «نسى أبو العباس أنه لم يذكر شيئًا منها فيما سلف، وإنما أشار إليها بقوله هناك: «وما يشاكل هذا المعنى ويجانس هذا المذهب ما كان من خالد بن عبد الله القسرى فإنه كان متقدمًا فى الخطابة متناهيًا فى البلاغة، فخرج عليه المغيرة بن سعيد بالكوفة فى عشرين رجلا فعطعطوا، فقال خالد: أطعمونى ماء، وهو على المنبر، فعير بذلك فكتب به هشام إلبه فى رسالة يوبخه فيها، وسنذكرها فى موضعها إن شاء الله».

(٣) ر: «فى غير هذا الموضع».

(٤) رب الصنيعة واضعها ومنميها.

استصلح ما فَسَدَ عليه منك، فإن تَعدْ لمثل مقالتك، وما بلغ أميرَ المؤمنين عنك، رأى فى معالجتك بالعقوبة رَأْيَهُ.

إنَّ النعمة إذا طالت بالعبد مُمتدة أبْطرتَهُ، فأساء حَمْلَ الكرامة، واسْتَقَلَّ العافية، ونَسَبَ ما فى يديه إلي حيلته وحسبه، وبيته ورَهطه وعَشيرته، فإذا نزلَتْ به الغيرُ، وانكَشَطتْ عنه عَمَايةُ الغَىِّ والسلطَان، ذلَّ مُنقادًا ونَدمَ حَسيرًا، وتمكن منه عدوُّهُ قادرًا عليه قاهرًا به، ولو أرادَ أمير المؤمنين إفسادك لَجَمَعَ بينكَ وبين من شهد فَلَتَاتَ خَطللكَ، وعظيمِ زَلَلكَ، حيثُ تقول لجلسائك: «والله ما زادتنى ولاية العراق شرَفًا، ولا وَلأَنى أميرُ المؤمنين شيئًا لم يكن مَنْ قَبْلِى ممن هو دُونى يلى مثلهُ»!.

ولعمرَى لو ابتليتُ ببعض مَقاومِ الحجاج فى أهل العراق، فى تلك المضايق التى لَقِى لعلمت أنك رجلٌ من بَجِيلة، فقد خَرَجَ عليك أربعون رجلاً فغلبوك على بيت مالك وخزائنكَ، حتى قلت: «أطعمونى ماءً»، دهشًا وبعلاً [1] وجبنًا، فما استطعتهم إلّا بأمان، ثم أخْفَرْتَ ذِمَّتَكَ منهم، زرينٌ وأصحابهُ.

ولعمرى أن لو حاول أمير المؤمنين مكافأتك بخطلك فى مجلسك، وجحودك فضله إليك، وتصغيرما أنعم به عليكَ، فَحلَّ العُقدة، ونَقَضَ الصَّنيعة، وأخرك إلى منزلة أنت أهلها، كنتَ لذلك مستحقًّا، فهذا جَدكَ يزيد بن أسد قد حَشَدَ مع معاوية فى يوم صفين، وعرض له دينه ودمه، فما اصطنع إلاّ عنده، ولا ولاه ما اصطنع إليك أمير المؤمنين وَوَلاك، وقبلهُ من أهل اليمن، وبيوتاتهم منْ قَبيله أكرمُ من قبيلتك، من كندة وغسَّان وآل ذى يَزَن وذى كَلاع وذى رُعين، فى نظرائهم من بيوتات قومهم كلهم أكْرمُ أوَّلية، وأشرفُ أسلافًا، من آل عبد الله بن يزيد.

ثم آثرك أمير المؤمنين بولاية العراق، بلا بيت رَفيعٍ، ولا شرفٍ قديمٍ، وهذه البيوتات تعْلوكَ وتَغمرُكَ وتَسكتُك، وتتقدمك فى المحفل والمجامع عند بدأة الأمورِ وأبواب الخلفاء، ولولا ما أحَبَّ أميرُ المؤمنين منْ ردِّ غربْك فعاجَلَكَ بالتى كنت أهلها، وإنها منك لقريبٌ مأخذها سريعٌ مكروهها، فيها إن أبْقى الله أمير المؤمنين

(١) البعل: الدهش عند الروع.

زوال نعمه عنكَ، وحلولُ نقمه بك، فيما صنعت وارتكبت بالعراق، من استعانتك بالمجوس والنصارى، وتوليتهم رقابَ المسلمين وجبوةِ [١] خراجهم، وتسلطهم عليهم، نَزَعَ بك إلى ذلك عِرقُ سوءٍ فيهم من التى قامت [٢] عنك، فبئس الجَنينُ أنت يا عُدَىَّ نفسه!.

وإن الله عز وجل لَمَّا رأي إحسانَ أميرِ المؤمنين إليك، وسوءَ قيامكَ بشكره، قَلَبَ قلبه، فأسخطه عليك. حتى قبُحت أُموركَ عنده، وآيسه من شكرك ما ظهر من كفرك النعمةَ عندك، فأصبحت تنتظر سقوطُ النعمة، وزوال الكرامة، وحلولَ الخزى، فتأهب لنوازل عقوبة الله بك، فإن الله عليك أوجدُ، ولما عَملت أَكْرَهُ، فقد أصبحت وذُنوبك عند أمير المؤمنين أعظمُ من أن يبكتك، إلا راتبًا [٣] بين يديه، وعنده من يُقررُكَ بها ذنبًا ذنبا ويُبكتك بما أتيت أمرًا أمْرًا، فقد نسيته، وأحصاه الله عليكَ، ولقد كان لأمير المؤمنين زاجرٌ عنك فيما عَرفَكَ به من التَّسرُّعِ إلى حَماقتك فى غير واحدة.

منها القرشي[٤] الذى تناولته بالحجاز ظالمًا، فضربك الله بالسَّوطِ الذى ضربته به مفتضحا على رُءوس رعيتك. ولعلَّ أميرَ المؤمنين يعودُ لكَ بمثل ذلك، فإنْ يْفعل فأهله أنتَ، وإنْ يَصفحْ فأهله هُوَ!.

ومن ذلك ذكرك زَمزَمَ، وهى سُقيا الله وكرامتهُ لعبد المطلب، وهذا الحى من قريشٍ تُسَميها أمَّ جَعَار [٥] فلا سَقاك الله من حوضِ رسوله، وجَعَلَ شرَّكما لخيركما الفداء، ووالله أن لو لم يستدلل أميرُ المؤمنين على ضَعَف نحائزكَ وسُوء تدبيرك إلا بفسالة، دَخائلكَ وبطانتك وعُمالك، والغالبة عليك جاريتُك الرائفة[٦]،

---

(١) الجبوة: مصدر جبا الخراج يجباه.

(٢) قال المرصفى: «كنى بذلك عن أمه، وكانت رومية نصرانية، وهبها عبد الملك لأبيه»

(٣) راتبا: واقفًا.

(٤) هو رجل من بنى عبد الدار بن قصى، وكان وفد علي سليمان بن عبد الملك فسأله عن خالد، فذكره بشر، فلما سمع خالد بذلك أخذ ابنا له ومولي فضربهما بالسياط ضربًا مبرحًا، فشكا القرشى إلى سليمان، فأمر رجلاً من كلب فسار إلي خالد، فضرب خالدا وأمر أن يشهر به ويلبس مدرعة ويمشى إلى الشام، ورآه الفرزدق فنال منه، فى أبيات معروفة.

(٥) أم جعار: اسم للضبع (٦) الرائفة: النازلة الريف.

بائعة الفُهُودُ، ومستعملة الرجالِ، مع ما أتلفت من مال الله فى المبارك[1]، فإنك ادعيت أنك أنفقت عليه اثنى عشر ألف ألف درهم، والله لو كنت من ولد عبد الملك بن مروان ما احتَمَلَ لكَ أميرُ المؤمنين ما أفسدت من مال الله وضيعت من أُمور المسلمين، وسَلَّطت من وُلاة السُّوءِ على جميع أهل كُورِ عَمَلِكَ، تجمع إليك الدهاقين[2] هدايا النيروز والمهرجان، حابسًا لأكثره، رافعًا لأقله، مع مخابث مساويك التى قد أخر أمير المؤمنين تقريرك بها، ومناصبتك أمير المؤمنين فى مولاه حسَّان، ووكيله فى ضياعه وأحواره فى العراق، وإقدامك علي ابنه بما أقدمت به، وسيكون لأمير المؤمنين فى ذلك نبأ إن لم يعف عنك، ولكنّهُ يظنُ أنَّ الله طالبك بأمور أتيتها، غير تارك لتكشيفك عنها، وحَمَلَكَ الأموالَ ناقصةً عن وظائفها التى جباها عُمرُ بن هبيرة، وتوجيهك أخاك أسَدًا إلى خراسان، مُظهرا العصبية بها متحاملاً على هذا الحيِّ من مُضرَ، قد أتت أميرَ المؤمنين بتصغيره بهم واحتقاره لهم وركُوبه إياهم الثقات، ناسيا لحديث زرنبَ[3] وقصص الهَجَريين كيفَ كانت فى أسَد بن كرز، فإذا خلوتَ أو توسطت ملأً فاعرف نفسك، وخَف رواجعَ البَغْى عليك، وعاجلات النِّقم فيكَ. واعلَمْ أن ما بعدَ كتابِ أمير المؤمنين هذا أشد عليك، وأفسد لك، وقِبل أمير المؤمنين خلَفٌ منك كثيرٌ، فى أحسابهم، وبيُوتاتهم، وأديانهم، وفيهم عوضٌ منك، والله من وراء ذلك.

وكَتَبَ عبدُ الله بن سالم سَنَةَ تسع عشرة ومائة.

***

(٤ وهذا بابٌ من متنَخَّل طَريفِ الشعر، وذكر آيات من القُرآن ربَّما غلط فى مجازها النحويون ٤).

قال أبو العباس: هذا الكتاب قد وفيناه جميع حقوقه، ووفينا بجميع شروطه، إلا ما أذهل عنه النسيان، فإنه قلما ما يُخلى من ذلك، ونحنُ خاتموهُ

(١) المبارك: نهر بالبصره، احتفره خالد القسرى لهشام بن عبد الملك.

(٢) الدهافين التجار.

(٣) زرنب، مولاه تزوجها احد اجداد خالد فى الجاهلية، وكانت بغيًّا يعبر بها.

(٤ ٤) ما بين الرقمين مما لم يذكر فى ر

بأشعار طَريفة، وآخرُ ذلك الذى نختم بـه آياتٌ من كتابِ الله عز وجل، بالتوقيف على معانيها إن شاء الله

[مختارات متفرقة من الشعر]

قال الشاعر:

اذكـر مَـجالـسَ من بنى أسـد بَعـدُوا وحَنَّ إليـهم القـلبُ
الشـرقُ منـزلنـا، ومنزلـهُم غـربٌ، وأنى الشـرقُ والغَـربُ!
مِن كـلِّ أبَيـض جُلٌّ زِينتـهِ مِـسكٌ أَحَمٌّ وصـارِمٌ عَـضب

***

وقال آخرُ

حـيـاةٌ أبى العَـوَّام زينٌ لقـومـه لكلِّ امـرئ قاس الأمور وجـربَا
ونَعـتِبُ أحيـانًا عليه ولو مَـضى لكنَّا على الباقى من الناس أَعْـتبا

***

وقال مُسلم:

حيـاتك يَا بْن سَعـدانَ بنِ يحيى حـيـاةٌ للمـكارم والمعـالى
جَلبتُ لك الثـناء فجـاء عَـفْـوًا ونفس الشُّكر مُطلقـة العِـقـالِ
وتَرْجـعنـى إليكَ، وإن نأتِ بِى ديارى عنكَ، تَـجـرِبَةُ الرِّجـالِ

***

وأنشدنى العباسُ بن الفرَجِ الرِّياشيُّ:

وكم سُقتُ فى آثاركم مِن نصـيحةٍ وقـد يَسْـتَـفـيـدُ الظِّنَـة المُتَنَصِّحُ

***

وأنشدنى الرياشىُّ:

إذا الأمرُ أغنى عنكَ حِنويه فاجْتنبْ مَـعَـرَّة أمـرٍ أنتَ عنه بِمـعـزِلِ

وقال العتابى:

لا تَرْجُ رَجـعَـةَ مُـذنبٍ خَلَطَ احـتـجـاجًـا باعـتـذارْ

***

وقال أيضًا:

وفـيتُ كلَّ خليلٍ ودَّنى ثَمـنًا إلا المُـؤمـلَ دُولاتـى وأيـامـى

***

- وقيل للعتابى: ما أقربُ البلاغةِ؟ قال: ألاَّ يؤتى السامعُ من سُوءِ إفهام القائل، ولا يُؤتى القائِلُ من سوء فهم السامع. وقال ابن يَسير:

اقْـدَرْ لرجلك قبلَ الخَطْو منزلهـا فـمن عَـلاَ زَلَقًا عن غِـرَّةٍ زلِقَـا

وكان يقالُ: اصمت لتفهم، واذكر لتعلم، وقل لتذلق.

[آيات من القرآن الكريم، وبيان ما فيها من المجاز]

ونذكر آيات من القرآن ربما غلط فى مجازها النحويون، قال الله عز وجل: ﴿إنما ذلكمُ الشيطان يخـوِّفُ أولياءهُ﴾ (١) مجاز الآية أنَّ المفعول الأوّل محذوفٌ، ومعناه: يخوفكم من أوليائه.

وفى القرآن: ﴿فمن شهدَ منكُم الشهرَ فليصَمْهُ﴾ (٢)؛ والشَّهْرُ لا يَغيبُ عنه أحدٌ، ومجازُ الآية: فمن كان منكم شاهدًا بلده فى الشهر فليصمه، والتقديرُ ﴿فمن شهد منكم﴾ أى فمن كان شاهدًا فى شهر رمضان فليصمه، نصبَ الظُّروف لا نصب المفعول به.

(١) سورة آل عمران: ١٧٥.

(٢) سورة البقرة: ١٨٥.

وفى القرآن فى مخاطبة فرعـونَ: ﴿فاليوم ننجيك ببدنكَ لتكونَ لِمَنْ خلفك آية﴾ [1]، فليس مـعنى «ننجّيكَ» نخلصك، لكن نلقـيك على نجـوة من الأرض ببدنك: بدرعك، يدلُ على ذلك «لتكون لمن خلفك آية».

وفى القرآن: ﴿يخرجـون الرسولَ وإيَّاكم أن تؤمنوا بالله ربّكم﴾ [2] فالوقف ﴿يخرجون الرسولَ وإيَّاكم﴾ أى ويخُرجونكم لأن تؤمنوا بالله ربكم.

***

هذا آخر الكتـاب الكامل، والشُكْرُ لله والحمـدُ له، وصلى الله على رسول الله. ونستغفر الله مما قُلناه من عَمْدٍ وقصدٍ وزلل.

---

(١) سورة يونس: ٨٢.

(٢) سورة الممتحنة: ١

فهرس الموضوعات

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة

باب

الفهارس العامـــة

١- فهرس الآيات القرآنية

(٨)

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١٤٦	يَعرفونَه كَمَا يَعرفونَ أبناءَهُمْ	٣: ١٦٦
١٧١	كمثَلِ الَّذى يَنْعَقُ بما لا يَسْمَعُ إلا دُعاء وَنداء	٢: ١١٥
١٧٧	وَالموفونَ بِعَهْدِهِمْ إذَا عاهَدوا	٢: ١٣٩
١٧٧	ولَكنَّ البرَّ مَنْ آمَنَ بالله	١: ٢٢٨
١٨٠	إنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصيَّة	١: ٢٨٢
١٨٥	فَمَنْ شَهِدَ منْكمُ الشَّهْرَ فلْيصُمْهُ	٤: ١٠٤
١٨٧	أُحلَّ لكمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفثُ إلى نِسَائِكمُ	٢: ٩٧
١٩٧	وتَزَوَّدُوا فَإنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى	٣: ٢١١
٢٠٠	وهُوَ ألَدُّ الخصام	٣: ٤٤
٢٠٧	إنَّ الله رَءُوفٌ بالعِبَادِ	٢: ١٠٥
٢١١	سَلْ بَنى إسرائيل	٢: ١٧٠
٢١٧	يَسْأَلُونَكَ عَنْ الشَّهرِ الحَرَامِ قتَال فيه	٣: ١٥
٢١٩	وَيسْأَلُونَكَ مَاذا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ	٤: ٥
٢٣٥	أَوْ أكْنَنْتُم فِى أنفسكُمْ	١: ٢٣٥/ ٢: ٢٢٦، ٣: ٥٥
٢٣٥	وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سراً إلاَّ أنْ تَقولوا قولاً مَعروفًا	٢: ٢٣٢
٢٤٥	مَنَ ذا الذَّى يُقرِضُ الله قَرْضًا حَسَنًا فيضاعفهُ لَهُ	١: ٢٧٦
٢٤٩	كَمَ مِنْ فئَة قَلَيلة غَلَبَتْ فِئةً كثيرَةً بإذْنِ الله والله مَعَ الصَّابرينَ	١: ٣٠٦
٢٤٩	فَشَرِبُوا منْهُ إلاَّ قَليلاً منْهُمْ	٢: ٦٨
٢٥٥	لاَ تَأخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَومٌ	١: ١٢٢
٢٥٩	لَمْ يَتَسَنَّه وانْظرْ	٣: ٥٢
٢٦٦	فأَصَابَهَا إعْصارٌ فيه نارٌ فاحترقتْ	١: ٢٥٣
٢٧٤	الّذين يُنفِقُون أمْوالَهُمْ بِالليلِ وَالنّهارِ سِرًا وعلانية	٢: ١٩٧
٢٧٢	مِمّن ترضَونَ مِنَ الشُهداء	٢: ٣٦

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١٧٥	إِنما ذلكم الشيطانُ يخوِّفُ أولياءه	٤: ١٠٤
١٨٥	كلُّ نَفْس ذَائقَة المَوت	٤: ١٥
١٨٦	لَتبْلَوُنَّ فى أَمْوَالكُم وَأَنْفُسِكُم	١: ٥٣

٤ – ســـورة النســـاء

١	الَّذى تَسَاءَلونَ به وَالأرْحَامِ	٣: ٣٠
١٩	فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شيئًا ويَجْعَلَ الله فيه خيرًا كثيرًا	١: ٢٥٦
٣٥	فابْعَثُوا حكمًا منْ أَهله وحكمًا من أهلها	٣: ١٣٤
٣٦	والجار ذى القربى والجار الجُنُب والصاحب بالجنب	٣: ١٣
٤٢	أَوْ جاءَ أَحَدٌ منكُم منَ الْغَائطِ	٢: ٩٨
٤٢	أَوْ لامَسْتُمُ النسَاءَ	٢: ٩٨، ٢١٦
٦٦	ولَوْ أَنَّا كَتبنا عَليهمْ أَنْ اقْتلوا أنفسكُمْ	١: ١١٧/ ٢: ٦٩
٧٧	إِذَا فَريقٌ منْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخشية الله أو أشد خشية	٣: ٢٠٧
٧٨	ولَوْ كُنْتُم فِى بُرُوجٍ مُشيَّدة	١: ٨٥
٩٥	لاَ يَسْتَوِى الْقاعدونَ منَ الْمُؤمنينَ غَيرُ أُولى الضرر	٣: ٢٠٨, ٢١١
٩٥	وفضَّلَ الله المُجَاهدينَ عَلى القَاعدينَ أجرًا عَظيمًا	٣: ١٧٤، ٢٠٧
٩٧	أَلَمْ تَكُنْ أَرضُ الله وَاسعَةً فتُهاجروا فيها	٣: ٢٠٩
٩٧	كُنَّا مُستضعفين في الأرض	٣: ٢٠٩
١٠٨	إذْ يُبَيِّتُونَ مَالاَ يَرْضَى منَ القَول	٣: ١٢١
١١٧	رَبِّ إِنَّهنَّ أضْلَلْن كثيرًا من النَّاس	٤: ٨٩
١٥٩	وإنَ منْ أَهْلِ الكتَاب إلا ليُؤمنَنَّ بِهِ قبلَ مَوْته	٣: ١٣٢
١٦٢	لكنِ الرَّاسخُونَ فِى الْعلْم منْهُم	١: ٩٦/ ٣: ٣٠
١٦٣	إِنَّا أَوْحَينَا إِليكَ	١: ٢٨٣

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
	سورة المائدة	
٢٤	اذهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتلا	١: ٣/٢٥٤ :٣٠
٢٥	رَبِّ إنى لا أملكُ إلاَّ نَفْسى وأَخى	١: ٢١
٢٩	إنى أُريدُ أن تَبُوءَ بإثمى وَإِثْمكَ.	٢: ١٧٢
٣٣	إنَّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله. . .	٤: ٩٤
٣٤	إلاَّ الذينَ تابوا من قبلِ أن تقدروا عليهم	٤: ٩٤
٣٨	وَالسَّارقُ والسَّارقةُ فَاقطعُوا أَيْديَهُمَا	٢: ١٩٦
٤٢	وأَمَّا القَاسطَونَ فَكانوا لجَهنَّمَ حَطَبًا	٣: ٢٧٦
٥١	وَمَنْ يَتولَّهُم منْكُم فإنّهُ منْهُم	٣: ٢١٠
٩٢	فَعَسَى الله أنْ يَأْتى بِالفَتْحِ	١: ١٥٨
٥٤	يَجاهدون فى سبيلِ الله وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائمٍ	٣: ٢٠٧
٦٣	لَوْلاَ يَنهَاهُمُ الرَّبانيُّونَ وَالأحبَارُ عَنْ قولِهِمُ الإِثْمِ	١: ٢٢١
٦٨	فَلا تَأْس عَلى القَوْمِ الْكَافِرينَ	٢: ١٤١
٧٥	كانا يَأْكُلان الطعَامَ	٢: ٩٨، ٢١٦
٩٥	فَجَزَاء مثْلِ مَا قَتَلَ منَ النَّعم	٣: ١٢٣
٩٥	يَحْكُمُ به ذوَا عَدْلٍ منكم	٣: ١٢٢
٩٥	وَمَنْ عَادَ فينْتَقم الله منه	٣: ١٢٣
١١٤	أنْزل عَلَينَا مَائدَةً منَ السَّمَاء تكون لنا عيدًا	١: ٢٢٨
١١٦	يا عيسى ابْنَ مَرْيَمَ أأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخذونى وَأُمِّى إِلَـهَينَ	٢: ٦٥
١١٩	هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدقُهُمْ	٣: ٢٨٩
	٦- سورة الأنعام	
١٥	إنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ	٢: ١٠٣

٧- سورة الأعراف

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة

١٦- سورة النحل

٩١	وأوفوا بِعهْدِ الله إِذَا عَاهدتُمْ	٢: ١٣٩

١٧- سورة الإسراء

١٦	وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهلك قَرَيَةً أمرنَا مُترفيها فَفَسقُوا فيها	١: ٢٦٤
٢٨	وَإِمَا تُعرضنَ عَنْهُمَ ابْتغَاءَ رَحَمَةِ مِنْ ربِّكَ تَرْجوهَا	١: ٢٣٠
٣١	وَلاَ تقتَلُوا أَولادكُم خَشيَةِ إملاَقٍ	٢: ٦٣
٣٦	وَلاَ تَقْفُ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ	٣:
٩٣	أَو تَرْقَى فِى السَّماء	٢: ٨٠
١٠٠	قُلْ لَوْ أَنتُمْ تَملِكُونَ خزَائنَ رحمة ربِّى	١: ٢٢١

١٨- سورة الكهف

١٢	لنَعْلَمَ أَىُّ الحِزبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبثُوا أمدًا	١: ١٤
١٩	فليَنظُرْ أَيُّها أَزْكِى طَعَامًا	١: ١٤
٤٥	فأَصبحَ هَشيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ	١: ٤١، ٧٣
٧٨	هَذَا فِراقُ بَيْنِى وَبَيْنكَ	٣: ١٧٢
٧٩	وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلكٌ يأْخُذُ كلَّ سَفِينَة غَصبًا	٢: ٧٧
٨٦	إمَّا أَنَّ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتخذَ فِيهم حُسنًا	١: ٢٢٩
١٠٣	قُلْ هَلْ نُنبِّئكُم بالأَخْسَرِينَ أَعمالاً	٣: ١٣٩
١٠٤	الَّذينَ ضلَّ سَعْيهم فِى الحياة الدُّنيا وَهُمْ يحسبونَ أنهم يحسنون صُنعًا	٣: ١٣٩

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة

١٩- سورة مريم

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٥	وَإِنِّى خفتُ المَوَالِى مِنْ ورَائِى	٢ : ٧٧/ ٤ : ٣٩
١٣	وَحنَانًا مِنْ لدُنَّا	٢ : ١٤٧
٢٤	قَدْ جَعَلَ ربُّك تَحتَك سَرِيًّا	٣ : ١٦٤
٢٦	فَإِمَّا تَرين مِنَ الْبَشَر أَحَدًا	١ : ٢٣٠
٥٢	وَقَرَّبنَاه نَجيًّا	١ : ٢٢٥
٦٩	أَيُّهُم أَشَد عَلى الرَّحمَن عِتِيًا	٢ : ١٨٩
٧٤	هُمْ أَحْسَن أَثَاثًا ورئيا	٥ : ١٧٧
٧٥	إمَّا العَذْابَ وَإمَّا السَّاعة	
٩٧	وَتُنذِرَ بِه قومًا لدًّا	١: ٣٦/ ٣: ٤٤، ١٢٣

٢٠ - ســـورة طه

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٧	يعلمُ السرَّ وَأَخفَى	٢ :
٤٤	فقُولا لهُ قولاً لينًا لعلهُ يَتذكرُ أَوْ يَخشىَ	٣ : ٢٠٣
٤٤	لعلَهُ يتَذكرُ أَوْ يَخشى	١ : ١٥٨
٧١	وَلأُصَلِّبَنَّكُم فِى جُذُوعِ النَّخلِ	٣ : ٧٣
٨٤	وَعَجلْتُ إليكَ ربِّ لِتَرضَى	٣ : ١٦٢
٨٧	فَغَشيهُمْ مِنَ اليَمِّ مَا غَشِيَهُمْ	١ : ٤٠
١١٩	وَأَنكَ لا تَظْمأُ فِيهَا وَلاَ تَضحَى	٣ : ١٦٩

٢١- سورة الأنبياء

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١٨	بَلْ نقْذفُ بِالْحقِّ عَلَى الْبَاطِلَ فَيَدْمَغُهُ فإِذَا هُوَ زَاهِقٌ	١: ٣٠٦/ ٢: ١٨٠
٣٠	وَجَعَلْنَا مِنَ المَاء كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ	٢ : ٨٦
٥٦	وَأَنا عَلَى ذَلِكُم مِنَ الشاهِدِينَ	١ : ٣٤، ٣٧

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٤٣	يَكادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالأبصارِ	١: ١٥٧، ١٧٨/
		٣: ١٠٢، ١٢٨/
		٤: ٦٢
٤٥	وَالله خَلَقَ كُلَّ دَابَّة مِنْ مَاء	٢: ٢٠٤
٦٣	قَد يَعْلَمُ الله الذينَ يَتسللونَ مِنْكُم لِوَاذًا	٢: ٢٠٦

٢٥- سورة الفرقان

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٢١	وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا	٢: ١٨٩
٦٦	إنها ساءَت مُستقرًّا ومُقَامًا	١: ١٦٢
٦٨ . ٦٩	وَمَن يَفعلَ ذلكَ يلقَ أثَامًا يُضاعف له العَذَابُ يومَ القيامة وَيَخلُدْ فيه مُهَانًا	٣: ٢٤
٧١	فإنَّهُ يَتوبُ إلى الله متابًا	٢: ١٨٠
٧٢	وَالذينَ لا يشهدُونَ الزُّور وَإذا مَرُّوا باللغو مَرُوا كِرَامًا	٣: ١٨١

٢٦- سورة الشعراء

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٤	فظلت أعناقُهُم لها خَاضِعِينَ	٢: ١٠٥
٨٤	وَاجعَلْ لى لِسَانَ صدقٍ فِى الآخرِينَ	١: ٢٩٦
١٢٨	أتَبْنَونَ بكُل رِيع آيةً تَعبثونَ	١: ١٢٩
١٧١	إلاَّ عَجُوزًا فِى الغَابِرِينَ	٣: ١٨١
٢٢٧	وسيعلم الذين ظلموا أىَّ منقلبٍ ينقلبون	٤: ٩٨

٢٧- سورة النمل

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٨	نُودى أن بُورِكَ مَن فِى النَّار وَمَن حَولها	٢: ١٤٧
٢٥	الذِّى يُخرجُ الخبءَ فِى السَّموات وَالأرضِ	١: ٢٠٢/٢: ١٧٠
٣٤	إنَّ المُلُوكَ إذا دَخلُوا قَرِيَةً أفسدوها	١: ٢٦٤

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٤٨	بالَحقِّ عَلاَّمُ الغيوبِ	١: ٢٥٥
٥٢	وَأَنَّى لَهُمْ التَّناوُشُ مِنْ مكَانَ بَعيدٍ	٣: ٢٩٢

٣٥- سورة فاطر

٢٨	إنَّما يَخشى الله من عِبادِه العُلماءُ	١: ٢٦٩
٤٥	ما تَرَكَ عَلى ظهرْها مِنْ دَابَّةٍ	٢:

٣٦- سورة يس

٤٠	ولا الليل سابِقُ النَّهَار وَكلٌّ فِى فلكٍ يسبحون	١: ٢٠١

٣٧- سورة الصافات

٤٩	كأنَّهنَّ بَيضٌ مكنُونٌ	١: ٢٣٥/٣: ٤١
٥٥	فرآهُ فى سَواءِ الجحيم	٤: ٨
٦٥	طَلْعها كأنَّهُ رُءوسُ الشَّياطينَ	٣: ٧٠
١٠٨، ١٠٩	وتَرْكنَا عليهِ فِى الآخِرين	١: ٢٩٦
١٠٩	سلامٌ على إبراهيم	١: ٢٩٦
١٣٠	سَلامٌ على إلياسين	١: ١٢٠/٣: ٢٢٠

٣٨- سورة ص

٢١	إذ عُرِضَ عليه بالعَشى الصَّافنَاتُ الجيادُ	٣: ١٠٣
٢٢	ولا تُشطط	١: ٧٠
٢٣	إنَّ هذا أخِى له تسعٌ وتِسعون نعْجَةً	١: ٢٢٥/٢: ١٧٨
٢٣	وعزَّنى فى الخطاب	٣: ٥٤/٤: ٣٤
٣٢	إنِّى أحببْتُ حُبَّ الخيرْ عنْ ذكر ربِّى حتى توارتْ بالحجابْ	٢: ٢٠٩
٣٨	مُقرَّنين فى الأصفاد	٣: ١٥

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
	٣٩- سورة الزمر	
٣	وَالذين اتَّخذوا مِنْ دُونه أَولياءَ مَانعبُدُهُم إلاَّ ليقرِّبونا إلى الله زلفى	١ : ٢٩٦
١٢	وَأُمرتُ لأنْ أكُونَ أوَّلَ المُسلمينَ	١ : ٢٤٧/ ٣:٣/
٦٧	وَالسَّمٰوَاتُ مَطويَّاتٌ بيمِينه	١ : ١٠٨
	٤٠- سورة غافر	
٣	غافِر الذَّنب وَقَابِلِ التَّوْب	٢ : ١٨٠
٢٨	وَقَالَ رَجُلٌ مُؤمِنٌ مِنْ آلِ فِرعَونَ يَكتُمُ إيمانَهُ	٣ : ٢٠٧
	٤١- سورة فصلت	
٨	لهم أجرٌ غيرُ مَمنُون	٣ : ١٦٧، ١٦٨
١٠	فى أربعة أيامٍ سَواءً للسَّائلينَ	٤ : ٩
١١	قَالتَا أَتَيِنا طائعِينَ	٢ : ٧٠
٢١	وَقَالوا لِجُلُودِهِم لِمَ شَهِدتُمْ عَلينا	٢ : ٩٨
	٤٢- سورة الشورى	
٥٢، ٥٣	وَإنَّكَ لَتهدِى إلى صراطٍ مُستقيمٍ صراط الله	٣ : ١٤
	٤٣- سورة الزخرف	
١٨	أَوَ مَنْ يُنشأُ فى الحلْيَة وَهُوَ فى الخصامِ غير مُبين	١ : ٢٦/٢ : ١١٥/٤ : ٣٩
٣١	وَقَالوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا القُرآنُ عَلى رَجُل مِن القَرْيَتَيْنِ	٢ : ٧٩
٥٥	فَلمَا آسَفُونا انْتَقمنا منهُم	١ : ٢٤
٥٨	بَلْ هُمْ قومٌ خَصِمُونَ	١ : ٣٦/٣ : ١٢٣
٨٣	فذرهم يَخوضُوا ويَلعبوا	١ : ٢٢٨

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
	٤٩- سورة الحجرات	
٤	إنَّ الذين يُنادونكَ مِنْ ورَاء الحُجرات	١: ٥٦
٦	يَأيها الَّذين آمَنُوا إنْ جاءَكم فَاسِقٌ بِنبأٍ فَتَبَيَّنُوا أنْ تُصيبوا قوْمًا بجهالَة	٢: ٢٢٢
٩	إن الله يُحبُّ المُقسطِينَ	٣: ٢٧٦
١٣	إنَّ أكْرَمكُم عِنْدَ الله أتقَاكُم	٢: ١١
١٥	إنَّما المُؤمنون إخوَةٌ	٣: ١٣٣
	٥٠ - سورة ق	
١	لهَا طلْعٌ نَضيدٌ	١: ١١
٣٦	فَنَقَّبُوا فى البلاَد	٢: ١٠٦
٣٨	وَمَا مَسَّنَا مِنْ لغوبٍ	١: ٢٣٥
	٥١- سورة الذاريات	
٧	وَالسماءِ ذات الحُبُك	١: ٤٢
	٥٢- سورة الطور	
٣٨	أمْ لهُم سُلَّمٌ يَستَمِعُونَ فِيه	٣: ٧٣
٤٤	أم يَقُولونَ تَقَوَّلَهُ	١: ٢٧٧
	٥٣- سورة النجم	
١٢	أفَتُمارونَهُ عَلَى مَا يرَى	٢: ١٤١
٣٧- ٤١	وَإبْراهيم الَّذى وَفى	٣: ١٥٨
٣٨	ألاَّ تَزرُ وازرةٌ وزر أخرى	٣: ١٥٨
٣٩	وأن ليس للإنسان إلا ما سعى	٣: ١٥٨
٤٠	وأن سعيه سوف يرى	٣: ١٥٨
٤١	ثم يجزاه الجزاء الأوفى	٣: ١٥٨
٤٣	وثَمودَ فَمَا أبْقَى	٢: ٥٠

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٤٨	وَأَنهُ هوَ أَغْنى وَأَقْنى	١ : ١٨١، ١٨٢
	٥٤- سورة القمر	
١	اقْتربَت السَّاعة وَانْشَقَّ القَمَرُ	١ : ٣٠٠
٢٠	كأَنَّهم أعْجَازُ نَخْلٍ مُنقعرٍ	٣ : ٢٣٤
٤٣	أَكفارُكُم خيرٌ مِنْ أُولَئِكم أَمْ لكمْ براءَةٌ في الزُّبُرِ	٣ : ٢٠٩
	٥٥- سورة الرحمن	
٦	وَالنَّجمُ والشجرُ يَسجدان	٢ : ١٨٣
١١	والنَّخلُ ذاتُ الأَكْمامِ	٣ : ٢٩
١٩	مَرَجَ البَحرْينَ يَلتَقيانِ	٢ : ١١
٢٤	ولَه الجَوارِ المنشآت في البَحْرِ كالأَعلاَم	٣ : ٣٦
٣١	سنفرغُ لكُم أيُّها الثُّقلانِ	١ : ١٣، ٢٤
٣٣	يَا مَعْشَرَ الجنِّ والإنس	٢ : / ١٣٧:٣
٣٥	يُرسَلُ عَليكُما شُواظٌ مِنْ نَار ونُحَاسٌ	١ : ٢٩١
٤١	يُعرَفُ المُجرمونَ بِسيماهُم	١ : ٢١
٤٤	يَطوفونَ بَيْنها وبَيْنَ حَميمٍ آن	١ :
٥٨	كَأَنهُنَ الياقوتُ والمرجانُ	٣ : ٤٣
٦٤	مُدهَامَّتَان	٣ : ٢٨
	٥٦- سورة الواقعة	
١٥	عَلى سُرُرٍ مَوْضونة	١ : ١٥٩
٢٣	كَأَمثالِ اللُّؤْلُؤِ المكنُونِ	٣ : ٤٣
٢٩	في سدر مَخضُودٍ	١ : ١١
٣٠	وَطلحٍ منضودٍ	١ : ١١
٣٧	عُرُبًا أَترابًا	٢ : ٢٢٢
٥٥	فَشارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ	٢ : ١١٤
٥٨	أَفرَأَيتُمْ مَا تُمنُونَ	٢ : ١٧٣

٢- فهرس الأحاديث النبوية

***

الحديث	الجزء والصفحة
(م)	
ما استَرْحمَتْ قريشٌ فرحمتْ وَسُئلتْ فَأَعْطتْ وحدَثَتْ فَصدقتْ، ووَعدت فَأنجزَتْ. . . .	٤ : ٤، ٥
مرحبًا بخالى (لقبيصة بن المخارق)	٢ : ٣١
المُسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم وَهُمْ يدٌ على مَنْ سِواهُم، والمرءُ كثيرٌ بأخيه	١ : ٥٦
من باعِ دارًا أو عقارًا فلم يردُدْ ثمنهُ فى مثله فذلك مالٌ قمن ألا يُبارك فيه. . . .	٢ : ٢٣١
منْ حلف بالله فليصْدق، ومَن حُلف له بالله فليْرضَ	٣ : ٢٠٤
منْ سرَّهُ أن يكون أعزَّ الناس فليتَّق الله ، ومنْ سرَّهُ أن يكون أغنَى النَّاس فْليكن. . . .	١ : ١٦٨
من سعادة المرءِ خفة عارضيهْ	٢ : ٩٦
منْ كانَ آمنا فى سربْه، مُعافى فى بدنه، عنده قوتُ يومْه، كان كمنْ حيزتَ له الدنيا بحذافيرها	١ : ١٣٠
***	
(ن)	
نُصِرتُ بالصَّبا، وأُهلكَتْ عادٌ بالدَّبورِ	٣: ٥٢
***	
(هـ)	
هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها	١ : ٢٧٩
هممت أن أنهى أمتى عن الغيلة؛ حتى علمت أن فارس والروم تعمل ذلك بأولادها.	١ : ١١٤
***	
(و)	
وَإِيَّاكَ وَالْمخيلة. . .	٢ : ٢١٣
ويحك ! فمن يعدل إذا لم أعدل. !	٣: ١٤٠
***	

(ى)

يَا أَبا عبد الله، إِنَّما يحِلّ لك من هذا ما يَحِلُّ لنا (لسلمان الفارسى).	٤ : ١٢
يأبى اللهُ ذلك وابنا قيْلة	٤ : ٢٧
يا عبد الله كيف بك إذا بقيت فى حُثالة من الناس مرجتْ عُهودهم وأماناتهم وصار الناس هكذا.	٢ : ١١
يَطلُعُ عليكُم منْ هذا الفجِّ خَيْرٌ ذِى يَمن عليه مَسْحَة مَلك	١ : ١٥٤
يقولُ ابن آدم: مالى مالى؟ ومالك من مالِكَ إلا ما أكلت فأَفْنَيتُ، أو لبست.	١ : ٢٩٥

٣- فهرس الخطب والعهود

الجزء والصفحة

٤- فهرس الرسائل

الجزء والصفحة

٥- فهرس الأمثال

	الجزء والصفحة
كاد العروس يكون أميرا	١ : ١٥٧
كاد المنتعل يكون راكبا	١ : ١٥٧
كاد النعام يطير	١ : ١٥٧
كل الصيد فى بطن الفرا	١ : ٢٥٢
كما تدين تدان	١ : ٢٥٩
الكيس فى القصر	١ : ٨٠
لا تجعل حاجتى منك بظهر	١ : ٢٣
لا فى العير ولا فى النفير	١ : ٢٦٥
لست فى العير يوم يحدون بالعير ولا فى النفير يوم النفير	١ : ٢٦٥
لقد أكل عليه الدهر وشرب	١ : ١٧٧
لم يذهب من مالك ما وعظك	١ : ١٦٦
لولا أن تضيع الفتيان الذمة لخبرتها بما تجد الإبل فى الرمة	١ : ١٧٩
ما نمت إلا غرارا	١ : ٣٦
ما يخفى ذلك على الأسود والأحمر	٢ : ٤٧
ما يوم حليمة بسر	٢ : ٢٠٣
ماء ولا كصدى	١ : ١٢
مرعى ولا كالسعدان	١ : ١٢
من عزّ بزّ	١ : ١٢٣/٣ : ٥٤/٤ : ٣٤
من كان فى وطن فليوطن غيره وطنه ليرتع فى وطن غيره فى غربته	١ : ١٨٩
الناس الناس	١ : ٤٠
هو هالك فى الهوالك	٢ : ٤٥/٣ : ٢٧٦
ويل للشجى من الخلى	١ : ٢٢٧

٦- فهرس اللغة (*)

(*) للكلمات التى شرحها المؤلف.

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

	الجزء والصفحة
دهي - الداهية	١: ٩٢
دود - داد الطعام	٣: ٢٧٧
دور - دوار، دوار، دوار	٢:
يستدير	١: ٩٣
دوم - الدوامة	١: ٩٤
الديمة	٤: ٦٤
دو - الدوى، دوية، داوية	
الدو	١: ٣٠٢
ديث - ديث بالصغار	١: ٢٢
دين - الدين - الديدن	١: ٢٥٩
(الــــذال)	
ذاب - المذأب	٣: ٥٠
تذاءبت الريح	٣: ٥٤
ذال - ذءول	١:
ذيل - الذيل	٢: ٢٢٦
ذرب - الصوف الأذربى	١: ١١
ذرع - المذرع	٢: ٩٤
المذرع	٢: ٩٤
ذر - ذرا عقدات	١: ٤٦
مذروان	١: ٨٧
ذعذع - ذعذع	٤:
ذفر - الذفرى	٣: ٧٨
ذمى - ذماء	١: ٢٧٥
ذنب - ذنوب	١: ١٥٦
ذهب - ذهبة ذهاب	٣: ٢٨/ ٤: ٦٢

	الجزء والصفحة
ذهل - ذهول	٢: ٢٢١
ذود - الذود	١: ٥٩
ذيل - فرس- ذيال	١: ٢٨٦
ذيم - الذيم	١:
(الــــراء)	
رأف - الرأفة	٢: ١٠٤
رأم - رئم	١: ٩١
روائم	٣: ٥٨
رأى - راءنى	٢: ١٨٩
رب - الرباب	٣: ٦٩/
	٤: ٦٢، ٦٣
ربذ - ربذى	١: ٢٧١
ربض - ربض	١: ٣٠٨
ربع - مربوعات	١: ٨٣
الربع	٣: ٥١/ ٤: ٣٣
الربع	٣: ٢٤، ٧٥
رت - الرتة	٢: ١٦٣، ١٦٤
رتج، الرتاج، أرتج عليه	
ارتج	١: ١٠٢
ارتاج	١: ٢٢٥
رج - رجاج	٣: ٤٥
رجس - ارتجس	١:
رجل - رجلة، رجالة	١: ٨١
المراجل	١: ٢٣٦
المراجيل	٢: ١٠٩

الجزء والصفحة

(السـين)

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

(الضـــاد)

(الطـــاء)

٧- فهرس الأشعار

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
		(الهمزة)		
ليس لشىء	للفناء	سريع	خفاف بن ندبه	١ :
إذا أنا	وراء	طويل	عدى بن مالك	١ : ٥٤
أبلغ	فناء	طويل	المكعبر الضبى	١ : ٦٩
وإنى	رجاء	طويل	المكعبر الضبى	١ : ٦٩
أخبر	أساءوا	طويل	المكعبر الضبى	١ : ٦٩
كانت قناتى	والإمساء	طويل	عمرو بن قميئة أو عبد الرحمن بن سويد	١ : ١٧٦
هو الصبر	لأشاؤها	طويل	ابن أبى عيينة	٢ : ٢٣
تلجلج	داء	طويل	زهير	١ : ١٦٠
يجرون	والغناء	طويل	زهير	١ :
كأن سبيئة	وماء	طويل	حسان بن ثابت	١ : ١٠٦
وإنك	السناء	طويل	حسان بن ثابت	١ : ١٧٨
كأن	هواء	طويل	زهير	١ : ٢٦٢
يفضله	والذكاء	طويل	زهير	١ : ٣٠٣
هم الآسون	والإساء	طويل	الحطيئة	٢ : ١٤١
وإنى	الثراء	طويل	الحطيئة	٢ : ١٤٢
وهم قوم	السناء	طويل	الحطيئة	٣ : ١٠٢
نحن	والحكماء	خفيف	ابن قيس الرقيات	٣ : ١٥٠
أيها المشتهى	والفناء	خفيف	ابن قيس الرقيات	٣ : ١٥٢
إنما مصعب	الظلماء	خفيف	ابن قيس الرقيات	٢ : ١١٩
وترى	إهباء	خفيف	ابن قيس الرقيات	٣ : ١٦٧
والذى	ظماء	خفيف	ابن قيس الرقيات	٣ : ١٩٣
ولأراها	وتنكؤها	منسرح	ابن هرمة	٢ : ١٨١/٣ : ٢٧٣

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
تأبى	أكفاء	بسيط	أبو الربيع الغنوى	٢: ١٥٢
مر إسماعيل	الأسراء	مجزوءالكامل	ابن أبى عيينة	٢: ٢٣
إذا بلغتنى	الحساء	وافر	الشّماخ	١: ١٠٨
نبئت	نائى	خفيف	عبدالله بن رواحة	٣: ٥٨
وابن عمران	للأكفاء	خفيف	دعبل	٣: ١١٨
وفى كل عام	عزائكا	طويل	الأعشى	١: ٢٢٠
تجالف	لسوائكا	طويل	الأعشى	٤: ٨

البـــاء

جمعت	كثب	طويل		١:
يفرح	عضب	رمل	الأعشى	١: ٦٠
من يساجلنى	الكرب	رمل	الفضل بن العباس	١: ١٥٦
كم رأينا	وشرب	رمل	الجعدى	١:
وأنا الأخضر	العرب	رمل	الفضل بن العباس	١:
أبلغا	الكواكب	خفيف	الخليل بن أحمد	٢: ١٢
أباهل	العرب	متقارب	الخليل بن أحمد	٣: ٩
غادرن	كالمحتطب	متقارب	عنترة	٣: ٣٦
ياعين	العرب	متقارب	أم كعب بن سور	٤: ١٨
أرى	مخضبًا	طويل	الأعشى	١: ٢٤
عليكم	العواقبا	طويل	سعد بن ناشب	١: ١٦٦
لحاالله	ذبًا	طويل	صخر بن حبناء أو يزيد بن حبناء	١: ١٧١
وأخدع	عقربًا	طويل	يزيد بن حبناء	١: ٢١٦
تجول	ولاقلبا	طويل	خالد بن يزيد	١: ٢٧٤
تجهز	المهلبا	طويل	عبدالله بن الزبيرالأسدى	١: ٣٠٠
إذا هبّ	كوكبا	طويل	أبو نواس	٣: ١٠٦
بعثت	المهلبا	طويل	أبو نواس	٣: ٢٥٦

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
أقول	متشعبا	طويل	ابن الزبير الأسدى	٣: ٢٦١
حياة	وجربا	طويل	ابن الزبير الأسدى	٤: ١٠٣
إني وجدك	الطلبا	بسيط	إياس بن الوليد	١: ٤٥
ربيته	زغبا	بسيط	أم ثواب الهزانية	١: ١٩٢
الله يعلم	اليعاسبا	بسيط	الفرزدق	١: ٢١٠
أبكى	أجنابا	بسيط	الخنساء	٣: ١٣
ياللرجال	طربا	بسيط	عبدالله بن مسلم	٣:
تؤمل	صابا	وافر	بشر بن خازم	١: ٦٠
ألم تعلم	ولااجتلابا	وافر	جرير	١: ١٦٢
فغض	ولا كلابا	مجزوء الوافر	جرير	١: ٢٦٧
سماؤك	لهبا	وافر	إبراهيم السواق	٢: ٢٥
أبت	واكتئابا	وافر	ابن أبى عيينة	٢: ٢٩
نمير	التهابا	وافر	النميرى	٢: ١٧٣
ترى	شابا	وافر	جرير	٣: ٣٥
الا أبلغ	غضابا	وافر	جرير	٣: ٢٧١
أبنى حنيفة	أغضبا	كامل	جرير	٣: ٢٠
فجعت	مصيبة	متقارب	يعقوب بن الربيع	٤: ٨١
رغا	وسليب	طويل	علقمة الفحل	١: ٨
يقولون	غارب	طويل	ابن ميادة	١: ٤٤
بزينب	القلب	طويل	نصيب	١: ١٤٧
أقول	قارب	طويل	نصيب	١: ١٤٨
رأيت	عتب	طويل	أبورباط	١: ١٥٢
وفى كل	ذنوب	طويل	علقمة الفحل	١: ١٥٧
سقاك	جنوب	طويل	علقمة الفحل	١: ٢٥٢
ومن يك	لغريب	طويل	ضابئى البرجمى	١: ٢٥٣
على ذاك	وأجلبوا	طويل	الكميت بن زيد	١: ٢٦٠

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
أهاب	وقلوب	طويل	الكميت بن زيد	١ : ٢٧١
كذبتم	ونحلب	طويل	الكميت بن زيد	١ : ـ
فلله	جانب	طويل	الكميت بن زيد	٢ : ٧
فمالى	مشعب	طويل	الكميت بن زيد	٢ : ٧٠
إذا خلة	قلب	طويل	عباد بن عباد	٢ : ١٠١
لكل أخى	وهب	طويل	عباد بن عباد	٢ : ١٠٨
بزينب	القلب	طويل	نصيب	٢ : ١١٧
كأنى	وطاب	طويل	عبيد بن أيوب	٢ : ١٤٩
يكذبنى	أكذب	طويل	السليك	٢ : ١٥١
أبادلف	أكذب	طويل	بكر بن النطاح	٢ : ١٥٤
إني امتدحتك	الكاذب	كامل	بكر بن النطاح	٢ : ١٥٤
حلفت	رقيب	طويل	قيس بن ذريح	٢ : ١٧٩
بزينب	القلب	طويل	نصيب	٢ : ١٨٩
إن عيالى	وزبيب	طويل	جرير	٢ : ٢٠٢
وما غائب	غائب	طويل	أبوحية النميرى	٢ : ٢٢٠
لكل أخى	ثواب	طويل	أبو حية النميرى	٣ : ٦
فلا تحرمنى	عريب	طويل	علقمة الفحل	٣ : ١٣
فإنك	كوكب	طويل	النابغة	٣ : ٢٦
إذا وردت	وصبيب	طويل	علقمة الفحل	٣ : ٢٧
وما حسن	جنوب	طويل	علقمة الفحل	٣ :
وهل ريبة	نجيب	طويل	علقمة الفحل	٣ : ٩٢
أهاب	وقلوب	طويل	علقمة الفحل	٣ : ٢٥٤
صلبنا	يصلب	طويل	الأعور الكلبى	٤ : ١٠
وإنى	قريب	طويل	إبراهيم بن المهدى	٤ : ١٥
عجبت	غائب	طويل	أبوتمام	٤ : ١٥
نأي	وغروب	طويل	إبراهيم بن المهدى	٤ : ٢٠

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
أيا جارتا	تصيب	طويل	صخر بن عمرو	٤ : ٥١
وما مثله	يقاربه	طويل	الفرزدق	١ : ٢٨
وإنى	صاحبه	طويل	أبو الطمحان القينى	١ : ٤٤
فلو كان	شاربه	طويل	أبوالطمحان القينى	١ : ١٧١
ويعرف	عواقبه	طويل	أبو الطمحان القينى	٢ : ٧
فلو كان	شاربه	طويل	الفرزدق	٢ : ١٧٢
بنى هاشم	مناهبه	طويل	الوليد بن عقبة	٣ : ٢١
وما أصبح	مذاهبه	طويل	الوليد بن عقبة	٣ : ٤٦
أضاءت	ثاقبه	طويل	أبوالطمحان القينى	٣/ ٩٦
وهون	صاحبه	طويل	أبو الطمحان القينى	٤ : ٢٦
فلو عاب	ما يعيبها	طويل	أبو الطمحان القينى	٢ : ٧
تميم	جوابها	طويل	الفرزدق	٢ : ٦٧
أقول	نصابها	طويل	يزيد بن الطثرية	٢ : ١٣١
ألم تعلمى	جنابها	طويل	يزيد بن الطثرية	٢ : ٢٠٧
وما هجرتك	نصيبها	طويل	يزيد بن الطثرية	١ : ٢٣١
وجداء	ربيبها	طويل	يزيد بن الطثرية	٣ :
ألم تعلمى	جنابها	طويل	يزيد بن الطثرية	٣ : ٢٧٠
وقد توجس	كذب	بسيط	ذو الرمة	١ : ٩٣
وكل	لا يثوب	مخلع البسيط	عبيد بن الأبرص	٢ : ٤٠
وقد رأينا	والشنب	بسيط	الكميت	٢ : ١١٩
لمياء	شنب	بسيط	ذو الرمة	١ :
إذا استهلت	الخشب	بسيط	ذو الرمة	٢ : ٢٢٠
إن يسمعوا	كذبوا	بسيط	طريح بن إسماعيل الثقفى	٢ : ٢٣٢
شخت الجرازة		بسيط	ذو الرمة	٣ : ٢٧
ديار مية	خشب	بسيط	ذو الرمة	٣ : ٣١

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
إنى وإن	مشرعب	طويل	عامر بن الطفيل	١ : ١٣٣
من النفر	المهذب	طويل	نصيب	١ : ١٤٧
وركب	غالب	طويل	الفرزدق	١ : ١٤٨
يمرون	بالعصائب	طويل	الفرزدق	١ : ١٤٨
عسى الله	الحقائب	طويل	سماعة بن أشول	١ : ١٥٨
أغثنى	سكوب	طويل	سماعة بن أشول	١ : ١٥٨
وقيل	كاربى	طويل	طفيل الغنوى	١ : ٢١٩
شكوت	هبى	طويل	طفيل الغنوى	١ : ٢٢٧
ولم أر	حبى	طويل	المجنون	١ : ٢٣٣
هل الجود	المحصب	طويل	الفضل بن المهلب	١ : ٢٤٦
لعمرى	قضيب	طويل	الفضل بن المهلب	١ : ٢٤٩
ولاعيب	مركب	طويل	النابغة	١ : ٢٧٢
أعاذل	الكتائب	طويل	النمر بن تولب	١ : ٢٩٢
ألا قل	وقريبى	طويل	ابن أبى عيينة	٢ : ٢٢
جحدت	الهلب	طويل	ابن أبى عيينة	٢ : ٧٢
فلو كان	العواقب	طويل	ابن أبى عيينة	٢ : ١٠٠
نمش	مصعب	طويل	امرؤ القيس	٢ : ١١٠
ألاحى	مضهب	طويل	نصيب	٢ : ١١٨
وقد تعتريه	بقريب	طويل	نصيب	٢ : ١٦٥
ديار	قريب	طويل	قيس بن الخطيم	٢ : ١٩٢
ليس بسعد	الركائب	طويل	الأحوص	٢ : ١٩٥
تخيرن	مصعب	طويل	النابغة	٢ : ٢٠٣
لعمرى	التجارب	طويل	إسحاق بن إبراهيم	
	العذب		الموصلى	٢ : ٢٠٩
لا أكتم	قلبى	طويل	إسحاق بن إبراهيم الموصلى	٢ : ٢٣١
عرضت	بكوكب	طويل	بكر بن النطاح	٣ : ٣

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
كأن عيون	مثقب	طويل	امرؤ القيس	٣ : ٢٥
بكت	غالب	طويل	إسماعيل بن عمار بن عيينة	٣ : ٦٢
ألم تر	تطيب	طويل	امرؤ القيس	٣ : ٨٦
حديث	المتقارب	طويل	امرؤ القيس	٣ :
لسانك	الكرب	طويل	أبو الوازع	٣ : ٢٠٢
مواقفنا	حوشب	طويل	أبو الوازع	٣ : ٢٤٥
ولست بمفراح	المتقلب	طويل	هدبة	٤ : ٧٢
ماوجدت	أم كلاب	طويل	هدبة	٤ : ٧٢
كنا	الظنابيب	بسيط	سلامة بن جندل	١ : ٧
بل	الهرب	بسيط	يحيى بن نوفل	١ : ٣١
أمرتك	نشب	بسيط	إياس بن عامر أو أعشى طرود	١ : ٣١
ولا تلاقى	بشؤبوب	بسيط	النابغة	٢ : ٣٤
أما رأيت	وكتاب	بسيط	النابغة	٢ : ٧٩
يامالك	والحسب	بسيط	جرير	٢ : ٤٦
سألت	تصب	بسيط	حسان بن ثابت	٢ : ٧٦
إن النموم	الكذب	بسيط	أبو العباس المبرد	٢ : ٢٣٠
فاليوم	عجب	بسيط	أبو العباس المبرد	٣ : ٣٠
فأى حى	الذئب	بسيط	أبو العباس المبرد	٣ : ٥٠
يومان	تأويب	بسيط	سلامة بن جندل	٣ : ٥١
يقول	محلوب	بسيط	سلامة بن جندل	٣ : ٥٥
إنى	الحرب	بسيط	عمران بن حطان	٣ : ١٧٤
يبكيك	للعجب	بسيط	عمران بن حطان	٣ : ١٩٩
قل للمحلين	والهرب	بسيط	الصلت	٣ :
إذا مولاك	العجيب	وافر	الصلت	١ : ٤٥

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
أنا ابن الأكرمين	كلاب	وافر	القتال الكلابى	١ : ٩٨
تكلفنى	والصناب	وافر	جرير	١ : ١٢٨
وقالوا	الحبيب	وافر	جميل	٢ : ٣٩
جلبنا	الذئاب	وافر	زيد الخيل	٢ : ٧٥/ ٣ : ٦٧
وقد نقبت	بالإياب	وافر	امرؤ القيس	٢ : ١٠٦
وأمنع	صحبى	وافر	امرؤ القيس	٢ : ٢٣١
وخيبة	الركاب	وافر	امرؤ القيس	٣ : ١١
برئت	باب	وافر	امرؤ القيس	٣ : ١٤٢
وأجرأ	العيوب	وافر	امرؤ القيس	٣ : ١٧٦
من ذا	الكاذب	كامل	امرؤ القيس	١ : ٣٢
قوم	الأبواب	كامل	جرير	١ : ١٤٧
رفعت	ثيابى	كامل	أبو خراش الهذلى	١ : ٢٢٠
إن السيوف	الأعضب	كامل	الأخطل	٣ : ١٥
هبت	وعتابى	كامل	الأخطل	٣ : ٨٧
ومدججا	كالكلب	مجزوءالكامل	الأخطل	٣ : ٢٠٥
فارقت	الكذاب	كامل	ابن عاصم الليثى	٣ : ٢١٢
ضربوا	والحرب	كامل	عمران بن عصام	٣ : ٢٦٩
بأبى	شبابه	كامل	العتبى	٤ : ١٦
ذهب	الأجرب	كامل	لبيد	٤ : ٢٨
لايبعدن	بذنوب	كامل	حسان بن ثابت	٤ : ٧٤، ٩٣
له بين	القسب	كامل	عقبة بن سابق	٣ : ٨٤
والقمر	لحب	منسرح	عقبة بن سابق	١ : ٢١٨
لم تتلفع	بالعلب	منسرح	عقبة بن سابق	١ : ٢٤٩
قل لعلى	منتسب	منسرح	عقبة بن سابق	٢ : ١٩١
من رسولى	والكتاب	خفيف	عمر بن أبى ربيعة	٢ : ١٧٥

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
وتراهن	النقاب	خفيف	ابن الأيهم التغلبى	٢ : ١٧٨
قال لى	الرباب	خفيف	عمر بن أبى ربيعة	٢ : ١٧٨
ليت شعرى	واجتنابى	خفيف	يعقوب بن الربيع	٤ : ٨٠
أبى	أرتب	متقارب	النابغة الجعدى	١ : ٧٥
أبى لى	أرتب	متقارب	النابغة الجعدى	١ : ١٦٦
سبقت	تضرب	متقارب	النابغة الجعدى	١ : ٢٠٥
وشاهدنا	بقصابها	متقارب	الأعشى	٢ : ٨٢
ولوحا	المنكب	متقارب	الجعدى	٣ : ٢٠
ويصهل	للمعرب	متقارب	الجعدى	٣ : ٣٥
		(التـــاء)		
من يأمن	ماتا	مجزوءالكامل	الجعدى	١ : ٢٧٣
يا على	بنتا	خفيف	أبو العتاهية	٢ : ٩
بنو دارم	الحبطات	طويل	الفرزدق	١ : ٥٦
أما كان	الحجرات	طويل	الفرزدق	١ : ٥٦/ ٢ : ٥٢
تواعد	السبت	طويل	محمد بن نمير	١ : ١٩٦
ولكنهم	البغت	طويل	يزيد بن ضبة أو يزيد بن الصمة	٣ : ١١٢
أرجل	كميت	وافر .	يزيد بن ضبة أو يزيد بن الصمة	١ : ١٠٤
إذا ما فاتنى	فاشتويت	وافر	الغسانى	١ : ١٢٧
هبينى	بدأت	وافر	إبراهيم السواق	٢ : ٢٥
وفيت	وفيت	وافر	السموءل	٢ : ١٣٩
رئمت	أباة	طويل	السموءل	١ : ٩١
بنى أسد	اشمعلت	طويل	مرة بن محكان	١ : ١٦٠
ساشكر	جلت	طويل	عبدالله بن الزبير الأسدى	١ :

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
مررت	حلت	طويل	سليمان بن قتة	١ : ١٨٠
يطفن	تغدت	طويل	البطين التيمى	١ : ١٩٣
بأيدى	سلت	طويل	الفرزدق	١ : ٢٤٤
أقول لها	ذلت	طويل	كثير	١ : ٢٥٦
هنيئا	مااستحلت	طويل	كثير	٢ : ٥
تضوع	عطرات.	طويل	محمد بن عبدالله بن نمير	٢ : ٧٢
يخبئن	معتجرات	طويل	محمد بن عبدالله بن نمير	٢:١٥٣، ١٦٩
كأن	نبلت	طويل	الشنفرى	٣:٨٥
تضوع	خضرات	طويل	ابن نمير الثقفى	٣ : ١٣١
أحببت	بهت	بسيط	دعبل	٢ : ٨
ما يرحل	ومعذرة	بسيط	دعبل	٣ : ١١٨
أفى الولائم	لعلات	بسيط	دعبل	٣ : ١٢٩
دينار	بالعفاريت	بسيط	بشار	٣ : ١٤٣
قد كنت	أشتات	بسيط	بشار	٤ : ٢٥
ولو أسقيتهم	الفرات	وافر	الفرزدق	٢ : ٢٠٧
أيفخر	والعلاوة	وافر	جرير	٣ : ١٠٦
		(الثاء)		
من كان	والشعثا	بسيط	جرير	٢ : ١٧١
فى بطن	اللبثا	بسيط	جرير	٢ : ١٧١
إن الناس	مباحث	طويل	أبو دلامة	٢ : ١٣٦
أشاقتك	الأثث	وافر	ابن نمير الثقفى	٢ : ١٧٦
كم عمة	الكراث	كامل	جرير	٣:٨٦
		(الجيم)		
لما رأيت	مخرجا	طويل	الفرزدق	٣ : ٦٦

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
لقد علمت	خروج	طويل	شبيب بن البرصاء	١ : ١٢٢
كأن المتن	مشيج	وافر	الشماخ	٣ : ٨٤
قلت	عالج	سريع	الحارث بن حلزة	١ : ٢٩٥
اطردوا	الدجاج	خفيف	الحارث بن حلزة	٣:
رعى	ملهج	طويل	الشماخ	١ : ١٢٣
مفج	ملجلج	طويل	الشماخ	٣ : ٨٢
إذا رجع	شجى	طويل	الشماخ	٣ : ٩١
ومرسل	الحاج	بسيط	الراعى	١ : ٢٢٤
يا أيها الناس	دارج	بسيط	الراعى	٢ : ٧٤
أما النهار	الساج	بسيط	الراعى	٣ : ٢٩٠
فأما قولك	وداجى	وافر	عبدالرحمن بن حسان	١ : ٢٠٩
ولقد رمينك	سواح	كامل	جرير	١ : ٢٢٦
إن الغراب	التشحاج	كامل	جرير	١ : ٢٢٦
مارلت	هودج	كامل	عروة بن أذينة . أو جميل	١ : ٢٣٢
مارلت	الحجاج	كامل	عروة بن أذينة أو جميل	٢ : ٢٢١
عوجى	نحرجى	سريع	العرجى	٢ : ١٩٣
		(الحاء)		
ألقى	المتاح	مجزوءالكامل	إسحاق بن خلف	٢ : ١٩
وكائن	جارحا	طويل	إسحاق بن خلف	٣ : ٢٣١
لام فيها	وصباحا	مديد	إسحاق بن الموصلى	٣ : ٤٠
ياليت	ورمحا	مجزوءالكامل	عبد الله بن الزبعرى	١ : ٢٦٤، ٢ : ٢٠٤
فلا تفش	نصيحا	متقارب	على بن أبى طالب	٢ : ٢٢٨

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
مرته	ريحا	متقارب	أبو ذؤيب	٣ :
لها	أشجح	طويل	ذو الرمة	١ : ٩.
بدرت	شيح	طويل	أبوذؤيب	١ :
وإنى لأغلى	تذبح	طويل	أبو ذؤيب	١ : ١٢٣
دعانى	النصائح	طويل	عمارة	١ : ١٣٧
سل المفتى	جناح	طويل	عمارة	١ : ٢٣١
دأبت	يمصح	طويل	الراعى	١ : ٢٩٤
لا تسألن	تجرح	طويل	الراعى	٢ : ٩٨
وأكرم	تروح	طويل	الراعى	٢ : ١٠١
لعمرى	أليح	طويل	الراعى	٢ : ١٩٧
ألا تعلمى	مطرح	طويل	ذو الرمة	٢ : ٢٢٣
ألا يا حمام	تنوح	طويل	عوف بن محلم. أو أبو كبير الهذلى	٣ : ٩٢
آلا حبذا	ورائح	طويل	عوف بن محلم . أو أبو كبير الهذلى	٣ : ٨٦
يقولون	جنوح	طويل	النابغة	٣ : ٩٦
لعينك	مروح	طويل	أبو حية النميرى	٣ : ٩٩
وما الدهر	أكدح	طويل	تميم بن أبى بن مقبل	٣ : ١٣٢
وعلمى	طلائح	طويل	تميم بن أبى بن مقبل	٤ : ٣٦
وكم سقت	المتنصح	بسيط	تميم بن أبى بن مقبل	٤ : ١٠٣
تفاقد	ذبحوا	بسيط	أيمن بن خريم	٣ : ٢٣
إنى أرقت	مذبوح	وافر	أبو ذؤيب	٤ : ٥٧
ألم تسل	مشبح	وافر	نضلة السلمى	١ : ٧٦
كأن القلب	أو يراح	وافر	مجنون بنى عامر أو توبة	٣ : ٢٩
فإن تك	الصفائح	طويل	عبدالله بن الحر	٢ : ٩١

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
وإنى	نابح	طويل	عبدالله بن الحر	٤ : ٣٦
هبت	إصباحى	بسيط	عبدالله بن الحر	٢ : ١٨٥
وقد لهوت	مكلاح	بسيط	أوس بن حجر	٢ : ٣
كأن ريقتها	نضاح	بسيط	أوس بن حجر	٣ : ٣٩
وإجشامى	المشيح	وافر	ابن الإطنابة	١ : ٧٧
أبت	الربيح	كامل	ابن الأطنابة	٤ : ٥٧
ونواعم	كالمزاح	كامل	ابن ميادة	١ : ٤٢
ألقى	المتاح	كامل	إسحاق بن خلف	٣ : ٣٧
بنيت	ألواح	كامل	أبو نواس	٣ : ١٠٦
يا أهل	السفح	منسرح	مطيع بن إياس	٤ : ٧٧
من يكن	الفقاح	خفيف	عبدالرحمن بن أبى عبدالرحمن	٣ : ٤٠
ليتنى	الطوح	خفيف	عبدالرحمن بن أبى عبدالرحمن	٣ : ٦٦
أرى	الأصبحى	متقارب	الصلتان العبدى	٣ :

(الدال)

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
لقد قالت	تبترد	رمل	عمر بن أبى ربيعة	٣ : ١٩٠
نبى	وأنجدا	طويل	الأعشى	١ : ١٢٨
سأطلب	لتجمدا	طويل	الأعشى	١ : ١٦٣
يرى	واحدا	طويل	الأعشى	١ :
يؤدبنى	ماعدا	طويل	أبو العسوس	٢ : ٥٠
وفيها	أصبدا	طويل	الأعشى	٢ : ٢١٣
قال	سعيدا	طويل	أبوالشمقمق	٣ : ٧
عليك	خالدا	طويل	الفرزدق	٣ : ٦٥
أجدك	وأشهدا	طويل	الأعشى	٣ : ١٠١
فلو أن	عودها	طويل	الأعشى	١ : ٢٣٤
شريد	أبدا	بسيط	ابن مفرغ	١ :

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
راحت	ولا السددا	بسيط	أبو وجزة السعدى	١ : ١٥١
راحت	أحدا	بسيط	أبو وجزة السعدى	١ : ١٥٢
أوفى	وردا	بسيط	أبو داؤاد الأيادى	١ :
إذا تجاوب	الجلد	بسيط	عبد مناف بن ربع الهذلى	٢ : ١٢٠
قل للسرى	صددا	بسيط	أبو الهندى	٣ : ٣٤
اللؤم	وماولدا	بسيط	أبو الهندى	٣ : ٥٨
قوم	قودا	بسيط	أبو الهندى	٤ : ٣٨
ماذا يغير	رقدا	بسيط	عبد مناف بن ربع	٤ : ٤٦
يعود	الشدادا	وافر	جرير	١ : ١٨٦
لعمرك	بعدا	وافر	جرير	١ :
إذا هبت	الوليدا	وافر	جرير	٣ : ٤٨
أبى حبى	جديدا	وافر	جرير	٣ : ١٠١
سائل	مسعودا	كامل	جرير	١ : ١١٨
أثوى	موعدا	كامل	الأعشى	٢ : ٤٣
غلب	وسادها	كامل	ابن الرقاع	٣ : ١٠٤
تزجى	مدادها	كامل	ابن الرقاع	٣ : ١٠٤
كم من أخ	لحدا	كامل	عمرو بن معدى كرب	٤ : ١٤
ألا ياسمية	يزيدا	متقارب	عمروبن معدى كرب	١ : ٢٠٤
كأن يديها	زرودا	متقارب	عمرو بن معدى كرب	٣ : ٨٠
أعينى	الندى	متقارب	الخنساء	٤ : ٤١
لا يبعد	خالدة	متقارب	الحارث بن عمرو	١ :
فإما هلكت	حسادها	متقارب	حسان بن ثابت	١ : ١٧١
بنى دارم	مخلد	طويل	عمارة بن عقيل	١ : ٢٩
إن الكريم	أقود	طويل	حاتم بن عبدالله الطائى	١ : ٤٧

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
لا تشتمنى	العوائد	طويل	حاتم بن عبدالله الطائى	٢ : ٤٥
ألا قل	يزيد	طويل	يزيد بن الصقيل العقيلى	١ : ٨٨
فجاءت	السهد	طويل	يزيد بن الصقيل العقيلى	١ : ١١١
خليلى	الرواعد	طويل	يزيد بن الصقيل العقيلى	١ : ٢٠٣
عليك	صدود	طويل	يزيد بن الصقيل العقيلى	١ : ٢٧٣
لأدماء	عديدها	طويل	الحطيئة	١ : ١٣٦
أردت	شهود	طويل	قيس بن سعد بن عبادة	٢ : ٨٦
وقد مات	يخلد	طويل	قيس بن سعد بن عبادة	٢ : ١٠٦ ٣ : ١٦٠
وإن التى	كما صدوا	طويل	الحطيئة	٢ : ١٣٨
مفدمة	الرعد	طويل	أبو الهندى	٣ : ٣٣
تعز	ويولد	طويل	أبو الهندى	٤ : ٣٤
خليلى	الروعد	طويل	هفان بن همام	٤ : ٣٤
لقد فرح	وجيدها	طويل	هفان بن همام	٢ : ٥٥
فبات	خمودها	طويل	هفان بن همام	٢ : ١٨١
وكنت	بعيدها	طويل	هفان بن همام	٢ : ١٨٧
بسلى	خدودها	طويل	هفان بن همام	٣ : ٢٣٤
الواهب	اللبد	بسيط	النابغة	١ : ١١
نظارة	تحديد	بسيط	النابغة	٢ : ٢٢٤
كأن بيض	ويد	بسيط	الراعى	٣ : ٤١

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
لاحزن	مفتقد	بسيط	يزيد المهلبى	٤ : ٨١
ولست	الورود	وافر	عقيل بن علفة	١ : ٨٩
وخير الشعر	العبيد	وافر	الفرزدق	١ : ١٤٩
أمير	العهاد	وافر	الفرزدق	٣:٢٨
فإذا بلغتم	وخلود	كامل	الفرزدق	١ : ٢٩٦
فأثنوا علينا	لخلد	كامل	الفرزدق	١ : ٢٩٦
يا خاضب	يعود	كامل	محمود الوراق .	٢ : ١٢٩
وإذا	وعبيد	كامل	محمود الوراق	٣ : ٢٧٦
نعم ضجيع	الصرد	منسرح	محمود الوراق	١ : ١٩٢
كل	أحد	منسرح	أو عبدالرحمن العتبى	٤ : ٢١
تيس	نقد	منسرح	صخر الغنى	٣:
إن شرخ	زهيد	خفيف	صخر الغنى	٣ : ٨٥
ألا هل	غامد	متقارب	ربيعة بن مكدم	١ : ٢٣
أسود	الأساود	طويل	الأشهد بن رميلة	١ : ٤٨
كقنطرة	بقرمد	طويل	طرفة بن العبد	١ : ٨٥
إذا القوم	أتبلد	طويل	طرفة بن العبد	١ : ٩٧/
				٤ : ٦٧
أهيم	بعدى	طويل	نصيب	١ : ١٤٨
خليلى	المقيد	طويل	نصيب	١ : ١٦١
تجمعتم	واحد	طويل	ابنة ابن الرفاع	١ : ٢١٠
أرى	المتشدد	طويل	طرفة	١ : ٢٨٢
كميش	أنجد	طويل	دريد بن الصمة	١ : ٣٠١
وإنى	يهتدى	طويل	الحطيئة	١ : ٣٠٢
يرى	غد	طويل	الحطيئة	٢ : ٧
وإن آنست .	الغد	طويل	الحطيئة	٢ : ١٨
يسموننا	المزاود	طويل	الحطيئة	٢ : ٤٧

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
أعربان	إياد	طويل	ابن نوفل	٢: ٤٩
لاتحمدن	لوالد	طويل	ابن نوفل	٢: ٧٢
إن تنصفونا	ببعاد	طويل	مالك بن الريب	٢: ٧٨
ألاهل	المهند	طويل	مالك بن الريب	٢: ١١١
وفى السر	المحاتد	طويل	مالك بن الريب	٢: ١١٤
أهيم	بعدى	طويل	نصيب	٢: ١١٧
أسائل	الرفد	طويل	أبو تمام	٢: ١٢٥
أيا ابنة	الورد	طويل	قيس بن عاصم	٢: ١٣٣
إذا كنت	سعد	طويل	النمر بن تولب	٢: ١٣٤
وإن ادع	فاجهد	طويل	طرفة	٢: ١٤٠
أأن	الرند	طويل	ابن الدمينة	٢: ١٧٨
فإن تسل	لا بالتجلد	طويل	كثير	٢: ١٨٨
كتمت	خدى	طويل	كثير	٢: ٢٣٠
أقول	خدى	طويل	الحسين بن الضحاك	٣: ٣
ألا قل	بلاد	طويل	الحسين بن الضحاك	٣: ٧
ديونك	سعيد	طويل	مسلم بن الوليد	٣: ٧
وأبلغ	مصمد	طويل	طرفة	٣:
ألاقطع	بخالد	طويل	الفرزدق	٣: ٦٥
وإن نظرت	أبعد	طويل	الحطيئة	٣: ٨١
بأرض	قردد	طويل	الحطيئة	٣: ٨١
وكادت	هدهد	طويل	الحطيئة	٣:
وكنا	رعاد	طويل	أبو نواس	٣: ١٠٠
ترى	وجراد	طويل	أبو نواس	٣: ١٠٣
سأرحل	بحادى	طويل	أبو نواس	٣: ١٠٦
أبا خالد	لقاعد	طويل	قطرى بن الفجاءة	٣: ١٢٤
لها مرفقان	متشدد	طويل	طرفه	٣: ١٦٤

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
وما سبق	خالد	طويل	الفرزدق	٣: ٢١٦
بسلى	ورد	طويل	بيهس بن صيب	٣: ٢٣٤
وكل	أوغد	طويل	كثير	٣: ٢٥٧
إن كان عبيد	وغادى	طويل	عبيدالله بن زياد	٤: ٣٨
فإن تقتلوا	بخالد	طويل	أبو الأسدى	٣:
وتقصير	الممدد	طويل	طرفة	٤: ٦٣
فإن تقتلونى	لم يقيد	طويل	هدبة	٤: ٧٣
ما أذوق	التماد	مديد	هدبة	١: ٣٦
مالعينى	وسادى	مديد	هدبة	١: ٣٧
خلت	فالنضد	بسيط	النابغة	١:
نبئت	الجيد	بسيط	السماخ	١: ١٣
ياطيئ السهل	الأسد	بسيط	للطرماح	١: ١٩
رفعت	بالعمد	بسيط	ذو الرمة	١: ٤٦
لم تر	الوادى	بسيط	القطامى	١: ٥٣
لاتحسبنى	والشيد	بسيط	الشماخ	١: ٨٥
الخير	زاد	بسيط	عبيد بن الأبرص	١: ٩٣
يحج	كالمغاريد	بسيط	غدار بن دارة الطائى	١: ٢/٩٤: ٦٠
ودارم	بالخدد	بسيط	الطرماح	١: ١٣٩
قد ثكلت	الأسد	بسيط	حسان بن ثابت	١: ١٦١
لو كنت	الصيد	بسيط	حسان بن ثابت	١: ١٩٩
نفسى	وعوادى	بسيط	جرير	١: ٢٠٩
إنى وإن	الهادى	بسيط	القطامى	١: ٢٦٢
قربن	الحادى	بسيط	القطامى	١: ٢٦٢
فهن ينبذن	الصادى	بسيط	القطامى	١: ٢٩٤
فظل	أود	بسيط	النابغة	١: ٣٠٣
حنت	والرشد	بسيط	ذو الرمة	٢: ٤٣

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
إما ترى	وأفوادى	بسيط	ذو الرمة	٢ : ٨٩
ماسرنى	والجود	بسيط	إسحاق بن خلف	٢ : ٩٦
يقتلننا	بادى	بسيط	القطامى	٢ : ١٧٩
ضنت	الغادى	بسيط	الأحوص	٢ : ١٩٤
أبو أحيحة	وذا عدد	بسيط	الأحوص	١ : ٢٧٣
ردت	الثأد	بسيط	النابغة	٣ : ١٦
وضعته	البلد	بسيط	مسلم بن الوليد	٣ : ٣٨
يأيها	يدى	بسيط	عمارة	٣ : ٥٦
وظل يعجم	أود	بسيط	النابغة	٣ :
يظل	والنجد	بسيط	النابغة	٣ :
مقذوفة	بالمسد	بسيط	النابغة	٣ : ٨٩
ألا ترين	والجود	بسيط	النابغة	٣ : ١١٧
طال	مردى	بسيط	الشماخ	٣ : ١٢٨
أبا سعيد	أحد	بسيط	حبيب بن عوف	٣ : ٢٩١
لهاشم	والأسد	بسيط	حبيب بن عوف	٤ : ٦
إنى لأكنى	لواديها	بسيط	الحطيئة	١ : ٥٤
إنا بنى منقر	وناديها	بسيط	عمر بن الأهتم	١ : ٩٦
أمرتك	تجد	وافر	ابن ميادة	١ : ٤١
إذا ما مات	يزاد	وافر	أبو المهوش الفقعى أو أبوالمهوش الأسدى أو يزيد بن عمرو بن الصعق	١ : ١٣٩
أبعد الأشتر	واد	وافر	أخت الأشتر	٢ : ٥١
جماد	جماد	وافر	المتلمس	٢ : ٥٤
نكهت	ورد	وافر	ابن عبدل	٣ : ٣٩
أريد	مراد	وافر	عمرو بن معدى كرب	٣ : ١٤٦

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
كفانا	الحديد	وافر	عمرو بن معدى كرب	٣: ٢٥٤
تمنانى	سعيد	وافر	عمرو بن معدى كرب	٣: ٢٥٤
ولو علم	الشداد	وافر	عمرو بن معدى كرب	٣: ٢٧٧
جدير	النجاد	وافر	عمرو بن معدى كرب	٤: ٤٢
الواطئين	والأبراد	كامل	الاعشى	١: ٥١
وإذا طعنت	مقرمد	كامل	النابغة	١:
وإذا أتيت	تقعد	كامل	وهب بن عبدمناف	١: ١٤٣
هلا سألت	واد	كامل	وهب بن عبد مناف	١: ٢٠٠
علم القبائل	عطارد	كامل	وهب بن عبد مناف	١: ٢٤٤
يا ناظرا	مشاهد	كامل	محمود الوراق	٢: ٥
من مبلغ	الإنشاد	كامل	ابن أبى عيينة	٢: ٢٦
أفنى	يزيد	كامل	ابن أبى عيينة	٢: ٢٨
إن الرزية	ومحمد	كامل	الفرزدق	٢: ٨٠
هيهات	سعيد	كامل	أبو الشمقمق	٣: ٧
يدعى	الأجرد	كامل	عطية بن عمرو	٣: ٢٢٥
وما فارس	الأجرد	كامل	عطية بن عمرو	٣: ٢٢٥
نجى	يزيد	كامل	عطية بن عمرو	٣: ٢٤٥
ياويح	الملحد	كامل	حسان بن ثابت	٤: ٩
ولقد طعنت	موسد	كامل	أهبان بن غادية	٤: ٧٥
فات	بالمطرد	كامل	أخو ربيعة بن مكدم	٤: ٧٥
أطع	جهدك	مجزوءالكامل	أبو العتاهية	٢: ٤
يصيخ	للمنشد	سريع	المثقب العبدى	١: ٩٣
قالت	ولم يوجد	سريع	المثقب العبدى	٣: ١٠٧
تقول	العدد	منسرح	حسان بن ثابت	١: ٢٠٩
انظر	أحد	منسرح	حسان بن ثابت	٢: ٢١
أخشى	والأسد	منسرح	لبيد	٤: ٢٨

(الذال)

(الراء)

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
ثم لا يخنز	الدخر	رمل	طرفة	٣ : ٧٦
أصحوت	مستعر	رمل	طرفة	٤ : ٨
أبليانى	لشر	رمل	هدبة	٤ : ٧٣
هل ينسئن	حذر	سريع	ابن أحمر	٢ : ١٦٩
بل لو	حمار	سريع	ابن أحمر	٣ : ٩٨
جددت	أبر	متقارب	مالك بن العجلان	١ : ١٩٣
كليب	الحظر	متقارب	مالك بن العجلان	٢ : ٧٩
أتونى	نكر	متقارب	مالك بن العجلان	٣ : ٢٤، ١٢١
إذا ما خشينا	فسكرا	طويل	مالك بن العجلان	١ : ١٨٥
ورويت	أعمرا	طويل	أبو الشجرة السلمى	١ : ٣٠٤
وإن جاء	واصبرا	طويل	ساق البربرى	٢ : ٣٣
على كل	بربرا	طويل	امروء القيس	٢ : ٦١
تركتم	أوعرا	طويل	جرير	٢ : ٦٢
وإنى لأرى	أعبرا	طويل	أبو الطمحان القينى	٢ : ٧١
تفاقد	بهرا	طويل	ابن ميادة	٢ : ١٨٢
إذا نحن	سرا	طويل	الرقاشى	٢ : ٢٣١
فقربت	المؤطرا	طويل	الشماخ	٣ : ٣٢
فدعها	وهجرا	طويل	امروء القيس	٣ : ٦٧
كأن ذراعيها	فعدرا	طويل	الشماخ	٣ : ٧٧
كان بذفاها	الصوبرا	طويل	الشماخ	٣ : ٧٧
كأن الحصى	أعسرا	طويل	امروء القيس	٣ : ٧٩
له همم	الدهر	طويل	بكر بن النصاح	٣ : ٩٥
ولا يعرفون	تدابرا	طويل	جرير	٣ : ١٢١
أخو الحرب	شمرا	طويل	جرير	٣ :
أقول	نورا	طويل	جرير	٣ :
سأحمى	أخضرا	طويل	معبد بن أحضر	٣ : ١٨٨

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
وأطفأت	تسعرا	جرير	جرير	٣: ٢٣٨
رأى سرى	الحذرا	بسيط	أشجع السلمى	٢: ٧
ما راحَ	اعترا	بسيط	ابن أبى عيينة	٢: ١٢
مالى رأيتك	حضرا	بسيط	ابن أبى عيينة	٢: ٢٣
نعى	واعتمرا	بسيط	جرير	٢: ٢٠٣
بل أيها	الخبرا	بسيط	عمرة بن عقيل	٣:
بضرب	تبورها	طويل	مالك بن زغبة	٣:
إذا العرش	فقير	طويل	هدبة	٤: ٧٣
فصادف	العرارا	وافر	الراعى	١: ٣٥
ولا ينسينى	الإزار	وافر	الراعى	١: ٣٩
أحولى	عمارا	وافر	عنترة	١: ٨٦
رددت	احمرارا	وافر	عقيل بن علفة	٢: ٣٨
ولا ينسينى	الإزارا	وافر	قيس بن الخطيم	٢: ٢١٤
سقى	انتحار	وافر	قيس بن الخطيم	٣: ٢٣٧
وكأن تحت	سحرا	مجزوءالكامل	بشار بن برد	٣: ١٠٩
فاقتل	زرارة	مجزوءالكامل	عمرو بن ملقط	١: ١٣٨
وتكون	زرارة	مجزوءالكامل	الأعشى	١: ١٣٨
بيضاء	كالعرارة	مجزوءالكامل	الأعشى	٣: ٨٧
رأيت	عبارا	سريع	الأعشى	٢: ٣٨
أيها الرائح	الأوطارا	خفيف	ابن أبى ربيعة	٢: ١٧١
وزندك	عفارا	متقارب	الأعشى	١: ١٧١
أكل	نارا	متقارب	عدى بن زيد	١: ٢٢٩
إذا كان	الأميرا	متقارب	الأعشى	١: ٢٦١
أياذا	صدورا	متقارب	ابن أبى عيينة	٢: ٢٦
فكيف أنا	عارا	متقارب	الأعشى	٢: ٣٠
كأن الغطامط	غفارا	متقارب	ذو الرمة	٢: ١١٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
لها زجل	دبورا	متقارب	الأعشى	٣: ٤٥، ٤٦
أكل	نارا	متقارب	عدى بن زيد	٣: ٧٥
لها حافر	مغارا	متقارب	ابن الخرع	٣: ٨٣
ومن لا تضيع	ضمارا	متقارب	الأعشى	٣: ٢٣٠
وقد علم	وفر	طويل	حاتم الطائى	
وقربن	الخطر	طويل	ذو الرمة	١: ٣٩
ليسوا	المقابر	طويل	ذوالرمة	١: ٤٥
رأت	فيحضر	طويل	ابن أبى ربيعة	١: ٦١، ٢٣٣
لهم	نجار	طويل	مسعود بن بشر المازنى	١: ٧٩
شربنا	والبحر	طويل	مسعود بن بشر المازنى	١: ١٠٥
إذا ابن	جازر	طويل	ذو الرمة	٣: ٢١٧
ألا يا أسلمى	القطر	طويل	ذو الرمة	١: ١٢١
إذا ضربته	النسر	طويل	ذو الرمة	١:
رأيناكما	كبير	طويل	عمار بن عقيل	١: ١٣٢
فتى	الفقر	طويل	سلمة بن يزيد الجعفى أو الأبيرد الرياحى	١: ١٧٣
وهن	العصر	طويل	الفرزدق	١: ١٨٣
عجوز	الظهر	طويل	الفرزدق	١: ٢٤٧
وما غرنى	الصفر	طويل	الفرزدق	١: ٢٤٨
ألم تر	ولا ظهر	طويل	الفرزدق	١: ٢٤٨
وقد يهلك	يحذر	طويل	أبو العتاهية	١: ٢٥٥
وأنت امرؤ	والمثغور	طويل	أبو العتاهية	١: ٢٦٣
غداة	والخمر	طويل	الفرزدق	١: ٢٩٠
أماوى	ولا خمر	طويل	حاتم الطائى	١: ٢٩٥
وأمكم	كبير	طويل	ضابئ البرجمى	١: ٣٠٣
ومازال	ومفخر	طويل	حسان بن ثابت	٢: ١٥

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
لست بسعدى	التمر	طويل	حسان بن ثابت	٢ : ٦٢
ألاليته	والجزر	طويل	حسان بن ثابت	٢ : ١١١
أدور	أدور	طويل	الأحوص	٢ : ١١٦
كساك	وناصر	طويل	أبو الأسود الدؤلى	٢ : ١٢٦
قضى	وفخور	طويل	يزيد بن الطثرية	٢ : ١٣١
وفيت	الأكابر	طويل	المكعبرى الضبى	٢ : ١٣٩
فلما فقدت	وأنؤر	طويل	عمر بن أبى ربيعة	٢ : ١٨٣
لهن الوجا	وحسير	طويل	جميل	٢ : ٢١٢
إذا قلت	الفجر	طويل	أبو صخر الهذلى	٣ : ٤٤
لعمرى	قسر	طويل	الفرزدق	٣ : ٦٥
فألقت	محافر	طويل	الفرزدق	٣ : ٧٦
إليك	قبور	طويل	أبو نواس	٣ : ١٠٥
أمن جذبة	ولا صخر	طويل	شمعل	٣ : ١١٧
بهاليل	المتحير	طويل	حسان بن ثابت	٣ : ١٣٧
أمن آل	فمهجر	طويل	عمربن أبى ربيعة	٣ : ١٦٨
لقد أدرك	الأخاضر	طويل	الفرزدق	٣ : ١٨٨
كفعل	حاضر	طويل	الفرزدق	٣ : ١٨٨
جزانى	الأصاغر	طويل	الفرزدق	٣ : ٢٨٣
عليك	عمر	طويل	أبو تمام	٣ : ٢٩٢
إذا سار	سائر	طويل	أبو تمام	٤ : ٢٣
وأفردت	كاسر	طويل	أبو تمام	٤ : ٢٣
لئن أبغض	الدهر	طويل	أبو تمام	٤ : ٢٥
أخذن	الصفر	طويل	الفرزدق	٤ : ٤٧
أليت	الدوائر	طويل	ليلى الأخيلية	٤ : ٧٥
فلو كنت	مشافره	طويل	الفرزدق	١ :
قتلنا	مقابرة	طويل	عمير بن سلمى	١ : ٢٨٢

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
فقلت	ناصره	طويل	النابغة الجعدى	٣: ٥
تبحثتم	ضميرها	طويل	عمارة بن عقيل	١: ٢٨
عجوز	ولاأضيرها	طويل	الفرزدق	٢: ٦٧
مسحسحة	انتثارها	طويل	الفرزدق	٢: ١٠١
تقدت	ونهارها	طويل	عبدالله بن قيس الرقيات	٢: ١٩٩
فما روضة	وعرارها	طويل	كثير	٣: ٨٦
وكائن	مصيرها	طويل	كثير	٣: ٢٣٠
أخو رغائب	الزفر	بسيط	أعشى باهله	١: ٥١
ماذا تقول	ولاشجر	بسيط	الحطيئة	١: ٥٤
اشروا	تذكير	بسيط	الحطيئة	١: ٩٦
وما لتغلب	ولا قمر	بسيط	جرير	١: ١١٩
إن العسير	محسور	بسيط	جرير	١: ١٥٥/٢: ٢١٢
قد كان	مضر	بسيط	أبو الشغب	١: ١٨٠
ترتع	وإدبار	بسيط	الخنساء	١:
صل الإله	المور	بسيط	حارثة بن بدر	١: ٢٥١
تكفيه	الغمر	بسيط	أعشى باهلة	١: ٢٨٠
أما كليب	ولا صدر	بسيط	الأخطل	١: ٢٩٠
أصبر	القدر	بسيط	الأخطل	٢: ٣٣
نبثت	انتظر	بسيط	الفلاح بن حزن	٢: ٥٦
الناس	وزر	بسيط	كعب بن مالك الأنصارى	٢: ٦٩
أحب	غار	بسيط	كعب بن مالك الأنصارى	٢: ١٣٦
ماذا تقول	ولا شجر	بسيط	الحطيئة	٢: ١٤٣
إن العداوة	ينتشر	بسيط	الأخطل	٢:
وإن صخرا	نار	بسيط	الخنساء	٣: ٣٦

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
كأن هرا	وخنزير	بسيط	أوس بن حجر	٣ : ٧٩
الأرض	النار	بسيط	بشار	٣ : ١٤٢
إن الكرام	مختار	بسيط	أبو زبيد الطائى	٣ : ١٤٩
ياقرط	حذر	بسيط	أبو زبيد الطائى	٣ : ١٥٩
ياتيم	عمر	بسيط	جرير	٣ : ١٦٠
ويوم	ولاتذر	بسيط	جرير	٣ :
ياحفص	السهر	بسيط	كعب بن معدان	٣ : ٢٨٥
يا صخر	عار	بسيط	الخنساء	٤ : ٤٠
إنى	ولاسخر	بسيط	أعشى باهلة	٤ : ٥٥
أصبت	الظفر	بسيط	أعشى باهلة	٤ : ٦٠
إلى إمام	الظفر	بسيط	الأخطل	٤ : ٦١
إن الحفافيث	الذكر	بسيط	جرير	٤ : ٨٩
عرضت	مر	وافر	مخيس بن أرطاة	١ : ٤٠
ندمت	نوار	وافر	الفرزدق	١ : ١٠٣
ليت لنا	تخور	وافر	طرفة	١ : ١٢٣
لقد كذبتك	صبر	وافر	دريد بن الصمة	١ : ٢٣٠
وجدنا	المعار	وافر	بشر بن خازم	٢ : ٤٢
كأن فؤاده	الحذار	وافر	بشار	٣ : ٣٦
كأن قوائم	محار	وافر	السليك	٣ : ٥٣
وليس بمنقذ	أو الفرار	وافر	بشر بن خازم	٣ : ١٩٧
والشيب	نهار	كامل	الفرزدق	١ :
كانت منازلنا	دوار	كامل	جحدر	١ : ١٣٠
أعلى	نور	كامل	ابن أبى عيينة	٢ :
لم ألق	متزر	كامل	حميد بن ثور	٢ : ٢١٧
ذهبت	لو تنشر	كامل	حميد بن ثور	٢ : ٢١٧
فهممت	المحجر	كامل	حميد بن ثور	٢ : ٢١٧

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
وإذا جددت	ضائر	كامل	يزيد محمد المهلبى	٣: ٤
بشر	ميسور	كامل	جرير	٣: ١١٤/٤: ٦١
صحت	لاتنكر	كامل	عبد الله بن معاوية	٣: ١٤٤
يابا حسين	إصدار	كامل	حبيب بن جدرة	٤: ١٠
لولا الحياء	يزار	كامل	جرير	٤: ٢٤
أما القبور	قبور	كامل	كثير أو قطرب أو رجل من خزاعة	٤: ٢٥
يا عجبا	أبصروا	سريع	أبو العتاهية	٢: ١٠
أصلحك	إكثروا	منسرح	أبو العتاهية	١: ١٥٣
شاده	وكور	خفيف	عدى بن زيد	١: ٨٥
اغتنم	جسر	خفيف	محمود خوراق	٢: ١٢٨
إن أكن	الأشعار	خفيف	يزيد بن محمد المهلبى	٣: ٤
كدمى العاج	مستنبر	خفيف	عدى بن زيد	٣: ٤١
تعتبت	ولاتقدر	متقارب	العباس بن الأحنف	٣: ١٧٧
ويوم	العسكر	متقارب	العباس بن الأحنف	٣: ٢٤٦
لعمرى	البكر	طويل	الأخطل	١: ٨
فبات	معصر	طويل	لبيد	١: ٩٠
لحا الله	مجزر	طويل	عروة بن الورد	١: ١١١
مابال	كسرى	طويل	الحارث بن وعلة	١: ٢١٨
فتاة	بكثير	طويل	خالد بن يزيد	١: ٢٧٣
فظل	وكر	طويل	الأخطل	١: ٣٠٦
ألا كل	الغمر	طويل	الحطيئة	١: ٣٠٧
إليك	فأدرى	طويل	أبونواس	٢: ٧
أبومالك	وصغار	طويل	خالد بن صفوان	٢: ٣٤
سقى الله	يسار	طويل	ابن مفرغ الحميرى	٢: ٣٥
وكيف	ابن معمر	طويل	ابن مفرغ الحميرى	٢: ٣٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
وتركب	الحمر	طويل	خداش بن زهير	٢ : ٤٨
بقبر	قسر	طويل	خداش بن زهير	٢ : ٦٨
فقال لى	بالمصر	طويل	خداش بن زهير	٢ : ٧٠
ولو علمت	بإذخر	طويل	أبو الطمحان القينى	٢ : ٧١
بلى سوف	الخواطر	طويل	الجحاف	٢ : ٧٤
ألا أبلغ	وعامر	طويل	الأخطل	٢ : ٧٤
ألا ليت	والذكر	طويل	الأخطل	٢ : ١١١
بأى اعتذار	لاأدرى	طويل	محمود الوراق	٢ : ١٢٣
إذا حط	تمرى	طويل	محمود الوراق	٢ : ١٤٠
وإذا احتبى	الزائر	طويل	محمد بن يزيد	٢ : ١٤٠
أبلغ	أباجير	طويل	أبو جبر الفزارى	٢ : ١٤٤
بنى عامر	الدواير	طويل	زيد الخيل	٢ : ١٤٨
فإن تكن	عامر	طويل	ليلى الأخيلية	٢ : ١٧٢
فإن كلابا	العشر	طويل	ليلى الأخيلية	٢ : ١٨٥
فكان	ومعصر	طويل	ابن أبى ربيعة	٢ : ١٨٦
لعمرى	تجرى	طويل	الفرزدق	٢ : ٢٠٣
أتيناك	جارها	طويل	عبدالله بن قيس	٢ : ١٩٩
رزينا	البور	طويل	ابن المعذل	٣ : ٨
ألا إن	مصر	طويل	الوليد بن عقبة	٣ : ٢٢
كأن فتى	المتغور	طويل	ليلى الأخيلية	٣ : ٤٤
وقد سرنى	بدر	طويل	الأخطل	٣ :
شفى	ولا جسر	طويل	الأخطل	٣ : ٥٨
كأن ذراعيها	عصر	طويل	ابن المعذل أو سعيد	
			ابن سلم	٣ :
له همم	الدهر	طويل	بكير بن النطاح	٣ :
زوامل	الأباعر	طويل	مروان بن سليمان	٣ : ٩٨

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
تعاطيكها	مدارى	طويل	أبو نواس	٣: ١٠٥
وإن كنت	ومايلىرى	طويل	الأعشى الأخطل	٣:
لعمرك	منقر	طويل	الأعشى الأخطل	٣: ١٣٢
سقى الله	الدهر	طويل	يزيد المهلبى	٣: ١٣٧
أزادا	المسافر	طويل	جرير	٣: ٢٤٩
فلما	ظهرى	طويل	أبو حرملة العبدى	٣: ٢٦٦
علا	تجرى	طويل	عبيدة بن هلال	٣: ٢٩١
أبا عمر	الصبر	طويل	عبيدة بن هلال	٤: ١٥
تجل	الدهر	طويل	عبيدة بن هلال	٤: ١٧
بموتك	الكسر	طويل	عبدالعزيز عبدالرحيم	٤: ١٨
أسكان	الظهر	طويل	عبدالعزيز عبدالرحيم	٤: ٣٠
أعينى	المتفجر	طويل	ليلى الأخيلية	٤: ٣٥
نظرت	ناظل	طويل	ليلى الأخيلية	٤: ٣٦
ولما أصابو	الوتر	طويل	ليلى الأخيلية	٤: ٣٧
لتبك	السمر	طويل	الفرزدق	٤: ٧٠
فلما رأيت	وتر	طويل	هدبة	٤: ٧١
ولما دخلت	سمر	طويل	هدبة	٤: ٧١
وما اهتز	عمرو	طويل	حسان بن ثابت	٤: ٨٦
لا أذود	تمره	مديد	أبو نواس	٢: ١٤
أنا ابن	بالعار	بسيط	القتال الكلابى	١: ٤٩
هينون	أيسار	بسيط	عبد بن العرندس	١: ٦٨
أعوذ بالله	النار	بسيط	ابن حبناء التميمى	١: ٨٨
نازعتهم	السارى	بسيط	الأخطل	١: ٩٠
إنى هزئت	عار	بسيط	صخر	١: ٩٠
المنعمون	أنصارى	بسيط	الأخطل	١: ١٧٩
مازلت	إتآرى	بسيط	الكميت بن يزيد	١: ١٩٧

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
قوم	بأطهار	بسيط	الأخطل	١ : ٢١٨
إن الذين	أنصارى	بسيط	جرير	٢ : ١٥
إن المذرع	المحاضير	بسيط	جرير	٢ : ٩٤
باتت	ولا دعر	بسيط	ابن مقبل	٢ : ١١٤
ما كنت	تفتير	بسيط	جرير	٢ : ٢٢٦
مستقبلين	منثور	بسيط	الفرزدق	٣ : ٤٥
إنى	الجرر	بسيط	الفرزدق	٣ :
قوم	والدار	بسيط	عبد الله بن عبدالرحمن	٣ : ١١٦
ويجعل	للشعر	بسيط	عبد الله بن عبدالرحمن	٣ : ١٤٣
يالعنة الله	جار	بسيط	عبد الله بن عبدالرحمن	٣ : ١٩٨
الله	السحر	بسيط	أم عمران	٣ : ٢١٤
قوم	الناو	بسيط	الأخطل	٢ : ٣٦
لأعلاج	يسبر	وافر	يحيى بن نوفل	١ : ٣٠
تركت	نسر	وافر	يحيى بن نوفل	١ : ٩٦
قتيل	ضرير	وافر	مهلهل بن ربيعة	١ : ١٣٤
شقيت	شور	وافر	مهلهل بن ربيعة	١ : ١٤٣
سرى	فتر	وافر	عروة بن أذينة	١ : ١٥٦
كأن رماحهم	جرور	وافر	مهلهل	١ : ٢٩٥
دعوتك	السرار	وافر	أبو عيينة	٢ : ٢٦
وقائلة	القتير	وافر	العتبى	٢ : ١٢٨
فلو نشر	زير	وافر	مهلهل بن ربيعة	٢ : ١٥٢
سرى	فتر	وافر	عروة بن أذينة	٢ : ١٨٨
طليق	كثير	وافر	محمود الوراق	٣ : ٢٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
سقونى	وزور	وافر	عروة بن الورد	٣: ٣١
بسولاف	درور	وافر	عروة بن الورد	٣: ٢٢٨
وليس لعيشنا	بدار	وافر	عمران بن حطان	٣: ٨٨
كأن	قفار	وافر	عمران بن حطان	٣: ٢٣١
عدمتك	للفقير	وافر	أبو حرملة العبدى	٣: ٢٦٦
يرى	النفير	وافر	أبو حرملة العبدى	٣: ٢٦٧
بيربوع	ولاافتخارى	وافر	جرير	٣: ٢٨٤
ولقد شربت	المئزر	كامل	جرير	١: ١٠٤
ذهبت	الأنصار	كامل	الأخطل	١: ١٤٤
زعم	المنذر	كامل	أوس بن حجر	١: ٢٨١
سهكين	البقار	كامل	النابغة الذبيانى	١: ٢٩٤/٢: ١١٠
وإذا الرجال	الأبصار	كامل	الفرزدق	٢: ٤٥
ولنعم حشو	الذعر	كامل	الفرزدق	٢: ٥٣
إنا اقتسمنا	فجار	كامل	النابغة الذبيانى	٢: ٥٤
وإذا النفوس	الأدبار	كامل	الفرزدق	٢: ١٠٠
هلا	طائر	كامل	عمران بن حطان	٣: ٢٩
لاتأمنن	بأسيار	كامل	ابن دارة	٣: ٦٥
قوم	قرقر	كامل	ابن دارة	٣: ١٣٠
نعم القتيل	يابن الأزور	كامل	متمم	٤: ٦٦
إذا	بتصدير	هزج	الوليد بن يزيد	١: ١٩
وله	نسر	رمل	أبوالشمقمق	٣: ٤٠
حكمتموه	الباهر	سريع	الأعشى	٢: ١٨٢
لله سيف	يجرى	سريع	أحمد أخو أشجع السلمى	٢: ٢٠٣
إن كنت	بدر	سريع	حاتم الطائي	٣: ٣١
ويوم	بالداثر	سريع	أعشى همدان	٣: ٢٥١

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
ولما أن	جليس	وافر	أبو نواس	١: ١٤٠
وكنت	جليس	وافر	أبو نواس	١: ١٤٣
أمين الله	لياس	وافر	أبو العتاهية	٣: ١١٠
يقول	المراس	وافر	أبو تمام	٣: ٢٨٢
ذهب	المجلس	كامل	مهلهل	١: ٢٥١
تطاول	البسابس	كامل	معاوية بن أبى سفيان	١: ٢٥٧
ملوا	وأضراس	بسيط	الحطيئة	٢: ١٤٠
لما تذكرت	بالنواقيس	بسيط	جرير	١: ٩٠/ ٤: ٨٩
قد ناضلوك	أنكاس	بسيط	الحطيئة	١: ٢٠٠
لقد مريتكم	وإبساسى	بسيط	الحطيئة	٢: ١٤٠
والله	بأكياس	بسيط	الحطيئة	٣: ١٣
يا عين	كمرداس	بسيط	عمران بن حطان	٣: ١٢٤، ١٨٧
فلولا	نفسى	وافر	الخنساء	١: ١٦
يذكرنى	شمس	وافر	الخنساء	٣: ١١٣
أعلاقة	المخلس	كامل	المرار	١: ٢٦٩
ومدجج	خلس	كامل	المرار	١: ٢٨٨
وقد رأيتك	المجلس	كامل	الحطيئة	٢: ١٤٣
لله آنسة	الدنس	كامل	يعقوب بن الربيع	٤: ٧٩
حتى إذا	النرجس	كامل	يعقوب بن الربيع	٤: ٨١
رب مغروس	مفترسه	منسرح	يعقوب بن الربيع	٤: ٧٩
إما تقارن	والمرس	منسرح	أبو زبيد	٣: ٦٧
أبكْيك	والفرس	منسرح	لبانة بنت موسى الهادى	٤: ٨٠
أصبح	العباس	خفيف	شبل بن عبدالله	٤: ٧
		(الشين)		
أبا مطر	قريش	وافر	حرب بن أمية	٤: ٦

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
فإن يك	مقنعا	طويل	هدبة بن خشرم	٢: ٣٠
لئن جزع	وأوجعا	طويل	الفرزدق	٢: ٨١
فلما	تتقنعا	طويل	ابن أبى ربيعة	٢: ١٥٠/٣: ٧٨
غدت	فترفعا	طويل	ابن الطثرية	٣: ٧٤
هم صلبوا	بأجدعا	طويل	سويد بن أبى كاهل	٣: ٧٣
لقد كفن	أروعا	طويل	متمم بن نويرة	٣: /٤: ٦٢
وضيف	تكنعا	طويل	متمم بن نويرة	٣: ١١٣
وكائن	مقنعا	طويل	متمم بن نويرة	٣: ٢٣١
رحيب	ذرعا	طويل	متمم بن نويرة	٣: ٢٨٨
فإن يك	منقعا	طويل	متمم بن نويرة	٤: ١٦
يقول	لتدمعا	طويل	الفرزدق	٤: ٢٤
وكنا	يتصدعا	طويل	متمم بن نويرة	٤: ٢٦
قتلت	وأجزعا	طويل	دريد بن الصمة	٤: ٣٨
فلو كان	جوعا	طويل	دريد بن الصمة	٤: ٤٤
أقول	تريعا	طويل	متمم بن نويرة	٤: ٦١
فإن يك	بأجدعا	طويل	هدبة	٤: ٧٢
ولها	جمعا	مديد	يزيد بن معاوية	١: ٣٠١
قد عشت	والفظعا	بسيط	يزيد بن معاوية	١: ١٥٥
أبا المنازل	فجعا	بسيط	إبراهيم بن عبدالله	١: ٢٠٦
من ير	أو وضعا	بسيط	الأعشى	٢: ٢٠/٣:
وقلدوا	مضطلعا	بسيط	لقيط الأيادى	٢: ١١٣/٣: ٢٨٧
ما نظرت	سجعا	بسيط	لقيط الأيادى	٣: ١٩
ولا تمليت	الطلعة	بسيط	لقيط الأيادى	١: ١٦٩
وكنا كالحريق	ساعا	وافر	القطامى	١: ٢٢٤
أبى العباس	وليعة	وافر	على بن عبدالله	١: ٢٠٧
ودعاك	وضاعا	كامل	يزيد بن الحكم	٣: ٢٤٢

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
وعيد	فالضواجع	طويل	النابغة	٣: ٩٧
زنيم	الأكارع	طويل	حسان بن ثابت	٣: ١٦٤
فيا شاعرًا	تواضع	طويل	الصلتان العبدى	٣: ٢٥٥
ولو شئت	أوسع	طويل	الخزيمى	٤: ٣
وأعددته	مولع	طويل	الخزيمى	٤: ٣
خلطت	بتريع	طويل	مزرد	٤: ٦٣
لقد رزئت	وكيع	طويل	الفرزدق	٤: ٧٠
أرى	صنائعه	طويل	عمارة	٤: ٢٥
وفتيان	جماعها	طويل	مسكين الدرامى	٢: ٢٢٩
ليت	هجوع	مديد	ابن أبى ربيعة	٢: ١٧٤
من أم مثوى	يسع	بسيط	ابن أبى ربيعة	٣: ٧٦
فيم الشماتة	الجزع	بسيط	أبو تمام	٣: ٢٩٢
أمن ريحانة	هجوع	وافر	عمرو بن معد يكرب	١:
وآخر	وقيع	وافر	عنترة	١: ٢٧٢
وكم من	كتيع	وافر	عمرو بن معد يكرب	٢: ٩٨، ٢١٦
كأن	شفيع	وافر	عمرو بن معد يكرب	٣: ١٠٩
ألا فى الله	الجذوع	وافر	عيسى بن فاتك الحبطى	٣: ١٨٧
أين الذين	المسترضع	كامل	جرير	١: ١٣٩
تعصى	بديع	كامل	محمود الوراق	٢: ٤
راحت	المرتع	كامل	الفرزدق	٢: ٧٦
بكت	وتخشع	كامل	إسماعيل بن عمار	٢: ٧٦
لما أتى	الخشع	كامل	جرير	٢: ١٠٥
وإذا المنية	لا تنفع	كامل	أبو ذؤيب	٢: ١٢٧
ولا يسمعن	شائع	كامل	جميل	٢: ٢٢٩
راحت	المرتع	كامل	الفرزدق	٣: ٦٢
عجب	تنزع	كامل	إسماعيل بن عمار	٣: ٦٢

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
زعمت	مضيع	رمل	ابن المعذل	٢ : ٧
أو وجد	فاندفعوا	منسرح	مالك بن عمرو	٢ : ٦٥
فظلت	أربع	متقارب	مالك بن عمرو	٤ : ٥٦
وذاك	بشفيع	طويل	الحطيئة	١ : ٢٧
ملىء	الأصابع	طويل	الحطيئة	١ : ٣٠
جزى	مجمع	طويل	ابن دارة	١ : ٦٧
فرغتم	مربع	طويل	يزيد بن عمرو	١ : ١٧٥
فمن مبلغ	الودائع	طويل	قيس بن عاصم	١ : ٣٠٨
				٢ : ١٣٥
لقد حببت	والنفع	طويل	قيس بن عاصم	٢ : ١١٤
رضيع	المدامع	طويل	أبو الهندى	٣ : ٣٤
لا نسب	الراقع	مديد	أبو الهندى	٣ : ٥٧
أضياف	ممنوع	بسيط	دعبل	٣ : ١١٨
إن التى	زنباع	بسيط	عمران بن حطان	٣ : ١٢٧
تعن	ربع	وافر	الشماخ	١ : ١٢٩
إذا ما استافهن	القدوع	وافر	الشماخ	١ : ١٣١
آلفة	اجتماع	وافر	أبو تمام	١ : ١٦٣
أطوف	لكاع	وافر	الحطيئة	١ : ٢٠٨
ولا فرح	لاع	وافر	الحطيئة	١ : ٢٣٨
ويحرم	القصاع	وافر	الحطيئة	١ :
هم صنعوا	الضياع	وافر	الحطيئة	٣ : ٢٧
مروح	القطيع	وافر	الشماخ	٣ : ٨١
ولى قلب	الهلاع	وافر	الشماخ	٣ : ١٣٠
تكنفنى	المطاع	وافر	قيس بن ذريح	٣ : ١٩٨
أجول	لكاع	وافر	الحطيئة	٣ : ٢١٨
إن الصنيعة	المصنع	كامل	الحطيئة	١ : ١١٥

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
وإذا استجرت	مجمع	كامل	الحطيئة	١: ٢٨١
ورثت	الأذرع	كامل	هدبة	٢: ٩٤
لاتجزعي	فاجزعي	كامل	النمر بن تولب	٣: ٢١٧
قد حصت	تهجاع	سريع	أبو قيس بن الأسلت	١: ١٤٦
يا سائلي	والبدع	منسرح	محمد بن بشير	٢: ١٣
غسلت	صريع	خفيف	الأحوص بن محمد	٤: ٨٦
حميد الذي	الأضلع	متقارب	حميد الأمجي	١: ٢٠١
		(الفاء)		
نطيع	رءوفا	وافر	كعب بن مالك الأنصاري	٢: ١٠٥
قد قلت	ومعترفا	كامل	أبو نواس	٢: ٨
وكأن	يكفا	كامل	أبو نواس	٣: ١٠٥
تقول	أطوف	طويل	عروة بن الورد	١: ١٦٣
ومازال	زعانف	طويل	أوس بن حجر	٢: ٤٧
فقالت حنان	عارف	طويل	أوس بن حجر	٢: ١٤٧
عزلنا	تخالف	طويل	أوس بن حجر	٣: ١١
كأن كحيلا	واكف	طويل	أوس بن حجر	٣: ٧٨
والأزد	وانتتفوا	بسيط	جرير	١: ١٧٨
ما استوصف	ماوصفوا	بسيط	جرير	٣: ٤١
الحزم	فاختلفوا	بسيط	جرير	٣: ٤٣
آل المهلب	ولا طرف	بسيط	جرير	٣: ١٠٠
يامن أحس	الصدف	بسيط	أم بن عبدالله بن عباس	٤: ٢٢
عمرو	عجاف	كامل	ابن الزبعرى	١: ٢٠١
تمشي	قصف	منسرح	أبو قيس بن الأسلت أو قيس بن الحطيم	٢: ٢٠٦
فلم تر عيني	واقف	طويل	عمر بن أبي ربيعة أو هدبة بن خشرم	١: ١٣٠/ ٢: ١٦٩ ٣: ٩٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
لقد ضرب	عريف	طويل	كعب الأشقرى أو الفرزدق	٣: ٢٦١
تروح	وابن مخنف	طويل	كعب الأشقرى أو الفرزدق	٣: ٢٦٤
تنفى	الصياريف	بسيط	الفرزدق	١: ٢٠٢
كفى	شاف	وافر	الفرزدق	٣: ١٧
لقد زاد	الضعاف	وافر	أبو خالد القنابى	٣: ١٢٤
أبنى سعيد	الأضياف	كامل	أحمد بن يوسف	٣: ٨
		(القاف)		
أزمان	عراق	سريع	أحمد بن يوسف	١: ١٩٨
أذا عرضت	فلقا	طويل	أحمد بن يوسف	١: ٩٢
أخاف	وأضيقا	طويل	الفرزدق	١: ١٠٣
لهونا	شبارقا	طويل	الفرزدق	٣: ٢٧
وتشربه	أورقا	طويل	الفرزدق	٣: ١١٠
ألا طرقت	عاشقة	طويل	ابن قيس الرقيات	٣: ١٣٨، ٢٣٠
وفارقتك	غلقا	بسيط	زهير	١: ١٧
قد جعل	طرقا	بسيط	زهير	١: ١٤٠
إن تلق	خلقا	بسيط	زهير	١: ١٦١
وليس	ورقا	بسيط	زهير	١: ٣٠٤/ ٣: ١١٧
أقدر	زلقا	بسيط	ابن يسير	٤: ١٠٤
أخى	حقا	وافر	أبو نواس	٢: ١٤
لمن ربع	خلقا	مجزوء الوافر	أبو نواس	٢: ١٩٥
مد الزبير	العيوقا	كامل	بلال بن جرير	٢: ١٠٠
أن أولى	حقيقا	خفيف	عقبة بن شماس	٢: ٢٠١
أعاذل	مشفقا	متقارب	أبو عيينة	٢: ٢٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
سقى	ريقا	متقارب	أبو عيينة	٢ : ٣٠
فكنا	أورقا	متقارب	أبو عيينة	٢ : ٣٠
كفى	تفهق	طويل	الأعشى	١ :
كأن	وصديق	طويل	عدى بن زيد العبادى	١ : ٣٨
ما صائب	وثيق	طويل	جميل	١ : ٦٠
طراق	يترقرق	طويل	ذو الرمة	١ : ١٢٩
وإن عتاق	معلق	طويل	الأعشى	١ : ١٥١
تشب	والمحلق	طويل	الأعشى	١ : ٢٠٥
أحار	وتسرق	طويل	أنس بن أبى أنيس	١ : ٢٥١
وأقسم	ومشرق	طويل	أنس بن أبى أنيس	١ : ٢٦٧
أباهل	وأولق	طويل	عيينة بن حصن	٢ : ١٥٣
وكيف	حلقوا	طويل	عيينة بن حصن	٢ : ١٥٣
ولى صاحب	تحرق	طويل	العتبى	٢ : ٢٢٩
فجاءت	مشبرق	طويل	ذو الرمة	٣ : ٢٦
وماء قديم	تبصق	طويل	ذو الرمة	٣ : ٢٦
فأدلى	أبلق	طويل	ذو الرمة	٣ : ٢٧
بمثوى	خريق	طويل	حميد بن ثور	٣ : ٤٧
فعيناك	رقيق	طويل	المجنون	٣ : ٩٩
إذا المال	توامقه	طويل	المجنون	١ :
ولم يرتفق	رواهقه	طويل	المجنون	١ : ٢٨٦
فإن لم	عارقه	طويل	عارق الطائى	٣ : ١٦١
إذا ما بساط	ونمارقه	طويل	نصيب	٤ : ٩
يأيها	الخلق	طويل	سالم بن وابضة	١ : ١٨
قد ضن	ورق	طويل	أبو شجرة السلمى	١ : ٣٠٤
ضيفكم	مسروق	طويل	جرير	٢ : ١٣٣
تلاصقنا	اللصوق	وافر	أمية بن أبى الصلت	١ : ٢٣١

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
تكلفنى	السوق	وافر	الأعجم	١ : ٢٦٣
وتنقل	الزئبق	كامل	أبو تمام	٣ : ٣٩
إذا رأى	رقاق	سريع	أبو تمام	٢ : ١٨
كنا	خلقوا	منسرح	ابن أبى عيينة	٢ : ٢١
يستقدم	الملق	منسرح	ابن أبى عيينة	٢ : ٢٢
أحرم	عشقوا	منسرح	عباس بن الأحنف	٣ : ١١٠
ما رغبة	لاحقها	منسرح	عباس بن الأحنف	١ : ٦٢
فإن كنت	أمزق	طويل	الممزق العبدى	١ : ١٨
وردت	محلق	طويل	ذو الرمة	٣ : ٢٦
تبيت	الطلق	طويل	شأس بن نهار العبدى	٣ : ٩٧
وشدوا	المفلق	طويل	الفزر بن مهزم العبدى	٣ : ٢٤١
ألا	العقائق	طويل	الصلتان العبدى	٣ : ٢٧٠
وإنا	النمارق	طويل	الفرزدق	٤ : ٩
وقفت	مفارق	طويل	الفرزدق	٤ : ٤٥
أفنى	منطلق	بسيط	أبو الأسود الدؤلى	٢ : ١٢٧
قد كنت	يقق	بسيط	أبو الأسود الدؤلى	٢ : ١٢٧
أبعد عثمان	ساق	بسيط	ليلى الأخيلية	٣ : ٢٢
أريقى	تطيقى	وافر	الخنساء	٤ : ٤٤
أعارك	حقه	وافر	محمود الوراق	٢ : ١٠٢
نصل	تلحق	كامل	كعب بن مالك	١ :
أسرى	الطارق	كامل	جرير	٢ : ١٩٣
من سره	المحرق	كامل	كعب بن مالك	٢ : ٢١٧
إن تحت	معلاق	خفيف	مهلهل	١ : ٣٦
شمت	ابن الأزرق	كامل	مهلهل	٣ : ٢١٦
طلب	الأنوق	خفيف	مهلهل	٢ : ٢٠١
وإذا ما أصبته	الطريق	خفيف	مهلهل	٤ : ٦

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
		(الكاف)		
إن تك	مالكا	طويل	خفاف بن ندبة	٣: ١٦٧/ ٤: ٤٨
أبعد	المهالكا	طويل	أبو بلال	٣: ١٨٣
اصبر	أصفاكا	بسيط	ابن همام السلولى	٤:
ياخاتم	هداكا	كامل	عباس بن مرواس	٣: ١٦
اشدد	لاقيكا	هزج	على بن أبى طالب	٣: ١٤٨
ثم استمروا	أوركك	بسيط	زهير	٢: ١٢٠
ضحوا	معترك	بسيط	زهير	٣: ٢٣
مكلل	حبك	بسيط	زهير	٣: ٤٧
يا بن الزبير	الشكك	بسيط	زهير	٣: ٢٠٥
لئن حللت	فدك	بسيط	زهير	١: ٢٥٩
وبللوا	والدكاء	طويل	متمم بن نويرة	١:
حسبى	هالك	طويل	متمم بن نويرة	٢: ٨٠
إذا ما رمينا	المواشك	طويل	ذو الرمة	٣: ٦٥، ٢٢٨
كأن	اللوائك	طويل	ذو الرمة	٣: ٨٩
أفى السلم	العوارك	طويل	ذو الرمة	٣: ١٢٩
		(اللام)		
مدمن	أقل	رمل	لبيد	١: ٤٦
وأرى	ذو جلل	رمل	لبيد	١:
عسلان	فضل	رمل	لبيد	١: ٢٨٩
من رآنا	زوال	رمل	عدى بن زيد	٢: ٧٠
فمتى	وزجل	رمل	لبيد	٢: ١١٥
إن تقوى	وعجل	رمل	لبيد	٣: ٢٨٨
ليت	الأسل	رمل	ابن الزبعرى	٤: ١١
وللكرد	الجمل	متقارب	إسحاق بن خلف	٢: ١٦
ألا من	المحل	متقارب	إسحاق بن خلف	٣: ١٩٤

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
قالوا الرحيل	رحيلا	كامل	أبو تمام	٢: ٣٣
لا تطلبن	أخوالا	كامل	جرير	٢: ١١٧
كذبتك	خيالا	كامل	الأخطل	١:
ودع	تسالا	كامل	عمرو بن أبى ربيعة	٢: ١٩٦
والزنج	أبطالا	كامل	رياح بن سنيح الزنجى	٢: ٢١٨
إن الغوانى	قتيلا	كامل	مروان بن أبى حفصة	٢: ٢١٩
قتلوا	مخذولا	كامل	الراعى	٣: ٢٣
ورجا	لينالا	كامل	جرير	٣: ٣٠
وكأنما	وعولا	كامل	الراعى	٣:٣٢
إنى تذكرنى	هديلا	كامل	جرير	٣: ٤٧
لو كنت	صليلا	كامل	الفرزدق	٣:
زجل	عجولا	كامل	الراعى	٣:٩١/٤:٤٦
وابن المراغة	بلالا	كامل	الأخطل	٣: ١١٩
إنى حلفت	قيلا	كامل	الراعى	٣: ١٣٦
لهفى	شمائلا	كامل	أبو تمام	٤: ٢٣
لى حيلة	حيلة	كامل	أبو تمام	٢: ٢٣٠
زجل الحداء	عجولا	كامل	الراعى	٤: ٤٦
فرميت	وطحالها	كامل	الأعشى	١:٢٢٥/٢:١٧٤
كنت	أبطالها	كامل	الأعشى	١: ٢٨٨
قصرت	فأطالها	كامل	ابن أبى حفصة	٤: ٤٢
شر يوميها	حجلا	رمل	ابن أبى حفصة	١: ١٦١
عوجا	والمنزلا	سريع	عمر بن أبى ربيعة	١: ١٦٢
مالدد	ما باله	سريع	سلمة بن ذهل	١: ٢٨٧
يا خير	نجلا	منسرح	الأعشى	١: ٥٠
يقول	جذلا	منسرح	الأعشى	١: ٥٩
أنا الوليد	الغزلا	منسرح	الوليد بن يزيد	٢: ٢١٤

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
حب المدامة	فضلا	منسرح	أبو نواس	٣: ١٦١
قلت	رملا	خفيف	عمر بن أبى ربيعة	١: ٢٥٤
ليس مثلى	القتالا	خفيف	مهلهل	٢: ٩٩
انبضوا	الفحولا	خفيف	مهلهل	٣: ٢٢٣
صاحب	سلك	مجزوء الخفيف	أبو العتاهية	٢: ٩
أبلغا	لا محاله	خفيف	ابن قيس الرقيات	٣: ١١٥
فلو كنت	بلالا	متقارب	يحيى بن نوفل الحميرى	٢: ٤٢
تحنن	مقالا	متقارب	الحطيئة	٢: ١٤٨
لعمر أبيك	قليلا	متقارب	ابن الغريرة الضى	٣: ٢٢
سل الله	وائله	متقارب	ابن الغريرة الضبى	٣: ٩
فلا مزنة	أبقالها	متقارب	عامر بن جوين	٣: ٦٨
أبعد	أثقالها	متقارب	الخنساء	٤: ٤٣
فلأيا	لا تواكل	طويل	الحطيئة	١: ٢٣
على مكثريهم	البذل	طويل	زهير	١: ٢٧
إذا نصبوا	الفعل	طويل	عبدالله بن همام	١: ٥٠
تدارك	وأغفل	طويل	النمر بن تولب	١: ١٧٥
إذا أنت	مقال	طويل	هشام بن عبد الملك	٢: ٦
فأقسم	التواهل	طويل	أبو خراش الهذلى	٢: ٣٩
تأبد	فيذبل	طويل	النمر بن تولب	٢: ٥٤
فلو كنت	دليل	طويل	العديل بن الفرخ	٢: ٧٥
إنى	طويل	طويل	العديل بن الفرخ	٢: ٩٥
وشعر	دخيل	طويل	العديل بن الفرخ	٢: ١٢٠
إذا أنت	يعقل	طويل	معن بن أوس	٢: ١٥٧
لعمرك	أول	طويل	معن بن أوس	٢: ١٥٧/٢٢٧
إذا نصبوا	الفعل	طويل	ابن همام السلولى	٢: ٢٠٥

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
ألا الرواحل	الفعل	طويل	ابن همام السلولى	٢: ٢٠٦
صحا	أو يتذلل	طويل	كثير	٢: ٢٢١
تركتم	خليل	طويل	كثير	٣: ٢٤٣
لكل اجتماع	قليل	طويل	أبو خراش الهذلى	٤: ٢٦
ألم تعلمى	وعقيل	طويل	أبو خراش الهذلى	٤: ٦٤
ولا تحكما	مجاهله	طويل	الأعوج المعنى	٣:
غلام	عواذله	طويل	الأعواج المعنى	١: ١٦٧
فإنى	أزايله	طويل	عبيد بن أيوب	١: ٢٦٨
هممت	حلائله	طويل	ضابئ البرجمى	١: ٢٩٩
وقائلة	ونواصله	طويل	ضابئ البرجمى	١: ٣٠٤
نعونى	مقاتله	طويل	دعبل الخزاعى	٢: ٨
فأخلف	آكله	طويل	عبدالله بن همام السلولى	٢: ١٠٢
أبت	قائله	طويل	الحطيئة	٢: ٤٤
فلا تقربن	عواذله	طويل	الحطيئة	٣: ٥٦
إذا أنت	تقاوله	طويل	الحطيئة	٣: ٥٦
أبى الضيم	معاقله	طويل	زهير	٣: ٨٩
فإن أهجه	وكاهله	طويل	الأخطل	٣: ١٣١
عليم	باطله	طويل	الأخطل	٣: ١٤٣
ولما التقى	نهالها	طويل	الأخطل	١: ٧٩
جمعنا	نكالها	طويل	الأخطل	١: ٨١
وحقة	شمولها	طويل	الأخطل	٢: ٢١٦
فدونكها	قيلها	طويل	الفرزدق	٣: ٣٥
لما التقى	نهالها	طويل	الفرزدق	٢: ١٠٥
فقلت	الثمل	بسيط	الأعشى	٢:
لا يعلم	الفال	بسيط	الأعشى	١: ٢٥٥
قد نقر	الرسل	بسيط	الأعشى	٢: ١٣

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
لما نزلنا	المراجيل	بسيط	عبدة بن الطبيب	٢: ١٠٩
ودع	الرجل	بسيط	الأعشى	٢: ٢٠٤
أبلغ	تأتكل	بسيط	الأعشى	٢: ١٧٩
فكلنا	ومحتبل	بسيط	الأعشى	٢: ٢٢١
كأن مشيتها	ولا عجل	بسيط	الأعشى	٣: ٤٢
يوما	الأصل	بسيط	الأعشى	٣:
تقريبه	مغسول	بسيط	طفيل	٣: ١١٢
أقوم	حلال	وافر	طفيل	١: ٥٥
بكت	ولا العويل	وافر	حسان بن ثابت	١: ١٧٨
فخر	صقيل	وافر	ابن عنمة الضبى	١: ١٨٥
له حق	الجميل	وافر	عائد الكلب	٢: ١٠٣
حقيبة	ذءول	وافر	ابن عنمة	٢:
ضربت	المنزل	كامل	الفرزدق	١: ٢٧
إنا سألنا	الأول	كامل	أبو محلم السعدى	١: ٢٨٥
ولقد رأيت	فضل	كامل	المسيب بن علس	٢: ٥٩
ودع	قيل	كامل	جرير	٢: ٩٢
إن كان	جميل	كامل	جرير	٢: ٩٢
إن الذى	وأطول	كامل	الفرزدق	٢: ٢٢٧
فخرت	أفضل	كامل	ملك بن نويرة	٢: ٢٢٧
أما الهجاء	جليل	كامل	دعبل	٣: ٥٨
لسنا	نتكل	سريع	عبدالله بن معاوية	١: ١٣٢
ما فرق	الإبل	مجزوءالسريع	أبو الشيص	٢: ٢١٢
إن يكن	أجل	خفيف	صالح بن القدوس	٢: ٦
تذكرتها	والحال	طويل	الشماخ	١: ١١
ولما	الحجل	طويل	جرير	١: ٢٤
كذبت	الخالى	طويل	امرؤ القيس	١: ٥٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
ألا يالقومى	باطلى	طويل	الأحوص	١ : ٧٠
وتعطو	إسحل	طويل	امرؤ القيس	١ : ٧١
لعل	البلابل	طويل	ذو الرمة	١ :
لقد علمت	خذول	طويل	الأجدع	١ : ٩٨
إذا صدمتنى	ولا يخلى	طويل	الأجدع	١ : ١٠٦
يسود	نوفل	طويل	الأجدع	١ : ١٠٧
فأتت به	الهوجل	طويل	أبو كبير الهذلى	١ : ١١٠
فعن	المذبل	طويل	امرؤ القيس	١ : ١٣٠
وحتى	لوائل	طويل	أبو خراش الهذلى	١ :
فقلت	الآل	طويل	الشماخ	١ : ١٦٤
قفا	وحومل	طويل	امرؤ القيس	١ : ١٩٩
تقول	فأنزل	طويل	امرؤ القيس	١ : ٢١٩
ولم أر	للرذل	طويل	امرؤ القيس	١ : ٢٤٩
فجال	ذيال	طويل	امرؤ القيس	١ : ٢٨٦
أعياش	فاصطل	طويل	جرير	١ : ٢٩١
أفاطم	آجل	طويل	ابن أبى عيينة	٢ : ٢٥
لضن	السلاسل	طويل	نصر بن حجاج	٢ : ١٣٠
إذا نظر	العصل	طويل	الفرزدق	٢ : ١٤١
فتى	خليل	طويل	زياد الأعجم	٢ : ١٦٨
سوى	الجوازل	طويل	ذو الرمة	٢ : ١٦٩
وقد رابنى	جمل	طويل	ذو الرمة	٢ : ٢٢٣
ترى	ولا ذيل	طويل	جرير	٢ : ٢٢٥
ولست	بسئول	طويل	كعب بن سعد الغنوى	٢ : ٢٢٩
كأن فقاح	وائل	طويل	كعب بن سعد الغنوى	٣ :
كأن قلوب	البالى	طويل	امرؤ القيس	٣ : ٢٥
إذا ماالثريا	المفصل	طويل	امرؤ القيس	٣ : ٢٥

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
فتوضح	وشمال	طويل	امرؤ القيس	٣: ٤٥
لعمرى	بالأصائل	طويل	أبو ذؤيب	٣: ٥٤
كأن الثريا	جندل	طويل	امرؤ القيس	٣: ٦٧
فيالك	بيذبل	طويل	امرؤ القيس	٣: ٦٨
كأن أبانا	مزمل	طويل	امرؤ القيس	٣:
أتوعدنى	أغوال	طويل	امرؤ القيس	٣: ٧٢
أريد	سبيل	طويل	كثير	٣: ٧٣
غدت	مجهل	طويل	مزاحم العقيلى	٣: ٧٤
وقد أغتدى	هيكل	طويل	امرؤ القيس	٣: ٨١
كأن فجاعج	حابل	طويل	امرؤ القيس	٣: ٩٨
أرى	الحبائل	طويل	ذو الرمة	٣: ٩٩
فلما تنازعنا	ميال	طويل	امرؤ القيس	٣: ٢١٤
ألست	عقيل	طويل	العلاء بن مطرف	٣: ٢٥٥
مازالت	وصول	طويل	عبيدة بن هلال	٣: ٢٩١
لعمرى	ثقيل	طويل	عقيل بن علفه	٤: ٢٦
فلو كان	بقتيل	طويل	الخنوت	٤: ٥٩
جميل	الرحل	طويل	متمتم	٤: ٦٧
إذا الأمر	بمعزل	طويل	متمتم	٤: ١٠٤
أملى	أملى	مديد	العباس بن الفرج	٢: ١٢
قالوا	أشبالى	بسيط	جرير	١: ١٧٨
لطلحة	هطال	بسيط	أبو محلم السعدى	١: ٢٨٥
إنى	الحبل	بسيط	أبو محلم السعدى	١: ٢٩٣
وتاجر	أحمالى	بسيط	قيس بن عاصم	٢: ١٣٤
كأنه عاشق	مرتحل	بسيط	الأخطل	٣: ٣٨
تركت	الجمل	بسيط	الأخطل	٣: ٢٦٥
ومحتضر	طوال	وافر	الأخطل	١: ٥٨

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
ألا لله	والخيول	وافر	عمارة	١ : ١٣٥
وقد علمت	نزال	وافر	زيد الخيل	١ : ١٦٩/ ٢ : ٥٣
هواء	كالخيال	وافر	الأعلم الهذلى	١ : ٢٦٢
فمالك	بالرحال	وافر	مسكين الدرامى	١ : ٢٦٣
رأيت	الموالى	وافر	جرير	٢ : ٥٧
ألا عتبت	الطوال	وافر	السليك بن السلكة	٢ : ٧٩
وأسلم	السبال	وافر	زيد الخيل	٢ : ٩٤
رأت	الهلال	وافر	جرير	٢ : ١٠٥
فإن تصلى	لا أبالى	وافر	الأحوص	٢ : ١١٦
أهمام	الرجال	وافر	ابنه همام بن مرة	٣ : ٥
لقد تبلت	التولى	الوافر	ابنه همام بن مرة	٣ : ١٢٠
لقد زاد	بلال	الوافر	عمران بن حطان	٣ : ١٢٤
حياتك	والمعالى	الوافر	مسلم	٤ : ١٠٣
قتل	تحلل	كامل	جرير	١ : ١٠٧
ممن حملن	محلل	كامل	أبو كبير الهذلى	١ : ١١٣
وإذا افتقرت	الأعمال	كامل	خليل بن أحمد أو الأخطل	٢ : ٣٤
وأن امرؤ	بالنصل	كامل	عنترة	٢ : ٩١
لعن الإله	بلال	كامل	أبو خراش	٢ : ١٣٥
إذا لا أبادر	الأول	كامل	عنترة	٢ : ١٥٠
لو أن	المنزل	كامل	عنترة	٣ : ٧
قوم	مجهل	كامل	عنترة	٣ : ١١
ولا يبادر	جعال	كامل	عنترة	٣ : ٥٧
أنا ذو عرفت	العدال	كامل	أبو تمام	٣ : ١٦١
أخلاج	كالتمثال	كامل	ابن المنجب	٣ : ٢٧٥
ليت الحرائر	الأحبال	كامل	المعنق	٣ : ٢٨٠
أنى أرقت	على	كامل	جرير	٤ : ٥٧

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
أبانا	ترم	متقارب	الأعشى	٣: ٢٣٠
منعمة	دما	طويل	حميد بن ثور	١: ٨٦
وعوراء	فتقوما	طويل	حاتم الطائى	١: ٩٣
وماهى	خثعما	طويل	حميد بن ثور	١: ١٦٢
أرى	وتسلما	طويل	حميد بن ثور	١: ١٧٦/٣: ٩٥
تبكى	بكاهما	طويل	الفرزدق	١: ١٧٧
عددنا	ضخما	طويل	أخت طرفة بن العبد	١: ٢٠٦
ولو غير	ميسما	طويل	المتلمس	١: ٢٢١
وأغفر	تكرما	طويل	حاتم الطائى	١: ٢٣٢
هم القائلون	معظما	طويل	حاتم الطائى	١: ٢٨٦
تكلفنى	لتكرما	طويل	ابن المعذل	٢: ٣
فإن تفتلوا	أشيما	طويل	حاجب	٢: ٦١
لنا الجفنات	دما	طويل	حسان بن ثابت	٢: ١٤٣
لعمرى	خثعما	طويل	حسان بن ثابت	٢: ١٤٩
ألـمّا	نصرما	طويل	عمرو بن أبى ربيعة	٢: ٢١٥
لمن راية	تقدما	طويل	عمر بن أبى ربيعة	٣: ١٢
وما هاج	وترنما	طويل	حميد بن ثور	٣: ٩٢
وأى خميس	دما	طويل	طرفة	٣: ١٠٣
ضربناهم	صمما	طويل	العباس بن عبدالمطلب	٣: ٢٢٣
يمضى	ضرغاما	بسيط	مسلم بن الوليد	٣: ٣٧
قد قلصت	مبتسما	بسيط	أبو تمام	٣: ٣٩
خيل	اللجما	بسيط	النابغة	٣: ٦٧
تحيد	الحزما	بسيط	النابغة	٣:
من قول	أدما	يبسيط	النابغة	٣: ٢٥٧
هلا سألت	البرما	بسيط	النابغة	٤: ٦٦
ألا أبلغ	الطعاما	وافر	يزيد بن عمرو بن الصعق	١: ١٣٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
تعد	فقد ألاما	وافر	أم عمير بن سلمى	١ : ٢٨٢
دعى	أن ألاما	وافر	أم عمير بن سلمى	٢ : ١٢٨
بآية	مداما	وافر	الأعشى	٣ : ٢٨٩
دفنت	سناما	وافر	الأعشى	٤ : ٣١
خلعن	التوأما	وافر	الفرزدق	٤ : ٤٧
أضحى	كتاما	كامل	الفرزدق	٢ : ٢١٥
كان المسيم	مسيما	كامل	السيد الحميرى	٣ : ١٥٢
العبد	الملامة	مجزوءالكامل	ابن مفرغ الحميرى	١ : ٢١٦
وشريت	هامة	مجزوءالكامل	ابن مفرغ الحميرى	١ : ٢٩٣
فكذاك	أسامة	مجزوءالكامل	عمران بن حطان	٢ : ١٥٤
من سبأ	العرما	منسرح	النابغة الجعدى	٣ :
وقمير	قوما	خفيف	عمر بن أبى ربيعة	٢ : ١٨٤
أيها الرائحان	شميما	خفيف	أبو نواس	٣ : ١٠٤
تصرم	يتصرف	طويل	الفرزدق	١ : ٢٨
رمتنى	رميم	طويل	أبو حية النميرى أو عبدالله بن شبيب	١ : ٢٩
إذا ما هبطن	هشيم	طويل	ابن ميادة	١ : ٧٣
وكنت	الدارهم	طويل	ابن ميادة	١ : ١٢١
معاوى	العمائم	طويل	النعمان ابن بشير	١ : ١٤٤
على ساعة	حاتم	طويل	النعمان ابن بشير	١ : ١٨٨
وكنت	ظالم	طويل	ابن براقة الهذانى	١ : ٢١٥
أأترك	للئيم	طويل	عمارة بن عقيل	١ : ٢٤٨
كان النعام	جواحم	طويل	سلامة بن جندل	٢ : ١٨
أخصيى	سالم	طويل	الحارث بن ظالم	٢ :
هريرة	واجم	طويل	الأعشى	٢ :
يزيد	المحاجم	طويل	الأعشى	٢ : ١٩٨

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
سأكتمه	كريم	طويل	الأعشى	٢: ٢٢٩
سلام	سلام	طويل	معدان الإيادى	٣: ١٢٢
آليت	المثلم	طويل	أبو الأسود الدؤلى	٣: ٢٠٠
حكيت	معدم	طويل	النابغة الجعدى	٤: ٤
وما نحن	وتقدموا	طويل	النابغة الجعدى	٤: ٧٩
ومن يتخذ	خيمها	طويل	النابغة الجعدى	١: ١٨
وداهية	أزومها	طويل	النابغة الجعدى	١: ٩٢
مروح	زمامها	طويل	النابغة الجعدى	٣: ٨١
صحبتك	ذيمها	طويل	الحارث بن خالد المخزومى	٣: ١٠٨
حابسى	أرمه	مديد	طرفة	٢: ١٢٠
وإن أتاه	ولا حرم	بسيط	زهير	١: ١١٢
أمرت	مظلوم	بسيط	زهير	١: ٢٨٠
عهدى	واللجم	بسيط	زهير	٢: ١٩
يغضى	يبتسم	بسيط	زهير	٢: ٤٥
فراحت	ولا هيم	بسيط	ذو الرمة	٢: ١١٤
القائد	الزعم	بسيط	زهير	٢: ١٨٠
ماعد	والحكم	بسيط	جرير	٢: ٢٠١
صعل	مهجوم	بسيط	علقمة بن عبدة	٣: ٢٧
قرحاء	البراعيم	بسيط	الحطيئة	٣: ٢٨
كأن إبريقهم	ملثوم	بسيط	علقمة بن عبدة	٣: ٣٢
لافى شظاها	تفليم	بسيط	علقمة بن عبدة	٣: ٨٣
سلاءة	معجوم	بسيط	علقمة بن عبدة	٣: ٨٣
إنى	رحم	بسيط	المغيرة بن حبناء الحنظلى	٣: ٢٩٣
أمست	مرتكم	بسيط	إسحاق بن خلف	٤: ١٦

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
سقتها	الملاغم	طويل	الفرزدق	١: ٦٤
ودار	معصم	طويل	زهير	١: ٧٢
تعالوا	الأكارم	طويل	جرير	١: ٧٩
بكرن	الفم	طويل	زهير	١: ٨٩/ ٣: ٦٧
ألم ترنى	ومقام	طويل	الفرزدق	١: ١٠٢
لقد لمتنا	بنائم	طويل	جرير	١: ١١٣، ١٧٧
ومنا الذى	الجماجم	طويل	الفرزدق	١: ١١٨
وأخزاكم	البراجم	طويل	جرير	١: ١٣٩
على الراحتين	قيامى	طويل	عمرو بن قميئة	١:
بفى الشامتين	الضراغم	طويل	الفرزدق	١: ١٨٠
تخضض	الأراقم	طويل	جرير	١: ١٨٣/ ٢/ ٦٠
فلما تصافنا	الجراصم	طويل	الفرزدق	١: ١٨٨
أمرتك	هاشم	طويل	عمرو بن العاص	١: ٢١٢
معاوى	نائم	طويل	عبدالله بن هاشم	١: ٢١٢
جزى الله	المتضاجم	طويل	الأخطل	١: ٢٢٣
أحب	معجم	طويل	ذو الرمة	١: ٢٣٤/ ٢: ٢١٥
ولا خير	بالمآثم	طويل	جرير	٢: ٣
لعمرى	الأكارم	طويل	جرير	٢: ٥٦
ما تركت	لأم	طويل	إبراهيم بن النعمان	٢: ٥٦
أنانى	قائم	طويل	الفرزدق	٢: ٥٩
أباهل	بالمظالم	طويل	جرير	٢: ٦٠
وتشرق	الدم	طويل	الأعشى	٢: ١٠٥
مشين	النواسم	طويل	ذو الرمة	٢: ١٠٥
تغطى	العمائم	طويل	ذو الرمة	٢: ١٣١
لشتان	حلتم	طويل	ربيعة الرقى	٢: ١٦٤
ألاتنتهى	بالدم	طويل	جابر بن حتى	٢: ١٧٢

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
ومهما	تعلم	طويل	زهير	٢: ٢٢٨
ألاقل	محرم	طويل	زهير	٣: ٢٢
وصافية	وعام	طويل	إسحاق الموصلى	٣: ٤٠
فياظبية	أم سالم	طويل	ذو الرمة	٣: ٤٣
كأن	لم يحطم	طويل	زهير	٣: ٦٩
من مبلغ	وحنم	طويل	النعمان بن عدى	٣: ٦٩
فلما وردنا	المتخم	طويل	زهير	٣: ٧٦
ومما شجانى	بالتنسم	طويل	نصيب	٣: ٩٣
تعالوا	الأكارم	طويل	جرير	٣: ١٠٢
بيننا	بنجوم	طويل	أبو نواس	٣:
ثلاثة	المصمم	طويل	عبدالرحمن بن ملجم	
			أو ابن أبى مياس	٣: ١٤٥
ورثتم	وهاشم	طويل	الفرزدق	٣: ١٥١
تخبر	عارم	طويل	كثير	٣: ١٥١، ١٩٤
لعمرك	حكيم	طويل	قطرى بن الفجاءة	٣: ٢١٥
فإن تك	قماقم	طويل	قطرى بن الفجاءة	٣:
ومستعجب	لم يتر مرم	طويل	المهلب	٣: ٢٧٤
دعى اللوم	عاصم	طويل	يزيد بن حبناء	٣: ٢٩٠
لقد لمتنا	بنائم	طويل	يزيد بن حبناء	٣: ٢٩٠
فإنى لأرضى	آل هاشم	طويل	جرير	٤: ٤٢
يشبهون	واللمم	بسيط	الشمردل بن شريك	١: ٥١
ألهى	كلثوم	بسيط	الشمردل بن شريك	١:
نلقى	مكلوم	بسيط	جرير	
هذى	أوقومى	بسيط	جرير	٢: ١٣٦
عمرتك	سلم	بسيط	جرير	٤: ٦٥
وفيت	وأيامى	بسيط	العتابى	٤: ١٠٤

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
تواصت	الكلوم	وافر	جرير	١ : ٢٤
إذا	الطعام	وافر	جرير	١ :
تقول	المنيم	وافر	جرير	١ : ٧١
ألم يك	العظام	وافر	الفرزدق	١ : ١٠٠
نهانى	الكرام	وافر	ابن هرمة	١ : ١٩٤
سفيه	الحليم	وافر	أبو تمام	٢ : ١٩
إذا قالت	حذام	وافر	أبو تمام	٢ : ٥٤
فإنك	الغرام	وافر	ابن غلفان الهجيمى	٢ : ٦٠
ولكنا	كوم	وافر	ابن غلفان الهجيمى	٢ : ٩٦
وأنت	كريم	وافر	جرير	٢ : ١٠٣
ذرينى	هشام	وافر	جرير	٢ : ١٠٦
إذا جئت	الرحيم	وافر	أبو دلامة	٢ : ١٣٤
جزى	الأثام	وافر	أبو دلامة	٣ : ٢٤
مررت	والنظيم	وافر	جرير	٣ : ١٢٠
وتنزل	الصميم	وافر	جرير	٣ : ١٣٠
إذا ما كنت	تميم	وافر	جرير	٣ : ١٣٠
دعى القوم	الصميم	وافر	نهار بن توسعة اليشكرى	٣ : ١٣٣
فدى	حميم	وافر	الخنساء	٤ : ٤٩
جادت	كالدرهم	كامل	عنترة	١ : ٩
يخبرك	المغنم	كامل	عنترة	١ : ٢٧
بطل	بتوءم	كامل	عنترة	١ : ٧٩
لولا الحياء	القاسم	كامل	ابن الرقاع العاملى	١ : ١٢٢
إن تشتما	قشعم	كامل	عنترة العبسى	١ : ١٣٧
قتل	الأقوام	كامل	مهلهل بن ربيعة	١ : ٢١٨
لو غيركم	العوام	كامل	جرير	١ : ٢٢٢

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
أبنى تميم	الأعمام	كامل	جرير	١ : ٢٣٨
ذم المنازل	الأيام	كامل	جرير	١ : ٢٦٧
إنى شكرت	علمى	كامل	محمود الوراق	٢ : ٤
يوماى	الديلم	كامل	القاسم بن عيسى أبو دلف	٢ : ١٨
شطت	مخرم	كامل	عنترة بن شداد	٢ : ٤٤
أنى يكون	الأعمام	كامل	مروان بن أبى حفصة	٢ : ٧٢
لو كان	خصام	كامل	طاهر بن على	٢ : ٧٢
تبرى	طمطم	كامل	عنترة	٢ : ١٦٧
شطت	مخرم	كامل	عنترة	٣ : ١٧
بركت	مهضم	كامل	عنترة	٣ : ٩١
بطل	يتوءم	كامل	عنترة	٢ : ٤٢
بركت	مهضم	كامل	عنترة	٤ : ٤٧
سحا	لم يتصرف	كامل	عنترة	٤ : ٦٣
حب بالزور	لمام	رمل	الطرماح	٢ : ٢٠٩
وأزجر	أضم	منسرح	النابغة الجعدى	٢ : ١٢١
أكنى	مكتم	منسرح	النابغة الجعدى	٢ : ٢١٢
أنكحها	أدم	منسرح	المهلهل	٣ : ٦٨
كل هنيئا	كريم	خفيف	المهلهل	١ : ١٠٦
قد مررنا	ينمى	خفيف	أبوالشمقمق	٣ : ٦
كم يتيم	عدم	خفيف	ابن المعذل	٣ : ٦
قد رأينا	الظلام	خفيف	أبوعبدالرحمن العطوى	٣ : ٤٣
والوصى	لانهدام	خفيف	الكميت	٣ : ١٥٠
فإن شمرت	ولا تسأم	متقارب	الكميت	٣ : ١٦٦
		(النون)		
حمزة	غين	رمل	موسى شهوات	٢ : ١٩٩
ياخاضب	كفن	خفيف	محمود الوراق	٢ : ١٢٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
أمن	من	متقارب	عبد الصمد بن المعذل	٢: ٧
وأمتعت	أزن	متقارب	الأعشى	٢: ٩٧
إنا بنى نهشل	يشرينا	بسيط	بشامة بن حزم	١: ٩٥
كأن حاديها	جوبا	بسيط	جرير	١:
إن العيون	قتلانا	بسيط	جرير	١: ٢٢٦
وحبذا	أحيانا	بسيط	جرير	٣: ٤٤
هبت	حورانا	بسيط	جرير	٣: ٥٠
ياضربة	رضوانا	بسيط	عمران بن حطان	٣: ١٢٥
إنى	المحلينا	بسيط	السيد الحميرى	٣: ١٧٤
مهلا	مدفونا	بسيط	الفضل بن العناس	٤: ٣٩
لو كان	يعنونا	بسيط	الفضل بن العناس	٤: ٦٧
وضعن	جنينا	وافر	عمرو بن أحمر	١: ٣٥
متى تلق	الداعينا	وافر	عمرو بن أحمر	١: ٥٠
فمن تكن	يرانا	وافر	القطامى	١: ٥٥
إذا ضيقت	هانا	وافر	القطامى	١: ٢٦٨
وما إن	آخرينا	وافر	فروة بن مسيك	١:
ولا تصلى	مسنكينا	وافر	ابن أحمر	٢: ٨٩
تنحى	العالمينا	وافر	الحطيئة	٢: ١١١
ألاهبى	الأندرينا	وافر	عمرو بن كلثوم	٢: ١٨٥
بجو	الحنينا	وافر	ابن أحمر	٣: ٤٦
فأما الأزد	المزونا	وافر	الكميت	٣: ٢٣٨
وكنا	فينا	وافر	أم العريان	٣: ١٧٨
فلما أصبحوا	مسومينا	وافر	عيسى بن فاتك	٣:
ألا يامن	المزونا	وافر	عيسى بن فاتك	٣: ٢٣٨
خرجت	ياسمينا	وافر	عيسى بن فاتك	٣: ٢٤٦
قتلنا	المؤمنينا	وافر	دعبل	٤: ٣٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
يامن لشيخ	ألوانا	كامل	دعبل	١: ١٦٤
ماللمنازل	فبلينا	كامل	جرير	٢: ٤٤
إن الذين	معينا	كامل	جرير	٢: ١٩٤
وترى	عصينا	كامل	جرير	٣: ١٧
إن الذى	فينا	كامل	جرير	٣: ١١٩
لكن	عنى	كامل	الأسعر الجعفى	٣: ٢٨٤
إن أولاد	فينا	مجزوءالرمل	الأسعر الجعفى	٢: ٩٤
يا خير	وغضبانا	منسرح	أبو عبدالرحمن العتبى	٣:
فإذا	العيونا	خفيف	أبو نواس	٣: ٣٧
إن شرخ	جنوبا	خفيف	حسان بن ثابت	٣: ٨٥
ليت	فيرانا	خفيف	معن بن المغيرة	٣: ٢٨٣
فذاك	المسلمينا	متقارب	معن بن المغيرة	١: ٢٥
أرى الشام	كارهينا	متقارب	كعب بن جعيل	١: ٢٥٨
دعأ	ماتحذرونا	طويل	النجاشى	١: ٢٦١
فلا	ظنين	طويل	عبد الرحمن بن حسان	١: ١٦
خليل	معين	طويل	بشارين برد	٢: ٣
إذا جاوز	قمين	طويل	جميل بن عباالله	٢: ٢٣١
ألا إنما	تلين	طويل	كثير	٣: ٨٥
مضى	عثمان	طويل	كثير	٣: ٢٢٢
سمين	سمين	طويل	كثير	٤: ٦
ألا إنما	قطينها	طويل	جرير	١: ٢١٦
واعلم	تدان	بسيط	يزيد بن الصعق الكلابى	١: ٢٥٩
لما رأوا	عدن	بسيط	أبو المشمرج اليشكرى	٢: ٦٤
لله بكر	حضن	بسيط	النعمان بن المنذر	٢: ٦٤
من كان	قمن	بسيط	الحارث بن خالد المخزومى	٢: ٢٣١

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
وما حسن	البيان	وافر	المخزومى	٢ : ٩٥
طوت	مهين	وافر	الشماخ	٣ : ٨٤
لما رأيتك	قرين	كامل	عبدالله بن أبى عيينة	٢ : ٦
وتفرقوا	الحيران	كامل	مالك بن الصمصامة	٣ : ٩١
فإذا	طينها	رمل	عدى بى زيد	٣ : ٥٥
فمن يك	غرضان	طويل	عدى بى زيد	١ : ٣١
وكأس	أبان	طويل	عبدالرحمن بن الحكم	١ : ١٠٥
دعتنى	بلبان	طويل	عبدالرحمن بن الحكم	١ :
فبتنا	مختلطان	طويل	أم ضيغم البلوية	١ : ١٠٥
ألا تسأل	رمضان	طويل	أم ضيغم البلوية	١ : ٢٢٨
وأبصرت	اليمن	طويل	أم ضيغم البلوية	١ : ٢٣٦
سأعمل	الحدثان	طويل	أم ضيغم البلوية	١ : ٢٥٠
ألاجعل	حيان	طويل	أم ضيغم البلوية	١ : ٢٦٦
وأطلس	فأتانى	طويل	الفرزدق	١ :
هاك	مكان	طويل	محمد بن نمير الثقفى	٢ : ٧٨
لها درهم	يبتدران	طويل	محمد بن نمير الثقفى	٢ : ٩٥
على ربز	والدالان	طويل	امرؤ القيس	٢ : ١٤٧
سددن	وحبين	طويل	امرؤ القيس	٢ : ١٩
لعمرك	بثمان	طويل	ابن أبى ربيعة	٢ : ١٣٢/٣/١٨٢
وقد أرسلت	وما تكنى	طويل	محمد نمير الثقفى	٢ : ٢١٥
إذا المرء	مخزان	طويل	امرؤ القيس	٢ : ٢٢٨
كأن قطاة	الخفقان	طويل	عروة بن حزام	٣ : ٣٤
علا	يمان	طويل	عروة بن حزام	٣ : ١١٧
عجبت	أبوان	طويل	عروة بن حزام	٣ : ١٣١
لعمرك	بثمان	طويل	ابن أبى ربيعة	٣ : ١٣٢
أرى	ومكانى	طويل	صخر بن عمرو	٤ : ٥١

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
سأبكى	قنان	طويل	الخنوت	٤: ٥٩
كل امرئ	حين	بسيط	ذو الأصبع	١: ١٨
إذ أنت	رسنى	بسيط	ذو الأصبع	١: ٣٩
أنى جزوا	الحسن	بسيط	أفنون التغلبى	١: ٩٢
لو كان	قنيان	بسيط	أبو المثلم الهذلى	١: ١٨٢
كيف الهجاء	تأتينى	بسيط	الحطيئة	١: ١٨٧
أعطيتنى	ترنى	بسيط	على بن جبلة	١: ٢٤٥
ياعمرو	اسقونى	بسيط	ذو الأصبع	١: ٢٩٣
باب الأمير	ذقن	بسيط	إسحاق بن خلف	٢: ١٩
اشرب	لليمين	بسيط	أبو زيد	٢: ٢٠
إنى لباك	يبكينى	بسيط	الفرزدق	٢: ٨١
ماكان	عيلان	بسيط	النعمان بن المنذر	٢: ٦٤
إنى أبى	أبين	بسيط	ذو الأصبع العدوانى	٢: ٨١
قد غيب	الموازين	بسيط	ذو الأصبع العدوانى	٢: ٢٠٥
إن السلام	يكفينى	بسيط	أبو العتاهية	٣: ٤
ياروح	وغسان	بسيط	عمران بن حطان	٣: ١٢٦
قيس	أقرانى	بسيط	الحريش بن هلال	٣: ٢٣٨
إن ينتحل	والعطن	وافر	أبو تمام	٣: ٢٩٢
وقد كنا	بيان	وافر	حسان بن ثابت	١: ٨٠
شربت	المدان	وافر	لقيط بن زرارة	١: ١٠٤
رأيت	القرين	وافر	الشماخ	١: ١٠٨
وقدما	تجاوبان	وافر	جحدر العكلى	١: ١٢١
وأخرج	الجنين	وافر	الطرماح	١: ١٧٥
فما أوهى	زمانى	وافر	عنترة بن شداد	١: ١٧٧
أنا ابن جلا	تعرفونى	وافر	صحيم بن وثيل	١: ١٨١
تقول	ودينى	وافر	المثقف العبدى	١: ٢٦٠

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
ولست	يأكلونى	وافر	أبو فرعون العدوى	١ : ٢٧٩
كأنك	بشن	وافر	النابغة الذبيانى	١ : ٣٠٢
فدى لك	أتانى	وافر	النابغة الذبيانى	٢:٤٤/٣:١٧
فمن يفخر	ثانى	وافر	النابغة الذبيانى	٢ : ٥٦
وماذا يدرى	الأربعين	وافر	صحيم بن وثيل	٢ : ٦٢
أبا الموت	تخوفينى	وافر	صحيم بن وثيل	٢ : ١٠٦
				٣ : ١٦٠
رأيت	القرين	وافر	الشماخ بن ضرار	٢ : ١٩٧
إذا ما قمت	الحزين	وافر	المثقف	٣ : ٣٢
فلو أنى	المدان	وافر	دعبل	٣ : ٥٩
كأنى	غين	وافر	دعبل	٣ : ٦٣
وبيضاء	الحنان	وافر	بشار بن برد	٣ : ٨٥
عشية	أرجو ان	وافر	بشار بن برد	٣ : ١٠٣
نزلنا	عوبثان	وافر	عمران بن حطان	٣ : ١٢٥
أحبك	الجبان	وافر	القاسم بن عيسى	٣ : ٢٩٢
وكل أخ	الفرقدان	وافر	عمرو بن معدى كرب	٤ : ٦٥
ولم أر	الفرقدين	وافر	أبو العتاهية	٤ : ٦٥
إن الأراقم	الأسنان	كامل	الفرزدق	١ : ١٨٢
لا تحزنينى	شئونى	كامل	أوس بن حجر	١ : ٢٦٠
النحو	يلحن	كامل	إسحاق بن خلف	٢ : ١٩
يأبى	الأذقان	كامل	ابن الخياط المدينى	٢ : ٢١٠
يشتفن	الأشطان	كامل	جرير	٣ : ٣٥
حالت	الريحان	كامل	جرير	٣ : ٤٩
ولقد أمر	لا يعنيى	كامل	جرير	٣ : ٦١
مافى مقام	ودنان	كامل	جرير	٣ : ٧٠
إن المكارم	قحطان	كامل	أعشى همدان	٣ : ٢٤٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
منهم	الردفان	كامل	جرير	٤ : ٦٨
أني أحاجيك	بالغبن	منسرح	عمرو بن زعبل	٢ : ٢٤
لا تعدم	السمن	منسرح	ابن أبى عيينة	٢ : ٢٤
قد قيل	الزمن	منسرح	إبراهيم السواق	٢ : ٢٥
حيثما	الأزمان	منسرح	إبراهيم السواق	١ : ٢٣١
صاح	جيرون	منسرح	عبد الرحمن بن حسان	١ : ٢٣٦
أيها المنكح	يلتقيان	منسرح	ابن أبى ربيعة	٢ : ١٧٤
لم يطيقوا	الأسنان	منسرح	دعبل	٣ : ١١٨
عللانى	تسقيان	منسرح	الحسن بن وهب	
			الحارثى	٣ : ١٦١
		(الهاء)		
إذا ورد	فشفاها	طويل	ليلى الأخيلية	١ : ٢٤٢
حتى أنخت	وحافيها	بسيط	ليلى الأخيلية	١ : ٢٧١
أما ابن	حاديها	بسيط	ليلى الأخيلية	٢ : ١٣٩
نفسى	يكفيها	بسيط	أبو العتاهية	٢ : ٢٢٢
هجانى	مناحيها	بسيط	جرير	٢ : ١٩
إلى أوس	قضاها	وافر	بشير بن أبى خازم	١ : ١٨٧
إذا رضيت	رضاها	وافر	الححيفى العقيلى	٢ : ١٤١
				٣ : ٧٤
حمدتك	كراها	وافر	أبو تمام	٣ : ٩٤
يرى	لمحاها	وافر	أبو تمام	٣ : ٢١٦
مامن يد	مولاها	كامل	أبو نواس	٢ : ٥
ويل	مثواه	سريع	محمد بن بشير	٢ : ١٣
إنا بنى	وناديها	منسرح	عمرو بن الأهتم	١ : ٣٠٩

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
		(الواو)		
وكم موطن	منهوى	طويل	يزيد بن الحكم الثقفى	٣: ٢٤٧
		(الياء)		
لا تسألن	إليه	كامل	أبو العتاهية	٢: ١٢٥
أليس	يديه	متقارب	محمود الوراق	٢: ١٢٨
وإن الألى	التآسيا	طويل	سليمان بن قتة	١: ١٦
وأوقف	ماضيا	طويل	سلمة بن عياش	١: ٧٥، ١٠٦
ألم تر	ماليا	طويل	الفرزدق	١: ٧٥
قلائص	غواليا	طويل	الراعى	١: ١٣٦
أروح	تقاضيا	طويل	الراعى	١: ١٤٠
وعاذلة	مابيا	طويل	صخر بن عمرو	١: ١٥٤/ ٤: ٤٨
وأوقف	ماضيا	طويل	صخر بن عمرو	١: ١٦٦
رأيت	بداليا	طويل	عبدالله بن معاوية	١: ١٧٢
ألا حى	اللياليا	طويل	أبو حية النميرى	١: ١٧٦
فأصبحت	عانيا	طويل	المجنون	١: ٢٣٣
وأخرج	خاليا	طويل	المجنون	١: ٢٣٤
حلفت	العواليا	طويل	عنترة بن شداد	١: ٢٤٦
تقول	وغاديا	طويل	ذو الرمة	٢: ٤٢
فما وجدونا	مواليا	طويل	عنترة	٢: ٤٧
لم أر	كاسيا	طويل	القلاخ بن حزن	٢: ٥٦
تجاوزت	عنانيا	طويل	يحيى بن أبى حفصة	٢: ٥٦
أقاتلى	فؤاديا	طويل	سوار بن المضرب	٢: ٧٧/ ٣: ٢٦١
إذاعرضوا	ماهيا	طويل	جرير	٢: ٩٢
وإنى لأستحيى	ليا	طويل	جرير	٢: ١٠٢، ١٤٩
عميرة	ناهيا	طويل	عبد بنى الحساس	٢: ١٦٧
وراهن	المكاويا	طويل	عبد بنى الحساس	٣: ٩٤

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
إذا ما وترنا	البواكيا	طويل	عبد بنى الحساس	٣: ١١٨
ما كان أغنى	حاميا	طويل	عبد بنى الحساس	٣: ١٣٩
وجفن	البواكيا	طويل	الفرزدق	٤: ٢٣
دعا	داعيا	طويل	ليلى الأخيلية	٤: ٣٥
طوتك	وطيا	وافر	أبو العتاهية	٢: ٩
أحب	والوصيا	وافر	أبو الأسود	٣: ١٥١
فر	قطريا	خفيف	الحارث بن خالد المحرومى	٣: ٢٥٦
لا يغرنك	دويا	خفيف	سديف	٤: ٧
دعوتك	عليا	وافر	أبو عبدالرحمن العتبى	٤: ٧٨
فإذا جالسته	الحاشية	رمل	دعبل	٣: ١١٤
وكيىء	كمى	وافر	دعبل	٣: ٢٣١
ألا لهف	قصى	وافر	دعبل	٤: ٢٧
أرى أمة	الأصبحى	متقارب	الصلت العبدى	١:

«الألف المقصورة»

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
إذا القوم	الفنى	طويل	متمم بن نويرة	١: ٩٧
لكن قعيدة	غنى	كامل	متمم بن نويرة	١: ٢٠٨
وكم من	منى	طويل	عمر بن ابى ربيعة	٢: ١٧٢
إذا خرجت	ترى	متقارب	حميد بن ثور	٣: ٣٥
لعمرى	هوى	طويل	حميد بن ثور	٤: ٢٩
فأومأت	فى	طويل	حميد بن ثور	٤: ٣٧
لعمرى	بالفتى	طويل	متمم	٤:

٨- فهرس الأرجاز

الجزء والصفحة		الجزء والصفحة	
وهى تنوش علا	٤ : ٦	قد لفها حطم	٣ :
قد أمر الله	١ : ٤٨/٢:٦٦	رأين واقلحما . . .	١ : ٢٠٦
يا حبذا الذله، نعامة الفزاوى	١ :	بنتى أباكما أبو فرعون	١ : ٢٧٩
الدلو المذلة	١ : ١٨٤	إيت أرماما . . .	٣ :
أحمل الحمالة . . .	١ : ٢٦٦	هذا المآزما . . .	٣ :
إن عله	٢ : ١٦٥	نبئت أنما . .	٣ :
الليل ويل المرادى	٣ :	ولو رآها لكردما . .	٣ :
يأتى واشمل أبو المنجم	١ : ٧٢	إنك الخندمة . . .	٢ : ١٦٦
رب مشمعل الشماخ	١ : ١٦١	قد السلام	١ : ٣٣
أقول ازحله أبو النجم	٢ : ١٢٠	نمت لا ينام	١ : ١١٣
بغير مطلول	١ : ٦٣	فنام همى رؤبة	١ :
بشية المرجل العجاج	١ : ٢٣٦	يا بن هشام الكرام	١ : ١٥١
لو أننى الحسل رؤبة	٢ : ١٤٨	أبو زيد الأسلمى	
والشمس الأحول أبو النجم	٢ : ٤٨	ليس ولا تمتام . .	٢ : ١٦٥
يا زيد الذبل عمر بن لجأ	٣ :	كأنه سامى	٣ :
أبو عبد الله بن رواحة		لا شىء السهام	٣ :
إن ابن على رؤية	٣ :	(ن)	
أنا هلال عبيدة بن هلال	٣ :	إن ترون زيد الخيل	٣ :
ناقته الثقال القتال	٤ : ٣٣	كأن ظلامه شيبان أبو النجم	٣ :
(م)		إن ثقيفا هوازنا	٢ : ٥١
لقد بعثت العجم	١ : ١١٣	أبصرتها الثعبانا . . .	٣ :
هذا زيم رويشيد بن وميض	١ : ٢٩٨	بنى هين	٣ :
أقبلن خيم جرير	٢ : ٩١	تكفى ثن	١ : ٧٣
أنا ابن سعد العجم . . .	٢ : ٩٣	يمشى المتقن رؤبة	٢ : ١٨
إذا علم جرير	٤ : ٤١	قد خنق قطنى	٢ : ٧٠

٩- فهرس أنصاف الأبيات

النون

الياء

١٠ - فهرس الأعلام

(ت)

(س)

(١٩)

(ق)

(ل)

(٢٠)

(هـ)

١١- فهرس الأمم والأرهاط والفرق والقبائل

١٢- فهرست أسماء البلاد والأماكن

(أ)

(ب)

(ت)

(ح)

(خ)

(د)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(ف)

(ق)

١٣- فهرس الأيام

١٤- فهرس الكتب فى الكتاب وزياداته